

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وزارة التعليم العالي  
جامعة أم القرى  
كلية الدعوة وأصول الدين

نموذج رقم ( ٨ )

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات

الاسم ( رباعي ) : محمد بن عبد الرحمن بن محمد طاهر كلية : الدعوة وأصول الدين قسم : المصيدة  
الأطروحة مقدمة لئيل درجة : المصيدة في تخصص : المصيدة  
عنوان الأطروحة : (( جهود الدكتور محمد بن محمد بن عبد الرحمن في اتباع منهج الإسلام ))

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

بناءً على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه ، والتي تمت مناقشتها بتاريخ | | ١٤هـ - بقبولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة ، وحيث قد تم عمل اللازم ؛ فإن اللجنة توصي بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة للدرجة العلمية المذكورة أعلاه ...  
والله الموفق ...

أعضاء اللجنة

الناطق الدراحي

الاسم : محمد بن محمد بن محمد

التوقيع : محمد بن محمد بن محمد

يعتمد

رئيس قسم المصيدة

الاسم : عبد الله بن محمد

التوقيع : عبد الله بن محمد

الناطق الداخلي

الاسم : محمد بن محمد بن محمد

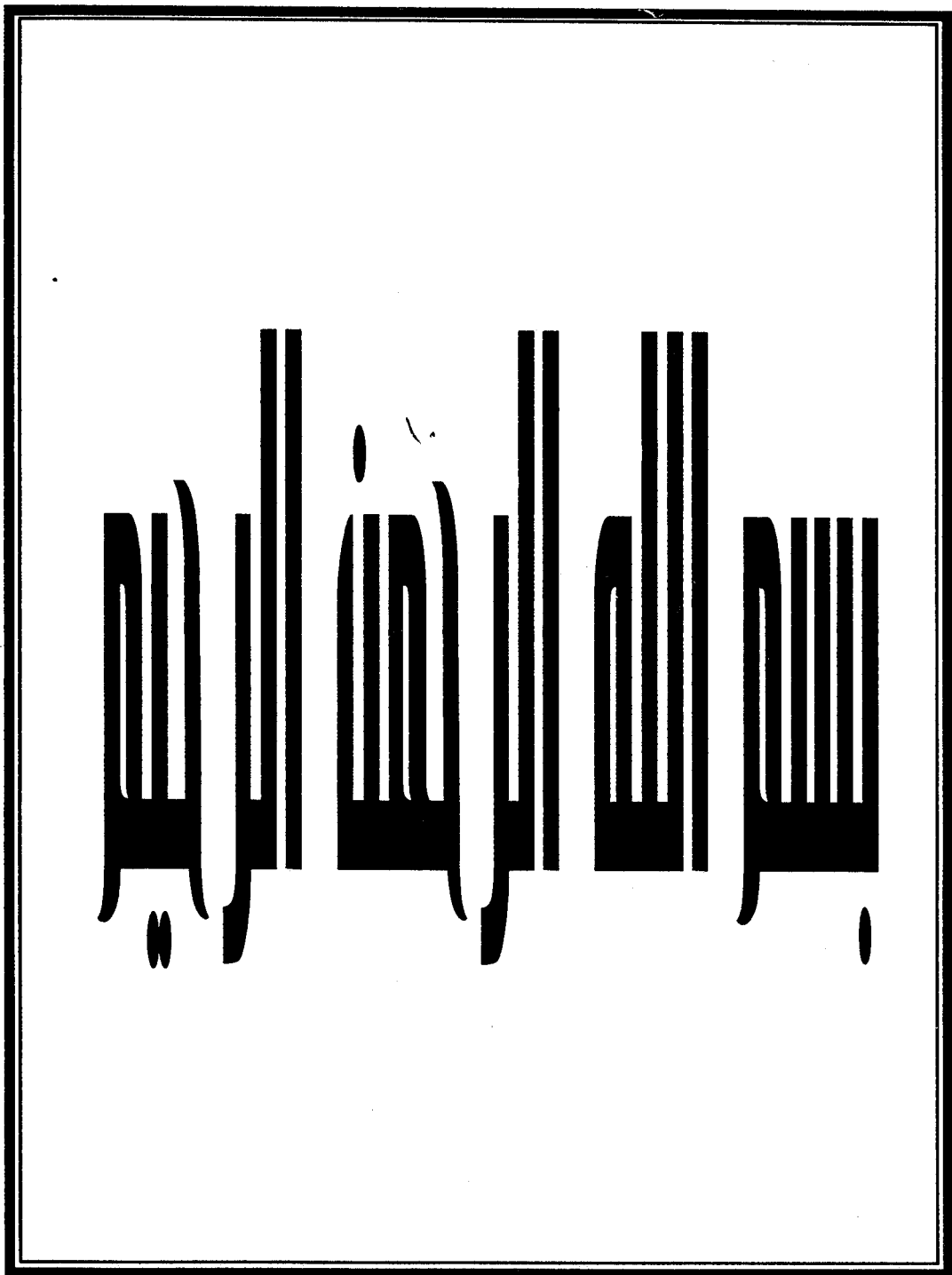
التوقيع : محمد بن محمد بن محمد

المشرف

الاسم : محمد بن محمد بن محمد

التوقيع : محمد بن محمد بن محمد

• يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الأطروحة في كل نسخة من الرسالة .



المملكة العربية السعودية  
وزارة التعليم العالي  
جامعة أم القري  
كلية الدعوة وأصول الدين  
قسم العقيدة

٢٠١٦



٧١٧

# جهود الدكتور / محمد محمد حسين في الدفاع عن الإسلام

رسالة ماجستير مقدمة من الطالب

إبراهيم بن حميدان بن أحمد الحارثي

إشراف

الأستاذ الدكتور / عبد الله حسن بركات

١٠٦٤٦

عام ١٤٢٠هـ

## ملخص البحث

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وبعد .

اشتمل البحث على دراسة لجهود الدكتور محمد حسين رحمه الله في الدفاع عن الإسلام ومواجهة خصومه ، وقد بدأ البحث بدراسة للعصر الذي عاش فيه الدكتور محمد حسين رحمه الله مع تمهيد تاريخي مختصر عن الغزو الفكري وبداياته الأولى وطريقة تسربه إلى بلاد الإسلام ، وتأثر بعض المسلمين به مما أنتج الكثير من الخلل في حياة المسلمين .

ثم تناول البحث جوانب مختلفة من عصر الدكتور محمد حسين رحمه الله ، فالجانب السياسي شهد أحداثاً مؤسفة أدت إلى سقوط الخلافة الإسلامية ونشوء بعض المظاهر كصناعة الزعيم والانتقالات العسكرية والبعد عن جوهر النظام السياسي الإسلامي والاعتقالات السياسية ، والجانب الديني والاجتماعي شهد انحرافاً كبيراً طغت فيه الطرق الصوفية والفكر الإرجائي وتغير المجتمع واختلت القيم الإسلامية، وانتشرت في بعض الطرق المرذولة ، أما الناحية الثقافية والفكرية فقد اختلفت فيها التوجهات وبرزت اتجاهات تدعو لمجاعة الاستعمار والسير في ركابه ، واتجاهات أخرى دعت لمقاومة التغريب والاحتفاظ بالإسلام كهوية ومنهج وتطبيقه في كل شئون الحياة ، و انتشرت في تلك الفترة مجموعة من المذاهب الفكرية التي وجدت لنفسها سوقاً رائجة في بعض الأوساط الثقافية والفكرية .

ثم تناول البحث حياة الدكتور محمد حسين رحمه الله الشخصية والعلمية والسمات العامة لشخصيته، والمراحل التي مر بها والمؤلفات التي خلفها من بعده ، مع التعريف بها بشكل مختصر .

أما الباب الثاني فاشتمل على فصلين للتعريف بموقفه من الانحرافات العقدية والتشريعية مع التعريف اللغوي و الشرعي لمعنى الانحراف العقدي والتشريعي ، واشتمل الفصل الأول على بيان الانحرافات العقدية في جانب الحرية والدين والقران الكريم أما الفصل الثاني فقد اشتمل على مقومات الانحراف التشريعي ومسائل مختلفة حول تطبيق الشريعة الإسلامية ودراسة الفقه في ضوء القانون المقارن ، كما اشتمل على مبحث مهم حول تحكيم الشريعة الإسلامية ، ثم ضم الباب حديثاً عن خصائص الشريعة الإسلامية وبيان قدرتها على التفاعل مع كل الأزمان والأماكن المختلفة ، أما الباب الثالث فقد اشتمل على موقف الدكتور محمد حسين رحمه الله من المذاهب الفكرية المختلفة كالروحية الحديثة والعالمية والقومية وقد قام رحمه الله ببيان أهدافها ووسائلها رد عليها وناقشها بموضوعية ومنهجية علمية رصينة .

أما الباب الرابع والأخير فاشتمل على موقفه رحمه الله من قضايا التغريب سواءً كان تغريب التربية والتعليم وإخراجها من صورتها الإسلامية ، أو في تغريب المرأة وإخراجها من بيتها وإطلاق العنان لها والسير بها في طريق المرأة الغربية، ثم تحدث عن بعض دعاة التغريب من المعاصرين وبين بعض أخطائهم وانحراف بعض مفاهيمهم وأفكارهم أما أهم نتائج البحث فهي كالتالي :-

- ١) خطورة الغزو الفكري وأنه البداية الملتوية وغير المباشرة لتحطيم عقيدة وأخلاق المجتمعات البشرية وخاصة الإسلامية منها .
- ٢) تشابه وسائل الأعداء في نشر المذاهب المنحرفة في وسط المجتمع الإسلامي .
- ٣) انبهار بعض المسلمين بالحضارة الغربية ، واحد من أهم عوامل التوطئة للغزو الفكري في ديار المسلمين .
- ٤) جهود الدكتور محمد حسين رحمه الله الكبيرة والعظيمة في مواجهة أعداء الإسلام .
- ٥) التراث الفكري الذي تركه الدكتور محمد حسين رحمه الله يبين أنه واحد من أعلام الفكر الإسلامي المعاصر .

عميد الكلية

د . عبد الله الدميحي

المشرف على الرسالة

د . عبد الله بكر كات

الطالب

إبراهيم الحارثي

## المقدمة

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ، يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه ،  
والصلاة والسلام على خير خلق الله وخاتم رسل الله ، نبينا محمد بن عبد الله  
وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم إلى يوم الدين .

وبعد . . .

تعرض أمتنا الإسلامية حاليا ومن قبل للعديد من الأخطار والمشكلات  
المختلفة ، وهي حين تتعرض لذلك إنما تعيش تحت وطأة الضعف والانحيار  
والهزيمة الفكرية ، التي تسيطر على عقول كثير من أبنائها فتجعل منهم مكانا  
خصبا لتقبل الأفكار من قبل الآخرين ، والرضا بها واعتبارها سبيل الخلاص من  
الحالة الراهنة للأمة ، بل إن بعضهم رضي لنفسه أن يكون وسيلة من وسائل  
نشر تلك الأفكار والشبهات والوقوف معها في خندق واحد حتى آخر رمق .

والهجوم على الإسلام ليس وليد اليوم ولا الأمس القريب ، بل هو منهج  
قديم يسير عليه أتباع الضلالة والغواية ، ويهدفون فيما يهدفون إليه إلى هدم  
الإسلام وإثارة الشكوك حوله سواء بالطرق المباشرة والعداء السافر ، أو بالطرق  
غير المباشرة والالتفاف حول بعض مبادئه وقيمه ، ونقدها بحجة النقد العلمي  
الحر أو بحجج متهافته واهية لا تقوم على علم أو عقل أو دين ، وهم يتلونون في  
كل عصر بما يناسبه ويشاكلة ، وقد تخلى المهاجمون عن أساليب القوة والبطش  
لما رأوا عجزها وانتقلوا إلى أساليب أخرى ملتوية وبطيئة ، ولكنها أكيدة

المفعول، كالغزو الفكري الرهيب، ذلك الذي أطبق على أبناء الأمة في هذا العصر، حتى إنهم يتنفسونه مع الهواء ويأكلونه مع الطعام ويشربونه مع الماء القراح، واستطاعوا أن يسيطروا علينا بحبل منهم وحبل منا، حتى كاد البعض منا يتخلى عن دينه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ولكن الله عز وجل يقول: ﴿والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (يوسف: ٢١)، فقيض من أبناء الأمة الصادقين من يزود عن حمى دينها ويبلي بلاء حسنا في مقارعة الظالمين، فيفضح سترهم ويكشف عوارهم وينقض قولهم بالحق الواضح الذي لا لبس فيه، ومن هؤلاء الدكتور محمد محمد حسين رحمه الله، والذي رفع لواء الإسلام ومبادئه في وجه التغريب والتبعية، فصال وجال وكتب وألف ووقف في وجه الانحرافات الفكرية المتعددة، والتي طالت الكثير من المفاهيم الإسلامية العميقة، حيث كان التيار هادرا عارما، ولكنه بقي يناضل بقلمه الرصين وفكره الثاقب وثقافته الواسعة دون كلل ولا ملل.

وحيث أن الجهود يجب أن تتواصل لكشف مخططات الأعداء وتنبه الأمة لمكامن الخطر والاحتراس منها، وبما أن الحاجة ملحة لعرض الدفاع عن الإسلام بأقلام المخلصين من أبنائه، ولأن الدكتور محمد محمد حسين رحمه الله كانت له جهوده الموفقة في هذا الميدان وهو حلقة من حلقات الدفاع عن الإسلام في فترة من الفترات، فلا يصح أن نبدأ من فراغ ونحن نملك هذا العطاء الضخم، وهذا الجهد المبارك.

وإحقا لحق الرجل وبيانا لجهوده وتذكير الناس بها، جاء هذا البحث والذي أرجو أن ينفع الله تعالى به.

## أسباب اختيار الموضوع :

- ١ - استمرار الموجة التغريبية وانتشارها على مستويات واسعة ..
  - ٢- أن كتابات الدكتور محمد رحمه الله تعبر تعبيرا واقعيا عن أحداث العصر .
  - ٣- أن كتاباته تنم عن فهم عميق وتصور واضح وخلفية شرعية وفكرية سليمة .
  - ٤- أن كتاباته تكشف الكثير من خلفيات الأحداث التي لا تزال موجودة حتى الآن ، ولا تزال تعاني منها الأمة الإسلامية .
  - ٥ - أنه من أوائل من كتب في هذا الباب ونبه إلى خطورته .
  - ٦ - أن جهوده تحتاج إلى إلقاء الضوء عليها وتعريف الناس بها .
  - ٧ - الاستفادة من جهود السابقين والرواد في الرد على التغريب الحديث .
- لذلك كله اجتهدت في وضع خطة تناسب هذا البحث واستعنت الله تعالى على ذلك ، فجاءت كما يأتي :

### خطة البحث :

الباب الأول : عصره وحياته .

وقمت بتقسيمه إلى فصلين هما :

الفصل الأول : عصره .

وقسمته إلى تمهيد وثلاثة مباحث هي :

المبحث الأول : الناحية السياسية .

المبحث الثاني : الناحية الدينية والاجتماعية .

المبحث الثالث : الناحية الثقافية والفكرية .

الفصل الثاني : حياته .

وقسمته إلى مبحثين هما :

المبحث الأول : حياته الشخصية .

المبحث الثاني : حياته العلمية .

**الباب الثاني :** موقفه من الانحرافات العقدية والتشريعية .

وقمت بتقسيمه إلى تمهيد وفصلين هما :

**الفصل الأول :** موقفه من الانحرافات العقدية .

وقمت بتقسيمه إلى ثلاثة مباحث هي :

المبحث الأول : الحرية .

المبحث الثاني : الدين .

المبحث الثالث : القرآن الكريم .

**الفصل الثاني :** موقفه من الانحرافات التشريعية .

وقمت بتقسيمه إلى أربعة مباحث هي :

المبحث الأول : مقدمات الانحراف .

المبحث الثاني : مسائل حول تطبيق الشريعة الإسلامية .

المبحث الثالث : تحكيم الشريعة الإسلامية .

المبحث الرابع : خصائص الشريعة الإسلامية .

**الباب الثالث :** موقفه من المذاهب الفكرية .

وقمت بتقسيمه إلى ثلاثة فصول هي :

**الفصل الأول :** الروحية .

وقمت بتقسيمه كالآتي :



المبحث الأول : تعريفها .

المبحث الثاني : أهدافها .

المبحث الثالث : وسائلها .

المبحث الرابع : رده عليها ونقدها .

**الفصل الثاني : العالمية .**

وقمت بتقسيمه كالآتي :

المبحث الأول : تعريفها .

المبحث الثاني : أهدافها .

المبحث الثالث : وسائلها .

المبحث الرابع : رده عليها ونقدها .

**الفصل الثالث : القومية .**

وقمت بتقسيمه كالآتي :

المبحث الأول : تعريفها .

المبحث الثاني : أهدافها .

المبحث الثالث : وسائلها .

المبحث الرابع : رده عليها ونقدها .

**الباب الرابع : موقفه من قضايا التغريب .**

وقمت بتقسيمه إلى ثلاثة فصول هي :

**الفصل الأول : موقفه من تغريب التربية والتعليم .**

وقمت بتقسيمه كالآتي :

المبحث الأول : تغريب التربية .

المبحث الثاني : تغريب التعليم .

**الفصل الثاني : موقفه من تغريب المرأة .**

وقمت بتقسيمه كالآتي :

المبحث الأول : المرأة والمجتمع المختلط .

المبحث الثاني : المرأة والأعمال العامة .

**الفصل الثالث : موقفه من دعاة التغريب .**

وأود أن أوكد قبل أن أتحدث عن منهج البحث ، أنني حاولت في هذه الرسالة أن أختصر الحديث بحيث لا أطيل على القارئ ولا أمله ، علي ألا يكون ذلك الاختصار مخللاً لا طائل من ورائه .

لذلك كنت أثناء الكتابة في موضوعات الرسالة أكتفي بكلام الدكتور محمد محمد حسين رحمه الله في موضع من مواضع كتبه ، دون أن أرجع إلى كلامه في كتاب آخر غالباً ، وذلك لأن بعض كتبه عبارة عن محاضرات ومقالات متفرقة ، ألقىت في أزمنة وأماكن مختلفة ، فأجد أحياناً بعض التكرار بين كتاب وآخر ، فأضطر للإعراض عن بعض ذلك الكلام ، حتى لا أقع في آفة التكرار والإملال .

كما أنني اكتفيت بكلامه رحمه الله في الرد على شبه الموضوعات الواردة في ثنايا الرسالة ، وذلك لأنه كان يأتي رحمه الله بما يكفي ويشفي ، وبما يظهر الحق ويزهق الباطل ، فإذا احتجت إلي الإضافة أضفت ما يكمل المقصود ويظهر المراد باختصار أيضاً .

ولم أجد بداً في أن أتوسع بعض الشيء في الفصل الثاني من الباب الثاني عند الحديث عن موقفه من الانحراف التشريعي ، وذلك لأهمية الموضوع وحساسيته ، ولما يحاك للشريعة ويثار ضدها ، وللحاجة إلي بيان بعض الجوانب التي لا غنى عنها ولم ترد في ثنايا رده عليها ، كما فعلت ذلك أيضاً في الفصل الأول من الباب الرابع ، عند ذكر قضية تغريب التربية ، لذات السبب الذي ذكرته آنفاً ، مع الاعتراف أن الموضوعات المثارة في هذه الرسالة من الأهمية بمكان ، وتحتاج جميعها إلى الحديث الطويل المفصل ، ولكنني وجدت الأمانى شيئاً والواقع شيئاً آخر ، ولو سرت مع الأمانى لاحتجت إلى المجلدات الطوال .

وأنبه إلى مسألة أخرى تتعلق بالتراجم ، حيث ترجمت لمن رأيت في ترجمته فائدة تفيد البحث أو تكشف شيئاً في سياق الكلام ، واكتفيت في بعض الأحيان النادرة بتعريف العلم بما جاء عنه في متن الكلام ، مثل : (قال عالم الطبيعة الأمريكي روبرت ميلليكان ) ، حيث إن هذا التعريف بالكاتب وعمله وجنسيته يحقق المقصود .

أما الأعلام الذين لهم أثرهم وكتاباتهم المؤثرة ، فقد حرصت علي التعريف بهم ما وجدت إلى ذلك سبيلاً ، ومالم أجد فأذكره دون تعريف .  
أما الصحابة رضوان الله عليهم والتابعون وأئمة الدين رحمهم الله تعالى ، فلم أعرف بأحد منهم غالباً ، يقيناً مني أن شهرتهم ومعرفة الناس بهم لا تحتاج إلى تعريف سبق وأن امتلأت به الكتب والرسائل ، وانتشر حتى لو طلبه طالب لما وجد أسهل عليه من ذلك ، وأرجو ألا يظن في هذا الصنيع عجزاً ولا تهاوناً ، فلن أعجز إن شاء الله عن التعريف مثلاً : بعبد الله بن

مسعود رضي الله عنه في ثلاثة أسطر أو أربعة كما جرت العادة .  
ذلكم ما أجتهدت فيه ظاناً أنه حق من الحق ، ورأي صائب من صائب  
الرأي إن شاء الله تعالى ، فإن كان ذلك هو الصواب فالحمد لله ، وإن كان  
غير ذلك فاستغفر الله لنفسي على ما أخطأت فيه وفرطت ، والله المستعان  
وعليه التكلان ، أما منهج البحث فهو كالاتي :

### منهج البحث :

- ١- ترقيم الآيات وعزوها للسور القرآنية .
- ٢- تخريج الأحاديث والحكم عليها ، مع الاكتفاء بتخريج الحديث من  
صحيح البخاري ومسلم ، إذا كان قد ورد فيهما أوفي أحدهما ، مع  
الاعتماد الكامل في تخريج الحديث ومعرفة رتبته على كلام أهل العلم  
السابقين والمعاصرين ، وذلك لعدم الإلمام العميق بهذا الفن .
- ٣- وضعت كلام الدكتور محمد حسين رحمه الله بين القوسين المركنين  
[ . . ] إذا كان سيأتي في طيات كلامه نقل عن الآخرين ، وذلك للتمييز بين  
كلامه وكلامهم .
- ٤- وضعت عند حذف خمسة أسطر أو أكثر من أحد النصوص المنقولة  
خمس نقاط ( . . . . . ) ، وثلاث نقاط ( . . . ) عندما يكون المحذوف أقل  
من ذلك .
- ٥- قمت بالتصرف في بعض النصوص التي نقلتها عن الدكتور محمد  
محمد حسين رحمه الله وغيره ، بسبب الحاجة إلى ذلك مع عدم الإخلال  
بالنص ، وذلك مثل إزالة أرقام صفحات الكتب التي ينقل منها ، أو في مثل  
تخريجه لبعض الأحاديث ، مكتفياً بما سأقوم به من تخريج .

٦- قمت بوضع خاتمة في نهاية كل باب ، موجزاً فيه ما تضمنه الباب من موضوعات مختلفة .

٧- وضعت قائمة بالمراجع وفهارس الآيات والأحاديث والآيات والموضوعات إتماماً للفائدة وتسهيلاً على القارئ للرجوع إليها .

٨- التزمت بقواعد منهج البحث ، ما استطعت إلى ذلك سبيلاً .  
وختاماً أتوجه بالشكر الجزيل بعد شكر الله عز وجل لسعادة المشرف على الرسالة الدكتور عبد الله حسن بركات على ما قام به من جهد مشكور وتوجيهات سديدة ومتابعة دائمة ، شعرت فيها بروح أبوته الصادقة ، وعاطفته الجياشة ، وقد كان لملاحظاته القيمة الدور الأكبر في إثراء الرسالة وإخراجها بما هي عليه الآن وأسأل الله أن يكتب له الأجر والمثوبة .

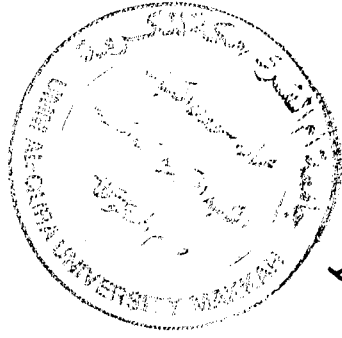
كما أتوجه بالشكر الجزيل لكل من ساهم معي في إخراج هذه الرسالة ، والمساعدة لي بالدعاء والسؤال والعون أثناء كتابتها حتى الانتهاء منها ، وتمنيت لو ذكرتهم بالاسم ، ولكنهم أكثر من أن يعدوا أو يذكروا، وأسأل الله لهم جزيل الأجر ووافر الثواب .

وختاماً . . أسأل الله عز وجل أن ينفع بما كتبه ويخلص لي فيه النية ، وأن يكتب لي وللجميع رضوانه الذي لا سخط بعده أبداً ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الطالب

إبراهيم بن حميدان بن أحمد الحارثي



۲۷۱۶

# الباب الأول عصره وحياته

الفصل الأول

عصره

الفصل الثاني

حياته

# الفصل الأول

## عصره

تمهيد

المبحث الأول : الناحية السياسية

المبحث الثاني : الناحية الدينية والاجتماعية

المبحث الثالث : الناحية الثقافية والفكرية



## تمهيد

كثيرة هي الأحداث التي وقعت في هذا القرن الذي نشهد نهايته، حيث مرت بالأمة الإسلامية أزمات وأحداث، يمكن أن أجمل أهمها في مجموعة من الأحداث والظواهر المختلفة التي طغت على ماعداها في ساحة أمتنا الإسلامية.

وأود أن أقدم بمقدمة تاريخية موجزة، يمكن أن أعتبرها بمثابة المقدمات والإرهاصات التي أفرزت الواقع المرير لأمتنا الإسلامية في شتى المجالات.

ليس من شك أن هناك أبعاداً تاريخية للغزو الفكري وتياراته المعادية للإسلام، بل إن هذا الغزو المضاد للإسلام، بعيد الأغوار مواكب لظهور الإسلام<sup>(١)</sup>.

ولست هنا في مقام المتوسع في الحديث عن الغزو الفكري وبداياته، وإنما سأعرض جملاً من مظاهر ذلك الغزو بشكل سريع وموجز، ويمكن أن أقول إن ذلك الظهور الكبير للإسلام في بداياته على كل الأديان كان سبباً في إيقاد نار العداوة والحقد في نفوس أبناء تلك الديانات، وحيث إن الإسلام كان قوياً

---

(١) الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، د.علي عبدالحليم محمود، ص ١٢، بدون طبعه، ١٤٠١هـ من البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي الذي نظمتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام ١٣٦٩هـ، نشر دار الثقافة والنشر بالجامعة.

في تلك الفترة، فقد كان من الصعب مواجهته أو إيقافه فبدأت المؤامرات الآثمة للليل منه داخلياً وخارجياً، حيث آتت ثمارها بعد ذلك عبر التاريخ الطويل للأمة الإسلامية، ولعل أبرز الأحداث التي وقعت فيها المواجهات بين الإسلام وخصومه كانت عندما بدأت الحروب الصليبية الاستفزازية والتي استمرت فيها المواجهات بين المسلمين والصليبيين قرابة القرنين من الزمان من عام ٤٩٠ هـ وحتى عام ٦٦٩ هـ الموافق ١٠٦٩ - ١٢٧٠ م.

وكانت هذه الحروب بالنسبة لأوروبا بمثابة الجسر الأول الذي عبرت من خلاله الحضارة الإسلامية بمنجزاتها الرائعة إليها (وعلى الرغم من أن الصليبيين كانوا محاربين همجاً، إلا أن هذا لم يمنعهم من التأثر بالحضارة العربية الإسلامية، ونجاحها في نواحي الفنون العسكرية والعمارة والزراعة والصناعة والحياة الاجتماعية، بل لقد كثر تقليدهم للمسلمين - لا العكس كما حدث في حروب الاستعمار الحديث نظراً لاختلاف الصورة - حتى كانت بعض طبقات الصليبيين تفرض على نساءها وبناتها إذا بلغن الحلم أن يضربن الخمار على وجوههن، ويأبون عليهن أن يخرجن إلى الأسواق سافرات، بل إنهم ما كانوا يسمحون لهن بالخروج إلا للضرورة القصوى، كما أطلق بعض الرجال اللحي تشبهاً بالمسلمين وكانوا يستعملون النعال التي يستعملها المسلمون في بيوتهم.

ويمكن أن نقول إن اتصال الصليبيين بالمسلمين كان مدعاة لإضعاف سلطان الكنيسة وخلق نواة جديدة للوحدة الأوروبية، كما أن ذلك الاتصال أصاب نظام الإقطاع في الصميم.

أما الجسر الثاني فكان صقلية وجنوبي إيطاليا، حيث ازدهرت الحضارة

الإسلامية في هذه المناطق ، وبلغ فيها التبادل الثقافي بين المسلمين والأوروبيين غايته أثناء الحكم الإسلامي وبعد زواله ، وكانت صقلية ميداناً للتلاقي الحر بين الحضارات حتى كانت (صقلية) و(باليرمو) في جنوب إيطاليا مثل (طليطلة) الأندلسية مركزاً عظيماً للترجمة ونقل الكتب العربية إلى اللاتينية .

أما الجسر الثالث والأهم فكان الأندلس التي تعد أكبر مؤثر في تاريخ الحضارة الأوروبية ، وما حدث في الأندلس من تطور حضاري وثقافي كبير كان سبباً في استمرار التأثير على أوروبا نحواً من تسعة قرون<sup>(١)</sup> .

كانت هذه المعابر الثلاثة كما تقدم لها تأثيرها على أوروبا وعلى الكنيسة بالذات حيث ظهرت حركات التذمر والتمرد على الكنيسة ، ومن ثم الإصلاح للطغيان الكنسي الرهيب في شتى أمور الحياة ، بل حتى في أمور الدين حيث كانت لهم السلطة المطلقة في الأمر والنهي والتحليل والتحريم ، وليس لأحد مهما عظم شأنه أن يعترض على أوامر البابا العليا ، فأدخلوا من آرائهم وعقولهم على الدين ما ليس فيه وألصقوا به من شرواحهم وتفسيراتهم ما اعتبروه وحياً منزلاً ، وحرموا على غيرهم التفكير أو السؤال أو الاعتراض .

ثم ازدادوا في الشطط ومنعوا علماء الطبيعة من النظر في أمور الكون وإعلان اكتشافاتهم العلمية المخالفة لمناخ كتب الكنيسة . ويقدر عدد من عاقبتهم الكنيسة من العلماء ثلاثمائة ألف ، أحرق منهم اثنان وثلاثون ألفاً أحياء .

ولم يقف الأمر عند هذا ، بل بلغت سلطة البابا إلى الحد الذي يتوج فيه الملوك والأباطرة ، بل ويخلع تيجانهم إذا نازعوه ورفضوا أوامره ، حتى قال

(١) من روائع حضارتنا ، د. مصطفى السباعي ، ص ٣٣ - ٤١ ، (بتصرف) ، ط ٣ ، ١٤٠٢ هـ ، المكتب

الإسلامي ، دمشق - بيروت .

أحد باباواتهم من حق البابا وواجبه بصفته خليفة الله في أرضه، أن يخلع الملوك غير الصالحين، وأن يؤيد أو يرفض اختيار البشر للحكام، أو تنصيبهم حسب مقتضيات الأحوال .

ومع كل هذا الطغيان والفساد، أقبل الباباوات على الدنيا بنهم واضح وطمع كبير لا حدود له، فباعوا للناس أراضٍ في الجنة ومنحوهم على ذلك صكوكاً يسمونها صكوك الغفران، وانطلقوا ينافسون كبار الأغنياء، وفرضوا على الناس الضرائب وأخذوا منهم العطايا والهبات .

وصاحب ذلك تفجر في شهوات رجال الدين فأخذوا ينافسون ويسابقون العصاة وأرباب الفجور من عشاق زينة الحياة الدنيا وطلاب متاعها ولذاتها<sup>(١)</sup> .

كل تلك الأحداث أدت إلى وجود حالة من التذمر الشديد في أوساط المسيحيين، حتى بلغ الأمر إلى الحد الذي خرج فيه من رجال الدين من رفضوا أفكار الكنيسة وآراءها المتطرفة، كالاقرار أمام القسس أو تقديس الصور والتماثيل، بل برزت فرقة نصرانية أعطت للفرد حريته وجعلت مسؤوليته تجاه الله وحده وليس تجاه الكنيسة .

وتواصل التمرد على الفكر الكنسي حتى ظهرت المذاهب المسيحية الحديثة التي تعارض المذاهب المسيحية القديمة التي ترعاها الكنيسة الغربية التقليدية .

---

(١) كواشف زيوف، د. عبدالرحمن الميداني، ص ٤٢-٥٤، (بتصرف كبير)، ط ١، ١٤٠٥هـ، دار القلم - دمشق، وماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي، ص ١٩٢، ط ٣، ١٤٠٢هـ، دار القلم - الكويت.

كانت هذه التمردات بمثابة الإرهاصات التي أدت إلى وجود الاصطدامات بين الكنيسة وبين بعض رجال العلم، (حيث بدأ رجال النهضة الحديثة يعملون على محاصرة رجال الكنيسة، وعزلهم ضمن حدودها وطقوسها شيئاً فشيئاً، وأخذت فكرة فصل الدين عن السياسة والعلم وشؤون الحياة تتحقق بصورة تدريجية، وبدأت تتضاءل سلطة رجال الكنيسة).

ثم أخذت النظريات في العلوم، وتجارب المعامل، والتطبيقات في مختلف مجالات الحياة، تعطي ثمارها النافعة المدهشة<sup>(١)</sup>، ساعد ذلك على انتشار وتعميق وترسيخ فكرة فصل الدين عن السياسة والعلم والحياة . . .

وبدأ المفكرون الغربيون يبحثون في الفلسفة الإغريقية، والفلسفات التي بنيت عليها أو استفادت منها أو تأثرت بها عن بديل للدين الذي عزلوه في نفوسهم عن السياسة والعلم والفلسفة والحياة ووسائل العيش وأساليب السلوك .

ولما كانت الفلسفة الإغريقية عقلية الجذور، فقد اتجه الغرب لاعتماد العقل وتمجيده، والرجوع إليه في كل الشؤون التي عزل الكنيسة عنها<sup>(٢)</sup>، كان كل ما حدث بمثابة المقدمات لقيام الثورة الفرنسية التي اندلعت عام ١٧٨٩ م، وأدت لظهور المذهب العقلي<sup>(٣)</sup>، الذي يأخذ (بكل ما يصل إليه البحث

---

(١) المقصود أنها بدأت تعطي ثمارها النافعة، والمدهشة فيما يتعلق بالجانب المادي فقط بينما أفلست في الجوانب العقدية والأخلاقية، كما أن تحجيم دور الكنيسة بشكل واضح وتضييق مجال اتصالها بالحياة مع الاندفاع نحو العلوم الحديثة أدى إلى ربط التقدم العلمي والتطور الحضاري بإبعاد الكنيسة عن الحياة، مما مهد لفكرة فصل الدين عن الحياة وترسيخها في أذهان الناس.

(٢) كواشف زيوف، د. عبدالرحمن الميداني، ص ٥٦-٥٧، (بتصرف).

(٣) العقلانية: أحد المذاهب الفكرية الحديثة والتي تعني (التفسير العقلاني لكل شيء في الوجود أو تمرير كل شيء في الوجود من قناة العقل لإثباته أو نفيه أو تحديد خصائصه) أو هي (اتجاه لتمجيد العقل واعتماد =

العلمي الإنساني، في كل مجالات المعرفة الإنسانية النظرية والتطبيقية، حتى ما يتصل بالسلوك الإنساني الفردي والجماعي، ولو لم يقدم البحث العلمي بعد حقائق نهائية، بل هو مازال في دور النظريات أو الفرضيات، وصار هذا مذهباً سائداً في الغرب وهو الذي رفع شعار العلمانية<sup>(١)</sup> (٢).

تلك كانت أهم ما أفرزته الصراعات الشديدة بين الدين والعلم في أوروبا، ومع كل هذه الصراعات إلا أن كراهية الصليبية للإسلام استمرت، بل وورثت من الأجداد إلى الأحفاد، فقد كان (لعاب الأمل بانتزاع الأرض المباركة من أيدي المسلمين يسيل على عرض أشداقهم، وأحلام الظفر بعرش المشرق العربي والإسلامي وسائر بلاد المسلمين تتراقص لهم<sup>(٣)</sup>).

ولكن صمود المسلمين واجتماعهم على قادتهم في كل مرة كان سبباً لبدء التفكير بأسلوب جديد وطرق أخرى للسيطرة على بلاد المسلمين سيطرة تامة خاصة أنهم (أدركوا بعد التجارب الطويلة أن الغزو المادي قبل الغزو الفكري والنفسي والخلقي يولد في الشعوب رد فعل عنيف يحمي أكثريتها من تقبل

---

= أحكامه أصاب أو أخطأ ضد الاتجاه الديني مهما كان الدين حقاً ومهما كان الذي نسب إليه صواباً، فالمحكم في هذا الاتجاه هو العقل ويحاول إثبات وجود الأفكار في عقل الإنسان قبل أن يستمدها من التجربة العملية الحياتية أي أن الإدراك العقلي المجرد سابق على الإدراك المادي (المجسد) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف وتحقيق ومراجعة د. مانع بن حماد الجهني، ص ٨٠٦، ط ٣، ١٤٠٨هـ، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، ومذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، ص ٥٠٠، ط ٧، ١٤٠١٣هـ، دار الشروق، القاهرة، مصر، وكواشف زيوف، ص ١٥٩.

(١) العلمانية: (ترجمة اصطلاحية مهذبة فيها تعديل لما حقه أن يترجم بـ (اللا دينية) أو بالدينوية أو بالاتجاه الذي لا يعتد بالدين، ولا يهتم به ولا يقيم له وزناً في شؤون الحياة الدنيا). ، (ومدلول العلمانية المتفق عليه يعني عزل الدين عن الدولة وحياة المجتمع وإبقائه حبيساً في ضمير الفرد لا يتجاوز العلاقة الخاصة بينه وبين ربه فإن سمح له بالتعبير عن نفسه ففي الشعائر التعبدية والمراسم المتعلقة بالزواج والوفاة ونحوهما)، الموسوعة الميسرة ص ٦٨٩ وكواشف زيوف ص ١٦٣، ومذاهب فكرية معاصرة ص ٤٤٥.

(٢) كواشف زيوف، د. عبد الرحمن الميداني، ص ٥٩.

الغزو بكل أنواعه)<sup>(١)</sup>، لذا فقد بدأوا بالعمل على (تهيئة الشعوب الإسلامية من الداخل وذلك بأسلوب الغزو الفكري والنفسي والخلقي عن طريق عملائهم وأجرائهم وتحت ستار المبادئ التي تزعم أنها إنسانية)<sup>(٢)</sup>. وكان لهذه الأساليب آثارها المدمرة على الأمة الإسلامية حيث فسد لديها الكثير من التصورات والمفاهيم الصحيحة وفقدت تميزها، واستقلالها الفكري وأصبحت التبعية والأمعية هي الواقع الذي يميز الأمة ويطلع بصمته عليها. لذلك كان من السهل على أعداء الله دس الأفكار التي من خلالها يطعنون الأمة في مقتلها وبأيدي أبنائها، فوجدوا فيها المذاهب المنحرفة والأفكار المختلفة، ومن بين تلك المذاهب المروجة ما يسمي بالقومية<sup>(٣)</sup>. والتي كانت سبباً في تفريق المسلمين وجعلهم (أشتاتاً متباعدة متنافرة متقاطعة، لا تجمعهم جامعة، ولا تؤلف بين قلوبهم مودة ولا تعقد بين جماعاتهم أواصر دينية أو تاريخية أو مصلحية)<sup>(٤)</sup>.

---

(١) المرجع السابق، ص ٢٣ .

(٢) المرجع السابق، ص ٢٣ .

(٣) راجع الباب الثالث، فصل القومية .

(٤) أجنحة المكر الثلاثة، د. عبدالرحمن الميداني، ص ٣٨ .

## المبحث الأول الناحية السياسية

شهدت الأمة في هذا القرن أحداثاً سياسية خطيرة ، تمثلت في كثير من الوقائع المختلفة ، وقد حرص الأعداء ضمن ما حرصوا على البدء بإزالة العقبة الكؤود ، التي كانت تقف في وجوههم وتمنعهم من تحقيق مرادهم ، وهي الخلافة الإسلامية العثمانية ، حيث كانت هي الخط الدفاعي الأول المواجه لأعداء الأمة ، كما أنها تعتبر الرمز الذي يوحد المسلمين ويجمع كلمتهم حول إمام واحد ، فكان لابد من العمل على إسقاطها عبر المؤامرات والمكائد المتتالية .

وكانت أخطر تلك المؤامرات هي التي حيكت من داخل الدولة العثمانية حيث ظهرت (الجمعيات السرية في تركيا والتي توحدت مع حزب الاتحاد والترقي<sup>(١)</sup> للقيام بالثورة ضد الخليفة عام ١٩٠٨م ثم عزل السلطان عبد الحميد الثاني<sup>(٢)</sup> عام ١٩٠٩م ، ووضع خليفة بدلاً عنه لم يكن يملك من

---

(١) جمعية الاتحاد والترقي : (جمعية تركية نشأت في أوروبا كحركة مناوئة لنظام الخلافة الإسلامية العثمانية تحت ستار التجديد والتحديث في الدولة العثمانية وتكونت في البدء تحت اسم جمعية تركيا الفتاه (تأسست قبل عام ١٨٦٥م ، ١٢٨٢هـ) وركزت على النشاط الفكري ، ثم تدرج العمل فكونت الجمعية خلايا سرية في الأستانه ، وانضم إلى صفوفهم العديد من يهود الدونمه وأصبحوا من قيادات الحركة ، وقامت الحركة بعمل إنقلاب على الدولة عام ١٩٠٨م ، وأعلنوا دستوراً جديداً للبلاد ثم ما لبثوا أن نحو السلطان العثماني ، وفي عام ١٩٢٤م أنهوا الخلافة العثمانية وأعلنوا الطورانية كقومية تركية ، وعملوا على معاداة العرب والاهتمام بتريك البلاد) ، الموسوعة الميسرة ج٢ ، ص ١٠٤٨ .

(٢) السلطان عبد الحميد الثاني : ( ولد في الثالث عشر من شهر شعبان عام ١٢٥٨هـ وتولى العرش خلفاً لأخيه مراد في العاشر من شهر شعبان عام ١٢٩٣هـ ، وهو ابن السلطان عبد المجيد ، وقد خدم أمته ثلاثة =



أمور الدولة شيئاً يذكر ، واستمر الوضع على ذلك حتى قيام الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م ، ثم اتفاق الحلفاء على تقسيم العالم الإسلامي بموجب معاهدة (سايكس بيكو)<sup>(١)</sup> عام ١٩١٦م ، ثم إعطاء فلسطين لليهود بناءً على وعد بلفور<sup>(٢)</sup> عام ١٩١٧م ، وكل هذا كان يحدث والخليفة لا يملك من أمر الدولة ما يمنع به مثل هذه الأحداث ، واستمر كذلك حتى قيام الجمهورية التركية عام ١٩٢٣م ، ثم تحقيق الهدف المطلوب وهو إلغاء الخلافة عام ١٩٢٤م ليتسنى لهم بعد ذلك تحقيق الأهداف المرجوة وهي :

\* تمزيق الخلافة الإسلامية العثمانية .

\* السيطرة على الأجزاء العربية ووضعها تحت الاحتلال الإنجليزي والفرنسي .

\* إنشاء دولة إسرائيل في فلسطين<sup>(٣)</sup> .

والحق أن هذا الحدث كان دامياً ، هز قلوب المسلمين على امتداد العالم الإسلامي كله ، حتى رثى الشعراء (الخلافة التي ماتت حين ظن الناس أنها قد

---

= وثلاثين عاماً ، كان له موقف عظيم ضد اليهود ، ورفض تسليم فلسطين لهم برغم كل الإغراءات المادية توفي في السابع والعشرين من ربيع الآخر عام ١٣٣٦هـ ، عن ستة وسبعين عاماً) . موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي ، د. محمد حرب ، ج ٨ ص ٦٥ ، بدون طبعة عام ١٩٩٦ .

(١) سايكس بيكو : ( عقدت معاهدة سايكس بيكو بين بريطانيا وفرنسا ، لاقتسام المشرق العربي بينهما وكان ذلك في ١٩ مايو ١٩١٦م ، نتيجة محادثات سرية بين ممثل بريطانيا السير مارك سايكس وممثل فرنسا المسيو جورج بيكو) ، الموسوعة العربية العالمية العدد ١٢ ، ص ٩٣ ، ط ١ ، ١٤١٦هـ ، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع .

(٢) وعد بلفور : (وثيقة حكومية بريطانية تبنت إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ، أصدر الوثيقة وزير الخارجية البريطاني جيمس بلفور عام ١٩١٧م) ، الموسوعة العربية العالمية ، العدد ٢٧ ، ص ١١١ .

(٣) الانحرافات العقيدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين ، وآثارها في حياة الأمة ، علي بخيت الزهراني ، ص ٧٥٠-٧٥٢ ، (بتصرف) (ط ١ بدون تاريخ) ، دار الرسالة للنشر والتوزيع ، مكة المكرمة .

استقبلت عهداً جديداً كله عزة، فارتفع صوت الباكين يعلنون موتها المفاجئ  
في صخب المحتفلين بعرسها، وكفنها في ثوب الزفاف، بين جزع  
الجازعين، وذهول الذاهلين، وعبرات الضاحكين :

عادت أغاني العرس رجع نواح      ونعيت بين معالم الأفراح  
كفنت في ليل الزفاف بثوبه      ودفنت عند تبلج الإصباح  
شيعت من هلع بعبرة ضاحك      في كل ناحية وسكرة صاح  
ضجت عليك مآذن ومنابر      وبكت عليك ممالك ونواح  
الهند والهة ومصر حزينة      تبكي عليك بدمع سحاح  
والشام تسأل والعراق وفارس      أمحا من الأرض الخلافة ماح<sup>(١)</sup>.

لقد كان الحدث مدوياً صاخباً، أطاش عقول الناس وأفقدهم وعيهم، فما  
كان يخطر ببالهم يوماً أن الرمز الذي كانوا يجتمعون حوله والإمام الذي  
يرجعون إليه قد سقط، وأنهم أصبحوا بلا خليفة وإمام.  
وكان لهذا الحدث آثاره الخطيرة على النواحي السياسية في كل بلاد  
المسلمين، حيث برزت الأطماع بين عدد من الحكام المسلمين، كل يريد أن  
يكون هو الخليفة، ويصور شوقي<sup>(٢)</sup> تلك الفتنة فيقول :

(فلتسمعن بكل أرض داعياً      يدعو إلى الكذاب أو لسجاح

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، د.محمد محمد حسين، ج ٢، ص ٣٧-٣٨، ط ٩، ١٤١٣هـ،  
دار الرسالة، مكة المكرمة، والشاعر هو أحمد شوقي.

(٢) أحمد شوقي : ( أمير شعراء العربية في العصر الحديث ، منذ القرن التاسع عشر وحتى بدايات القرن  
العشرين ولد عام ١٢٥٨هـ ، في القاهرة ، ونشأ منذ طفولته في سعة من الرزق ورغد في العيش بسبب  
صلته بالخدوي إسماعيل ، ابتعث إلى فرنسا فتعلم هناك ، كان مكباً على دراسة الشعر العربي ، وله  
قصائد إسلامية رائعة ، تبين عاطفته وحسه الإسلامي الصادق ، توفي عام ١٣٥١هـ ) ، الموسوعة العربية  
العالمية ، العدد الأول ، ص ٢٧٣ .

ولتشهدن بكل أرض فتنة فيها يباع الدين بيع سماح  
يفتى على ذهب المعز وسيفه وهوى النفوس وحقدها الملحاح<sup>(١)</sup>.

وكان من آثار ذلك الحدث، التفرق والتشردم، وتحزب كل طائفة على حاكمها وانفراط عقد الوحدة الإسلامية، (ولك أن تتصور حجم هذه الفاجعة على نفوس الناس، فهم لأول مرة في تاريخهم يفقدون خليفتهم ويصبحون أوزاعاً، كل واحد منهم له ولاء لحاكم من الحكام، بل حتى الدعاء الذي كانوا يدعون به للخليفة العثماني في كل جمعة، لم يعرفوا ماذا يفعلون به ولمن يصرفونه)<sup>(٢)</sup>.

لذلك حاول بعض العقلاء عقد المؤتمرات والندوات التي من خلالها يتم معالجة هذه المشكلة (مما حدا بالأزهر الشريف لإعلان إقامة مؤتمر الخلافة، ولكن هذا المؤتمر لم ينعقد إلا في عام ١٣٤٤ هـ، وكانت نتائجه مخيبة للآمال، فلم يخرج بشيء له قيمة)<sup>(٣)</sup> مما أدى إلى وجود فراغ كبير واضطراب عظيم كان من نتائجه أن (غابت أولاً الدولة الحاكمة بشرع الله، وغابت ثانياً الدولة التي تظل المسلمين وتجمع شملهم في وحدة حقه قائمة على وحدة العقيدة، وغابت ثالثاً الدولة التي كانت ترهب عدو الله وعدوهم، وكانت القوى العالمية تحسب لها ألف حساب، حتى بعد ضعفها ومرضاها، وغابت أخيراً الدولة التي عرف اليهود وتأكدوا أنه لا سبيل لهم إلى فلسطين إلا

(١) المرجع السابق، ص ٣٩، (بتصرف).

(٢) المرجع السابق، ص ٤٧، (بتصرف).

(٣) المرجع السابق، ص ٥١، (بتصرف).

بتحطيمها وهو ما صرح به (سرجي نيلوس) العالم الروسي الذي نشر البروتوكولات .

صرح به قبل قيامها بخمسين عاماً حين قال لمجان الأفعى اليهودية لا بد أن تمر بالأستانة في طريقها إلى فلسطين<sup>(١)</sup>، ثم سقطت دول العالم الإسلامي تبعاً لذلك فريسة (للاستعمار الإنجليزي والفرنسي والإيطالي والهولندي، حيث كانوا يفعلون بها ما يشاؤون، دون رادع أو وازع من خلق أو دين)<sup>(٢)</sup>. وبعد هذا الحدث المدوي ونتيجة للفراغ الكبير في حياة الأمة الإسلامية وجانبها السياسي نتج عن ذلك عدد من المظاهر الخطيرة والتي منها:

### (١) صناعة الزعيم :

كان من ضمن ألعيب الأعداء الماكرة ما يسمونه بصناعة الزعيم، (وهي فكرة مبتدعة كان القصد منها تجنب الغرب الكثير من الضحايا والخسائر عن طريق إيجاد شخصية مصنوعة على يدي الغرب، تقوم بتنفيذ كل ما يطلبه منها الأسياد، ومما يميز هذه الشخصيات أنها من أهل البلاد نفسها، ومن أصحاب الحق ذاتهم، وهي تتكلم بلسان قومها وتلبس لباسهم وهذا مما يسهل خداع الكثيرين من أبناء الأمة الإسلامية المنكوبة)<sup>(٣)</sup>.

وتمت صناعة هذه الشخصيات عن طريق البعثات إلى أوروبا (أو عن

(١) حاضر العالم الإسلامي، علي جريشة، ص ٧٤، ط ٤، ١٤١٠ هـ، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة.

(٢) الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، علي جريشة، ص ٢٩٣ (بتصرف).

(٣) حاضر العالم الإسلامي، علي جريشة، ص ٧٤-٧٦، (بتصرف).

طريق صالونات الأدب والتي كان يرتادها المندوب السامي البريطاني<sup>(١)</sup> كما كان يرتادها أيضاً مجموعة من أولئك المستغربين الذين كانوا النواة الأولى للزعامات الفاسدة في الوطن الإسلامي الكبير، وتسببوا في كثير من مظاهر الانحراف والخلل .

## (٢) الانقلابات العسكرية :

ضمن المظاهر المتنوعة للحياة السياسية في تلك الفترة ما يسمى بالانقلاب العسكري (وهي صناعة ابتدعتها في صورتها الحالية الولايات المتحدة الأمريكية منذ الخمسينات وقد تلتقي بها صناعة الزعيم، فتكتفي بزعيم واحد أو زعيمين تصنعهما ثم تصنع من حولهما انقلابات مؤيدة ومعارضة تتنوع بينها الأدوار، وبالانقلابات العسكرية تصبح القوة العسكرية المحلية قوة مساندة للوضع الجديد، وبذلك تحل البزة الصفراء المحلية محل البزة الصفراء الأجنبية، حماية لنفس الغرض مع توفير خسائر المال والأرواح، وتجنب المقاومة أو المعارضة وسحقها إن وجدت بغير خسائر العدو المستفيد.

وللانقلاب العسكري ميزة أخرى، وهي أنه يأتي بأناس مجهولي النسب، ويصعب على الناس تتبع هوياتهم وتتبع أنسابهم، ومن ثم فلا بأس أن يجلس على رأس شعب مسلم من له نسب باليهود أو مصاهرة بالنصارى، أو يجمع بين الصنفين ليحقق الوحدة الوطنية بين الأديان الثلاثة، ويجري الاتفاق على تلك الصفقات السياسية وراء خطوط الهدنة اليهودية أو في

---

(١) واقعنا المعاصر، محمد قطب، ص ٣١٠ - ٣١٤ (بتصرف)، ط ٢، ١٤٠٨هـ، مؤسسة المدينة للصحافة،

العواصم الأوروبية، أوفي أوكار الماسونية<sup>(١)</sup>، والشعب المسلم يغط في نوم عميق<sup>(٢)</sup>.

### (٣) البعد عن جوهر النظام السياسي الإسلامي :

كان من ضمن ما عانت منه الأمة الإسلامية ككل هو (البعد عن جوهر النظام السياسي الإسلامي بصور مختلفة منها :

#### أ - عدم تطبيق الشريعة الإسلامية :

أو التطبيق الجزئي لها والصورة الثانية قد يكتفى فيها بشعار العلم والإيمان أو غيره من الشعارات الإسلامية ، أو قد يكتفى معها بالتطبيق في مجال الأحوال الشخصية أو في بعض الحدود التي يجري فيها التطبيق على الضعيف دون الشريف ، مع ترك التعليم والإعلام والمجتمع بعيداً عن عقيدة الإسلام وخلقها وسائر تعاليمه وأحكامه .

ب - البعد بالأمة عن أن تكون أمة الإسلام سواء في وحدتها ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة﴾ (الأنبياء : ٩٢) أو في تماسكها ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس﴾ (البقرة : ١٤٣) ومن ثم رأينا الفرق والمزق تزعم لنفسها الشرعية وتدعي الإسلام .

---

(١) الماسونية : (منظمة يهودية سرية إرهابية غامضة ، محكمة التنظيم تهدف إلى ضمان سيطرة اليهود على العالم وتدعو إلى الإلحاد والإباحية والفساد ، وجل أعضائها من الشخصيات المرموقة في العالم يوثقهم عهد بحفظ الأسرار ويقومون بما يسمى بالمحافل للتجمع والتخطيط والتكليف بالمهام تمهيداً لتأسيس جمهورية ديمقراطية عالمية كما يدعون وتتخذ الوصولية والنفعية أساساً لتحقيق أغراضها في تكوين حكومة لا دينية عالمية) الموسوعة الميسرة ص ٤٤٩ وأجنحة المكر الثلاثة ، د.عبدالرحمن الميداني ، ص ٢٨١ ، ط ٦ ، ١٤١٠هـ ، دار القلم ، دمشق ، ومكايد يهودية عبر التاريخ ، د.عبدالرحمن الميداني ص ٢٠٠ ، ط ٥ ، ١٤٠٥هـ ، دار القلم ، دمشق ، سوريا .

(٢) حاضر العالم الإسلامي ، علي جريشة ص ٧٦ .

ج - البعد بالسلطة عن شرعية الإسلام .

وأهمها رضا المسلمين بها أياً كانت صورة الرضا<sup>(١)</sup>

وفي الوقت الذي نحيث فيه الشريعة عن الواقع كان البديل لها هو رفع الشعارات الزائفة وكان لها عند صانعيها فائدة مزدوجة فهي : (أولاً تشغل الشعوب الساذجة الجائعة إلى المثل ، العطشى إلى ما يحقق وجودها ويجعل الأمر بيدها ، وإنها ثانياً تبعد الشعوب العقائدية مثل الشعوب الإسلامية عن أن ترجع إلى إسلامها فتصبح مرة أخرى - قوة مهددة للصليبية<sup>(٢)</sup> وللصهيونية<sup>(٣)</sup> )<sup>(٤)</sup> وأفرزت هذه الشعارات الهزائم المتتالية والنكبات المتواصلة منذ بدء الحرب مع إسرائيل عام ١٩٤٨ هـ و ١٩٦٧ م والتي كان نتيجتها فقدان فلسطين وبعض أجزاء من بلاد المسلمين كجنوب لبنان وصحراء سيناء والجولان وغيرها في يد دولة إسرائيل الناشئة .

#### (٤) الاغتيالات السياسية :

شهدت الأمة في فترة من فترات القريية ما يسمى بظاهرة الاغتيالات السياسية لبعض من يخرج عما ترسمه القوى المؤثرة ، وذلك (ليتحقق مع التغيير (الردع) الذي يتطلبه الأمر أحياناً من وجهة نظرهم إذا ما حاد الحاكم عن الطريق الذي رسموه أو حاول أن يخط سياسة أكثر استقلالاً تمس

(١) المرجع السابق، ص ٨٣-٨٤ (بتصرف) .

(٢) الصليبية : (نسبة إلى الصليب الذي يدعي النصارى أن عيسى عليه السلام صلب عليه) .

(٣) الصهيونية : ( حركة سياسية عنصرية متطرفة، ترمي إلى إقامة دولة لليهود في فلسطين تحكم من خلالها العالم كله ، واشتقت الصهيونية من اسم جبل ( صهيون ) في القدس حيث تطمع أن تشيد منه هيكل سليمان وتقيم مملكة لها تكون عاصمتها القدس ، وارتبطت الحركة الصهيونية بشخصية اليهودي النمساوي (هرتزل) الذي يُعدُّ الداعية الأول للفكر الصهيوني الذي تقوم على آرائه الحركة الصهيونية في العالم) .

الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ٣٣١ .

(٤) المرجع السابق، ص ٧٧ (بتصرف) .

مصالحهم أو تهددها)<sup>(١)</sup>.

لذلك ندر أن يخرج أحد ممن صنعوه عن طريقهم المرسوم لهم بدقة وعناية .

كانت كل تلك الأحداث المؤسفة والمضطربة في الجانب السياسي للأمة الإسلامية في تلك الفترة سبباً في التأثير على الجوانب الدينية والاجتماعية، بحيث مكن الانتهازيون من زعماء السياسة لكل من يسير بسيرهم ويحقق لهم أغراضهم، فعلا بذلك كل أفك أئيم وكل ضال مبتدع، واشتدت سطوتهم وسطوة أفكارهم على حياة الأمة ككل في مقابل التراخي والضعف لدى دعاة الحق والغيورين، فضعفت مفاهيم الإسلام الكبرى وبرزت الأفكار والبدع الضالة على أيدي أفراد أو جماعات منحرفة وسوف نرى في المبحث الثاني تصديق هذه النتيجة .

---

(٣) الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، د. علي جريشة، ص ٢٩٨ .



## المبحث الثاني

### الناحية الدينية والاجتماعية

لما كان الناس تستهويهم المناظر الخلافة وتسلب عقولهم بعض الترهات التي لا ثبات لها، كان من الطبيعي أن يتأثروا بالمتصدرين والبارزين من أصحاب الأهواء والدعاوى الباطلة الذين مكن لهم زعماء السياسة الفاسدون لأنهم يسيرون وفق مرادهم ومصالحهم فأعطوهم الفرصة للظهور والبروز، ففتح الناس عيونهم على تلك الفئات المنحرفة وهي تحتل الريادة في المجتمع فكان لذلك من الآثار على الناس في دينهم وأخلاقهم الشيء الكثير، ولذلك انحرفت الكثير من مفاهيم الإسلام وأخلاقياته السامية، يقول الأستاذ محمد قطب (إن أول ما بيدهنا حين ننظر إلى القرنين الأخيرين - والقرن الأخير خاصة هو الغبش الشديد المحيط بحقيقة الإسلام في نفوس المسلمين والبعد المتزايد عن هذه الحقيقة في الحياة الواقعية، أي أنه فساد في التصور وفساد في السلوك)<sup>(١)</sup>.

ولاشك أن الانحراف عن المفاهيم الدينية الصحيحة كان السمة الغالبة على أفراد الأمة الإسلامية (ويمكن أن نقول إجمالاً، إنه كان هناك قصور في فهم الإسلام شمل عدداً من المفاهيم والقضايا، كما كان هناك تقصير متعمد بإضافة تعاليم صريحة والخروج عليها، والقصور ضعف في الفقه، أما التقصير فعصيان سافر، وقد يرى القاصر أو المقصر أنه سليم المسلك)<sup>(٢)</sup>.

(١) واقعنا المعاصر، محمد قطب، ص ١٦٥ .

(٢) عوامل انحطاط الحضارة الإسلامية، محمد الغزالي، ج ٢، ص ٢٧٠، ط ٢، ١٤٠٦هـ (محاضرة ضمن مجموعة أبحاث ووقائع اللقاء الرابع للندوة العالمية للشباب الإسلامي بعنوان الإسلام والحضارة ودور الشباب المسلم).

بل لقد حدث انحراف كبير في فهم الناس للإسلام، حتى أصبح التصور الديني يعني ( أن تلاوة الأوراد من الكتاب أو السنة أو تأليف المشايخ تصنع العجائب، وقد صنعت فعلاً صدعاً هائلاً في تاريخ كبير)<sup>(١)</sup> من تاريخ أمتنا المسكينة .

لقد كان لانتشار الطرق الصوفية<sup>(٢)</sup> في بلاد المسلمين أثر كبير في صرف الناس عن المفهوم الصحيح للتدين، حيث أصاب الناس الوهن الشديد في كل أمر من أمورهم، حتى الواجبات العبادية أصبحت عبارة عن أذكار وأوراد تردد حسب أعداد معينة، ثم يصبح الذاكرون هؤلاء من أولياء الله الصالحين وعباده المتقين .

وقد هزت هذه الصور الكثير من المصلحين، الذين شرعوا (يبينون للناس أن الإسلام في جوهره وفي حقيقته يختلف عما هو شائع بين العامة والجهال، وعما انتهى إليه أمره بعد أن أقحم عليه ما ليس منه، فاتجهوا إلى تخليصه مما شابه من أوهام وما خالطه من معتقدات مفسدة، ليقدموه للناس في صورته الصحيحة وليبينوا لهم أن الإسلام سهل يسير بعيد كل البعد عن التعقيد الذي أقحم عليه فجعله شيئاً صعباً لا يفهمه إلا المحترفون ولا يطيقه إلا أولو العزم من الزاهدين، وأخذوا في الوقت نفسه يهاجمون البدع والأدعياء الذين يستغلون الدين ويتاجرون باسمه، ويروجون الأباطيل بين الجماهير الجاهلة استغلالاً للنفع وتصيداً للغنائم)<sup>(٣)</sup> .

وقد نقل الدكتور محمد حسين رحمه الله تصويراً للواقع المخزي لبعض

(١) المرجع السابق، ص ٢١٧ - ٢٧٢ .

(٢) الصوفية : ( طريقة روحية معروفة، وهي نزعة سلوكية وليست فرقة سياسية أو مذهبية، نشأت في بداية أمرها على السنة ثم دخلت فيها الفلسفة والديانات الأخرى، فانحرفت عن مسارها وأصابها الكثير من الخلل)، الموسوعة العربية العالمية، ج ١٥، ص ٢٠١ .

(٣) الاتجاهات الوطنية، د. محمد حسين، ج ١، ص ٣٢٠ .

الطوائف الصوفية المنحرفة، حينما وصفت بأنها [تبتدع أموراً تضحك السفهاء وتبكي العقلاء، وتحتال لمطامعها البهيمية بما جلب العار على الأمة، وسلط عليها الأجنبي، يهزأ بديننا ويقبح أعمالنا، ظناً منه أن ما يجريه هؤلاء الجهلة من الدين، وهو يتساءل أين تصفية الباطن التي هي مدار الطريق؟ و أين الخمول مع هذا الظهور؟ وأين التواضع من ركوب الخيل والبغال، يقدمها الطبل والمزمار، كأن الخليفة قائد مركز أو ضابط بلد؟ . . . وأين البعد عن الناس مع هذه المزاحمة الدنيوية؟] (١).

ثم نقل كذلك عن الكواكبي (٢) رأيه، في بعض علماء زمانه أو بعض الصوفية المنحرفين حيث يقول: [إن الطامة من تشويش الدين والدنيا على العامة بسبب العلماء المدلسين وغلاة المتصوفين الذين استولوا على الدين فضيعوه وضيعوا أهله، وذلك أن الدين يعرف بالعلم، والعلم يعرف بالعلماء العاملين وأعمال العلماء قيامهم في الأمة مقام الأنبياء في الهداية إلى خيري الدنيا والآخرة، ولاشك أن لمثل هذا المقام في الأمة شرفاً باذخاً، يتعاضم على نسبة الهمم في تحمل عنائه والقيام بأعبائه، فبعض ضعيفي العلم وفاقدي العزم تطلعوا إلى هذه المنزلة التي هي فوق طاقتهم، وحسدوا أهلها المتعالين عنهم، فتحيلوا للمزاحمة والظهور بمظهر العلماء والعظماء، بالإغراب في الدين، وسلوك مسلك الزاهدين، ومن العادة أن يلجأ ضعيف العلم إلى التصوف، كما يلجأ فاقد المجد إلى الكبر، وكما يلجأ قليل المال إلى زينة اللباس والأثاث، فصار هؤلاء

(١) المرجع السابق، ص ٣٢١.

(٢) عبد الرحمن بن أحمد الكواكبي: (لقبه السيد الفراتي، رحالة من الكتاب الأدباء ومن رجال الإصلاح الإسلامي، ولد وتعلم في حلب وأنشأ بها جريدة الشهباء، وجريدة الاعتدال، تولى مناصب عدة، وقد سجن، وخسر كل ماله، فرحل إلى مصر وسافر إلى بلاد العرب وبعض بلاد أفريقيا والهند ثم استقر في القاهرة، ألف كتاب أم القرى وطبائع الاستبداد، توفي عام ١٣٢٠هـ) (الموسوعة العربية العالمية ص ١٤٥ ج ٢).

المتعالون يدلسون على المسلمين بتأويل القرآن بما لا يحتمله محكم النظم الكريم، فيفسرون مثلاً البسمة أو الباء منها بسفر كبير تفسيراً مملوءاً بغلط لا معنى له، أو بحكم لا برهان عليه، ثم جاؤوا الأمة بوراثة أسرار ادعوها، وعلوم لدنيات ابتدعوها، وتسنى مقامات اخترعوها ووضع أحكام لفقوها وترتيب قربات زخرفوها] (١).

ويصف الدكتور محمد حسين يرحمه الله بيان الكواكبي لتأثر رجال الطرق الصوفية ببدع اليهودية والنصرانية بقوله: [ثم بين الكواكبي بعد ذلك تأثر رجال الطرق ببدع اليهودية والنصرانية والطقوس الكنسية، ويرد كثيراً من تقاليدهم ورسومهم إلى نظائرها في النصرانية وفي التقاليد الكنسية، ويقول: (إن عبادتهم الله قد أصبحت أشبه شيء بعبادة مشركي العرب التي وصفها الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاءً وتصديّة﴾ (الأنفال: ٣٥) أي صفيراً وتصفيقاً، وهؤلاء جعلوا عبادة الله تصفيقاً وشهيقاً، وخلاعةً ونعيقاً، وسحروا بهذه الخزعبلات عقول الجهلاء، واختلبوا قلوب الضعفاء من النساء وذوي الأهواء، والأمراض العصبية بتزيينهم هذه الرسوم التي تميل إليها النفوس الضعيفة الخاملة، التي تستصعب تحصيل الدين عن طريق العلم الشاق الطويل] (٢)، وعن انتشار هؤلاء المبطلين في بقاع الإسلام ينقل الدكتور محمد حسين يرحمه الله عن الكواكبي قوله: [(وقد قام لهؤلاء المدلسين أسواق في بغداد ومصر والشام وتلمسان قديماً، ولكن لا كسوقها في القسطنطينية منذ أربعة قرون إلى الآن، حتى صارت فيها هذه الأوهام السحرية والخزعبلات كأنها هي دين معظم أهلها لا

(١) المرجع السابق، ص ٣٢٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٢٤.

الإسلام . . . فهؤلاء المدلسون قد نالوا بسحرهم نفوذاً عظيماً به أفسدوا كثيراً في الدين، وبه جعلوا كثيراً من المدارس تكايا للبطالين الذين يشهدون لهم زوراً بالكرامات المرهبة، وبه حولوا كثيراً من الجوامع مجامع للبطالين الذين ترنج من دوي طولهم قلوب المتوهمين، وتكفهر أعصابهم، فيتلبسهم نوع من الخبل يظنونه وهماً الخشوع، وبه جعلوا زكاة الأمة ووصاياها رزقاً لهم، وبه جعلوا مداخيل أوقاف الملوك والأمراء عطايا لأتباعهم) <sup>(١)</sup>، إلى جانب ذلك كله كان هناك عدد من خطباء المساجد يفسدون أكثر مما يصلحون، وقد تحدث عنهم الأستاذ عبدالله النديم <sup>(٢)</sup> فقال: [(ولا نصل للقوة العلمية وفينا من يقول العز في الخمول، والسعادة في العزلة، والفضل في الزهد في الدنيا والبعث عما في أيدي الناس، فإن من توكل على الله كفاه، وهذا الفريق تخلل بين العامة، يزعم أنه من الهداة وهو من المضلين، فلو كان من البصراء لطالع سيرة نبينا سيدنا محمد ﷺ وغزواته، وفتش في سياسته السماوية والأرضية وهؤلاء بجهلهم سيرة نبيهم سولت لهم أنفسهم أنهم قائمون بإرشاد الأمة وهدايتها إلى طريق الحق، وما دروا أنهم أماتوا الهمم وصرفوا النفوس عن التعلق بحواظ الدين والملك معاً، ومن هذا القبيل الذين دونوا دواوين الخطابة، وجعلوها قاصرة على التزهيد في الدنيا، والتحذير من المال وجمعه، والفرار من المجمع والظهور، والرضا بخشن العيش والصبر على الذل والهوان، وتركوها للخطباء يخطبون بها يوم الجمعة . . . فلو تصدت

(١) المرجع السابق، ص ٣٢٤ .

(٢) عبد الله النديم : (أديب وخطيب وصحفي وسياسي مصري ، انضم إلى جمعية مصر الفتاة ، وأخذ يغذي الصحف بمقالاته الوطنية ، فأصبح زعيماً وطنياً ، ثم حول تلك الجمعية السرية إلى جمعية علنية سماها الجمعية الخيرية الإسلامية ، مات بتركيا عام ١٣١٤هـ) ، الموسوعة العربية العالمية ، ج ٢٥ ، ص ١٨٥ .

أوروبا لإماتة همم المسلمين وصرفهم عن مجد الملك والدين والجنس، وقطعت دهوراً في اختراع طريق تصل به هذه الغاية، ما اهتدت إلى ما فعله الخطباء، من تحويل الخطابة عن عهدنا النبوي إلى ما قاله المتملقون إلى الملوك، والغافلون عن طريق الهداية وإصلاح الأمة).

ويضيف أيضاً قائلاً: (ونحن نستفتى هؤلاء المثبتين، إذا كانت الدنيا يحذر منها، فلمن خلقت؟ . . . وإذا كان الاشتغال بها بهتاناً وضلالاً، ولا يشتغل بها إلا أعداء الله فلم نتألم من تسلط الغير علينا ووقوعنا في أيدي المتغلبين، ونعدُّ الرضا بذلك ذنباً ومعصية؟)[<sup>(١)</sup>].

وهناك جانب آخر يأتي على عكس ما تدعو إليه الصوفية المعاصرة وكذلك بعض الدعاة والخطباء الذين تحدثنا عنهم، وهو الفكر المقابل أو الفكر المتفلسف من التكاليف والواجبات وقد (اتسع تدريجياً مع كل تخلف جديد على أساس عقيدته (العظمي) أنه لا يضر مع الإيمان شيء، وأن الإيمان هو التصديق، أو هو الإقرار والتصديق، وأن العمل خارج مسمى الإيمان)<sup>(٢)</sup>.

إن هذا الفكر بصورته النهائية هو أخطر ما واجه الناس في عصورهم المختلفة، وبالذات المتأخرة، حيث اكتفى الناس بالتصديق القلبي وأخرجوا الأعمال من الإيمان، ففعلوا ما يشاءون وتقلبوا بين متعهم وأهوائهم في سباق محموم نحو فساد عريض لا حدود له، مما أدى إلى الانهيار الأخلاقي والاجتماعي، لينشأ بدلاً عن ذلك أخلاق اجتماعية فاسدة كان لها قدرها وأثرها البالغ والخطير على علاقات الناس بعضهم ببعض ومن ذلك على

(١) المرجع السابق، ص ٣٢٢ - ٣٢٣.

(٢) واقعنا المعاصر، محمد قطب، ص ١٧١.

سبيل المثال ما ذكره الدكتور يوسف القرضاوي في قوله : (في مجال الأخلاق والعلاقات الاجتماعية، يشيع التظالم ورتائل الحقد والحسد والبغضاء، وهي التي اعتبرها الحديث النبوي (داء الأمم) وسماها (الحالقة) لا لأنها تخلق الشعر ولكنها تخلق الدين<sup>(١)</sup>)<sup>(٢)</sup>.

ويحدثنا الدكتور إبراهيم اللبان عن مظاهر الانحراف في السلوك الفردي فيقول: (وقد ظهر هذا الانحلال في البداية في السلوك الفردي، فانحرف الناس عن (نهج الدين) واستهوتهم مظاهر الحياة الغربية، فأقبل كثير منهم على الخمر والفجور والقمار وغيره ونحو ذلك، ثم دب دبيب التهاون في الدين، فتناول العبادات والعقائد وغيرها من أنواع الانحلال فتكاسل الناس عن أداء العبادات، وانتشرت في الجوضروب من الفلسفة والمذاهب الضالة واستمالت الشباب وغير الشباب، وصارت العلاقة الجنسية والنزعة الإباحية الشغل الشاغل (للسينما) وكثير من المجلات والصحف ابتغاء وفرقة الربح والدخل فانحرف الشباب وفسدت روابط الأسرة ثم عم السيل وطم فانهارت الفضائل الاقتصادية والاجتماعية)<sup>(٣)</sup>.

لقد أصبح (الفرد المسلم اليوم في الأغلب والأعم لا يعرف الالتزام

---

(١) أخرجه أحمد (١٤١٢، ١٤٣٠، ١٤٣٢) والترمذي (٢٥١٢) من حديث يعيش بن الوليد بن هشام عن مولى لابن الزبير، عن الزبير، وإسناده ضعيف لجهالة مولى ابن الزبير، ولكن يشهد له حديث أبي الدرداء وأبي هريرة فيقوى، وذكره الهيثمي في المجمع ٨/ ٣٠، ونسبه للبخاري، وقال المنذري سنده جيد، وأخرجه الترمذي عن أبي هريرة (٢٥١٠)، وسنده حسن وقال الترمذي حديث صحيح غريب، شرح السنة للإمام البغوي، ص ١١٧، ج ١٣، ط ١٤٠٣ هـ، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق.

(٢) هموم المسلم المعاصر، د. يوسف القرضاوي، ص ١٣٠، ط ١ بدون تاريخ، مكتبة التراث الإسلامي، مصر.

(٣) الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، عبد الستار فتح الله سعيد، ص ٢١٣.

بأحكام الإسلام، ويفتخر- إلا من رحم ربي- بجهله بالإسلام مادام يعرف الكلمات والأنظمة الغربية، وينفلت من أحكام الإسلام عقيدة وخلقاً وتعبداً فوق تفلته من أحكام المعاملات<sup>(١)</sup>، وقد أدى ذلك إلى وجود أجيال غارقة في شهواتها ونزواتها، بعيدة عن الدين الذي (انهار عقيدة بين تفريط الكافرين والفاجرين، والعاصين، وإفراط المسرفين الذين ارتدوا إلى النقيض الآخر، وانهار خلقاً بترك الصدق والأمانة والعفة، وعاون على ذلك إعلام فاجر لا يرضى الله ولا الأخلاق ولا القيم)<sup>(٢)</sup>، ولا شك أن (الانهيار الأخلاقي في أمة من الأمم، مهما بلغت من التفوق المادي، وتبوات الصدارة في البحث العلمي، سيودي بها لا محالة، وسيدعها في ذمة التاريخ أثراً بعد عين، يقول الشاعر:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت      فإن هم ذهب أخلاقهم ذهبوا  
أدرك المستعمرون هذه الحقيقة، ولمسوا أثرها الهدام في كيان الأمم، وذهاب الدول فعمدوا إلى استغلال هذا السلاح القتال، ليدمروا الشعوب التي احتلوا بلادها، ويخضعوهم لإرادتهم، حتى يضمنوا حياة الاستقرار والأمان بين أظهرهم)<sup>(٣)</sup>.

كما تعددت مظاهر الظلم الاجتماعي في البلاد الإسلامية، وأصبح التفاوت في الطبقات كثيراً (فهناك فئات تتمتع بامتيازات غير معقولة تجعلها تلعب بالملايين لعباً حيث يتاح لها من الفرص والإمكانات، ما يجعل الثراء

(١) حاضر العالم الإسلامي، علي جريشة، ص ٨٨-٨٩.

(٢) المرجع السابق، ص ٨٨-٨٩.

(٣) أسباب الضعف في الأمة الإسلامية، د. محمد السيد الوكيل، ص ٣٢٢-٣٢٣، ط ١، ١٤١٤هـ، دار المجتمع للنشر والتوزيع.



إليها يطرق بابها، وإن لم تتعب في السعي عليه .

وإلى جوار هؤلاء نجد أناساً يبحثون عن لقمة الخبز، فلا يجدونها، وإذا وجدوها فبشق الأنف مغموسة بالعرق والدمع والدم<sup>(١)</sup> .

فهذا التفاوت الطبقي الكبير بين فئات المجتمع سببٌ ويسبب الكثير من المشاكل والأمراض التي نخرت في جسد الأمة عبر سنين طويلة، وآتت أكلها ونتائجها في هذا العصر المظلم .

ويلخص الأستاذ محمد قطب ما أصاب الأمة من فساد ديني واجتماعي

بقوله :

(وما بنا من حاجة أن نعيد الإشارة إلى ما سبق أن أشرنا إليه من قبل، من فساد شامل عند الأجيال المتأخرة في كل مفاهيم الإسلام، سواء مفهوم القضاء والقدر أو مفهوم الدنيا والآخرة، أو مفهوم عمارة الأرض، بالإضافة إلى مفهوم العبادة ومفهوم لا إله إلا الله . . . إنما نخلص من هذه الإشارات كلها إلى حقيقة واقعة يمكن أن يطلق عليها حقيقة (التخلف العقيدي) في حياة الأمة وما يصاحبها من (التخلف السلوكي) عن حقيقة الإسلام)<sup>(٢)</sup> .

ويضرب لنا الدكتور علي جريشة مجموعة من الأمثلة على الواقع الاجتماعي فيقول: (والمرأة المسلمة في الغالب الأعم غزاها الفكر الصليبي أو الصهيوني قصداً إلى إخراجها من فضائلها وفي مقدمتها الستر والعفة والشرف ... ، والأسرة المسلمة دب فيها الوهن، بعد ما بعدت عن أحكام الإسلام فالعلاقات بين الزوجين متوترة، وعلى الأحسن فاترة، والعلاقات

(١) هموم المسلم المعاصر، د. يوسف القرضاوي، ص ١٢٨ .

(٢) واقعنا المعاصر، محمد قطب، ص ١٧٢ .

بين أفراد الأسرة الآخرين تفككت تقليداً للغرب الصليبي ، ومظاهر قطع الرحم والخصام تزيد عن مظاهر الوثام والسلام ، ومظاهر التظالم بين أفراد الأسرة الواحدة والتشاحن على الميراث وعلى غيره من أغراض الحياة الدنيا كثيرة وكبيرة وعميقة ، والمجتمع المسلم لم يعد جسداً واحداً بل تقطعت أوصاله وأجزاؤه داخل البلد الواحد إلى أحزاب وفرق وعصبيات وساد الفكر الصليبي والصهيوني ، أو ما يريد هذا وذاك أن يسود وانتفي فيه التكافل الاجتماعي والاقتصادي والسياسي (١) .

وكما ذكرت سابقاً فقد حاول الغرب القيام بتغيير اجتماعي مكثف وبطرق ملتوية ليصلوا إلى ما يريدون دون حرب أو مواجهة وذلك عن طريق ما يسمى بالتغريب (٢) وقد يسمونه المدنية أو التطور أو التقدم ، وأياً ما كانت الحال فلن يكون هناك سبيل إلى التراجع ، إن العمل يسير بجهد ونشاط في إدخال المدنية الغربية إلى مصر (٣) .

ولاشك أن هذه الجدية وهذا النشاط قد أثرت كثيراً على حياة الأمة ، مما أدى إلى التغيير (تغيير قيم الأمة ومثلها ... وتغيير ثقافتها وأخلاقها وعقيدتها ... وبعبارة واضحة . . إبعاد المسلمين عن دينهم) (٤) .

ومن أساليبهم الملتوية للقيام بالتغيير الاجتماعي نشر مذاهب العلمانية

---

(١) حاضر العالم الإسلامي ، علي جريشة ، ص ٨٨-٨٩ .

(٢) التغريب : هو (تيار فكري كبير ، له أدواره السياسية والاجتماعية والثقافية والفنية ، يرمي إلى صنع حياة الأمم كافة والمسلمين خاصة بالأسلوب الغربي وذلك بهدف إلغاء شخصيتهم المستقلة وخصائصهم المتفردة ، وجعلهم أسرى التبعية الكاملة للحضارة الغربية) الموسوعة الميسرة ، ص ٧٠٨ - ٧١٧ ، وحول هذا المعنى تدور معنى الكلمات الأخرى كالمدنية والتطور والتقدم وهي مرتبطة جميعها بالحضارة الغربية فالمدنية قرينة التطور والتقدم ، ولن يكون ذلك إلا عن طريق الغرب .

(٣) الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ، علي جريشة ، ص ٣٠١ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٣٠١ .

والقومية العربية ، وكذلك تحرير المرأة وكل تلك الأمور ستتعرض لها بالتفصيل في أماكنها من البحث .

وما صورته الدكتور محمد حسين - رحمه الله - في كتبه التي أنا بصدد دراستها يعطينا صورة واضحة عن الواقع الديني والاجتماعي الذي كان عليه المسلمون ، وحيث إننا ستتعرض لها في أماكنها فقد آثرت أن لا آتي بشيء منها هنا على وجه التفصيل حتى لا يكون هناك تكرار وإطالة لا داعي لها .

وعلى كل فقد كانت هذه الانحرافات هي التي مكنت للازدواجية الثقافية والفكرية في واقع الأمة بسبب التمكين لأهل الباطل من قبل أقطاب السياسة الذين كانوا النتيجة الطبيعية لسقوط الخلافة الإسلامية .

## المبحث الثالث

### الناحية الثقافية والفكرية

بدأ الغزو الفكري والثقافي المركز للأمة الإسلامية بعد دخول الحملة الفرنسية على مصر، حيث سببت حالة من الانبهار للكثيرين من أبناء مصر، كما أدت إلى القيام بابتعاث الأجيال الكثيرة إلى أوروبا، لتتعلم الحضارة في مهدها وتنقلها إلى بلاد العالم الإسلامي المتخلف، ليلحق بأوروبا وحضارتها وهناك تأثرت تلك الطلائع بأوروبا وحضارتها تأثراً كبيراً، وتشربت أفكارها وثقافتها المختلفة (فلما حان موعد العودة، عادت تلك الأجيال المسماة بالمتنورة وهي تغلي حماسة من أجل التغيير والتطوير والسير في ركاب أوروبا التي كفرت بربها فنجحت وتقدمت وإذا أردنا ذلك فليكن الاتباع حذو القذة بالقذة، وبغير ذلك فسنظل مكاننا)<sup>(١)</sup>.

وبينما هذه الأجيال المتنورة تمارس دورها في المجتمع، كان هناك من يواجه مثل هذه التوجهات مما أدى إلى أن ينشأ في (التفكير الإسلامي ومنذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، اتجاهاً :

أحدهما : لمالأة الاستعمار الغربي في (تقريب الإسلام من المسيحية) أو في تبديله إلى توجيه ديني يرضى عنه المستعمر .

والثاني : لمقاومة هذا التغريب أو هذا التبديل، مع الدعوة إلى احتفاظ

---

(١) جذور الانحراف في الفكر الإسلامي، جمال سلطان، ص ٨-٩ (بتصرف). ط ١، ١٤١٢هـ، مركز الدراسات الإسلامية، برمنجهام، بريطانيا.

المسلمين بإسلامهم كما يصوره القرآن الكريم والسنة، وإلى إعادة تماسك الجماعة الإسلامية، والسعي إلى استقلالها، وعدم انصهار المسلمين في غيرهم.

وبانتهاء القرن التاسع عشر تم تبلور هذين الاتجاهين، وعرفت أسسهما في العالم الإسلامي، وأصبح لكل منهما أتباع وأنصار.

جاء القرن العشرون واستمرت أيضاً الثنائية في اتجاه التفكير الإسلامي، ولكن أحد الاتجاهين عرف باسم التجديد، بينما عرف الاتجاه الآخر باسم (الاتجاه الإصلاحية) أو اتجاه تجديد المفاهيم الدينية<sup>(١)</sup>.

وبينما كان التوجهان يتصارعان فيما بينهما حول الأسلوب الأمثل للنهوض بالأمة المسلمة كانت هناك محاولات خارجية مستفيضة لإدخال الأفكار الضالة والمنحرفة إلى المجتمع الإسلامي بطرق ملتوية حيث بدأت المذاهب المنحرفة (تغزو بلاد المسلمين بشكل لم يسبق له مثيل، وكثرت التنظيمات السرية كالماسونية والروتاري<sup>(٢)</sup> وغيرها، وانضم لها الكثير من الناس، بل وحتى الزعماء الكبار وحظيت بمباركتهم وتأييدهم)<sup>(٣)</sup>.

كما ظهرت وبشكل خطير ومخيف مذاهب فكرية (تناقض الإسلام تماماً

---

(١) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، د. محمد البهي، ص ٢٣-٢٤، ط ٦، ١٩٧٣ م دار الفكر

(٢) الروتاري: (منظمه ماسونية تسيطر عليها اليهودية العالمية، تعرف باسم (نادي الروتاري) وقد جاءها هذا الاسم لأن الاجتماعات الأولى لأعضاء النادي التي كانوا يعقدونها في مكاتبهم كانت تعقد بشكل متناوب في بيوت ومكاتب أعضائها، وهم لا يقيمون للدين أي اعتبار ويدعون إلى إذابة الفوارق بين الأديان والأمم، ويتظاهرون بالعمل الإنساني من أجل تحسين العلاقات بين البشر وتشجيع المستويات الأخلاقية السامية في الحياة المهنية وتعزيز النية الصادقة والسلام في العالم) الموسوعة الميسرة ص ٥٣٥ - ٥٤١.

(٣) حاضر العالم الإسلامي، علي جريشة، ص ٤٩ - ٥٠.

كالعلمانية والفكر القومي والوجودية<sup>(١)</sup> والإباحية<sup>(٢)</sup> وغيرها من المذاهب الضالة<sup>(٣)</sup>.

ثم حدثت الطامة الكبرى، ألا وهي المد الرهيب للفكر الشيوعي<sup>(٤)</sup> الذي يكفر بالله وينكر الأديان، ومع ذلك لقي إقبالاً بين فئات من المثقفين ولا تكاد تخلو دولة من الدول إلا وفيها حزب شيوعي، سواءً كان معلناً عن نفسه أو مستتراً ينتظر الفرصة للانقضاض والاستيلاء على الحكم وتطبيق الشيوعية أكثر من الشيوعيين أنفسهم.

أما الاستشراق<sup>(٥)</sup> والتنصير<sup>(٦)</sup> فقد كانا ضارين بأطنابهما في بلاد المسلمين

---

(١) الوجودية: (تيار فلسفي يعلى من قيمة الإنسان ويؤكد على تفردّه وأنه صاحب تفكير وحرية وإرادة واختيار ولا يحتاج إلى موجه، وهو جملة من الاتجاهات والأفكار المتباينة، وليس نظرية فلسفية واضحة المعالم، وهي تدعو إلى شيوع الفوضى الخلقية والإباحية الجنسية والتحلل والفساد) الموسوعة الميسرة، ص ٨٢٨ - ٨٣١.

(٢) الإباحية: (إنسلاخ الفرد من كل ما يتعارف عليه المجتمع من آداب وقوانين لتحقيق أقصى رغباته وشهواته دون قيد أو شرط أو إكراه من أي جهة كانت) الموسوعة الميسرة ص ١٠٥٨ أو هي (إثبات الفعل كيف شاء الفاعل) التعريفات، على بن محمد الجرحاني ص ٢٠، ط ٢، ١٤١٣هـ، الكتاب العربي، بيروت، لبنان

(٣) حاضر العالم الإسلامي على جريشة، ص ٥٦ - ٥٨.

(٤) الشيوعية: (مذهب فكري يقوم على الإلحاد وأن المادة هي أساس كل شيء ويفسر التاريخ بصراع الطبقات وبالعامل الإقتصادي وهو يعتبر الإنسان جاء الى هذه الحياة بمحض المصادفة وليس لوجوده غاية) الموسوعة الميسرة ص ٩٢٩ - ٩٣٤.

(٥) الاستشراق: (تيار فكري يتمثل في الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي والتي شملت حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته، ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن العالم الإسلامي، معبراً عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما وكان يعتمد على أفكار تهتم في الغالب بالتعصب والرغبة في خدمة الاستعمار وتنصير المسلمين وجعلهم مسخاً مشوهاً للثقافة الغربية)، الموسوعة الميسرة، ص ٦٩٧ - ٧٠٧، وأجنحة المكر الثلاثة، ص ١١٨ - ١٦١، والإسلام في وجه التغريب، أنور الجندي، ص ٢٦٥ - ٤٦٧.

(٦) التبشير والتنصير: (حركة دينية سياسية استعمارية بدأت بالظهور إثر فشل الحروب الصليبية بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة في دول العالم الثالث بعامة وبين المسلمين بخاصة بهدف إحكام السيطرة على هذه الشعوب)، الموسوعة الميسرة، ص ١٥٩، وأجنحة المكر الثلاثة، ص ٥٧ - ١١٥، والإسلام في وجه التغريب، ص ١٥ - ٢٦١.

- فقد شارك الإستشراق الغزو العسكري واستمد منه قوته ، مما حدا به أن يتكلم  
 وبكل بجاجة عن قضايا كلية لا يقبل المسلمون التشكيك فيها ، ومن ذلك :
- القول بأن القرآن من وضع محمد عليه الصلاة والسلام ، وأن الصحابة  
 من السذاجة بحيث صدقوا ذلك الكلام .
  - خلط المصادر الإلهية بالاجتهاد والحكم عليها جميعاً بأنها بشرية .
  - المغالاة بالتطوير والتجديد للإسلام ، ومواكبة العصر .
  - تمجيد التصوف غير الراشد والاهتمام به<sup>(١)</sup> .

أما التبشير والمبشرون فقاموا (بنشر تعاليم الإنجيل ودعوة الناس إلى اعتناق  
 النصرانية في العالم أجمع ، ولم يتركوا طريقاً من الطرق إلا سلكوها ، ويكون  
 التبشير مباشراً صريحاً ، أو مستتراً مستخفياً تحت أقنعة متعددة كالمدارس  
 والمستشفيات والأندية والجمعيات ومؤسسات البر والإحسان ... والدعوة  
 الفظيعة التي يتذرع بها المبشرون ومن وراءهم هي دعوى (نشر المدنية  
 والحضارة) بين المسلمين ، ولكن لا يريدون من المسلمين أن يأخذوا من  
 حضارة الغرب أسباب القوة ... فتلك خطوة تفوت على الاستعمار السيطرة  
 على البلاد الإسلامية ، ولذلك فهو يوحى بنشر المسيحية أولاً . . ثم إدخال  
 الحضارة والمدنية بعد ذلك)<sup>(٢)</sup> .

وهكذا أصبحت الحياة الثقافية والفكرية عبثاً ومجوناً وإلحاداً مستمراً بين  
 هؤلاء المستعمرين الذين بذلوا جهودهم محاولين تحقيق حلمهم بتكوين أجيال  
 ممسوخة التفكير ، تنشئها على أفكارهم منذ نعومة أظفارهم وحتى مراحل

(١) الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ، علي جريشة ، ص ٢٨٧ (بتصرف) .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٧٤ .

شبابها، والحرص على أن يتخلقوا بمنهجهم في مراحل التعليم المختلفة بما في ذلك الجامعة وهي المحطة الأخيرة، ولذلك رأينا في الجامعة المصرية من خلال الاختلاط والدعوة إلى الحضارة الغربية بدايات الانحراف وبذور الفساد الأولي، وذلك أن دعاة التغريب ينتشرون في الكليات والأقسام المختلفة، وفرق كبير بين الجامعة المصرية والأزهر، من حيث قبول الطلاب لحضارة الغرب أوردها، وقد أدى ذلك إلى نشوء أجيال كاملة تكاد أن تكون ممسوخة التفكير، بسبب النشأة على تلك الأفكار الشاذة، حيث يتلقفهم في الجامعة المصرية بعض العمداء المستغربين، فيصبون في رؤوسهم حضارة الغرب كلها بعجرها ويجرها، والشباب منبهرون غاية الإنبهار، لأنهم بطبعهم يحبون الجديد ويحرصون على التخلص من القيود والعادات والتقاليد والأفكار التي أكل عليها الدهر وشرب.

حقيقة ( ليس من شك أن هناك الكثير من السنن ومعالم الهدى قد غابت عن المجتمع الإسلامي في رحلته التاريخية التي بلغت أربعة عشر قرناً، ودب الوهن في الجسد الإسلامي الكبير، ومال الناس إلى الدنيا، واستناموا إلى ما حققه السابقون من مجد عظيم، واطمأنوا إلى أنهم ﴿خير أمة أخرجت للناس﴾ (آل عمران : ١١٠) فضعفت النفوس، وقل الاحتفال بالعلم، وعم التقليد، وسرت في الناس مذاهب المتصوفة وانحرافاتهم، فاندثرت السنن وشاعت البدع، وغاب الكثير من هدي محمد ﷺ، واتخذ الناس هداة موهومين من دونه.

فإذا أضفت إلى ذلك ما أحدثه الغزو الأجنبي لديار الإسلام في العصر الحديث وما ترك من إرث ثقيل مظلم، من تحطيم قلاع العلم الشرعي، إلى



إعلاء وتمكين مؤسسات التغريب الثقافي والتعليمي والتربوي، إلى ابتداء إمكانات الترويج والتشيتت الفكري المدهشة<sup>(١)</sup>.

ولكي يتصور حجم التخلف الثقافي والفكري، فلا بد من طرح أمثلة واقعية لهذا التخلف (فنحن حين نتحدث في الاجتماع لا نجد كتباً إسلامية تحدثنا عن الاجتماع، فكل ما هو في الساحة عبارة عن نقل لأفكار غربية بحثة تخالف ديننا في كثير من أصولها وتفريعاتها، وكذلك علم النفس والتربية والإقتصاد، فهذه كلها مجالات ينقصنا فيها الكتابة والتأليف، ومن أهم المجالات التي تنقصنا جداً، الكتابة للأطفال، فإننا لا نكاد نجد لأطفالنا الصغار مادة إسلامية نقدمها لهم سواء في المدرسة أو في البيت)<sup>(٢)</sup>.

لقد كان هذا التخلف سبباً في صراع عنيف بين التيارين اللذين تحدثت عنهما من البداية، كما كان سبباً في صراع آخر بين صحب الحضارة العنيف وبين الفطرة الإسلامية السوية في كل مسلم، مما أدى إلى وجود نوع من الانفصام بين ما يعتقدونه الناس من أفكار ومفاهيم ومثل وبين ما يمارسونه في واقعهم اليومي، وكان لكل ذلك أثره الجارف العنيف على الأجيال التي نشأت بعد ذلك، ومما لاشك فيه أن ذلك الصراع كان يتفاوت بين انتصار لدعاة التجديد مرة، وانتصار لتيار الإصلاح مرة أخرى، إلا أن الغلبة في أكثر الأحيان وبسبب التآمر والضغط والتمكين لأعداء الدين كانت لتيار التغريب.

لقد كان ذلك التيار الغازي قوياً جداً، وكانت له ضلالاته الكثيرة، والتي

---

(١) جهادنا الثقافي، جمال سلطان، ص ١٢، ط ١، ١٤١٤هـ، مركز الدراسات الإسلامية، برمنجهام بريطانيا.

(٢) دعم الفكر الإسلامي لمواجهة الغزو الفكري، محمد قطب، ص ١٩٣-١٩٥، ط ٤، ١٤٠٩هـ، ندوة ضمن أبحاث ووقائع اللقاء الثاني للندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، ١٣٩٣هـ.

منها ( ما يكون الغرض منه النفوذ إلى أسس العقائد والتشريعات الإسلامية  
الربانية الحققة، بغية اختلاعها من عقول وقلوب ونفوس فريق من أبناء  
المسلمين وبذلك يتكون منهم فيلق مرتد عن الإسلام، خارج عن الملة معاد  
للمسلمين، مهمته تحويل الأجيال الناشئة عن دينها وتجنيدھا في جيوش  
الردة.

ومن هذه التضليلات ما يكون الغرض منه إيجاد فريق من المسلمين،  
يتحلون باسم الإسلام، ويتعصبون له تعصباً شديداً، ولكن المفاهيم التي  
يتمسكون بها على أنها جزء من الإسلام، مفاهيم فاسدة مدسوسة، ليست  
من الإسلام في شيء، فلا يشهد لصحتها نص ولا إجماع ولا قياس صحيح،  
وقد تشهد هذه المصادر على عكسها، ويمثل هذا الفريق قوة الصد عن الإسلام  
والتنفير منه<sup>(١)</sup>.

كل هذا الواقع المر والمخزي كان يراه الدكتور محمد حسين رحمه الله  
ويتعاش معه ويتألم له، مما كان له أكبر الأثر عليه وعلى توجهه وكتاباتہ  
المختلفة، فانطلق رحمة الله عليه يرفع قلمه في وجوه أعداء أمته ويكشف  
زيفهم وعوارهم حتى لا تخدع بهم الأمة ولا تسمع لقولهم ولا تمكن لهم في  
أرضها وبين أبنائها.

---

(١) الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، د. عبدالرحمن الميداني، ص ٥٠٠-٥٠١.

## الفصل الثاني حياته

المبحث الأول :حياته الشخصية.

المبحث الثاني :حياته العلمية .

## المبحث الأول حياته الشخصية

كانت حياة الدكتور محمد حسين رحمه الله عامرة بالأحداث مليئة بالوقائع غنية بالتجارب، يشهد بذلك سيرته الذاتية ومؤلفاته المتعددة، وأحاديث الآخرين عنه كذلك، سواءً كان المتحدثون من تلامذته أو من معاصريه.

والحقيقة أنني جعلت من هذا المبحث بالذات صورة أدبية رائعة، نقلتها عن تلامذته الذين أحبوه ونهلوا من علمه الغزير وأدبه الجم، ولئن كان المقام مقاماً منهجياً علمياً، إلا أن ذلك في رأيي لا يعارض المنهجية بحال خاصة مع تحليل تلك المقطوعات الأدبية إلى معلومات علمية منهجية تصب في موضوع البحث وتسير وفق منهجه المعتمد.

والذي دعاني إلى نقل كلام تلامذته حرفياً وبتوسع كبير هو أن ما قالوه يعبر عن حجم التأثير الذي تركه الدكتور محمد حسين رحمه الله على تلامذته وعلى معاصريه ممن قرأوا كتبه، واطلعوا على ما فيها من علم وأدب، وسوف أبين إن شاء الله تعالى ملامح حياته وعطاءاته المختلفة من خلال تلك الصور والمقالات المتعددة، وعلى كلِّ، يمكن أن أخص ملامح حياته بالصورة التالية :

### أولاً : السيرة الذاتية :

ولد رحمه الله في عام ١٩١٢م في سوهاج إحدى مدن الصعيد بمصر،

وقد تلقى تعليمه الإبتدائي في بلدته سوهاج ، ثم التحق بمدرسة أسبوط الثانوية ، لأنها كانت المدرسة الثانوية الوحيدة في صعيد مصر وقتذاك .

ثم التحق بالجامعة المصرية (جامعة القاهرة) والتي كان هذا اسمها ، وحصل منها على الليسانس عام ١٩٣٧ م من قسم اللغة العربية .

ثم عُيِّنَ مُعِيداً بالكلية نفسها ، وكُلِّفَ بتدريس اثني عشر درساً أسبوعياً في السنة الأولى ، وكانت هذه هي السابقة الأولى التي يُعين فيها معيد في سنة تخرجه ، ويكلف بالتدريس .

حصل على الماجستير والدكتوراه وانتدب للتدريس في كلية الآداب بالإسكندرية عام ١٩٤٠ م ، وكانت وقتها فرعاً من الجامعة المصرية بالقاهرة ، ثم نقل إليها بعد استقلالها عام ١٩٤٢ م ، وتدرج في وظائف التدريس فيها إلى أن شغل كرسي الأستاذية عام ١٩٥٤ م ، ثم أعيير أثناء عمله بالإسكندرية إلى الجامعة الليبية ، وجامعة بيروت العربية ، ثم تعاقد مع جامعة بيروت العربية بعد بلوغه سن التقاعد عام ١٩٧٢ م ، وظل فيها إلى أن تعاقد مع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام ١٩٧٦ م ، وظل يعمل فيها إلى عام ١٩٨٢ م حيث رغب في عدم تجديد عقده ، وعاد إلى الإسكندرية حيث توفي رحمه الله في يوم الجمعة في التاسع من ربيع الأول عام ١٤٠٢ هـ (١) .

### ثانياً : السمات الشخصية :

إن طبيعة النشأة التي نشأها الدكتور محمد حسين - رحمه الله - كان لها

(١) حصوننا مهددة من داخلها، د.محمد حسين، ص ٣، ط ١٢، ١٤١٣ هـ، دار الرسالة مكة المكرمة ،  
ومحمد محمد حسين مفكراً إسلامياً وناقداً أدبياً، محمد عبدالرحمن خليفة، ص ٢٩ مقالة بمجلة الأدب  
الإسلامي، السنة الثانية، المجلد الثاني، العدد الثامن، ربيع الثاني ١٤١٦ هـ.

أثرها الكبير في شخصيته فهو (ابن بار من أبناء القرية المصرية بصبرها وجلدها، تلقى الحبة في الأرض، ثم تنتظر شهوراً قد تطول في انتظار الفرج الآتي، وقد يسقط البرد أو تهاجم الآفات، أو ينقطع فيض المياه، عندئذ يموت الحَب ولا يموت الحُب، وتسقط الزهور، ولا تسقط الآمال التي في الصدر، وتنحني الشجيرات الداوية، ولا تنحني الرؤوس والهوامات المرتفعة، وهكذا كان محمد محمد حسين رجلاً من رجالات القرية المصرية في صعيد مصر، نُحت وجهه الأسمر البسام من طين الأرض البار القوي الذي يمنح الحياة لملايين الملايين عبر العصور المتتالية، نظرات واثقة مطمئنة، مليئة بالحنو والعطف، تملؤها العبرات لمنظر يتيم يتألم، أو مريض يقاسي أو صاحب حاجة يمنع، ويملؤها التصميم والعزم حين يدق النفير داعياً إلى الجهاد بالقلم والجدل)<sup>(١)</sup>، ويضيف ذلك التلميذ الوفي معبراً عن نظرتة من خلال لقائه بشيخه الوقور (وهو إذا نطق لسانه نطق بالحق، لا يسرى قوله إلا كالنسيم العليل في صدر مردييه وأحبابه، إذا زرته وجدته في هيئته المهيبه، يلبس غطاء الرأس الأبيض، والجلباب الأبيض، قابعاً في مكتبته، وبين أصابعه مسبحة، وأمامه سجادة الصلاة، وحوله كتبه تطل من رفوف مكتبته، تحدثه ويحدثها حديث القلب للقلب، قائلاً لها: وخير جليس في الزمان كتاب.

ولأن الأستاذ الرائد نشأ في بيئة فلاحية من الصعيد، فهذه الحياة أثرت فيه تأثيراً قوياً، لا شك في ذلك، إنها بيئة تحافظ على الموروث، وترى فيه قدسية العرض وأمانة الشرف، ومن أجل ذلك فهي تنافح عما تركه الأجداد

---

(١) د. محمد محمد حسين وجهوده الأدبية، ديسرى سلامه، ص ١٠٤-١٠٥، (ضمن كتاب موقف الدكتور محمد محمد حسين من الحركات الهدامة)، ط ١، ١٤٠٦ هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

والأسلاف من آثار لا تنكر ولا تتكرر، قد لا يكون كلها خيراً، ولكن مما لاشك فيه أن جلها يحمل سمات أولئك الأتقياء الأنقياء الذين أنفقوا عمرهم كله بحثاً عن الحقيقة وسعيّاً للدفاع عن الحق والخير والجمال، من أجل ذلك كان أستاذنا يحمل في طياته ميراث آلاف السنين من المحافظة على الموروث، وهذا شأن ريف مصر، إذا أضفنا إليه ريف صعيد مصر أيضاً كانت الصورة أوضح وأعم وأشمل.

وليس أدل على تلك المحافظة من أنك إذا قابلته بعد أن هجر الناس (الطربوش) وهجرهم، وجدته محافظاً على أن يعلو ذلك الهرم الأحمر الصغير هامته السمراء اللامعة، وظل على عهده هذا زمناً طويلاً حتى كان من المعدودين في أمتنا هذه ممن حافظ على الطربوش، وحافظ هو بدوره عليه أيضاً، فكان كلاهما وفيّاً للآخر، وحتى حين أراد أن يتركه استبدل به الذي هو خير، وهو لباس للرأس يحافظ عليه أهل الباكستان، فخرج من المحلية إلى العالمية في لباس الرأس، وهي عالمية إسلامية، وهو في ذلك غير مقلد لأحد، وإنما أراد أن يثبت مدى حبه ومحافظته على ما يعتقد ويرى وهذه فضيلة لا تنكر ومحافظة لا تهزم<sup>(١)</sup>.

كما كان رحمه الله يتميز بأسلوبه الفريد، فهو صاحب نهج واضح (في الحياة فهو إسلامي صرف، لا يهمله من يتقد من الأعلام أو الشخصيات المشهورة فمعايير الإسلام في الحكم على الرجال واضحة في ذهنه، وبالرغم من أنه كان يجلب بعضهم إلا أنه لا يهادن منهم أحداً في الحق)<sup>(٢)</sup>.

(١) المرجع السابق، ص ١٠٦.

(٢) د. محمد محمد حسين كما عرفته، د. خليل عمائره، لقاء خاص.

ويقول عنه الرجال العارفون به : إنه رجل (اختار لنفسه طريق العمل الجاد، وإذا كان أديباً لا يملك إلا الكلمة فقد وجه جهده وجهة الأدب والفكر فصال بالكلمة، وجال بالحجة، وأخذ يؤرخ للأدب والفكر والسياسة مستنداً إلى التاريخ والمنطق، لا يهاب من خصومه أحداً، حتى ولو كان أستاذه طه حسين، يساعده في ذلك عناد في الحق، وإصرار عليه، وثقة بالنفس، وقد كان حريصاً على أن يظل فعالاً في أحداث حاضره، مشاركاً في كل ما يعن من أمر يهم حاضر الأمة ومستقبلها الثقافي والتاريخي، فخلف وراءه تراثاً كالمرآة الصافية تنعكس عليها أحداث عصره، إلى جانب استشرافه مستقبل أمته)<sup>(١)</sup>.

وكان مما يميز الدكتور محمد رحمه الله أنه (صاحب عطاء سلوكي قبل أن يكون صاحب عطاء علمي، فلقد كان قريباً جداً من طلابه حتى إنه يذكرني بالخليل بن أحمد وعلاقته مع طلابه، كما أنه كان يصغي لمن يحدثه أو يخالفه إصغاء المتعلم وكان قريباً جداً ممن يعرفه عن قرب ويتعامل معه، بالرغم من أنه صاحب هيبة تمنع من الحديث معه أو القرب منه للوهلة الأولى)<sup>(٢)</sup>.

يقول عنه الدكتور حلمي خليل الأستاذ بجامعة الإسكندرية وهو أحد طلابه : (من العلماء القلائل الذين تراح لسلوكهم الذي يتسق تماماً مع ما يقولونه أو يكتبونه)<sup>(٣)</sup>.

ويقول عنه تلميذ آخر : (لم يمزح بمزاح يخرجه عن أدب العالم فيما خالطته من وقت، بالرغم من أنى حضرت مجلساً له مع أساطين اللغة

(١) د.محمد محمد حسين مفكراً إسلامياً وقائداً أديباً، محمد خليفة، ص ٣٠.

(٢) د.محمد محمد حسين كما عرفته، د.خليل عميره.

(٣) المرجع السابق.



والأدب في عصره وكان مجلساً خاصاً، فرأيتهم يتمازحون مع بعضهم بمزاح كثير، إلا هو رحمه الله لم يخرج المزاح عن أدبه وخلقه<sup>(١)</sup>.

ويمكن بعد أن سردت هذه المقولات المعبرة أن أحدد الملامح العامة لشخصية الدكتور محمد حسين رحمه الله بالآتي :

(١) الفطرة السليمة الصافية والمنهجية الواضحة، والتي جاءت من خلال النشأة في أماكن بعيدة عن التيارات والفلسفات الحديثة، مما كان له أثره الكبير على شخصيته فيما بعد، حيث ظلت هذه الفطرة عوناً له على العودة إلى الحق، بعد أن تأثر فترة من الزمن ببعض أفكار أساتذته في الجامعة.

(٢) القوة في الحق والثبات عليه مهما كانت المعوقات أو الظروف المحيطة، يساعده في ذلك نشأته الريفية، والتي أكسبته قوة في الحق وصلابة في مواجهة الباطل وأهله، مع جرأة في قول كلمة الحق مهما كانت النتائج، ومهما كانت الأسماء التي يواجهها مادام الحق معه، فالحق يعلو ولا يعلى عليه.

(٣) الجدية والعمل الدؤوب بالقلم واللسان تجاه كل ما من شأنه رفعة الإسلام ومواجهة أعدائه، والحرص على بيان الحق ورد الباطل، وإيصال الحق إلى الناس حتى لا تضطرب أفهامهم أو تزل أقدامهم وحتى يثبت الدين الحق في قلوبهم.

(٤) الهيبة والوقار، فهو رجل جاد لا يحب المزاح الكثير، ولا يكثر من الكلام، له سلوكه القويم وأسلوبه الرصين، يتعامل مع المواقف بهدوء وحكمة، فإذا كتب انحط كالسيل الهادر، تفيض من كلماته وكتاباتة حرارة

---

(١) المرجع السابق.

الحق وقوة الحجة .

(٥) العدل والإنصاف ، فلم يتجن على أحدٍ خاصمه أو علم خالفه ، وإنما كان يعرض للموضوع موضع الخلاف بالأسلوب العلمي ، بعيداً عن الانفعال والتوتر أو الجدل العقيم ، هدفه في ذلك بيان الحق وعرضه بالصورة التي تجعله أقرب إلى الناس وأوقع في قلوبهم .

### ثالثاً : النشأة الفكرية :

إن المطلع على حياته رحمه الله يجد أنها تنقسم قسمين رئيسين (يبدأ القسم الثاني منهما بكتاب (الاتجاهات الوطنية) عام ١٩٥٤م ، أما القسم الأول فظاهر حياته يوحى بتأثره الواضح بأستاذه طه حسين منهجاً في الدراسة وأسلوباً في التفكير النقدي ، حتى إنه - في ظني - قد انتهج الشك المنهجي في أكثر من موضع في دراساته الأدبية ، حيث حقق بعضها في الروايات والنصوص ، وتصور الطبقات الأولى لآثاره في تلك الحقبة التزامه بالمنهج العلمي الذي نادى به طه حسين في الدراسة الأدبية ، وما يقتضيه هذا المنهج من حرية في البحث ، وموضوعية في التفكير ، كما تصور بعض آثاره في القسم الثاني من حياته ندمه على ما فرط ، ونيته في إصلاح ما أفسد ، الأمر الذي أشار إليه أيضاً عند تقديمه للطبعة الثانية في بعض آثاره<sup>(١)</sup><sup>(٢)</sup> .

وفي رأبي أن هذا الطور من حياة الدكتور محمد محمد حسين كان له أكبر

---

(١) (ذكر ذلك في اثنين من كتبه هما : أساليب الصناعة في شعر الخمر والأسفار بين الأعشى والجاهليين ، طبعه ١٩٧٢م ، بيروت ، المقدمة ، الحاشية ، وكتابه الهجاء والهجاؤون في صدر الإسلام ، طبعه ١٩٦٩م ، بيروت ، ) محمد محمد حسين مفكراً إسلامياً ، هامش ٤-٥ ، ص ٤٠ .

(٢) د. محمد محمد حسين مفكراً إسلامياً وناقداً أدبياً ، محمد خليفة ، ص ٢٩-٣٠ .

الأثر في ثباته على مواقفه القوية في الدفاع عن منهج الإسلام في كل القضايا التي تعرض لها، ذلك لأنه عاش فترة مع تلك المناهج المختلفة، فعرفها عن قرب، وكشف عوراتها عن علم ومعايشة وتجربة، فكانت نظرتة أقوى، ونقده أعمق وأوقع على أصحابها.

وإضافة إلى ذلك التأثير بتلك المناهج فإنه رحمه الله (مر في تفكيره بمراحل تأمل فلسفي ما، شغل فيها بمسألة تحضير الأرواح.

فقد استهوته وانغمس في البحث فيها زمناً، خرج بنفسه في هذا الميدان، فحضر جلسات من يدعي بعث الأرواح، وعندما تسرب إلى نفسه الشك فيما شهد من خدع، رأيناه قد نأى بنفسه بعيداً، واتخذ موقفاً أصلاً فيما بعد وأوضحه في بحثه (الروحية الحديثة حقيقتها وأهدافها)<sup>(١)</sup>.

ولكن السؤال المهم هو ما الذي جعل الدكتور محمد حسين - رحمه الله - يغير موقفه من منهج الشك وينقلب على تلك الفترة المظلمة من عمره؟

يقول الأستاذ محمد خليفة : (لعل ما نكب به العرب والمسلمون حينذاك من شتى أنواع الغزو العسكري والفكري والاجتماعي، وما نكبت به فلسطين، وما ظهر من أطماع الغرب المستعبد في الشرق المسلم، كل ذلك - أرجح على أنه ساعد على إحداث هزة قوية ارتجت لها أفكار الرجل، وثارَت في نفسه وغلت حتى فار بها قوله وأسفر عنها كتابه الاتجاهات الوطنية . . وهكذا حدد محمد حسين لنفسه الطريق الذي ينبغي أن يسير فيه، ومنذ ذلك التاريخ ظهر التزامه الفكري وإحساسه بمسؤوليته أدبياً وفكرياً، وأخذت مفاهيمه لما حوله من أفكار وقضايا تتضح وتتحدد وتبلور، قد لونها بفكره، فإذا أردنا مثلاً التعرف على

(١) المرجع السابق، ص ٣٠.

مفهوم محمد حسين للأدب اشتممنا رائحة فكره تسري خلال حديثه<sup>(١)</sup>.  
هذه وجهة نظر سليمة ولكنها قد تكون جزءاً من الإجابة، أما الأجزاء الأخرى في نظري فتكمن في أن الدكتور محمد حسين -رحمه الله- تبنى بعض الأفكار غير الصحيحة في فترة من فترات حياته بسبب طبيعة الدراسة في الجامعة وما كان فيها من أفكار وأجواء مفتوحة على موجة التغريب التي كانت في أوج قوتها في تلك الفترة في مصر، وما صاحب ذلك من حالة الانبهار بالحضارة الغربية من قبل كثير من الطبقات المثقفة ومحاولة السير في ركابها، إضافة إلى أن الكثير من دعاة التغريب كانوا أساتذة في الجامعة ولهم طلابهم ومريدوهم، والدكتور محمد حسين رحمه الله أحد هؤلاء الطلاب، خاصة وأنه كان طالباً متفوقاً في دراسته، كل تلك الأسباب كانت كفيلة بتغيير أفكار الدكتور محمد حسين رحمه الله إلى النحو الذي تخلى عنه بعد ذلك وأعلن ندمه وتوبته عنه، والسبب في ذلك والله أعلم أنه رحمه الله عاش فترة مع تلك التوجهات المنحرفة والمذاهب الباطلة، فعرف باطلها وخباياها ودسائسها وأهدافها الهدامة، وحيث إنه رحمه الله كان رجلاً صاحب ثقافة أصيلة وبيئة سليمة، فقد استطاع بصفائه وفطرته أن يميز بين الحديث الصالح وبين الحديث الفاسد، لذلك استطاع رحمه الله أن يتحرر من لوثات التغريب وجهالات الأفكار الضالة الفاسدة، كما ساعده في ذلك إنتهاؤه من الدراسة الجامعية وتحرره من أسر الدراسة وانتقاله إلى مراحل التدريس والاستقلال الفكري، كل ذلك كان من العوامل المهمة في خروجه من تجربته المريرة مع التغريب والغزو الفكري المنظم.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٠.

وكان أيضاً لطبيعة شخصيته رحمه الله من طلب الحق والتمسك به والرجوع عن الباطل والتخلي عنه، دوراً مهماً في عودته عن بعض آرائه، والالتزام بالفكر الإسلامي الأصيل.

فكان رحمه الله بعد ذلك داعية من دعاة الحق وعلماً من أعلامه ونشط نشاطاً كبيراً في التعريف بالفكر الإسلامي الأصيل، والذود عنه بمنافسة خصومه وأعدائه، وصدق رسول الله ﷺ حين قال: (خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا)<sup>(١)</sup>.

ومن خلال ما تقدم يمكن أن نقول إن الجوانب الفكرية في حياة الدكتور محمد حسين يرحمه الله مرت بثلاث مراحل مختلفة:

### المرحلة الأولى:

وهي مرحلة الدراسة في قريته وفي أسيوط، حيث درس الثانوية هناك، وانتقل بعدها للدراسة الجامعية، واستطاع أن يحافظ على الملامح العامة لبيئته وخلفيته الدينية السابقة.

### المرحلة الثانية:

وهي مرحلة التأثر بالتيارات الحديثة والأفكار السائدة في الحياة الجامعية واعتناقه بعض الأفكار الغربية عن بيئته وبيئة المجتمع المصري، سواء كانت أفكاراً تتعلق بمناهج البحث كما هو الحال في المنهج التشكيكي الذي دعا إليه طه حسين، أو حتى ما يسمى بالمذاهب الروحية.

### المرحلة الثالثة:

وهي المرحلة التي تعبر حقاً عن فكره الإسلامي الأصيل ومنهجه الواضح

---

(١) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، مختصر صحيح البخاري، رقم (١٤٥٥ / ١٤٥٦) ص ٣٢٨، مسلم، كتاب ذكر الأنبياء وفضلهم، مختصر صحيح مسلم، رقم (١٦١٥) ص ٤٢٩.

وتبنيه للإسلام عقيدة وفكراً ومنهجاً، حيث كان في هذه المرحلة في قمة  
نضجه الفكري والعلمي، فخلف لنا آثاراً رائعة تحمل فكر الإسلام ونظراته  
لكثير من القضايا والمستجدات الحديثة .

#### رابعاً : الخلفية الثقافية :

إن الكتابات التي يكتبها كاتب ما تعبر بوضوح كامل عن شخصه حتماً،  
وعن ثقافته قطعاً، ومن أولئك بطبيعة الحال صاحبنا الدكتور محمد حسين  
رحمه الله الذي يقول عند أحد تلامذته : (لعل العباقرة والعلماء من أبناء  
الشعوب هم الذين يقع عليهم قبل غيرهم تضحية أنفسهم من أجل وحدة  
الإنسانية، وتوسيع رقعة الحياة الروحية للبشر، وتنمية وحدة الإنسان، وذلك  
حين يسلم الإنسان نفسه لحركة التطور المستمرة، فينفق حياته وذاته من أجل  
هذا الواجب العظيم وقد كان أستاذنا المرحوم الدكتور محمد حسين أحد  
هؤلاء الذين وقع عليهم عبء التضحية بأنفسهم من أجل تحقيق قيم ومبادئ  
آمن بها، ودافع عنها وحارب من أجلها، ونجح في إرسائها على طول مسيرة  
حياته العلمية المشرفة)<sup>(١)</sup>.

وقد كان يرحمه الله صاحب ثقافة متميزة، تبرز في كتاباته وبحوثه الراقية  
جداً، ولعلي أستطيع أن أحدد ملامح خلفيته الثقافية من خلال النقاط التالية :

١- القراءات التراثية في أدب الأمة والاطلاع الوافر عليها حتى إنه يرحمه  
الله لم يكن قارئاً جامعاً فقط لكتب التراث، بل إنك تلمح من كتبه العديدة،  
أنه لم يكن يقف من التراث (موقف التوقير والإجلال لحضارة الأمة الإسلامية

(١) منهج الدرس الأدبي ونقده عند المرحوم الأستاذ الدكتور/محمد محمد حسين، د.محمد زكي العشماوي،

ص ٣٥، (ضمن كتاب موقف الدكتور محمد محمد حسين من الحركات الهدامة).

وفكرها فحسب ، بل كانت له وقفته الخاصة والإيجابية من هذا التراث ، ثم كانت صلته بهذا التراث ونوعية هذا الصلة من الوجهة العلمية والسلوكية متميزة .

فعلى الرغم من وفرة ما قرأ الأستاذ الدكتور محمد حسين من مادة التراث المكتوبة وعلى الرغم من أن هذه المادة كانت مما تشتمل عليه من آراء وآثار وأفكار تمثل الجانب الكبير من ثقافة أستاذنا ، وأنها تدخل في تكوين شخصيته وفكره ، على الرغم من ذلك فإن صلة أستاذنا بالتراث هي في الحقيقة صلة تتجاوز ذلك . . أي تتجاوز مادة التراث المكتوبة إلى ما وراء هذه المادة ، ونعني بذلك الارتباط بالأعماق التي احتضنت هذه المادة وأدت إلى وجودها ، إنه ارتباط بروح الأمة ذاتها ، بينابيع حياتها ، بمثلها وتطلعاتها ، حيث الجذور والبدور والأصول والأسرار ، إنه تمثل وتشرب لحضارة الأمة العربية والإسلامية وذوقهما .

وقد كان هذا الفهم الفني للتراث خير عون له على استيعاب حاضر الأمة وماضيها ، والتحدث في الدرس الأدبي - سواء أكان درساً مكتوباً أو منطوقاً - بصوت الينابيع الأصيلة في أعماق التراث ، الناطقة بحضارة شعوب هذه الأمة .

وبهذا الأسلوب الذي اتخذه لنفسه في منهج التراث يعتبر أستاذنا خير كاشف لما خفي من جوانب هذا التراث وخير موجه ومشير لأجمل ما فيه ، وخير واضع لأيدي تلاميذه على كنوزه وقيمه ، ودافع لهم على سلوك هذا الطريق الذي يراه وارث الضلال والأثمار<sup>(١)</sup> .

(١) المرجع السابق ، ص ٣٨ - ٣٩ .

ومما يؤكد تلك الثقافة الأصيلة التي تميز بها رحمه الله (إعادته بناء ثقافته الإسلامية على أسس الموروث السلفي)<sup>(١)</sup>.

لقد كان رحمه الله يتميز بفكر استقاه من التراث العربي الأصيل إيماناً منه أن هذا التراث يعد الجذور التي تمسك ببنیان الحاضر الفكري، فأول ما نلاحظه إذاً هو أن السلف الذين أرسوا هذه الجذور، هم بمثابة روافد فكره الأولى، لأن (أسلافنا أحكم منّا وأرجح عقلاً، وأسلم فطرة، وأعرف بما هم في حاجة إليه)<sup>(٢)</sup>.

## ٢- الثقافة الموسوعية المعاصرة :

لقد كان واضحاً أن الدكتور محمد محمد حسين يرحمه الله رجلاً ببحاثه مطلعاً على إنتاجات عصره بشكل عجيب وغريب، حتى إنه استطاع أن يلخص كل قضية من القضايا الإسلامية التي دافع عنها تلخيصاً ينبئ عن غزارة في المعلومات وقدرة على الاختصار مع تحليل أخاذ، لا يملكه إلا أصحاب العقول الجبارة من أمثاله، والجميل أيضاً أنه يلخص الكتابات والكتب التي صدرت في نفس القضية ويعرضها عرض القاريء المتخصص المطع، ويبين إيجابياتها وسلبياتها ويجعلك تشعر وكأنك قد قرأت تلك الكتب وعرفت ما فيها، كما في كتاباته عن الكتب التي صدرت عن الكثير من القضايا المعاصرة.

وهو في نفس الوقت يحدثك عن السياسة حديثاً (لا يبارى، عمق تحليل وسبق أحداث، ومعرفة بما وراء الحرف المكتوب أو الكلمة المنطوقة، ولذلك كان بحثه عن التيارات السياسية السائدة فيما قبل الحرب العظمى، حديث عالم سياسة بالمعنى الدقيق للتعبير إذ جعل الثورة العراقية<sup>(٣)</sup> نقطة البداية في

(١) محمد محمد حسين مفكراً إسلامياً وناقداً أدبياً، محمد خليفة، ص ٣٠.

(٢) المرجع السابق، ص ٣١.

(٣) الثورة العراقية نسبة إلى أحمد عرابي، وهو زعيم مصري معروف قاد ثورة وطنية في عام ١٢٩٨ هـ ضد =



اهتمام الناس بالمسائل السياسية، إذ بدأ مصطلح الظلم والمظلومين تتداوله الشفاعة المحرومة الظائمة، وكذلك حق الناس في محاسبة السلطان ومساءلة المسؤول، والدعوة إلى النظام النيابي أو حق الشورى والعدالة الاجتماعية، والحد من تغلغل النفوذ الأجنبي<sup>(١)</sup>.

كذلك إذا ما عرض (لتأسيس الأحزاب السياسية، زادك إعجاباً بخطه الواضح وفكره المتألق والممامه الكافي كأحد أساطين السياسة . . .)<sup>(٢)</sup>.

كما أن له اطلاعه على المذاهب الفكرية المعاصرة والتي ستعرض لها لاحقاً، وللتدليل على اطلاعه وتبحره في ذلك يقول د. يسرى سلامة: (وبذكاء حاد وتتبع علمي مستقص تناول الرائد فكرة نشوء القومية المصرية ممثلة في الجامعة المصرية، وكيف انتقلت هذه البذرة من الفكر الغربي إلى المفكرين المصريين في مطالع هذا القرن)<sup>(٣)</sup>.

كما أن له اطلاعه على التاريخ فهو من (خلال التاريخ تتبع روافد الأدب وجداوله فوجد أن الشعر قد اتجه إلى استنهاض الهمم وبعث الأمل ومحاربة اليأس وكشف الغمة وبيان أفضال الأمة . . .)<sup>(٤)</sup>.

بل (إن فهم الأستاذ الرائد لحركة التاريخ النامية والمتطورة يجعله دائماً يضع الأحداث المتراكمة والمتواكبة تحت المجهر، ويحللها ويفسرها ويدقق فيها

---

= الشراكسة في مصر وأدخل السجن ثم خرج وتولى بعض المناصب الكبيرة في مصر وعين ناظراً للجهادية حتى دخل الإنجليز للقاهرة ونفوا عرابي باشا إلى جزيرة سيلان حيث مكث تسعة عشر عاماً، ثم عاد إلى مصر وتوفي بالقاهرة عام ١٣٢٩هـ (الأعلام، الزركلي، الجزء الأول ص ١٦١-١٦٢، ط ٣، ١٣٩٨هـ).

(١) د. محمد حسين وجهوده الأدبية، يسرى سلامة، ص ١١٠ .

(٢) المرجع السابق، ص ١١١ .

(٣) المرجع السابق، ص ١٠٩-١١٠ .

(٤) المرجع السابق، ص ١١٠ .

تدقيق العالم الذي يدري أنه سيخوض بحراً متلاطمًا من الأفكار المترامية، لكنه على كل حال كان يجيد السباحة في أشد الظروف قسوة وقوة<sup>(١)</sup>.

كما أنه رحمه الله ومن خلال القضايا التي شغلته رأي أنه بحاجة إلى (إعادة اطلاعه على الأدب الحديث بخلفيته التاريخية والاجتماعية)<sup>(٢)</sup>.

لقد كان رحمه الله (ذا حس تاريخي مرهف إذ كانت دراسته في القسم الأخير من حياته، قوامها التاريخ، رصد شتى الاتجاهات وتعقب مسيرتها، ومتابعة ما تفرزه تلك الاتجاهات عن غيرها من اتجاهات أخرى)<sup>(٣)</sup>.

### ٣- التوجه الديني الشخصي :

كانت النزعة الدينية لدى الدكتور محمد حسين - رحمه الله - هي الدافع الكبير في مواجهة أعداء الدين وأذئابهم وقد كان موقفه (مرتبطاً أشد الارتباط بنزعة الإسلام الإيمانية)<sup>(٤)</sup>.

وهو أمر ملحوظ في كتبه المختلفة فعلى الرغم من أنه (يقرر الحقائق في هدوء علمي، إلا أن نزعة الباحث الدينية تسري في الكتاب هادئة حيناً، حادة في كثير من الأحيان)<sup>(٥)</sup>.

ولا شك أن هذه الميزة تكسب الدكتور رحمه الله قوة في الجهاد وصدقاً في المواجهة بشكل يجعله متميزاً عن غيره من أعدائه أو حتى من بعض الكتاب

(١) المرجع السابق، ص ١١٠ .

(٢) د. محمد محمد حسين مفكراً إسلامياً وناقداً أدبياً، محمد خليفة، ص ٣٠ .

(٣) المرجع السابق، ص ٣٣ .

(٤) خصومات محمد حسين في سبيل الدين واللغة، د. طاهر سليمان حمودة، ص ٧٥ (ضمن كتاب موقف الدكتور محمد محمد حسين من الحركات الهدامة).

(٥) د. محمد محمد حسين في الاتجاهات الوطنية، د. أحمد ماهر البقري، ص ٥٤ (ضمن كتاب موقف الدكتور محمد محمد حسين من الحركات الهدامة).

الذين عايشهم في حياته ، يقول رحمه الله إنه تصدى لهذه المحاولات (إبراءً للذمة ، واغتناماً للأجر وخضوعاً لسنة الله الذي يضرب الحق بالباطل والذي ألزم أهل الإيمان محاربة أهل الكفر والضلال ، ومكافحتهم ليلبو بعض الناس ببعض) (١).

والحقيقة أن القارئ المنصف يقرر أن تلك الخصومات (لم يكن لها دوافع شخصية أو مصالح ذاتية ، وإنما هي خصومات موضوعية فكرية ، أو بعبارة أخرى هي خصومات تتصل بالعقيدة والفكر وكان لها مظاهر كثيرة تمثلت في هجومه على الفكر الغربي والمفتونين به من الشرقيين ، حين يحاولون أن يغيروا من مفاهيمنا الأصلية في الدين واللغة ، أو يزعموا من ثقتنا فيهما) (٢).

وللتأكيد على هذه القضية وأنها مسألة أصيلة بالنسبة للدكتور - رحمه الله - يقول أحد تلامذته : (وكانت قضية الرائد الرئيسية هي الإسلام كما ورثناه عن السلف الصالح وكما تعلمه في كتاب قرئته في أقاصي الصعيد وكما لقّنه عن والده رحمه الله . . .

الإسلام في دم محمد محمد حسين ليس عقيدة فحسب ، وإنما هو حياة وشرعه كاملة ، تنعكس على سلوكه وتصرفه اليومي المعتاد ، وتشكل فلسفته وتعامله مع الآخرين ، وكثيراً ما خاض المعارك الطاحنة ببسالة وشجاعة وقوة بأس ، مع من يستهزئون بشريعة الله ، أو يخالفون أوامرهم ، أو يتهاونون في أمر من أمور دينهم) (٣).

(١) حصوننا مهددة من داخلها ، د. محمد محمد حسين ، ص ٢٣٢ - ٢٣٣ .

(٢) خصومات محمد محمد حسين في سبيل الدين واللغة ، د. طاهر سليمان حمودة ، ص ٨٥ .

(٣) د. محمد محمد حسين وجهوده الأدبية ، د. يسري سلامة ، ص ١٠٩ .

والحق أن الدكتور محمد محمد حسين - رحمه الله - له (مذهبه العام في الفكر وفي الحياة، الذي يتركز في الدفاع عن العربية الفصحى باعتبارها مظهر التوحيد في العالم العربي وباعتبارها حاملة التراث الإسلامي، ويتركز أيضاً في تمايز المنهج الإسلامي بخصائصه المعروفة التي لا ينبغي أن تتلاشى أو تختلط بخصائص المناهج الإنسانية الأخرى) (١).

لقد كان الدكتور محمد محمد حسين (إلى جانب صفته الأكاديمية قائداً من قادة الثقافة في العالم الإسلامي في زماننا، واستطاع بقلمه الحر الوثاب، وبإيمانه المتدفق الغامر، أن يأخذ مكانه المرموق في مسيرة الثقافة الإسلامية الحاضرة، وأن يترك وراءه أفكاره المتجسدة في آلاف قرائه) (٢).

ولقد كان رحمه الله مؤمناً كامل (الإيمان بالحقيقة الإسلامية الكاملة، القادرة على حل مشكلات البشرية في كل زمان ومكان) (٣).

ومما يميزه رحمه الله أنك حين تقرأ كتبه تشعر (أن الدين هو الميزان الذي يزن به القضايا كلها سواء كانت لغوية أم أدبية أم نحوية أم سياسية أم إصلاحية، والفكرة الواحدة من هذه القضايا لا توصف بالصحة أو الفساد إلا بهذا المقدار الذي يقربها من الدين أو يبعدها عنه) (٤).

ويقول مؤكداً نظرتة للإسلام: (الإسلام لم يكن مجموعة من الطقوس الدينية وحسب، كما هو الشأن في غيره من الأديان، ولكنه حضارة كاملة

---

(١) موقف الدكتور محمد محمد حسين من الدراسات اللغوية الحديثة، (غير معروف)، ص ١١٧ (ضمن كتاب موقف الدكتور محمد محمد حسين من الحركات الهدامة).

(٢) الدكتور محمد حسين والدفاع عن قضايا الإسلام، د. محمد حسين عواد، ص ١٤٣ (ضمن كتاب موقف الدكتور محمد محمد حسين من الحركات الهدامة).

(٣) المرجع السابق، ص ١٤٤.

(٤) المرجع السابق، ص ١٤٥.

يحملها الإسلام حيثما ذهب، لها لغتها التي لا يصح التعبد بغيرها، ولها منهجها وقوانينها التي تمتد وتتغلغل لتشمل سائر احتياجات الأفراد والجماعات في سلوكهم وفي معاملاتهم وفي نشاطهم الفكري والعاطفي على السواء<sup>(١)</sup>.

ويبين الدكتور محمد رحمه الله منهجه بوضوح كامل بعد أن يتحدث على لسان المستعمرين القائلين: (كلما حدثناكم في شيء أقحمتكم فيه الإسلام، وقلتم القرآن، لا حجة لكم إلا هذا ولا تعلقة لكم سواه ونحن نقول للمجنم القرآن، والإسلام في تقديركم شيء هينٌ يسير، وفي تقديرنا كبير خطير، ونحن لا نبالي شيئاً مما تزينونه وتزخرفونه إذا أبعد عن القرآن والإسلام، فإذا كان القرآن والإسلام عندكم لوناً من الألوان، وواحدًا من اعتبارات كثار، فهو عندنا كل شيء به نحيا، وعليه نموت)<sup>(٢)</sup>.

بهذه الحماسة الدافقة وهذا الاندفاع الكبير نحو الإسلام كان يفكر الدكتور محمد رحمه الله ويرى أن البدائل الفكرية لكل ترهات وسخافات العصر تكمن (في الإسلام الرؤية الكونية الشاملة والمنهج الحضاري الكامل)<sup>(٣)</sup>.

ولا شك أن المطلع على كتابات الدكتور محمد رحمه الله يشعر بالإعجاب لكونه امتلك تلك (القدرة في تمثل الأفكار الإسلامية تمثلاً صحيحاً وتنزيلها على الواقع المؤلم ومحاكمة هذا الواقع محاكمة قوية منطقية مقنعة، والجديد فيها أيضاً أنها تأتي في وسط فكري مضطرب البال، مشتت القوى موزع القدرات، فكيف تأتي للدكتور محمد محمد حسين هذا الصفاء في

(١) المرجع السابق، ص ١٤٥.

(٢) المرجع السابق، ص ١٤٥.

(٣) المرجع السابق، ص ١٦٨.

التصور، بحيث استطاع أن يفضح الحجب والأستار والحواجز الفكرية التي نصبها المستعمر وانطلق يحاكم الأحداث والأفكار محاكمة إسلامية صرفة؟ ذلك فضل من الله ونعمه<sup>(١)</sup>.

تلك كانت أهم الملامح العامة لثقافة الدكتور محمد حسين رحمه الله ولعل من المناسب أن أختتم الحديث عن حياته بنقل هذا النص الأدبي الجميل والذي يصلح أن يكون خاتمة للحديث عنه (حين تطأ أقدام الزمن أحلام الشباب، يأتي محمد محمد حسين من وراء الغمام لكي يأخذ بيد الملاح التائه، وينقذه من الضياع في لجج الحياة العاتية).

و حين تقسو القلوب أو تتحجر أو يعتورها برد الحياة اليومية، يأتي محمد محمد حسين وعلى وجهه تعلقو بسمة وضياء بالخير والنور، ليزرع ورداً في أرض الأشواك، وليجعل البيادر كلها حبلى بمحاصيل القمح الإنساني، تلتقط منها القلوب ما تشاء، ثم توجه بعد ذلك نظرات العتاب لأنه لم يعط أكثر وأكثر فيضحك ويقول: إنما نحن بشر من طبيعتنا ألا نعطي إلا بقدر ما نقدر، وعندما يهاجمه المهاجمون بالباطل كان بطلاً محارباً شجاعاً حين البأس، تحاول المعاول أن تهدم ما يبني، وأن تئد ما ينادي به، وأن تحارب كل وليد في كتبه، لكنه كان يجمع بين قوة الحججة، وسهولة الإقناع، ونصاعة المنطق، ومن هنا كان محارباً عاقلاً يرد على الحججة بالحجة، ويقرع الرأي بالرأي<sup>(٢)</sup>.

تلك كانت كلمة أحببت أن أختتم الحديث بها لأنها معبرة مؤثرة، صدرت عن تلميذ من تلامذة الدكتور محمد محمد حسين رحمه الله الذين رباهم وجعل منهم بعده طلائع تجاهد في سبيل دينها وأمتها.

(١) المرجع السابق، ص ١٧٧.

(٢) د. محمد محمد حسين وجهوده الأدبية، د. يسري سلامة، ص ١٠٣.

## المبحث الثاني

### حياته العلمية

لقد كان الدكتور محمد محمد حسين رحمه الله كاتباً كبيراً ومؤلفاً رصيناً وباحثاً صبوراً جليلاً، حيث تجلّى ذلك كله في كتبه المختلفة والتي تزخر بمزايا وفوائد ومعلومات تنبئ عن الجهد الذي كان يبذله رحمه الله في إخراج كتبه ونشرها وسنستعرض كتبه سريعاً مع التوقف عند أهم مؤلفاته بعض الشيء حتى يتسنى لنا معرفة أسلوبه وطريقة تفكيره وكذلك جهده الكبير ونفسه الطويل فيما أخرجه رحمه الله .

#### أولاً : الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر:

كتاب الاتجاهات الوطنية (يعد مرجعاً أصيلاً في موضوعه بحجمه، وقيمه العلمية، فهو في جزئين تبلغ صفحاتهما أكثر من سبعمائة عدداً)<sup>(١)</sup>.

#### ويتكون الجزء الأول من خمسة فصول :

#### الفصل الأول :

تحدث فيه المؤلف عن الجامعة الإسلامية وبين أنها كانت هي النزعة الغالبة على التفكير، خاصة وأن الظروف السائدة كانت توحى بأن الخصومة بين الشرق والغرب هي خصومة بين الإسلام والمسيحية، وكان يعين على هذا التصور تلك الحروب الدائرة بين تركيا ودول أوروبا، وكذلك مهاجمة كثير من سياسة الغرب وكتابه للإسلام والمسلمين ورد تخلفهم إلى جمود الإسلام

---

(١) د. محمد محمد حسين في الاتجاهات الوطنية، د. أحمد البقري، ص ٤٥ .

الذي لا يصلح في زعمهم لأن يكون شريعة لأمة متمدنة، كما أن مساعدة الإنجليز للمناوئين لتركيا كانت سبباً في إشاعة ذلك التصور للحرب الدائرة تلك الأيام.

كما أن المؤلف بين في هذا الفصل أن مدح الشعراء وموالاتهم للسلطان عبد الحميد لم يكن إلا تمسكاً بخليفة المسلمين ومناهضة للمستعمرين، وتبع ذلك في مناسبات عديدة، ثم بين أن المنادين بالجامعة الإسلامية لم يكونوا جميعاً من المؤيدين للنفوذ التركي في مصر وأن كثرتهم كانت مدفوعة بعاطفتها الدينية، وأن بعضهم كان يتخذ ذلك وسيلة لمناوأة الاستعمار الإنجليزي، وهو يرى بعد ذلك أن التخلص من النفوذ التركي سهل ميسور.

### الفصل الثاني :

تحدث فيه عن الجامعة المصرية فتتبع تطور القومية المصرية التي كانت ناشئة في ذلك الحين، وانتقلت إلى مصر عن طريق أوروبا.

ورأى أن فكرة الوطنية مختلفة بعض الاختلاف عما تعنيه اليوم، وأنها لا تدعو للانفصال عن تركيا وإن كانت تدعو للمقاومة الاستبداد الأوربي الحركي، كما أنها كانت مختلطة بالفكرة الإسلامية، ثم تطورت الفكرة القومية على أيدي أصحاب الثقافات الأوروبية لتهاجم الرابطة الدينية وتعتبرها مصدر شر وتفرقة، مما أدى إلى مهاجمتها من قبل أصحاب الرابطة الدينية واعتبارهم لها خطراً يهدد وحدة الأقطار الإسلامية.

ثم بين أن هذه القومية خفت فترة بعد فشل الثورة العرابية ثم انبعثت من جديد واتخذت شكلين متباينين، أحدهما يتحدث عن الوطنية حديثاً عاطفياً والآخر يتحدث حديث العقل والمصلحة.



وكان الفريق الأول كما يقول المؤلف ممثلاً في الداعين إلى الجامعة المصرية الإسلامية والآخر ممثلاً في الداعين إلى الجامعة المصرية الخالصة، وبين أن الدعوة الأولى كانت الأقرب إلى قلوب الناس، لأن أصحاب الاتجاه الثاني كانوا هم كبار الملاك الباحثين عن مصلحتهم.

ثم ختم الفصل بالحديث عما صاحب هذه الحركة من اتجاه تاريخي في الشعر نحو إحياء المجد الفرعوني والمجد العربي اللذين يمثلان النزعتين السابقتين، القومية المصرية والقومية الإسلامية، واتخاذ ذلك وسيلة لاستنهاض الهمم وبعث الأمل ومحاربة اليأس ورد الثقة إلى الناس الذين تمكن منهم سوء الظن وفقدان الثقة.

### الفصل الثالث :

تحدث فيه عن محنة الجامعة المصرية، وبين فيه أن الأزمة ترجع في جوهرها إلى سوء ظن كل من الفريقين بصاحبه، وإلى الجهل الذي يقود إلى عصبية عمياء لا تقوم على أساس من منطق أو دين، وإلى التقاليد الفاسدة التي أدت بالقبط إلى الانعزال والانطواء على النفس، والذي أدى بهم إلى الحديث عن أنفسهم وكأنهم أمة مستقلة بنفسها، كما تحدث عن مقتل بطرس غالي رئيس الوزراء وبرزو الفتنة عارية، وما استتبع ذلك من محاولات صادقة للتوفيق بين الفريقين ووأد الفتنة في مهدها.

### الفصل الرابع :

تحدث فيه عن التيارات السياسية التي تنازعت الناس، وجعل ثورة عرابي هي نقطة البداية في اهتمام الناس بالمسائل السياسية، حتى ظهرت الدعوة إلى الأنظمة الحديثة في الحكم وإلى العدالة الاجتماعية وإلى الحد من تغلغل

النفوذ الأجنبي ، وتفضيل أنظمة على أخرى .

ثم تكلم عن نشأة الصحافة الوطنية والسلطات التي كانت تتنازع تصريح الشؤون في ذلك الوقت ، كما تحدث عن انقسام الصحف في الولاء بين الإنجليز وبين المصالح الوطنية والشعبية ، ومحاولة الاستعمار إذكاء الخلاف بين أفراد وقطاعات الشعب ، الذي كان موزعاً بين مراكز نفوذ عدة ، كالنفوذ التركي والفرنسي إضافة إلى النفوذ الإنجليزي ونفوذ القصر .

كما بين كذلك طريقة تأسيس الأحزاب ومناهجها وتوجهاتها والصراع الذي نشأ بينها ، مما أدى إلى ارتفاع الأصوات مطالبة باتحاد الكلمة وجمع الصفوف .

### الفصل الخامس :

تكلم فيه عن النزعات الإصلاحية التي ، لازمت التطور الفكري والسياسي ، وكان أصحابها مختلفي النظرة إلى علل الأمة فمنهم من ينظر إلى عللها الخلقية والاجتماعية ومنهم من ينظر إلى سوء فهم الأمة للإسلام محاولاً أن يقيم الإصلاح على أساس ديني ، ثم تحدث رحمه الله عن الدعوات التي برزت في تلك الفترة وهي الدعوة إلى الحرية الشخصية وإلى الحياة النيابية ، والدعوة إلى فصل السلطة المدنية عن السلطة الدينية والدعوة إلى تحرير المرأة من الجهل والحجاب ، وبين حال تلك الدعاوى وأسباب نشوتها .

ثم تكلم عن حركة الإصلاح الإسلامي التي تزعمها محمد عبده<sup>(١)</sup>

---

(١) انظر الباب الرابع ، الفصل الثالث .

وتلاميذه، وقسم جهوده إلى قسمين، هما: اتجاهاه إلى محاربة ما خيم على المسلمين من ضعف الهمم وفتور العزائم، والانصراف عن جهاد الاحتلال.

أما القسم الثاني فهو محاولة التوفيق بين الدين والمدنية الحديثة مع الرد على الاتهامات التي كانت توجه ضد الإسلام.

كما بين المؤلف رحمه الله مشاريع محمد عبده في الإصلاح والفتوى والدروس وغير ذلك، وبين أثر تلك الاتجاهات الإصلاحية على الناس واختلافهم في جوانب الحياة ونظرتهم إلى كل جانب، وكيف حدث الصراع وتبادل الاتهامات التي وصلت إلى حد التكفير والاتهام بالعمالة والتآمر على الأمة.

أما الجزء الثاني فيتكون من خمسة فصول أيضاً هي كالتالي:

### الفصل الأول:

تحدث فيه المؤلف رحمه الله عن الخلافة الإسلامية وتطوراتها المختلفة من خلال تطورات الحرب الأولى وإعلان الحماية على دولة الخلافة، ومشاعر الناس وتعاطفهم مع الخليفة، ثم ظهور مصطفى كمال أتاتورك<sup>(١)</sup> وظهور أخباره، وفرح الناس به، ثم المفاجأة المروعة بإسقاط الخلافة على يد بطل الأمس وخالد الترك، ثم تطورات الأمر على الساحة الإسلامية والعربية، وظهور المطامع بتولي الخلافة، وعقد المؤتمرات لذلك وفشلها في النهاية من تحقيق بغيتها.

ثم تحدث رحمه الله عن الكتب التي صدرت بشأن تلك الكارثة وأقصد بها كارثة سقوط الخلافة، واستعرضها رحمه الله وتحدث عنها حديث العارف الخبير.

---

(١) مصطفى كمال أتاتورك، مؤسس الجمهورية التركية، وأول رئيس لها، اشتهر بدوره في هزيمة الحلفاء في شبه جزيرة جاليبولي، أسقط الخلافة الإسلامية، ومنع الأذان باللغة العربية، ودعا الأتراك إلى الأخذ بالحضارة الغربية، وترك كل ما عدا ذلك، توفي عام ١٩٣٨م، (الموسوعة العربية العالمية، ج ١، ص ١٠٣ - ١٠٤).

ثم تحدث عن الاتجاهات الاجتماعية والفكرية وظهور الحركات القومية في أنحاء الإمبراطورية العثمانية مع ظهور القوانين والدساتير غير الشرعية .

## الفصل الثاني :

وتحدث فيه رحمه الله عن الجامعة العربية وظهور الروح القومية بين العرب وتشجيع الإنجليز والفرنسيين لها، واتخاذ مصر وباريس مركزاً للمعارضة العربية للعثمانيين، كما تحدث عن محالفة حكام مكة من الأشراف مع الإنجليز ضد الدولة العثمانية، ثم فشل الثورة العربية واختلاف الناس في تصور الجامعة العربية وخلطها بفكرة الجامعة الإسلامية، ثم صراع الجامعة العربية مع الدعوات الإقليمية، وبروز النعرات القومية والفرعونية في الفن والأدب وغيرها من جوانب الحياة المختلفة .

كما تحدث رحمه الله عن وجود دعاة مخلصين للجامعة الإسلامية، ووقوع أحداث أدت إلى ظهور الدعوة للجامعة الإسلامية وانقلاب دعاة القومية إلى دعاة للجامعة الإسلامية وانكشاف مؤامرات الاستعمار لبت الفرقة بين المسلمين .

## الفصل الثالث :

تحدث فيه رحمه الله عن مصطلح القديم والجديد وعرف بكل واحد منهما، وتطورات القضية والمعارك التي وقعت بسببها والكتب التي ألفت في تلك الفترة وما حوته من أفكار وما سببته من معارك وخلافات وما تؤدي إليه من انحرافات عقديّة وتشريعية وأخلاقية .

كما تحدث رحمه الله عن اهتمام باحثي أوروبا بالإسلام ومعرفة الاتجاهات الإسلامية ومدى تأثير الإسلام في توجيه الحياة بعد ظهور الجيل

المتفرع من دعاة التجديد .

كما تحدث رحمه الله في هذا الفصل عن التجديد في جوانب الحياة المختلفة وخطورة هذه الاتجاهات على دين الأمة ووجودها .

### الفصل الرابع :

تحدث فيه عن الدعوات الهدامة التي ترمي إلى هدم التدين جملة وتحطيم الأصول التي يقوم عليها الدين ، واستعرض مظاهر هذه الدعوات ومثل لبعض دعواتها وأفكارهم ورد عليها وعليهم بما يبطلها ويفندها .

ثم تحدث رحمه الله عن بعض المذاهب الفكرية كالروحية والتوفيق بين الأديان والماسونية والبلشفية .

ثم بين رحمه الله كيف نشأت مقاومة الدعوات الهدامة عن طريق الجمعيات وبعض وسائل الإعلام كالصحافة مثلاً ، وكذلك بعض الأدباء من الكتاب والشعراء .

كما أستعرض رحمه الله أثر الحضارة الغربية في هدم الأخلاق وهدم اللغة العربية ، ومظاهر الهدم في الجانبين . وتغلغل هذا في طبقات المجتمع المختلفة .

### الفصل الخامس :

تحدث فيه رحمه الله عن الواقع السياسي في فترة ما بعد الخلافة في مصر وكيف سيطر الإنجليز على مقدرات مصر وإخضاعهم لها وكيف كان الخلاف مستعراً بين القيادات المصرية في التعامل مع الإنجليز والثورة عليهم وما حدث من خلافات بين القصر ورؤساء الوزارات المتعاقبة وتدخل الإنجليز في الكثير من هذه الأحداث وتوجيهها لصالحهم وإبقاء مصر خاضعة لحكمهم .

## ثانياً : حصوننا مهددة من داخلها :

هذا الكتاب يقول عنه مؤلفه رحمه الله (هذه كلمات كنت قد نشرتها منذ أكثر من عشر سنوات في مجلة الأزهر ، تدور حول نقد مطبوعات واتجاهات ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية وتقييمها ، وهي من هذه الناحية تعتبر امتداداً لكتابي (الاتجاهات الوطنية في الأدب العربي المعاصر))<sup>(١)</sup> .

فهو أشبه ما يكون بالجزء الثالث من الكتاب وقد نشرت تلك المقالات في غالبها تحت عنوان (حصوننا مهددة من داخلها) .

ويقول رحمه الله إن الذي دعاه (إلى كتابة هذه السلسلة من المقالات أني رأيت الإلحاد والانحلال في هذه الأيام يشتعل ويسري سريان النار في يابس الحطب ، ورأيت دعواته يستفحل أمرهم في كل مكان ، ورأيت الناس مشغولين بالجدل والنقاش حول ما يثيرونه من موضوعات يسترون مآربهم الهدامة من ورائها تحت أسماء خلافة براقية كالنهضة والتحرر والتطور ومتابعة ركب الحياة)<sup>(٢)</sup> .

ويمكن أن نقسم الكتاب إلى خمسة فصول بحسب العناوين الرئيسية للموضوعات كالتالي :

### ١ - في الدراسات النفسية والاجتماعية :

حيث قدم رحمه الله بمقدمة وافية لما يريد الحديث فيه ، ثم تحدث عن وزارة التربية والتعليم ومطامع أمريكا في الاتصال بالقائمين عليها والوسائل اللازمة لذلك .

(١) حصوننا مهددة من داخلها ، د.محمد حسين ، ص ٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١١ .

ثم تحدث عن الدراسات النفسية عند الغرب وكيف أنها دراسات ممسوخة لا دينية، وبين أهدافها والداعمين لها، ووسائل الإفساد لديهم، وتحدث عن نماذج وأمثلة للفساد الأخلاقي الذي يدعون إليه، ويودون تعميمه في بلاد المسلمين عبر وزارة التربية والتعليم.

## ٢- في الفن والثقافة :

وتحدث فيه رحمه الله عن تعدد مصادر الثقافة وعجز وزارة التربية عن النهوض بواجباتها الثقافية، ثم بين فساد وسائل الإعلام والنزاعات القومية التي تدعو لها، والخراب الفكري والثقافي الذي تزخر به، ومحاربتها كذلك للغة والدين.

## ٣- في التنظيم الاجتماعي :

وتحدث فيه رحمه الله عن قضية الاختلاط ومن وراءها، والأفكار التي يرددونها والحجج الواهية التي يعتمدون عليها ورد عليها جميعها من الناحية الشرعية والعلمية والواقعية، وركز على أن شريعة الله تعالى وتنظيمها لحياة الناس أولى وأعظم وأعمق من آراء الناس وترهاتهم الساقطة.

ثم تحدث رحمه الله عن الجنس الثالث، وهن النساء المترجلات المزاحمات للرجال في كل مكان، وتوسع في الحديث عن المرأة وقضاياها المعاصرة ورد على مغالطات دعاة حقوق المرأة، وناقشهم نقاشاً قوياً سد به عليهم جميع المنافذ التي حاولوا الدخول منها إلى دين الأمة وهدمه.

## ٤- في جامعة الدول العربية :

تحدث رحمه الله في هذا القسم عن جامعة الدول العربية، وأنها الحصن الذي يسهر على حقيقة من أخطر حقائق وطنيتنا وهي العروبة،

واستعرض برنامجها الثقافي، وبين ما فيه من انحراف يهدف إلى زعزعة الأصول العظيمة من الدين، بدليل اختياره لعدد من المقالات والكتب العربية وغير العربية من المترجمة، وفي هذه الكتب والمقالات مزاعم وأغاليط وسموم ناقعة، ما كان لجامعة الدول العربية أن تنشرها أو تعرف بها وبأصحابها، وقد قدم رحمه الله نماذج وأمثلة لهذه الكتب، وبعض ما تحويه من زيغ وانحراف. ثم تحدث عن المؤتمرات التي نظمت بالتعاون مع الهيئات الثقافية الدولية حيث كان من أسوأ نتائجها محاربة اللغة العربية ومحاولة مسخها، وإنشاء لغة جديدة تعتمد على تطوير اللغة العربية لاستخدامها كلغة للعلم، مع إنشاء لغة للتعامل اليومي، ولا يخفى على عاقل ذكي، أن هذا كله عبارة عن سعي حثيث للحيلولة بين المسلمين ولغتهم.

#### ٥- في مناهج اللغة والدين :

وهو فصل متمم لما جاء في آخر الفصل الماضي، حيث تحدث فيه عن المحاولات العملية لتخريب اللغة العربية، وإفساد الدين من خلال المناهج التعليمية، وهي مرحلة تعنى أن الأعداء قد وصلوا إلى مرحلة العمل الفعلي وبدؤوا في إفساد الناشئة بما تيسر لهم من وسائل وبما استحدثوه من طرق، فخلطوا البنين والبنات، وغيروا المناهج والدروس وأفسدوا الخلق والدين. ثم تحدث عن تغلغلهم في الجامعة وأساليب تخريبهم التي اعتمدت على التطوير والتجديد في الكليات، وتغيير مناهجها وإنشاء أقسام جديدة، لا تمت للدين بصلة ولا تحتاجها الأمة أصلاً.

ثم استعرض رحمه الله ما يسمونه بتطوير الدراسات اللغوية وانتهازهم الفرص لتحقيق هدفهم الأكبر، وهو هدم اللغة ومهاجمة الفصحى واستبدالها بغيرها.



ثم تحدث عن نموذج من بحوث الدراسات العليا في الجامعة وهو بحث في القراءات، خرج عن الدين والأصول والقواعد، ومع ذلك منحت صاحبته تقدير جيد جداً على جهدها المشكور في هدم عقيدة المسلمين في قرآنهم.

### ثالثاً : الإسلام والحضارة الغربية :

هذا الكتاب يعتبر هو (الحلقة الأخيرة من صلوات الشرق والغرب التي جرت أحداثها خلال القرنين الأخيرين في جانبها الثقافي وفي أثرها في الإسلام بصفة خاصة)<sup>(١)</sup>.

ويشتمل هذا الكتاب على تسعة فصول كالتالي :

#### الفصل الأول : وهو بعنوان (البذور الأولى)

وتحدث في هذا الفصل عن البدايات الأولى للصراع الفكري والحضاري بين المسلمين والغرب، ثم محاولات الامتزاج والتلاقي بين الحضارتين، ورواد هذا الاتجاه وكيفية تأثرهم بالحضارة الغربية وتأقلمهم معها ودعوتهم إليها، مستعرضاً العديد من الأمثلة التي وردت في كتبهم معبرة عن انبهارهم الشديد بحضارة الغرب ونظمه المختلفة.

#### الفصل الثاني : (التغريب)

وتحدث رحمه الله في هذا الفصل عن استفحال الاستعمار الغربي وتسلطه على أكثر البلاد الإسلامية، ثم بين أهداف الاستعمار والوسائل المستخدمة لتحقيق تلك الأهداف، والأدوار المشبوهة لبعض نصارى الشام وبعض الزعامات المصنوعة على عين الغرب، والخدمات الكبيرة التي قدموها للاستعمار.

(١) الإسلام والحضارة الغربية، د. محمد محمد حسين، ص ٨، ط ٩، ١٤١٣هـ، دار الرسالة، مكة المكرمة.

### الفصل الثالث : (الأفغاني<sup>(١)</sup> ومحمد عبده)

وفي هذا الفصل تحدث عن الأفغاني ومحمد عبده وأنشطتهما المختلفة، واستعرض آراء كثير من المعاصرين حولهما، والأفكار التي نسبت إليهما، ومن كان وراءهما، وخلص إلي أنهما شخصيتين مشبوهتين لهما أهدافهما الغامضة.

### الفصل الرابع : (التغريب في دراسات المستشرقين)

وقد تكرر هذا العنوان في الفصل الخامس والسادس وإن كان كل فصل له موضوعاته المستقلة، حيث يجمع بينهما الحديث عن عملية التغريب من خلال دراسات المستشرقين، وقد تركز الحديث في هذا الفصل عن (الشرق الأدنى-مجتمعه-ثقافته) وأعطى نبذة عن اهتمام المستشرقين بالمجتمعات الإسلامية الحديثة ودراستهم لها، مع غفلة المسلمين في نفس الوقت عن دراسة المجتمعات الغربية الحديثة التي كانت ولا تزال أساساً للتخطيط السياسي.

ثم تحدث رحمه الله عن كتاب (الشرق الأدنى) والذي يجمع ما ألقى في مؤتمر عقد سنة ١٩٤٧م بجامعة برنستون، وقام بتقسيم بحوث المؤتمر إلى قسمين، قسم يعالج الآداب والفنون في المنطقة عبر التاريخ، وقسم يعالج المشاكل المعاصرة لشعوب المنطقة، وبين أهداف المؤتمر والأساليب المستخدمة لتحقيق تلك الأهداف، ثم تحدث عن الدعوات الفكرية المنحرفة التي يغذيها الغربيون للوصول إلى أهدافهم الخبيثة.

### الفصل الخامس :

وقد تحدث فيه عن (الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة) وذلك من خلال كتاب نشرته إحدى المؤسسات الأمريكية ويشتمل على ما ألقى في المؤتمر الذي

(١) انظر الباب الرابع، الفصل الثالث.

عقد عام ١٩٥٣م في نفس الجامعة السابقة، حيث بين رحمه الله تعالى طبيعة المشاركة في المؤتمر وتوجهات المشاركين وانتماءاتهم المختلفة، وبين أيضاً الأهداف والوسائل والأدوات التي طرحت في المؤتمر، وكشف خباياها ونقدها على طريقته المعروفة في الكتابة والتأليف.

### الفصل السادس :

وتحدث فيه عن (الإسلام في العصر الحديث) وهو عنوان لكتاب ألفه المستشرق الكندي (ولفرد كانتول سميث)<sup>(١)</sup> وتحدث فيه عن الإسلام بدون حق أو إنصاف ويهدف الكتاب إلى تفتيت الإسلام، وتأمين مصالح الغرب، وإن كان الظاهر منه، أنه دراسة علمية اعتمدت على الرحلة والمشاهدة الدقيقة، وقد كشف الدكتور محمد رحمه الله تعالى عن الجهة الممولة لرحلة المؤلف والجهة الناشرة للكتاب وتاريخها مع الإسلام وعداوتها له.

ثم ذكر الدكتور محمد رحمه الله تعالى مواقف الكاتب من الكثير من المفاهيم الإسلامية أو مواقفه مع أذعياء التحرر من المنحرفين المحسوبين على المسلمين، وكيف دافع عنهم وعن أفكارهم، وأنهم هم الذين سوف يسلكون بالمسلمين طريق التطور المقبلين عليه.

كما أنه تحدث عن وسائل الكتاب في خلخلة المبادئ الإسلامية ونشر الأفكار المنحرفة عن أسلوب التحرر وطريقة التطوير التي تنتظر المسلمين ليبدأوا بها في تطوير دينهم وحياتهم.

### الفصل السابع : (من آثار التغريب)

وكسابقه من الفصول فقد تكرر هذا العنوان في الفصلين الثامن والتاسع

---

(١) ولفرد كانتول سميث، مدير معهد الدراسات الإسلامية بكندا، وأستاذ الدين المقارن بها، حصل على الدكتوراة من جامعة برنستون عام ١٩٤٨م، الإسلام والحضارة الغربية، د. محمد حسين، ص ١٦٥

وتحدث فيهما عن آثار التغريب في واقع الأمة الإسلامية، وقد بدأها في الفصل السابع بالحديث عن الإسلام وموقفه من العالمية كدعوة هدامة تعارض سنة من سنن الله سبحانه وتعالى في الأرض وهي الصراع والتدافع بين الحق والباطل، ثم بين رحمه الله النظرة الشرعية لمثل هذه الدعوات الهدامة، كما بين تطبيقاتها الواسعة في نواحي الحياة وأنشطتها المختلفة، ثم علاقات تلك الدعوة بغيرها من الدعوات الباطلة، ثم بعد ذلك تحدث عن الفرق بين الإسلام وغيره من الأديان ونظرة الإسلام إلى العالمية بمعناها الصحيح.

### الفصل الثامن :

وتحدث فيه عن الإسلام والقومية العربية، مستعرضاً تعريفها واستحداثها في العصر الحديث، كما تحدث عن نشأة القومية العربية والخلاف في تصور مدلولها واستنكر التفريق بين العروبة والإسلام، وتحدث عن الرعيل الأول من دعاة هذه الدعوة المنكرة، وأسباب هذه الدعوة والظروف التي أحاطت بنشأتها والمفاهيم الملتبسة التي أدت إلى الاختلاف فيها بدلاً من الإجماع على ردها، وكذلك بين تمتعها بحصانات أجنبية ساعدت في ظهورها.

### الفصل التاسع :

وتحدث فيه عن القومية العربية والأدب العربي وتميزه بطابعه الخاص، ورد على بعض العيوب المزعومة فيه، ثم وضَّح حوار الدعوات المنحرفة التي تهتم بالأدب الشعبي والفنون الشعبية، كما تحدث عن محاربة الأدب العربي في مناهج الدراسة وإهماله ومحاولة الفصل بينه وبين الإسلام، ثم تطرق لنماذج رائعة من الأدب العربي في أغراض شتى وبين جمالها وقدرتها على التصوير وتحقيق الأغراض المنشودة فيها.

## رابعاً : الروحية الحديثة :

تحدث فيه رحمه الله عن أساليب الهدامين التي تتنوع وتختلف باختلاف العصور، وذكر إحدى وسائلهم الحديثة ألا وهي العلم واستغلاله في نشر أباطيلهم وتحديث عن نماذج مختلفة من تهريجهم وخرافاتهم، ثم تكلم عن ادعاء الروحية الحديثة اتخاذ المنهج التجريبي في تجاربها المختلفة، كما تحدث فيه عن بداية دخول الروحية لمصر، و عن تجربته الشخصية مع الروحية، وذكر الوسائل التي تستخدم في عملية الاستحضار .

كما أنه تحدث عن قيمة الروحية من الناحية العلمية، مستعرضاً كلام علماء الطبيعة والطب الذين اشتغلوا بالروحية، وتحدث أيضاً عن السحر والروحية، والمس الروحي ومعالجة أرواح المجرمين والاستعانة بها في كشف الجرائم .

ثم تحدث عن الروحية كدين جديد وعلاقتها بالمنظمات الدولية وأساليب الاستدراج، وتحدث أيضاً عن علاقة الروحانيين بالشيوعية والصهيونية والفراعنة والهنود الحمر، ثم تحدث عن الروحية وعداوتها لرجال الدين وعلمائه، وختم بالحديث عن هدم الروحية للخلق والمبادئ والمثل .

## خامساً : أزمة العصر :

هو عبارة عن تلخيص لما سبق كتابته في كتابه (الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر) حيث يقول في مقدمة الكتاب : (حين صدر كتاب الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر أشار علي جماعة من الأصدقاء أن أخصه في مختصر يقربه من غير المتخصصين وكنت مقتنعاً بما أشاروا به . . . .

ثم إن إحدى الإذاعات العربية دعني منذ عام إلى أن أعد لها ثلاثين حديثاً تدور حول القضايا الأدبية البارزة وموقف الإسلام منها، مدة كل حديث منها

في حدود عشر دقائق، فرأيت فيما دعنتني إليه فرصة مواتية لتحقيق المشروع القديم<sup>(١)</sup>.

كما أنه تخير بعضاً من الموضوعات المختلفة من كتبه الأخرى حيث يقول: (وقد ساقني القلم في أثناء إعداد هذه الحلقات الثلاثين إلى موضوعات تناولتها من قبل في كتب أخرى غير (الاتجاهات الوطنية)، مثل (حصوننا مهددة) و(الإسلام والحضارة الغربية) و(الروحية الحديثة)، ولم يخل الأمر من إضافات هنا وهناك، مما لا بد أن تعنّ للكاتب حين يعيد عرض بعض أفكاره)<sup>(٢)</sup>.

---

(١) أزمة العصر، د. محمد محمد حسين، ص ٧، ١٣٩٩ هـ، دار عكاظ للطباعة والنشر، جدة.

## ملخص الباب الأول

### الفصل الأول

- يبدو واضحاً وجلياً الملامح المختلفة والسيئة التي كانت تطبع عصر الدكتور محمد حسين رحمه الله ، ويمكن أن أجمل تلك الملامح في الآتي :
- \* سقوط الخلافة العثمانية وفراغ الساحة السياسية وتعدد الاتجاهات والأطماع لملء ذلك الفراغ .
  - \* ظهور قيادات جديدة ومجهولة ، واستيلاؤها على مقاليد الحكم بطرق ووسائل مختلفة بمساعدات استعمارية واضحة .
  - \* تنحية النظام الإسلامي وتعطيله تماماً ، وظهور نظم جديدة مخالفة .
  - \* انتشار الأفكار الصوفية وسيطرتها على المجتمع بمفاهيمها الانعزالية وأساليبها العقيمة .
  - \* غلبة الاكتفاء بالإيمان القلبي الذي أدي إلى انهيار القيم والأخلاق والمثل ، وسيادته على ما عداه ، وإخراج الأعمال من كل ما يتعلق بالإيمان .
  - \* الفساد الاجتماعي في كل جوانب ومناحي المجتمع تقريباً .
  - \* ظهور الشريحة المستغربة واستخدام كل الوسائل في إخراج المجتمع من طبيعته وخصائصه وتوجيهه إلى الوجهة الغربية .
  - \* ظهور بعض المذاهب الفكرية الضالة وانتشارها في المجتمع .
  - \* ظهور الصراع بين تيار الإصلاح المحافظ وتيار التغريب الداعي إلى السير في ركاب الغرب وحضارته بكل أشكالها وألوانها .

## الفصل الثاني

يمكن أن نجمل أهم ملامح حياة الدكتور محمد محمد حسين رحمه الله في الآتي :

- \* التفوق والنبوغ الدراسي الواضح والمميز .
- \* القاعدة الطلابية العريضة التي التقى بها في أكثر من بلد عربي والتعرف على الأجواء المختلفة لكل بلد درّس فيها .
- \* السمات الشخصية الفريدة ، والتي تميز بها عن غيره مثل الفطرة السليمة والقوة في الحق والجدية في العمل والصبر على المواجهات مع هيبة ووقار تفرض نفسها علي من يتعامل معه ، إضافة إلى صفة العدل والإنصاف في الحكم على الوقائع والأشخاص .
- \* الانتقال بين مراحل فكرية وثقافية مختلفة انتهت باختيار المنهج الحق والطريق القويم الواضح .
- \* الثقافة الشمولية والموسوعية ، والتي تعتمد على مزج التراث القديم بمستجدات ثقافة العصر مع توجه ديني وإيماني عميق .
- \* الفكرة الواضحة والرأي البين الذي لا عوج فيه ولا اهتزاز .
- \* القوة في الحق وعدم المجاملة والحرارة في الطرح والمناقشة .
- \* الأسلوب الجميل والعرض الأخاذ المقنع والنقاش المنطقي العقلي المؤيد بالأدلة الشرعية .
- \* البحث العميق والتحليل الرائع لأحداث العصر ووقائع الأيام ، مع القدرة على الربط بين كل تلك الأحداث والوقائع .
- \* الوصول إلى ما وراء الكثير من الأحداث وكشف المستور الذي يخفى على كثير من الناس ، وفضح المؤامرات وكشفها أمام الناس جميعاً .
- \* القدرة على التلخيص وتصوير الموضوع بوضوح تام دون الإخلال بأي جزء من أجزاء الموضوع محل البحث .



**الباب الثاني**  
**موقفه من الانحرافات**  
**العقدية والتشريعية**

## الفصل الأول

موقفه من الانحرافات العقدية

## الفصل الثاني

موقفه من الانحرافات التشريعية

# الفصل الأول

## موقفه من الانحرافات العقدية

تمهيد

المبحث الأول : الحصرية

المبحث الثاني : الدين

المبحث الثالث : القرآن الكريم

## تمهيد

لا شك أن أخطر ما يواجه أمة من الأمم هو الطعن في الأصول التي تقوم عليها تلك الأمة، والشرائع التي تحكمها لأن مجرد الشك في تلك الأصول أو الشرائع واهتزازها في عقول ونفوس معتنقيها يعني سقوطها السريع وانهيارها المدوي وبالتالي ضياع تلك الأمة وفقدانها لشخصيتها المميزة وطبيعتها المستقلة.

وأمتنا الإسلامية واجهت حرباً ضروساً من هذا النوع الخطير عبر تاريخها الطويل مما أثر عليها كثيراً وجعلها عرضة للانهيار أكثر من مرة، ولكن رحمة الله تعالى تتداركها بالمصلحين في كل عصر ومحنة.

وعصرنا الحاضر شهد غزواً فكرياً رهيباً عبر مجالات عدة وطرق شتى، مما جعل المخلصين من أبناء الأمة يندفعون لمواجهة هذا الخلل العقدي الخطير وإيقافه بل وردة على أعقابه خاسئاً حسيراً.

ومن بين أولئك المخلصين الصادقين انبرى الدكتور محمد حسين يرحمه الله لمواجهة هذا اللون الهدام، فتحدث في بعض كتبه عن تلك السموم المدسوسة في عسل الغرب وحضارته وثقافته فوقف يرحمه الله موقف الحارس الأمين، والابن البار لهذا الدين العظيم وبين بعض مظاهر الطعن في عقيدة الأمة وأصولها الثابتة وشرائعها الحكيمة، منطلقاً من أن العقيدة هي السياج الحصين والباب المتين لهذا الدين وباختراق السور أو كسر الباب فإن الساحة ستعج بالصائلين الجائلين وكل يدعو لنفسه ويغني ليلاه كأحسن ما يكون الدعاء وأعذب ما يكون الغناء، والناس عموماً يخفون للمظاهر الخلافة

والأصوات الحسنة ولا يحبون التريث والتثبوت، بل ولا يحبون الاستماع لصوت العقل في نفوسهم أو في نفوس من حولهم، وهكذا يسقطون سراعاً في حفر الأعداء وهم لا يشعرون فالسياج الحصين الذي كان يحميهم سقط وداسته الأقدام.

من أجل ذلك كان حريصاً رحمه الله على توضيح الأمور ووضع النقاط على الحروف، وقبل أن أدخل في بيان المواضع التي ذكرها فيما يتعلق بالانحرافات العقدية أو التشريعية أود أولاً أن أتحدث باختصار شديد عن معنى كلمة الانحراف حتى تتضح لنا الصورة تماماً، ونستطيع الحكم على تلك المواضع حكماً صحيحاً خاصة والأمر يتعلق بانحرافات عقدية أو تشريعية وهما من الخطورة بمكان.

سأتناول بإذن الله تعالى في الفصل الأول الجوانب العقدية التي تعرض لها الدكتور محمد حسين رحمه الله حيث بين موقفه من الأبعاد المختلفة للهجوم على بعض القضايا العقدية للوصول إلى غايات محزنة وهي التطاول على مقدسات الأمة وأصولها التي تحدد وجودها واستمرارها.

فبدأت تلك المواجهات من خلال بعض المسموح به أحياناً، مثل حرية الرأي والتعبير عن القناعات المختلفة، للوصول إلى التعبير من منطلق حرية الرأي، إلى القول بأن الدين رهبانية مبتدعة وتأخر وخرافة، ومن ثم الوصول إلى التطاول على دستور الأمة العظيم وكتابها الخالد، لذا تنبه لذلك رحمه الله وكتب عن تلك القضايا وبين كما ذكرت سابقاً موقفه منها.

كما سأتناول في هذا الباب في الفصل الثاني الجوانب التشريعية التي تعرضت للطعن والدس من قبل أعداء الأمة حيث بين الدكتور رحمه الله

موقفه مما يسمي بالقوانين الغربية وتطبيقها على المجتمعات الإسلامية ، وذكر رحمه الله التسلسل التاريخي تقريباً لمثل هذه الدعوات وما صاحبها من شعارات ، كدراسة الفقه الإسلامي في ضوء القانون المقارن وتطوير الفقه الإسلامي وإخراجه من جموده في عصور الانحطاط وغير ذلك من الدعوات الضالة .

وسأبدأ إن شاء الله بتعريف معنى الانحراف في اللغة والاصطلاح ، وكذلك التعريف بمعني العقيدة والشريعة في اللغة والاصطلاح أيضاً للدخول إلى هذا الباب بمفهوم واضح عما سأتناوله إن شاء الله من بحث ومناقشة .

### أولاً : الانحراف :

لغة : (حَرَفَ) عنه حرفاً : مال وعدل . حرف الشيء : أماله . يقال حَرَفَ القلم : قطه محرفاً والكلام غيرهً وصرفه عن معانية ، وفي التنزيل العزيز ﴿يَحْرِفُونَ الكلم عن مواضعه﴾ (المائدة : ١٣) .

(انحرف) : مال ، ويقال : انحرف مزاجه ، مال عن الاعتدال<sup>(١)</sup> .

و(انحرف) عن كذا مال عنه ، ويقال المحارف الذي حورف كسبه فميل به عنه كتحريف الكلام يعدل به عن جهته وقوله تعالى : ﴿إلامتحرفاً لقتال﴾ (الأنفال : ١٦) أي مائلاً لأجل القتال<sup>(٢)</sup> .

أما اصطلاحاً : فهو بمفهومه العام الميل عن الاعتدال والخروج عن الصواب والحق إلى الباطل والضلال ، يقول ابن كثير - رحمه الله - عند تفسير قوله تعالى : ﴿يَحْرِفُونَ الكلم عن مواضعه﴾ : (أي فسدت فهمهم وساء تصرفهم

(١) المعجم الوسيط ، د . إبراهيم أنيس ورفاقه ، ج ١ ، ص ١٦٧ ، ط ٢ ، بدون دار طباعة .

(٢) المصباح المنير ، أحمد بن محمد الفيومي المقرئ ، ص ٥٠ ، بدون طبعه ، مكتبة لبنان ، ١٩٨٧ م .

في آيات الله، وتأولوا كتابه على غير ما أنزله، وحملوه على غير مراده، وقالوا عليه ما لم يقل<sup>(١)</sup>.

### ثانياً : العقيدة :

لغة: (عقدت الحبل عقداً من باب ضرب فانعقد والعقدة ما يمسكه ويوثقه، ومنه قيل عقدت البيع ونحوه وعقدت اليمين وعقدتها بالتشديد تؤكدوا اعتقدت كذا عقدت عليه القلب والضمير حتى قيل العقيدة ما يدين الإنسان به)<sup>(٢)</sup>.

وجاء في المعجم الوسيط (اعتقد الشيء : اشتد وصلب يقال اعتقد الإخاء بينهما : صدق وثبت واعتقد فلان الأمر : صدقه وعقد عليه قلبه وضميره، والعقيدة الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده)<sup>(٣)</sup>.

وقال في شرح العقيدة الواسطية : (الاعتقاد مصدر اعتقد كذا إذا اتخذته عقيدة له، بمعنى عقد عليه الضمير والقلب ودان لله به، وأصله من عقد الحبل، ثم استعمل في التصميم والاعتقاد الجازم)<sup>(٤)</sup>.

وخلاصة القول أنها (في اللغة تطلق ويراد بها: ١ - العزم المؤكد . ٢ - الجمع . ٣ - النية . ٤ - التوثيق للعقود . ٥ - ما يدين به الإنسان سواء كان حقاً أو باطلاً)<sup>(٥)</sup>.

(١) تفسير القرآن العظيم، أبي الفداء إسماعيل بن كثير، كتب هوامشه وضبطه حسين زهران، ج ٢، ص ٥٤، ط ١، ١٤٠٦هـ، دار الكتب العلمية بيروت.

(٢) المصباح المنير، أحمد بن محمد علي الفيومي، ص ١٦٠.

(٣) المعجم الوسيط، د. إبراهيم أنيس ورفاقه، ج ٢، ص ٦١٤.

(٤) شرح العقيدة الواسطية، محمد خليل هراس، ص ١٦، ط بدون، ١٤٠٣هـ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض .

(٥) المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، على مذهب أهل السنة والجماعة، د. إبراهيم البريكاني، ص ٨، بدون طبعة، ١٤١٣هـ، دار السنة، الخبر .

اصطلاحاً : يمكن أن نعرفها بأنها (العلم بالأحكام الشرعية العقدية المكتسب من الأدلة اليقينية ورد الشبهات وقوادح الأدلة الخلافية)<sup>(١)</sup> .  
والمقصود بهذا التعريف (العلم الذي هو إدراك الشيء على ما هو عليه بما دلت عليه النصوص من قواعد عقدية ومبادئ كلية تعتمد على الدليل اليقيني مع دفع الشبهات بما يبين بطلانها من خلال الحس أو العقل أو النقل أو الفطرة، وكذلك رد القوادح المفسدة للدليل بما سبق)<sup>(٢)</sup> .

### ثالثاً : الشريعة :

لغة : (الشرعة بالكسر: الدين والشرع والشريعة مثله، مأخوذ من الشريعة وهي مورد الناس للاستقاء سميت بذلك لوضوحها وظهورها، وجمعها شرائع، وشرع الله لنا كذا، يشرعه أظهره وأوضحه، والمشرعة بفتح الميم والرء شريعة الماء. قال الأزهري ولا تسميها العرب مشرعة حتى يكون الماء عدلاً لا انقطاع له كماء الأنهار، ويكون ظاهراً معيناً ولا يستقى منه برشاء)<sup>(٣)</sup> .  
وجاء أيضاً في مختار الصحاح شرع (الشريعة مشرعة الماء وهي مورد الشاربة، والشريعة أيضاً ما شرع الله لعباده من الدين)<sup>(٤)</sup> .  
وواضح من خلال التعاريف السابقة دقة إطلاق هذه الكلمة على الشريعة بمعناها الاصطلاحي، أي مجموع ما ورد عن الأنبياء من طريقة معينة ومحددة لعبادة الله عز وجل أو للفصل فيما يحدث بين الناس من قضايا .

(١) المرجع السابق : ص ٩ .

(٢) المرجع السابق، ص ٩-١٠ .

(٣) المصباح المنير، أحمد بن محمد الفيومي، ص ١١٨ .

(٤) مختار الصحاح، محمد أبوبكر الرازي، ص ٣٣٥، ١٤٠٥ هـ، مؤسسة علوم القرآن، دار القبلة للثقافة الإسلامية .



في الشريعة الإسلامية بالذات كالماء الذي لا ينقطع فهو دائم التدفق،  
والنوع يروى الوارد عليه فلا يحوجه للذهاب إلى مكان آخر أبداً، كما أنه جارٍ  
لا يركد فيصبح نتناً أو آسناً، وهذا هو حال شريعة الإسلام الكاملة .  
ويؤكد على هذا ما جاء في مختار الصحاح من أن ( الشارع : الطريق  
الأعظم )<sup>(١)</sup> .

ويقول القرطبي في هذا المعنى : ( شرع : نهج وأوضح وبين المسالك ، وقد  
شرع لهم شرعاً أي سن )<sup>(٢)</sup> .

ومن كل ما سبق يتضح أن المعنى اللغوي بالنسبة للفظ الشريعة يكاد ينطق  
بوضوح هذه الشريعة وبيانها وقدرتها على كفاية الوارد عليها وإغنائها عن  
غيرها .

اصطلاحاً :

فقد وردت معان كثيرة تدور حول الآتي :

التوحيد : قال تعالى : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي  
أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا  
فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من  
ينيب ﴾ (الشورى : ١٣) .

الفروع : قال تعالى : ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله  
لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله  
مرجعكم جميعاً فإني بئسكم بما كنتم فيه تختلفون ﴾ (المائدة : ٤٨) .

(١) المرجع السابق ص ٣٣٥ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، ج ٨، ص ٨، ط ١، ١٤٠٨هـ، دار الكتب العلمية -  
بيروت، لبنان .

الأصول والفروع : قال تعالى : ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون﴾ (الجاثية : ١٨) .

من خلال ما تقدم يتضح أن المعنى الذي أقصده في هذا الفصل هو المعنى الثاني ، حيث إن الدكتور محمد حسين -رحمه الله- تصدى للرد على المشككين في الشريعة وقدرتها على معايشة الزمان والمكان وكذلك تصدى لدعاة تطويرها ومسسخها عن شخصيتها المتميزة وأود أن أقول أن الكاتب تصدى أيضاً للعابثين بأصول الدين وحقائقه العظمى ، وكان يمكن أن أختار المعنى الثالث ، ولكنني فضلت الثاني على اعتبار التفصيل في الموضوع وإيفاء كل جانب حقه من البحث ، وكذلك لمنع اللبس عند المطلع للوهلة الأولى على البحث ، حيث جرى بين الناس العرف على أن الشريعة يقصد بها مجمل الفروع والأحكام .

وقد استخدم هذا المعنى الإمام ابن كثير -رحمه الله- حيث قال بعد أن ذكر أن الأنبياء متفقون في التوحيد (وأما الشرائع مختلفة في الأوامر والنواهي فقد يكون الشيء في هذه الشريعة حراماً ، ثم يحل في الشريعة الأخرى وبالعكس ، وخفيفاً فيزداد في الشدة في هذه دون هذه ، وذلك لما له تعالى في ذلك من الحكمة البالغة والحجة الدامغة) (١) .

ومن جميل ما قيل في التناسب بين المعنى اللغوي والاصطلاحي : ( أن الشريعة لا ينقطع عطاؤها ، كالماء العذ ، ولا يزال المجتهدون يجدون فيها حكماً لكل حادثة ، كما أنها الطريقة العظيمة الموصلة للحياة الطيبة الجامعة بين مصالح الناس على التمام والكمال في الدنيا والآخرة ، وكذلك من معانيها

(١) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ج ٢ ، ص ١٠٦ - ١٠٧ .

في اللغة الابتداء، وهذا يناسب الشريعة فإن الله سبحانه هو الذي ابتدأها،  
ولذلك نعتبر استخراج الأحكام استنباطاً وليس تشريعاً<sup>(١)</sup>.

---

(١) الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية، د.عابد السفياني، ص ٥٥-٥٦، بتصرف، ط ١، ١٤٠٨هـ،  
مكتبة المعارف، مكة المكرمة .

## المبحث الأول

### الحرية

تحت تأثير كثير من المبادئ العامة والشعارات الفضفاضة تغيرت طرائق التفكير وتبدلت أحوال الناس وغزت المجتمعات مفاهيم ظاهرها الرحمة وباطنها من قبله العذاب، حيث سببت كثيراً من الفوضى والاضطراب، ومن تلك المفاهيم والشعارات الخادعة ما يصوره الدكتور محمد حسين -رحمه الله- بقوله: (كان من أبرز وجوه أزمة العصر، وما أصاب الشباب فيها من تمزق نفسي واضطراب فكري وسلوكي، دعوات تستتر تحت اسم محجب إلى الشباب هو (الحرية) وكانت هذه الدعوة ذات شعب كثيرة متعددة، تشمل حرية الفرد في أن يفعل ما يشاء، دون أن أن يكون للقانون دينياً كان أو وضعياً- سلطان عليه، لأن أصحاب هذه الدعاوى لا يرون للدولة حقاً في أن تفرض على الناس أي التزام ديني أو فكري أو خلقي .

وأكثر الدعاة الأولين الذين تأثروا بهذه الدعوة وروجوها بين المسلمين قد تأثروا بها عن طريق كتاب الثورة الفرنسية ومفكرها، ولكن أكثر الذين خدعوا بها وتمسوا لها لم يدركوا أغوراها البعيدة، وما تنطوي عليه من مخاطر ومفاسد.

لم يدرك هؤلاء من الحرية إلا الجانب الذي يحقق للناس أنواعاً من الضمانات التي تحجبهم من التعسف والاستبداد والقهر، وتمنحهم الحق في أن ينقدوا الخطأ والظلم، دون أن يرهبهم خوف الأذى في أنفسهم أو في أموالهم

من جراء هذا النقد.

ولكنهم لم يفهموا من الحرية معناها الواسع الذي عنته الثورة الفرنسية وهي ثورة لا دينية، بل هي ثورة معادية للدين، وإصبع الماسونية وأثر الصهيونية العالمية فيها واضح مشهور، لم يفهموا الحرية في ذلك المعنى اللاديني الواسع، الذي يشمل حماية القانون لكل الأعمال والأقوال التي تهز القيم الدينية والأعراف الاجتماعية، وتجاهر بمخالفتها وتسفيهاها، والتي تنشر الفوضى وتفرق الجماعة، بالتشكيك فيما يلتقي عليه الناس من عقائد وقيم<sup>(١)</sup>.

فالحرية في ظاهرها كلمة براقية تسلب العقول والألباب وينبهر بها الناس وتصبح غاية مناهم ومنتهى أملهم، لما فيها من تحقيق مطالبهم ورفع المظالم عنهم، ولكنها تنتهي إلى (نبد الدين وتسفيه رجاله والخروج عن جذوره)<sup>(٢)</sup>. ويؤكد الدكتور محمد - رحمه الله - أن هذه الحرية في معناها الخطير الذي يهدف إليه الأعداء بما نقله عن بروتوكولات حكماء صهيون في البروتوكول الرابع: (إن لفظ الحرية تجعل المجتمع في صراع مع جميع القوى، بل مع قوة الطبيعة وقوة الله نفسها)<sup>(٣)</sup>.

ثم يذكر بعد ذلك مثلاً على الهدم الذي يراد من وراء كلمة الحرية فيستشهد بمقال نشر بمجلة (الهلال) سنة ١٩٢٤م تحت عنوان (حرية الفكر). يقول أميل زيدان: [(إن الناس واهمون حين يتخيلون أنهم أحرار في

(١) أزمة العصر، د. محمد حسين، ص ١١٥-١١٦.

(٢) المرجع السابق، ص ١١٦.

(٣) المرجع السابق، ص ١١٦.

تفكيرهم . فهم يخضعون عن وعي أحياناً، وعن غير وعي في كثير من الأحيان، لقيود ثلاثة، وهي قيود الوراثة، وقيود البيئة بكل ما فيها من عقائد وعادات ونظم وقوانين، وقيود النفس بما فيها من ميول وعواطف وما لها من مصالح، ويبنى الكاتب على ذلك أننا لا نفكر لنصل إلى رأي أو عقيدة، ولكننا في الواقع نعتقد أولاً، ثم نحاول بتفكيرنا أن نبرر هذه العقائد .

وهو يدعو الناس إلى أن يحرروا أنفسهم ثم يعتقدوا (فكل الأنبياء والمصلحين كانوا أحرار الذهن معتقي الفكر، كل الأنبياء كانوا من أعداء القديم البالي، كل الأنبياء والمصلحين توردوا على النظم السارية والآراء الشائعة .

كل الأنبياء والمصلحين كانوا أعداء لأنفسهم، وقد كان أسهل عليهم أن لا ينددوا ولا يبشروا لو أنهم خافوا التحقير والإضطهاد وارتضوا مسaire الناس).

ولذلك فهو يدعو الناس لأن (ينظروا إلى الأشياء كما هي، لا كما رآها أسلافهم، ولا كما رآها من حولهم، ولا كما يرونها هم بمنظار ميولهم وعواطفهم ومصالحهم) وهو يدعوهم إلى أن يصطنعوا الجرأة في ذلك (فالشك معذب، ولكنه منج مطهر) ويختتم مقاله بقوله: (حرر فكرك واتبعه حيثما يذهب بك).

ومن أظهر ما يلاحظ على هذا المقال أن كاتبه يقرن الأنبياء فيه بالمصلحين، ويضعهم معهم على قدم المساواة، فالأنبياء عنده قوم قد حرروا أفكارهم ووصلوا للحقيقة بإدمان الفكر، وهنا موضع الخطر، فهو يجز القارئ من

حيث لا يدري إلى إنكار الوحي وإلى اعتبار الأنبياء فلاسفة ومفكرين، تخضع الديانات التي جاءوا بها للنقد والتعليل، وللتنقيح والتهذيب، بل هو يدعو الناس كل الناس إلى أن يسلكوا هذا الطريق الذي يزعم أنه النقطة التي بدأ منها الأنبياء وهي الشك في كل العقائد والآراء الشائعة المتداولة والموروثة ولتكن النتيجة بعد ذلك ما تكون<sup>(١)</sup>.

وقريب من تلك الافتراءات على أنبياء الله ورسله ما ذكره مؤلف كتاب (قصة الحضارة) (ول ديورانت) حين (يتساءل عن المسيح وهل وُجد حقاً أو يشكك في نسبه، وفي أنه ولد من عذراء، وينكر كل معجزاته فينسبها جميعاً إلى الكذب والتلفيق أو يردها إلى خداع الحواس والوهم ويتحدث سافراً عن فقرات من الإنجيل يرى أنها قاسية على الناس لا توائم ما كان يذكر عن المسيح من طيبة ورفق)<sup>(٢)</sup>.

ثم ينتقل للحديث عن النبي ﷺ قائلاً: [إن ذلك] (النبي كان ينشيء حكومة مدنية في المدينة، واضطر بحكم الظروف أن يخصص جزءاً متزايداً من وقته للمشاكل العملية المتصلة بالتنظيم الاجتماعي والأخلاقي والعلاقات السياسية بين القبائل)، ويقول: (وحتى شؤون الحياة العادية كانت أوامره فيها تعرض في بعض الأحيان كأنها موحى بها من عند الله، وكان اضطراره إلى تكييف هذه الوسيلة السامية، بحيث تتفق مع الشؤون الدنيوية، مما أفقد

(١) الاتجاهات الوطنية، د. محمد حسين، ج ٢، ص ٢٩٢-٢٩٣.

(٢) حصوننا مهددة من داخلها، د. محمد محمد حسين، (بتصرف) ص ١٥١.

أسلوبه بعض ما كان يتصف به من بلاغة وشاعرية، ولكن لعله كان يشعر بأنه بهذه التضحية القليلة جعل كل تشريعاته تصطبغ بالصبغة الدينية الرهيبة).

وهو في هذه المواضع كلها يتحدث عن النبي ﷺ حديثه عن أي مصلح سياسي تصدر دعوته عن حاجات عصره وتشكلها ظروفه، ومع ذلك فإن كلامه هذا قد يخدع ضعاف المسلمين وأغرارهم حين يرون الكاتب - وهو غير مسلم - يبدى ميلاً مصطنعاً إلى إنصاف نبي لا يدين هو بدينه، فهذا الكلام المشبع في ظاهره بروح المودة يخدع كثيراً من المسلمين فيقبلونه بقبول حسن، وينتهي بهم ذلك إلى اعتبار نبيهم واحداً من الزعماء والفلاسفة والمصلحين الذين يزخر بهم تاريخ الشرق والغرب في العصور القديمة والحديثة، فيخرجهم ذلك عن إسلامهم ولا شك، لأنهم لا يسلمون حتى يعتقدوا اعتقاداً خالصاً لا يدخله ريب أن نبوه محمد ﷺ كانت بوحي يلاحقه ويقوده ويصحح كل أعماله، ولست أبالغ ولا أدعى غير الحق حين أقول: إن هذه الروح اللادينية - مع شديد الأسف - قد أصبحت هي التي تسود دراسات التاريخ الإسلامي في أكثر جامعاتنا، وذلك شيء يلمسه كل من تخرج في كليات الآداب أو اتصل بها عن قرب، ومالي أذهب بعيداً وهذا هو محمد بدران مترجم هذا الجزء من قصة الحضارة يقدم هو نفسه الدليل على صدق ما أقول، حين يقرر في مقدمته أن المؤلف قد (أنصف الحضارة الإسلامية فأشاد بفضلها).

يقرر المترجم المسلم ذلك في سذاجة تبلغ حد الغفلة والبله، مع أن ذلك الصهيوني الخبيث لا يروى عن النبي ﷺ إلا الغرائب التي يخلعها من سياقها وظروفها حتى تبدو لغير الخبير بالتاريخ الإسلامي في صورة تثير السخط



وتدعو إلى الاشمئزاز، كالذي يصف المجرم وهو يساق إلى القتل ويعلق في  
الحبل، ويخفى ما اجترح من مفاسد وما أزهق من أرواح بريئة .

تجد ذلك في مثل كلامه عن قتله امرأة، وعن قتله شيخاً ناهز المائة لأنهما  
هجواه، وهو يسوق ذلك في أسلوب هادئ رزين كأنه يسوق خبراً من  
الأخبار العادية دون أن يعلق عليه أو يحتفل به، فلا يكاد القارئ المسلم يتتبعه  
إلى غرضه الخبيث الذي هو في حقيقة الأمر التشنيع بالنبي عليه الصلاة  
والسلام عند المخدوعين بما تزوره الصهيونية الهدامة من كلمات براقية، حين  
تدعو إلى (حرية الهدم) وإلى (حرية الإفساد) وتسمى ذلك (حرية الرأي)،  
وليوهم أنه - عليه الصلاة والسلام - لم يكن يرفع حرمة للنساء ولا  
للشيوخ، ومثل ذلك أيضاً قوله: (وَضُمْتُ صَفِيَّةَ<sup>(١)</sup>) وهي فتاة يهودية في  
السابعة عشرة من عمرها كانت مخطوبة لكنانة - إلى نساء النبي).

فمثل هذه الألغام التي يدسها الرجل في ثنايا سطوره تترك أسوأ الأثر في  
نفوس القراء من الغربيين ومن ضعاف الإيمان من المسلمين، والمتحلين منهم  
للحضارة الغربية، المتخلقين بها خاصة، شيخ جاوز الخمسين يتزوج فتاة في  
السابعة عشرة! وليس هذا فحسب، بل إنها كانت مخطوبة لرجل يهودي من  
بني جنسها فأضافها إلى نساءه العديداً! هل هذا تاريخ؟ أم إنه تشنيع في  
أخطر صورته، لأن صاحبه يتصنع الهدوء ويتظاهر بالاتزان والإنصاف،  
ويخدع الناس بمثل كلامه عن براعة النبي في القيادة وفي شؤون الحكم وفي  
التنظيم الاجتماعي .

---

(١) أم المؤمنين صفية بنت حيي بن اخطب، رضي الله عنها .

ومن أمثلة هذا الأسلوب الخبيث وصفه للنبي صلوات الله وسلامه عليه ، بأنه كان ( يعني بمظهره الشخصي ويقضي في تلك العناية كثيراً من الوقت ، فكان يتعطر ويكتحل ويصبغ شعره ويلبس خاتماً نقش عليه ( محمد رسول الله ) ، وربما كان الغرض من هذا الخاتم هو توقيع الوثائق والرسائل ، وكان صوته موسيقياً حلواً يأسر القلوب ، وكان مرهف الحس إلى أقصى حد ، لا يطبق الروائح الكريهة ولا صلصة الأجراس والأصوات العالية ، وكان قلقاً عصبي المزاج ، يُرى أحياناً كاسف البال ، ثم ينقلب فجأة مرحاً كثير الحديث ) فهذا الأسلوب المسموم في التصوير إنما يريد أن يصور النبي ﷺ في صورة المتصابي وفي صورة العصبي المزاج ، المريض الأعصاب ، المصاب بالصرع ، ويؤكد هذا الصهيوني الهدام تلك الصورة المفتراه بعد ذلك بقوله : ( وقد أعانه نشاطه وصحته على أداء واجبات الحب والحرب ، ولكنه أخذ يضعف حين بلغ التاسعة والخمسين من عمره ، وظن أن يهود خبير قد دسوا السم في اللحم قبل عام من ذلك الوقت ، فأصبح بعد ذلك الحين عرضة لحميات ونوبات غريبة ، وتقول عائشة ( رضی الله عنها ) : إنه كان يخرج من بيته في ظلام الليل ويزور القبور ويطلب المغفرة للأموات ، ويدعو الله لهم جهرة ، ويهنتهم على أنهم موتى ولما بلغ الثالثة والستين من عمره اشتدت عليه الحميات )<sup>(١)</sup> .

إن مثل هذا الكتاب وهذه الكتابات التي تترجم وتطبع وتنتشر في أوساط المسلمين سوف تعمل عملها في تدمير عقائدهم وإسقاط القدسية الكاملة عن الأصول الثابتة التي عاشت قروناً طويلة في وجدانهم ، لم يخب نورها ولا قداستها ولا تأثيرها ، ثم يأتي هذا الكاتب وأمثاله ليسقطوا كل ذلك بحجة

(١) حصوننا مهددة من داخلها ، د. محمد حسين ، ص ١٥٢ - ١٥٥ .

حرية الرأي والفكر والكتابة العلمية المنهجية، إن هذا ولا شك من سقط القول وفضول الكلام الذي لا اعتبار له ولا قيمة .

وقريب من ذلك الأسلوب والمنطق نرى كلاماً لطفه حسين يتحدث فيه عن المذهب الصحيح لدراسة الأدب والمتمثل في الجرأة والحرية الكاملة في نقد علوم الأقدمين دون النظر إلى أي أمر آخر مهما كان مقدساً أو مسلماً، يقول الدكتور محمد حسين أثناء عرضه لكلام طه حسين: [يقول المؤلف في أول كتابه إن الذي يدرس الأدب يجد نفسه أمام واحدٍ من منهجين، إما أن يقبل في الأدب وتاريخه ما قاله الأقدمون مطمئناً إليه، وإما أن يضع علم المتقدمين كله موضع البحث. ثم يقول: (والفرق بين هذين المذهبين في البحث عظيم، فهو الفرق بين الإيمان الذي يبعث على الاطمئنان والرضا، والشك الذي يبعث على القلق والاضطراب، ويتتهي في كثير من الأحيان إلى الإنكار والجحود).

ويقول: إنه قرر أن يأخذ بالطريق الأخير، طريق أنصار الجديد، (فقد خلق الله لهم عقولاً تجرد في الشك لذة وفي القلق والاضطراب رضاء، وهم لا يريدون أن يخطوا في تاريخ الأدب خطوة حتى يتبينوا موضعها، وسواء عليهم وافقوا القدماء وأنصار القديم، أم كان بينهم وبينهم أشد الخلاف) ثم يقول: (والنتائج اللازمة لهذا المذهب الذي يذهب المجددون عظيمة جليلة الخطر، فهي إلى الثورة الأدبية أقرب منها إلى أي شيء آخر فهم قد ينتهون إلى تغيير التاريخ، أو ما اتفق الناس على أنه تاريخ، وهم قد ينتهون إلى الشك في أشياء لم يكن يباح الشك فيها) (١).

(١) الاتجاهات الوطنية، د. محمد حسين، ج ٢، ص ٢٩٢-٢٩٣.

ثم يقول بعد ذلك : إنه اختار المنهج الذي من خلاله [ يتجرد الباحث من كل شيء كان يعلمه من قبل ، وأن يستقبل موضوع بحثه خالي الذهن مما قيل فيه خلواً تاماً ) ، ويقول : ( إن هذا المنهج الذي سخط عليه أنصار القديم في الدين والفلسفة يوم ظهر قد كان من أخصب المناهج وأقومها وأحسنها أثراً ) ويذهب في الجرأة الصريحة إلى أبعد من ذلك فيقول : ( نعم ! يجب حين نستقبل البحث عن الأدب العربي وتاريخه أن ننسى قوميتنا وكل مشخصاتنا ، وأن ننسى ديننا وكل ما يتصل به ، وأن ننس ما يضاد هذه القومية ، وما يضاد هذا الدين ، يجب أن لا نتقيد بشيء ولا ندعن لشيء إلا مناهج البحث العلمي الصحيح ، ذلك أنا إذا لم ننس قوميتنا وديننا وما يتصل بهما فسنضطر إلى المحاباة وإرضاء العواطف وسنغل عقولنا بما يلائم هذه القومية وهذا الدين ، وهل فعل القدماء غير هذا؟ وهل أفسد علم القدماء شيء غير هذا؟ ) ثم يدعو المؤلف الباحثين إلى ألا يفسدوا العلم كما أفسده القدماء فيما يزعم فيقول : ( نجتهد في أن ندرس الأدب العربي غير حافلين بتمجيد العرب أو الغض منهم ، ولا مكترئين بنصر الإسلام أو النعي عليه ، ولا معنيين بالملائمة بينه وبين نتائج البحث العلمي والأدبي ، ولا وجلين حين ينتهي بنا هذا البحث إلى ما تأباه القومية ، أو تنفر منه الأهواء السياسية ، أو تكرهه العاطفة الدينية ، فإن نحن حررنا أنفسنا إلى هذا الحد ، فليس من شك في أننا سنصل ببحثنا العلمي إلى نتائج لم يصل إلى مثلها القدماء )<sup>(١)</sup> .

لقد كان من الواضح أن الكاتب يدعو من خلال توجيهاته إلى التحرر من كل موروث مقدس يحكم توجهات الناس وأفكارهم وهذا ما صرح به في

(١) المرجع السابق، ج ٢ ص ٢٩٨ .

آخر كلامه داعياً إلى التحرر من كل شيء للوصول إلى الجديد غير المؤلف .  
هذا وقد تعددت المناداة بالحرية والجرأة من خلال الكتابات المختلفة حتى  
من قبل الغربيين ، وقد نقل الدكتور محمد حسين آراء بعضهم ، ومن ذلك ما  
قاله الكاتب الغربي أمرسون<sup>(١)</sup> : [من أراد أن يكون رجلاً ينبغي أن ينشق  
على السائد والمألوف ، ومن أراد أن يجمع ثمر النخيل الخالد ينبغي ألا يعوقه  
ما يسميه الناس خيراً ، بل يجب عليه أن يكتشف إن كان ذلك خيراً حقاً ، لا  
شيء في النهاية مقدس سوى نزاهة عقلك حرر نفسك لنفسك يؤيدك العالم ،  
الخير والشر اسمان يمكن في سهولة شديدة أن ينتقلا إلى هذا أو ذاك ، والشيء  
الوحيد الصحيح هو ما يتبع تكويني ، والشيء الوحيد الخطأ هو ما يقاومه ) .  
ومن سفسطة ذلك المفسد الهدام قوله : (إن الثبات على رأي واحد هو  
غول العقول الصغيرة الذي يقده صغار السياسيين والفلاسفة ورجال  
الدين ، أما الروح العظيمة فليس لها البتة شأن بهذا الثبات ، وإلا فإنها تأبه  
لظلمها فوق الحائط ، انطق بما تفكر فيه الآن في ألفاظ قوية ، وانطق بما تفكر فيه  
غداً في ألفاظ قوية كذلك ، حتى إن ناقض ما قلته اليوم ، وإذن فثق أنك سوف  
يساء فهمك ، وهل من شر الأمور أن يساء فهمك . . . ) .

فلينظر القارئ أي دعوة هذه إلى التخبط والغرور ، وإغراء ضعاف العقول  
بما يجرتهم على خوض كل مجهول ، وتناول كل مغيب مستور ، وهتك كل  
مقدس مصون والخبط في كل تيه واعتساف كل طريق ، بما يفسد عليهم وعلى  
الناس الحياة ويحولها إلى جحيم لا سكن فيه ولا قرار ، يتنازب أهلها ويتدابرون

---

(١) أمرسون والدو (١٨٠٣-١٨٨٢) ، من كبار كتاب الحضارة الأمريكية كان صحفياً وناقداً وشاعراً  
وفيلسوفاً ، وخطيب أميركا المفضل ، وله تأثيره الكبير ، عمل في جامعة هارفارد ، من أهم أعماله كتابه  
(مختارات أمرسون) ، وهي مجموعات غير متكاملة من الحكم والأمثال . الموسوعة العربية العالمية ، ج ٢ ،  
ص ٦٨٨-٦٨٩ .

ويعتركون ولا يتفقون على رأي ولا يسكنون ولا يطمثون حتى لكأنهم أهل جهنم ﴿ كلما دخلت أمة لعنت أختها ﴾ (الأعراف : ٣٨) <sup>(١)</sup> والعجيب أن هذا الكاتب الصهيوني في كتابه (مختارات من أمرسون) يأتي بالمتناقضات التي تخدع الجهلة والمغفلين فهو بعد أن يقرن رسالات الأنبياء بأراء الفلاسفة وأصحاب المذاهب الضالة يرى أنها [(ليست منزلة من عند الله ، ولكنها نابغة من عقولهم ، بعد أن تحرروا من أسر الآراء السائدة في عصرهم ، ولذلك فهو يحض على الاقتداء بهم حسب تصويره المزعوم لهم في الخروج عن كل ما هو ثابت مقرر مما توقره التقاليد وتقدسه الأديان ، وذلك هو ما يسميه ذلك الهدام بالحرية وباستقلال الشخصية .

والحرية أو استقلال الشخصية التي يدعو إليها هذا الهدام هي حرية تقوم على الغلو المفرط في الفردية ، ويستطيع القاريء أن يلمس بوضوح في كل مقالات الكتاب أن وراء كل سطورها إسرافاً في تقدير الفرد والفردية والحرية الشخصية في السلوك وفي التعبير عن الرأي ، ينتهي إلى أن يسمح كل إنسان لنفسه بأن يبني عالماً مستقلاً به من القيم لا يستوحى فيه غير خياله وأوهامه ، مثل هذا الكلام لا يصدر إلا من هدام محترف ، لأنه يقتل الروح الجماعية التي هي أساس كل تماسك اجتماعي ، والتي أدى فقدانها إلى ما يعانیه الناس الآن من فوضى واضطراب ، فلو سمح لكل فرد من الناس أن يبني لنفسه عالماً مستقلاً من القيم لأصبحت مقاييس الخير والشر مقاييس فردية ، فلا يكون هناك شر هو عند كل الناس شر ، ولا يكون هناك خير هو عند كل الناس خير ، وعندئذ لا يصبح هناك مجتمع ولا يكون هناك إلا الفوضى والخراب <sup>(٢)</sup> .

(١) حصوننا مهددة من داخلها ، د.محمد حسين ، ص ١٤٨-١٤٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٤٧ .

ويبلغ الأمر بالكاتب إلى الحد الذي يوصله إلى الغرور، ويبلغ به [الغرور حد الكفر والمجون في بعض الأحيان، وذلك في مثل قوله: (إن من ينبذ الدوافع العامة الإنسانية ويجرؤ على الثقة العامة فيما تمليه عليه نفسه لا بد أن يتميز ببعض صفات الآلهة) .

فهل تعرف خرفاً وراء هذا الخرف؟ ومع ذلك فقد يظن بعض صغار العقول وضعاف النفوس هذا الجنون ضرباً من ضروب الفلسفة، لأنهم لا ينسبون عجزهم عن فهمه إلى فساد، ولكنهم ينسبونه إلى ضعف عقولهم عن إدراكه .

وهذا الكاتب وأمثاله يعتمدون على أن الأذكياء سوف يجدون في كلامه ما يرضي غرورهم، أما الأغبياء فسوف يقفون أمامه مشدوهين كأنهم أمام معجزة، أما الشباب فسوف يجدون فيما يتضمنه من الثورة التي تحطم ولا تبقي ولا تذر مجالاً للتنفيس عن نشاطهم ونزوعهم إلى إثبات وجودهم من كل وجه<sup>(١)</sup> .

والحقيقة أن هذه الحرية المزعومة هي آفة المجتمعات وداؤها القاتل، فلكل شيء حد يقف عنده وينتهي إليه، وتجاوز هذا الحد وانتهاك حرمة يعني اضطراب المفاهيم وسقوط القيم وانهيار المجتمع وفساد الحياة كلها.

وينقل الدكتور محمد رحمه الله مقطعاً من مقال لأحد الكتاب واسمه سامي الجريديني نشره في مجلة الهلال يتحدث فيه [عن الحرية، فيقول إنها (فخر من مفاخر الحضارة الغربية لم تشاركها فيه الحضارة الشرقية، ما تقدم منها وما تأخر) ثم يتكلم عن مظاهر هذه الحرية الغربية التي يجدها، فيقول:

(١) المرجع السابق، ص ١٤٩ .

إن (أول هذه الحرية حرية الضمير أو حرية العقيدة ، وهي هذا الحق الذي يجعلك تحكم مبادئك الأدبية السامية على أعمالك ، ضارباً صفحاً عما يفرضه القانون أو ينص عليه العرف أو يقضي به الرأي العام . . . فلو اكتفى البشر بحرية رجل عظيم قام ووضع لهم نظاماً وظلوا دهرهم عليه لما كان للحرية معنى ، إذ تقف وتجمد ويصبح النظام الذي كان نافعاً في بدء وضعه عقيماً ممتاً إذا لم تتعده حريات أخرى بتبديل وتكييف)<sup>(١)</sup> .

وليت هذا الكاتب وغيره تعرفوا على الظروف التي نشأت فيها الحرية الغربية وكيف خرجت إلى الدنيا حتى يعلموا أنه لا مقارنة البتة بين ما حدث في أوروبا وما يحدث في بلاد المسلمين .

ولنشأة شعار الحرية قصة يحدثنا عنها الدكتور الميداني بقوله : في (ظروف الاستبداد الدكتاتوري الذي كان سائداً في أوروبا قبل الثورة الفرنسية ، وإبان مصادرة حريات الطبقات الضعيفة في المجتمع ، وحرية الأفراد الذين لا يملكون انتزاع حقوقهم في معظم المجتمعات الغربية ، انطلق دعاة الحرية ينادون بها مبدأ إنسانياً ، وأخذت فئات كثيرة تروجها .

واستغلت المنظمات ذات المصالح الخاصة الرامية إلى تقويض النظم الإدارية ، والمؤسسات الدينية ، والنظم الاجتماعية ومؤسساتها ، لتكون لها السيطرة الشاملة ، شعار الحرية ، فوسعت دائرة المفهوم المقبول الصالح للحرية شيئاً فشيئاً ، دون أن تشعر الجماهير بمكيدة التوسيع التعميمي المنافي لمنطق العقل ، ولمبادئ الأخلاق ، ولمصالح الناس أفراداً وجماعات ، ولنظام الخلق

---

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، د. محمد محمد حسين ، ج ٢ ، ص ٢٩٤ .



وقوانين الوجود الجبرية) <sup>(١)</sup> .

ولأن مثل هذه المفاهيم يمكن أن تجر إلى وبال عظيم ، فإن أفضل من يستغل رواجها هم اليهود حيث تلقفت الماسونية شعار الحرية ، وجعلته أحد مبادئها ، ثم قامت الثورة الفرنسية التي كان المكر اليهودي وراء تديرها والتخطيط لها ، وتحريك القوى لاندلاعها ، وتنظيم المنظمات لتفجيرها ، والتربص لاستثمارها ، واستغلالها والانعراض على غنائمها بعد قيامها ونجاحها ، فجعلت هذه الثورة الحرية واحداً من شعارها المثلث : (الحرية - المساواة - الإخاء) .

واندفعت الجماهير مفتونة بشعار الحرية ، وهي لا ترى من معاني الحرية إلا مساحة محدودة مقبولة ومعقولة ، يتحقق لها بها الخلاص من الظلم الاجتماعي الذي تعاني منه ، والخلاص من الاستبداد الضاغظ عليها ، والقاهر لإرادتها بقوى ظالمة آثمة ، طاغية غاشمة) <sup>(٢)</sup> .

وهكذا عشقت الجماهير الحرية لما لها من بهرج وزينة وانخدعت بها كعادتها في الكثير من الأحداث ، ونجم عن ذلك التعميم للحرية (دون أن تكون محصورة في المساحة التي تكون فيها نافعة وصالحة ، انطلاق الوحش البشري مفسداً مدمراً محطماً الفضائل ، والأخلاق ، والقيم الدينية ، والنظم الاجتماعية ، ومحطماً مبادئ الحق والعدل ، واستغل هذا الوحش البشري شعار الحرية لتبرير كل فساد وإفساد ، ولاستخدام القوة التي تعتمد عليها الثورات مع ما تشعله من فتن ، لمصادرة حياة خصومها ، ومصادرة أمنهم

(١) شعارا الحرية المساواة (بمنظار إسلامي) د.عبد الرحمن الميداني، ص ٥-٦ ، ط ١ ، ١٤١١هـ، إحياء التراث الإسلامي ، المدينة المنورة ، المملكة العربية السعودية .

(٢) المرجع السابق ، ص ٦-٧ .

وأموالهم وسائر حقوقهم، ولمحاربة كل منصف يحب الحق والعدل والفضيلة، ويطالب بسيادة هذه القيم<sup>(١)</sup>.

### الحرية من وجهة نظر الإسلام :

المفهوم الإسلامي الراقى للحرية يعتمد على ( وضع القواعد السليمة للمحافظة على الحرية الشخصية للآخرين ومن تلك القواعد على سبيل المثال لا الحصر ما أشارت إليه الآيات الكريمة في قول الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساءً من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون \* يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً ﴾ (الحجرات : ١١-١٢)<sup>(٢)</sup>.

حيث يتضح أن الإسلام حريص على العناية بالآخرين وحریتهم بعيداً عن الإساءة والإيذاء التي تصل إلى حد التعرض للشخصيات أو الحياة الخاصة لهم .

(ولا بد لنا هنا أن نذكر الفرق بين الإسلام والديمقراطية في حماية الحرية الشخصية، إن الإسلام يعتبر المجاهرة بالمعاصي والمنكرات المخالفة لمكارم الأخلاق والمثل العليا المستمدة من الإسلام، جريمة يجب مكافحتها والقضاء عليها بينما الديمقراطية بأنظمتها تعتبر المجاهرة بالمعاصي والمنكرات داخلة في دائرة الحرية الشخصية للإنسان وهنا يتضح لنا فضل الإسلام على الديمقراطية

(١) المرجع السابق، ص ٧-٨ .

(٢) نظرة عالمية نحو الإسلام، عبد الله سلامة الجهني، ص ٦٢، ط ٢، ١٤٠٨هـ، دار العلم، جدة، المملكة العربية السعودية.

إذ الإسلام يعتبر المجاهرة ببعض الأعمال الضارة بالإنسان نفسه وليس لها ضرر مباشر على غيره تدخل في دائرة المصلحة العامة التي يجب على الفرد والجماعة حمايتها حتى لا ينتشر الفساد في المجتمع ، بينما الديمقراطية تعتبر المجاهرة بتلك الأعمال الضارة داخله في دائرة الحرية الشخصية للإنسان ما دام لم يتسبب ذلك العمل ولم ينشأ من ذلك العمل شكوى ضرر من الغير ، وهكذا نرى أن الإسلام بالغ أشد المبالغة في حماية الحرية الشخصية للإنسان ، وجعل المجاهرة بالمعاصي والمنكرات انتهاكاً لحرية المجتمع ككل ، وأمر الفرد والجماعة أن يخدم كل منهما حرية الآخر بحيث لا تطفئ حرية الفرد على حرية الجماعة ولا تطفئ حرية الجماعة على حرية الفرد<sup>(١)</sup> .

إضافة إلى ذلك فإنه ينبغي لنا أن نعرف أنه :

- (١) لا حرية في ظلم أو عدوان أو هضم لحقوق الآخرين .
- (٢) لا حرية في مخالفة الحق والعدل والخير ، في كل سلوك عملي أو أثر مادي يضر المجتمع أو يؤذيه أو يفسد نظامه .
- (٣) لا حرية لمن آمن برسالة الإسلام ، وبإيع على الالتزام بأحكامه وشرائعه ، في أن يخالف أحكامه ، وترك فرائضه وارتكاب محرماته وإلا كان عرضة للملاحقة بالمسؤولية والمحاسبة ، وبالجزاء المقرر في أحكامه من قبل سلطة الدولة الإسلامية ، إذا كانت المخالفة لها عقوبة دنيوية مقررة في الإسلام .

(٤) من أعلن دخوله في الإسلام فقد أعلن التزامه به وبأحكامه فلا حرية له بعد ذلك ، في الردة عنه ، وإلا فهو ملاحق بعد استتابته بالمسؤولية الجزائية

---

(١) المرجع السابق، ص ٦٣-٦٤ .

التي عقوبتها القتل ، ولا حرية له أيضاً في الاعتراض على أحكامه وشرائعه المقررة .

(٥) لا حرية لمسلم ولا لذمي ولا لمستأمن ولا لمعاهد في دار الإسلام في الطعن بالعقائد والشرائع والأحكام الإسلامية، المجمع عليها، ولا حرية له في التشكيك فيها، أو تشويهها أو تحريفها، أو القيام بما يسيء إلى نظام الإسلام، أو دولته أو جماعة المسلمين لأن في ذلك نقضاً لما التزم به كل منهم .

ولا حرية لأحد من هؤلاء في الدعاية لأعمال حرمها الإسلام أو لأشياء حرم الإسلام تناولها كالخمور، أو الترويج لأفكار مناقضة لحقائق الإسلام وتعاليمه، ولا حرية لأحد منهم في تأسيس مؤسسات عامة أو خاصة تشتمل على أعمال أو أشياء محرمة في الإسلام<sup>(١)</sup> .

أما الحرية التي أقرها الإسلام وحرص عليها فهي تقع ضمن المجالات الآتية :

### المجال الأول :

حرية الاعتقاد، فالإنسان المسؤول المكلف حر في هذه الحياة الدنيا، في أن يؤمن بقلبه بما يشاء، من حق أو باطل، لكنه ملاحق بالمسؤولية عند الله عز وجل عن اختياره الذي كان حراً فيه، وكانت حريته هي مناط ابتلائه وامتحانه في الحياة الدنيا . . . . .

دل على هذه الحرية الملاحقة بالمسؤولية والجزاء عند الله عدة آيات قرآنية، منها قول الله عز جل : ﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء

(١) شعارا الحرية والمساواة، د.عبدالرحمن الميداني، ص ١٨-٢٠ .

فليكفر إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها ﴿ (الكهف : ٢٩)

ومنها قول الله عز وجل : ﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ﴾  
(البقرة : ٥٦).

### المجال الثاني :

حرية العبادة على وفق الاعتقاد، والحرية هنا كسابقتها هي حرية الممتحن  
المسؤول الملاحق عند الله بالحساب والجزاء، وليست حرية مطلقة خالية من  
المسئولية والجزاء .

دل على هذه الحرية الملاحقة بالمسئولية والجزاء الرباني، قول الله عز وجل  
﴿ قل الله أعبد مخلصاً له ديني \* فاعبدوا ما شئتم من دونه قل إن الخاسرين  
الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين ﴾  
(الزمر : ١٤ - ١٥) . . . . .

### المجال الثالث :

حرية اختيار ما يريد الإنسان ويشتهي ويهوى مما أباح الله في شريعته  
لعباده من عمل ظاهر أو باطن .

وهذه الحرية غير ملاحقة بالمسئولية والحساب والجزاء، ما لم ينجم عنها  
لدى استعمالها ترك واجب أو فعل محرم، أو عدوان على حق الغير فرداً كان  
أو جماعة أو ضرر أو ضرار . . . . .

وما أباح الله عز وجل للإنسان من سلوك شخصي لا علاقة للمجتمع به  
ولا يمس إنساناً بضرر، فلاحق لأحد أياً كان بأن يحرمه منه أو يمنعه عنه، ومن  
الخير للمجتمع أن يترك المجال مفتوحاً للناس، يعبرون فيه عن حرياتهم  
الخاصة، ويشعرون فيه باستقلاليتهم .

## المجال الرابع :

حرية تعبير الإنسان عن أفكاره وآرائه، ما لم يكن مضللاً بباطل واضح البطلان، أو داعياً لضرر أو شر أو أذى، أو مشجعاً على إدمان الحق ونصرة الباطل، ونشر الظلم والعدوان والفساد والإفساد في الأرض .

## المجال الخامس :

كل ما للإنسان فيه حق مشروع واضح للجميع ولا يحتاج إثباته إلى دعوى قضائية، فإنه يملك الحرية في الحصول عليه بوسيلة مشروعة، لا ضرر فيها ولا عدوان ولا ظلم ولا أذى، ولا مخالفة فيها لما أمر الله به، أو لما نهى عنه .  
وأما ما لا حق للإنسان فيه فمن حق المجتمع بسلطته الإدارية أن يحجر على حرته منه <sup>(١)</sup> .

تلك هي نظرة الإسلام الصافية الواقعية الرائعة لكل مبدأ أو شعار أو نظرية، يضيف عليها نظراته العميقة البعيدة النظر، حيث لا فوضى ولا شطط ولا ضلال .

وعلى الرغم من كمال الإسلام وشموليته لكل قضية من قضايا العصر إلا أن بعض المستغربين من أبنائه ساروا كما رأينا وراء سراب ببيعة ولم يدرك أولئك ومنهم الطهطاوي الذي أعجب بالحرية الغربية إعجاباً شديداً ولم يدرك الأغوار البعيدة والجوانب المتعددة لكلمة الحرية، ولم يستطع أن يدرك أن نقل هذه الآراء إلى المجتمع الإسلامي يمكن أن ينتهي به إلى النتيجة نفسها نبذ الدين وتسفيه رجاله، والخروج على حدوده، لم يدرك ذلك ولم يلاحظ إلا الجانب البراق الذي يأخذ نظر المحروم من الحرية، حين تمارس في مختلف

(١) المرجع السابق، ص ١١-١٥ .

صورها وألوانها، وفي أوسع حدودها) <sup>(١)</sup> .

و حين ينعدم الضابط للحرية وينادي به الجهال والأدعياء يصل الأمر إلى الحد الذي تصبح فيه مثلاً (حرية الفكر تعني الإلحاد أو إذا كان الإسلام لا يبيح الإلحاد، فهو إذن لا يبيح حرية الفكر) <sup>(٢)</sup> .

وأسوأ من ذلك وأقبح ما يقوله مدعو التقدمية من أنهم (يريدون أن يكونوا أحراراً في أن يكتبوا ضد العقائد والعبادات، وأن يسخفوها للناس ويدعوهم إلى التحلل منها دون أن يقفوا تحت طائلة القانون .

يريدون الانحلال الخلقي والفوضى الجنسية بغير رادع، تلك هي حقيقة المسألة، وليس الجانب الفكري إلا ستاراً يغطون به عبوديتهم للشهوات، ثم يزعمون أنهم أحرار الفكر، وليس الإسلام مكلفاً أن يطيع العبيد وهو يدعو إلى التحرر من كل سلطان بما في ذلك سلطان الشهوات) <sup>(٣)</sup> .

هذه الحرية وهي الفوضى التي لا ضابط لها، كانت تهدف إلى شيء آخر، شيء له في نفوس الناس قيمة كبيرة ألا وهو الدين، لذا كانت الحرية مدخلاً لمناقشة الدين، واستخراج الشبه والأباطيل والأراجيف المختلفة حوله واتهامه بأنه الرجعية بعينها والتخلف بمعناه وصول الهدم لكل الأفكار الحديثة والنظريات المتطورة .

من هنا كان لابد لنا من وقفة مع الدين والتدين وأثره في حياة الناس، وحاجة المجتمعات إليه .

---

(١) الإسلام والحضارة الغربية، د. محمد محمد حسين، ص ٢٧-٢٨ .

(٢) شبهات حول الإسلام، محمد قطب، ص ١٧٨-١٧٩، ط ٣، ١٩٨٥م، الإتحاد الإسلامي للمنظمات الطلابية - الكويت .

(٣) المرجع السابق، ص ١٨١ .

## المبحث الثاني

### الدين

الدين أو التدين كان يمثل بالنسبة للدكتور محمد حسين - رحمه الله -  
أمراً أصيلاً لا يمكن التنازل عنه أو إخضاعه للمناقشة ، لذلك انبرى رحمه الله  
تعالى لبيان أهميته والتأكيد على أنه الأساس الصلب الذي يحفظ للأمم كيائها  
ومن خلاله يقوم بنيانها ومجدها المشرق .

يقول رحمه الله : (لكل مجتمع إنساني كبير عمد يقوم عليها صرحه  
ويتماسك بها بناؤه ، لأنها تمثل أهم بواعث التآلف وأسبابه ، مثل اشتراكه في  
اللغة التي عن طريقها وحدها يتفاهمون ويتناجون ويتبادلون الآراء والمشاعر  
والمنافع ، واشتراكه في العادات والتقاليد ، واجتماعه فيما يحب وفيما  
يكره ، وفيما يألف وفيما يعاف ، وفيما يستجيب له وفيما ينفر منه ، على ألوان  
معينة من غذاء الأبدان والنفوس ، من مثل الطعام والشراب واللباس والغذاء  
والشعر والموسيقى ، والعمود الذي ينقد عليه البناء ، ولا تقوم العمدة الأخرى  
إلى جانبه إلا لتساعده وتشده ، هو الدين ، لأنه جامع لمعظم بواعث التماسك  
والتآلف وأسبابها ، فهو أهم العوامل في تكوين المزاج والعادات والتقاليد  
والأخلاق واللغة ، وكل ما يبني كيان الفرد ، وما تقوم به صلواته بغيره من  
الناس) (١).

وبما أن للدين والتدين هذه القوة وهذا التأثير في حياة الناس ، كان لابد

---

(١) الاتجاهات الوطنية ، د. محمد حسين ، ج ٢ ، ص ٢٨٨ - ٢٨٩ .



لأعداء الدين أن يركزوا عليه جهدهم وأن يخططوا لإزالته من نفوس الناس ، وكان لهم في الحقيقة ما أرادوا بطريق أو بآخر حتى (أصبح الإلحاد سمة من سمات التفلسف وعمق التأثير ، يياهي به أصحابه ولا يتسترون ، ويتظاهر به الذين لا يتصفون به كأنهم يفاخرون وأصبح التدين مقرونا ببداية التفكير وبلادة العقل ، يستخفي به ضعف الإيمان فلا يظهره حتى لا يوصموا بالتخلف والرجعية والخرف .

وفي ظل هذه الموجة المخربة نشرت مقالات جريئة في الصحف بعد الحرب العالمية الثانية لا يخفي أصحابها استخفافهم بالدين وظهرت كتب هزت المجتمع بجرأتها عليه<sup>(١)</sup> .

وكان كل هذا نتاج الكيد المستمر والتخطيط المتواصل بالليل والنهار ضد هذه الأمة المستضعفة ودينها ، حتى وصل الأمر إلي التعرض لأصول الدين التي استقر في أذهان الناس أن لا نقاش فيها البتة ، حيث إنها عندهم من المسلمات التي توارثوها عن طريق آبائهم وأجدادهم وتعلموها في مدارسهم وجامعاتهم وهي فوق ذلك توصية كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ .

ولكن ذلك كله لم يكن رادعاً لأعداء الدين وأذئابهم ، فهاجموا تلك الأصول بضراوة شديدة وضربوا بمعاولهم فيها زمناً حتى استطاعوا أن ينجحوا في تحقيق بعض أهدافهم ، واستطاعوا أن يجندوا من الأمة جيلاً يفعل فعلهم ويرى رأيهم وسموا هذا الجيل بالمتنور .

وكان لكتاباتهم الأثر الكبير في التغرير بكثير من المسلمين وعلى الرغم من أنها كانت تتجه لتحطيم الدين والمقدسات من نفوس الناس عبر شعارات براءة

(١) أزمة العصر ، د. محمد محمد حسين ، ص : ٧٢ .

تعتمد على التزوير وقلب الحقائق وخداع النفس .

ويؤكد الدكتور محمد رحمه الله أن (بعض هذه الدعوات يرمي إلي هدم العقائد الدينية جملة بإضعاف الإيمان بالغيب ، الذي هو الأساس الأول للتدين ، فالدين هو الإسلام كما وصفه الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم ، وقد ضرب الله لذلك مثلاً بما كان من أبينا إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما الصلاة والسلام ، فإنهما لم يناقشا ما أمر به من أن يذبح الأب ابنه ، ولم يسألا عن الحكمة في ذلك ، ولكنهما أسلما وفوضا الأمر لله متوكلين عليه ، وانقادا لما أمر به ، ذلك لأن معرفة الإنسان محدودة بحدود كثيرة ، فهي محدودة بحكم طاقة الحواس التي يستمد منها المعرفة ، وهي محدودة بحكم الحيز الزماني الضئيل الذي يعيش فيه الإنسان ويدركه ، لا يعرف ما قبله ولا يعرف ما بعده ، وهي محدودة بحكم الحيز المكاني التافه الذي يحيط به ، والذي لا يعرف ما وراءه في آفاق الفضاء بل في أعماق الأرض والبحار ، إلا حدساً ورجماً بالغيب .

وربما كان من أظهر الأمثلة علي عجز العقل البشري تخيلاً وإدراكاً واستتاجاً ، أن القسمة في منطق لا تقبل إلا أن يكون العالم محدوداً أو غير محدود ، ولا يستطيع أن يتصور وجود قسم ثالث يخرج عن هذين القسمين ، ثم هو في الوقت نفسه لا يستطيع أن يتصور أيًا من القسمين ، زماناً ومكاناً ، ذلك لأنه لا يستطيع أن يتصور -حدوداً للعالم - بدءاً أو نهاية - ليس وراءها شيء علي الإطلاق ، ولو كان هذا الشيء فراغاً ، ولا يستطيع أن يتصور - شيئاً لا حدود له ، ولا أول له ولا آخر ، ومن هذا المثل الصغير - وغيره كثير - يتبين عجز العقل البشري ، وذلك هو الذي عبر عنه القرآن الكريم

بقوله: ﴿فارجع البصر هل ترى من فطور﴾ \* ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير﴾ (تبارك : ٣-٤) فنظرة الإنسان الأولي في الكون ترشده إلي وحدة نظامه ووحداية خالقه - سبحانه وتعالى - وبالغ قدرته وحكمته ، ولكنه إن حاول الذهاب في التصور إلي أبعد أعماقه وصل إلي نقطة تقف عندها موجات فكره ويرتد عندها شعاع فكره عاجزاً كليلاً وذلك هو سبب وصف الله - سبحانه وتعالى - النبوة بأنها رحمة للعالمين ، في مثل قوله يخاطب رسوله الكريم ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ (الأنبياء : ١٠٧) لأنه حين علم ضعف العقل وعجزه ، أرشد خلقه الضعفاء فيما هو خارج عن حدود تفكيرهم إلي ما فيه خيرهم ، وأمرهم بلزومه والانقياد له - سبحانه - فيه ، سواء أدركوا وجه المصلحة والخير فيه أم لم يدركوه لأن إدراك الخير والشر والنفع والضر والجمال والقبح ، يحتاج إلي أن يحيط المدرك بالوجود كله زماناً ومكاناً وعلماً ، والإنسان لا يعرف من الوجود الطويل الذي لا يحيط تصوره بأوله أو بآخره إلا حاضره الذي لا يعد شيئاً مذكوراً إذا قورن بالوجود كله بل إنه لا يدرك من هذا الوجود الراهن - على تفاهته - إلا أقله بل إنه لا يزال يكتشف في جسده وفي نفسه كل يوم جديداً ، وهو مع ذلك كله - أو لذلك كله - يجهل العلة ويجهل الغاية ، ومن كان هذا مبلغ عجزه ومنتهي إدراكه ، كيف يسوغ له أن يتجاوز حدود ما أنزل الله ، بدعوي أنه لا يدرك وجه المصلحة فيها ؟ ذلك هو معني قوله تعالى : ﴿وعسي أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسي أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ (البقرة : ٢١٦) من أجل ذلك كان الطعن في الإيمان بالغيب هدماً للعقيدة الدينية في لبها وفي صميمها وفي أساسها

الأول الذي لا قيام لها بغيره<sup>(١)</sup> وفي الوقت الذي كان رحمه الله ينافح عن الدين ويذود عن حماه ، كان أيضاً يتابع ما ينشر في الدوريات الرسمية التي تنشرها جامعة الدول العربية وغيرها ومن خلال متابعته اكتشف أن ما ينشر أحياناً هو من أسوأ ما تلفظه المطابع والصحف والمجلات ، واستغرب رحمه الله كل ذلك ، فكيف يصدر مثل هذا الكلام الجائر علي الدين من الجامعة التي تلم شعث العرب الذين لم يعرفوا العزة والحضارة إلا من خلال الدين الذي هو الإسلام الخالد والوحي الرباني الكامل .

وقد أكد رحمه الله صحة كلامه ونظرته لما نشر باستعراض مقال نشر باسم الدكتور كامل عياد بعنوان ( مستقبل الثقافة في المجتمع العربي ) .

يقول رحمه الله : [لا يري كاتب المقال الأديان إلا أوهاما وخرافات وأساطير ، ولا يمجّد شيئاً إلا العلم المادي الحديث الذي أوجد عصر الآلة الذي نعيش فيه ، فإنه يرجع الفضل - حسب ما يتوهم - ( في تحرير البشرية من الضلال والأوهام والخوف - ولا شك في أن أبرز أثر له هو تغييره لتفكير الانسان ، فإن طريقة البحث العلمي جعلتنا نؤمن بالعقل ولانتقيد إلا بالواقع الذي تدركه الحواس ولانقبل بشيء لا تؤيده التجربة ، وتقتضي هذه الطريقة التحرر من العقائد الغيبية السحرية ، ومن الأوهام والأحكام السابقة ، وهي تفرض علينا المشاهدة الموضوعية ، والملاحظة المضبوطة والقياس الدقيق والتجرد من العواطف والتمسك بالحياة) وواضح من كلامه هذا أنه لا يعتد بالدين كله ، لأنه يقوم علي الإيمان بالغيب ، وهو لا يؤمن إلا بالمشاهد الملموس ، ويرى أن ذلك من مزايا العلم التجريبي الحديث الذي حررنا حسب

---

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، د. محمد حسين ، ج ٢ ، ص ٢٩٠ - ٢٩٢ .

زعمه - من الضلال والأوهام والخوف .

فالأديان كلها عنده ضلالات وأوهام ، كان الناس يخضعون لما تخوفهم به من العذاب ، ثم تحرروا من هذا الخوف ، ولم يعودوا يخافون العذاب الموهوم الذي زعمته هذه الأديان ، هل هناك هدم أصرح من هذا؟! وهل لا يعرف المسكين أن العلم التجريبي محدود الميدان والمدى ، لا يتناول إلا المدرك المحسوس؟ والمدرك المحسوس أقل بكثير مما لا يخضع لحسنا وإدراكنا، بل هو لا يقاس عليه ويعتبر كأنه ليس شيئاً مذكوراً إلي جانبه ، وقد أدرك العلم الحديث نفسه - الذي يتمسح به الكاتب - ذلك ، فعرف أن الموجات التي تدخل في مدى إدراكنا الحسي ما هي إلا شيئاً ضئيلاً تافهاً بالقياس إلى المعروف منها فضلاً عن المجهول . . . . .

إن العقل يستطيع أن يوصلنا إلى تسخير بعض الظواهر والطاقات وتطويعها لمصلحتنا ، ولكنه لا يوصلنا إلى حقائق هذه الظواهر والطاقات ، أليس الكفر بالله وبالأديان نتيجة لهذا القليل الذي أتيح لنا الوصول إليه ، ومن آثار الكشوف الأخيرة ، لوناً من البطر ومن الغرور الذي يدرك ضعاف النفوس حين يصيبون حظاً قليلاً من النعمة أو القوة فيظنون أنفسهم أرباباً ويظنون أنهم يستطيعون كل شيء؟ .

حقيقة الأمر في هذه العلوم التجريبية أنها مفيدة في ميادينها المادية فحسب ، ولكنها غير صالحة لأن تعالج عالم المجردات الذي لا يخضع للحس لأنه لا يخضع لتجاربها ، وذلك هو ما يسميه الإسلام عالم (الغيب) أي ما غاب عن الحس ، ونحن مكلفون فيه بأن نؤمن بما جاء به الدين ، لأنه هو السبيل الوحيد إلى معرفته وإلى تحديد موقفنا منه وما فيه فائدتنا بالقياس إليه ،

فميدان الدين إذن غير مجال العلم التجريبي ، فالأول يستأثر بعالم الغيب ،  
ويدبر شؤون حياتنا على أساس الصلاحية لما بعد هذه الحياة ، مما لا يتعارض مع  
مصالحنا في هذه الدنيا ، والثاني لا يتعدى عالم الشهادة ، أي ما يخضع  
للمشاهدة والحس ، والمفروض مع ذلك أن الإدراك الصحيح لحقائق المشاهد  
الملموس يهدينا لما ينطوي عليه من نظام دقيق معجز ، كما يقودنا إلى إدراك  
عجزنا أمام كثير جداً من العضلات ، وهو عجز لا مفر معه من اللجوء إلى الله  
سبحانه وتعالى ، وليت كاتب هذا المقال وأمثاله يقرؤون قول كبير من رجال  
العلم المظلوم ، الذي يحملونه أوزار كفرهم وضلالاتهم ليته يقرأ قول  
أينشتين<sup>(١)</sup> : ( إن أجمل الأحاسيس وأعمق العواطف هي تلك التي تتعرض لها  
عند بحث الخفايا ، لأنها تؤدي إلي العلم الحقيقي ، وكل من ينكر هذه  
الأحاسيس ، ولا يتعرض للدهشة أو للرغبة ، فإنه يعتبر في عداد الأموات ،  
والمؤمنون هم الذين يعلمون أن هناك أشياء تخفى على علمهم ، وهذا هو غاية  
الحكمة وأقصى درجات الجمال المشع التي تستطيع حواسنا القاصرة إدراكها) .  
ليته يقرأ ليعلم أن الكفر بالغيب ليس ثمرة المعرفة ولا ثمرة العلم ولكنه من  
آفات القليل من المعرفة والقشور من العلم [٢] .

ويقول أيضاً رحمه الله : ( وكان بعض الكتاب يذهبون مذهباً أكثر خفاءً  
في شأن الدين ولكنه أشد خطراً عليه ، وأعظم أثراً في هدمه وذلك أنهم كانوا  
لا يعرضون له بتصديق أو تكذيب ، ولكنهم يقارنون بينه وبين ما تتوارثه

(١) ألبرت أينشتين (١٨٧٩-١٩٥٥) ، واحد من كبار علماء الذرة ، ذاع صيته بسبب نظريته التي تسمى النسبية ، والتي قدمها لأول مرة عندما كان عمره ٢٦ عاماً ، كان عميق الإيمان على الرغم من أنه لم يرتبط بدين محدد ، كان يعتقد أن العالم يسير بنظام دقيق وقانون محكم ، ولم يخلق بالصدفة ، الموسوعة العربية العالمية ، ج ٢ ، ص ٥٥٢-٥٥٤ .

(٢) حصوننا مهددة من داخلها ، د. محمد حسين ، ص ١٢٣ ١٢٧ .

مختلف الشعوب من أساطير ، تاركين للقاريء أن يستنتج من ذلك أن الأديان ليست إلا مجموعة من الأساطير التي لا تصلح إلا للتلهية ولإقناع الخيال وتزجية أوقات الفراغ ، فمن ذلك مقال طويل لهيكل عن إيزيس ذهب فيه مذهب الحوار وناقش من خلاله أسس العقائد الفرعونية الدينية ، مقارنةً بينها وبين الأديان السماوية ، مشيراً إلى ما تركت فيها من آثار فيما يزعم ، وقد أجرى علي السنة أشخاص الحوار في مقاله هذا عبارات فيها جرأة على الدين وتهكم به وغمز له (١).

ومن ذلك أيضاً ما نشرته مجلة الهلال في مقالة بعنوان ( العلم والإيمان وديانة الإنسانية الجديدة ) حيث يروي فيه صاحب المقال [ أن هذه الديانة الجديدة قد انتشرت في أمريكا ، وأن أصحابها يقولون إن مسألة وجود الله أو عدم وجوده ليست من المسائل الجوهرية ، لأنه إذا عمل الإنسان ما هو صالح في هذا العالم فقد فعل ما هو مطلوب منه ، سواء أكان له روح خالدة أم لم تكن ، وتقول المجلة بلسان صاحب هذه الديانة : ( لو كان جميع الناس يعتقدون كما اعتقدنا أن هذا هو الفردوس الوحيد الذي ليس بعده فردوس آخر لوجهوا كل قواهم إلى تحسينه ليصبح فردوساً حقيقياً بمعنى الكلمة ، أما وهو يؤمنون بوجود فردوس آخر أفضل ، وأن الإنسان نزيل فان على هذه الأرض ، فهم يحرضون كل واحد على احتقار الحياة ، وعلى تصويرها بأشنع صورها حتى تصبح جحيماً لا يطاق ) [ (٢).

وعلى الرغم من كل ما قيل فإن الدين أو التدين سيبقى نزعة خالدة لا

---

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، د. محمد حسين ، ج ٢ ، ص ٢٩٥ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٩٣ .

يمكن في لحظة من اللحظات ولمجرد نزوة من نزوات الضلال أن نلغيها من  
حسنا وتصورنا أبدأ.

ويشهد لذلك ما ذكره عدد من عقلاء العالم غربيهم وشرقيهم عن حاجة  
الناس للشعور الديني ، ومن ذلك ما نقله الدكتور محمد عبد الله دراز عن  
بعضهم : [ هذا الإحساس أصيل يجده الإنسان غير المتمدين ، كما يجده  
أعنى الناس تفكيراً أو أعظمهم حدساً ١٢٤ وستبقى الديانات مابقيت  
الإنسانية ، وستتطور بتطورها ، وستجاوب دائماً مع درجة الثقافة العقلية  
التي تبلغها الجماعة) .

( إن من الممكن أن يضمحل كل شيء نحبه ، وأن تبطل حرية استعمال  
العقل والعلم والصناعة ، ولكن يستحيل أن ينمحي التدين بل سيبقى حجة  
ناطقة على بطلان المذهب المادي الذي يريد أن يحصر الفكر الإنساني في  
المضايق الدنيئة للحياة الأرضية ) .

(نعم يستحيل أن تتلاشى فكرة التدين لأنها أرقى ميول النفس وأكرم  
عواطفها ، ناهيك بميل يرفع رأس الإنسان ، بل هذا الميل سيزداد ففطرة التدين  
ستلاحق الإنسان ما دام ذا عقل يعقل به الجمال والقبح ، وستزداد فيه هذه  
الفطرة على نسبة علو مداركه ونمو معارفه .

ولنقف قليلاً عند هذه الكلمة ، لأنه قد يبدو من المفارقات العجيبة أن  
يكون ازدياد العلم ونمو المعرفة سبباً في نمو غريزة التدين ، المبنية على طلب  
الغيب المجهول ، ولكننا لو تأملنا لتحققنا صحة هذه المفارقة ، وأن تقدمنا  
الحديث في العلوم يقربنا حقيقة من الاعتراف بجهالتنا ، والإقرار بأن مثل ما  
نعلمه من الكون في جانب ما نجهله منه كمثل قطرة واحدة من محيط خضم



عميق ، وذلك أن كل باب جديد يفتحه العلم من دلائل عظمة الكون وامتداده  
ينفتح معه أفق أوسع للسؤال عما يتصل بهذا الميدان الجديد من المشاكل الكثيرة  
الغامضة (١)].

وهذا يؤكد ما للدين من أثر كبير وبالغ في النفس الإنسانية وأنه علي الرغم  
من محاولات اللادينيين المستميتة لهدم الدين والتدين من حياة الناس إلا أن  
كل ما في هذا الكون يشهد بحاجة الناس الماسة للبقاء في محراب الدين  
باعتباره العنصر الثابت في حياة البشرية منذ خلق الله آدم عليه السلام وحتى  
يرث الأرض ومن عليها.

وأنقل هنا مزيداً من الأقوال عن بعض أقطاب العلم وزعماء السياسة  
وقادة الحروب للتأكيد على ما للدين من قيمة عظيمة في حياة الناس .  
ويقول صاحب كتاب الدين نقلاً عن (روبرت ميلليكان العالم الطبيعي  
الأمريكي) : [(إن أهم أمر في الحياة هو الإيمان بحقيقة المعنويات وقيمة  
الأخلاق ، ولقد كان زوال هذا الإيمان سبباً للحرب العامة ، وإذا لم نجتهد  
الآن لاكتسابه أو لتقويته فلن يبقى للعلم قيمة ، بل يصير العلم نكبة على  
البشرية) ، ويقول الدكتور ويلسون الرئيس الأسبق للولايات المتحدة :  
(وخلاصة المسألة أن حضارتنا إن لم تُنقذ بالمعنويات ، فلن تستطيع المثابرة على  
البقاء بماديتها ، وأنها لا يمكن أن تنجو إلا إذا سرى الروح الديني في جميع  
مسامها ، وذلك هو الأمر الذي يجب أن تتنافس فيه معابدنا ، ومنظماتنا  
السياسية ، وأصحاب رؤوس أموالنا ، وكل فرد خائف من الله محب لبلده) (٢).

(١) الدين ، د. محمد عبد الله دراز ، ص : ٨٧ - ٨٨ (بتصرف) ، بدون طبعة ، دار القلم ، الكويت .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٠ - ١٠١ .

فإذا كانت هذه أقوال زعماء الدنيا في عصرهم تؤكد أصالة الدين وتأثيره على حياة الناس وحفظ نظامها وتجعله ركيزة أساسية من ركائز المجتمع المدني الحديث ، فما بال أهل الإلحاد وأرباب الضلالة يقللون من قيمة الدين ويتهمون أصحابه بالرجعية والتخلف .

هذا على الرغم من أن الدين يعد عنصراً ضرورياً لتكميل القوة النظرية في الإنسان فبه وحده يجد العقل ما يشبع نهمته ، ومن دونه لا يحقق مطامحه العليا ، ثم هو فوق ذلك عنصر ضروري لتكميل قوة الوجدان ، فالعواطف النبيلة من الحب ، والشوق ، والشكر والتواضع والحياء والأمل وغيرها إذا لم تجد ضالتها المنشودة في الأشياء ولا في الناس ، وإذا جفت ينابيعها في هذا العالم المتبدل المتبدد ، وجدت في موضوع الدين مجالاً لا تدرك غايته ومنهلاً لا ينفد معينه .

وأخيراً هو عنصر ضروري لتكميل قوة الإرادة يمدّها بأعظم البواعث والدوافع ، ويدرّعها بأكبر وسائل المقاومة لعوامل اليأس والقنوط . فالذي نريد أن نثبتته في هذه الحلقة من البحث هو أنه ليس على وجه الأرض قوة تكافئ قوة الدين أو تدانيتها في كفالة احترام القانون ، وضمان تماسك المجتمع واستقرار نظامه ، والتثام أسباب الراحة والطمأنينة فيه .

السرف في ذلك أن الإنسان يمتاز عن سائر الكائنات الحية بأن حركاته وتصرفاته الاختيارية يتولى قيادتها شيء لا يقع عليه سمعه ولا بصره ، ولا يوضع في يده ولا عنقه ، ولا يجري من دمه ولا يسري في عضلاته وأعصابه ، وإنما هو معنى إنساني روحي اسمه الفكر والعقيدة .

ومن الخطأ البين أن نظن أن في نشر العلوم والثقافات وحدها ضماناً

للسلام والرخاء ، وعوضاً عن التربية والتهذيب الديني والخلقي ذلك أن العلم سلاح ذو حدين ، يصلح للهدم والتدمير كما يصلح للبناء والتعمير ، ولا بد في حسن استخدامه من رقيب أخلاقي يوجهه لخير الإنسانية وعمارة الأرض لا إلى نشر الشر والفساد .

ذلكم الرقيب هو العقيدة والإيمان . . . . .

من أجل ذلك كان التدين خير ضمان لقيام التعامل بين الناس علي قواعد العدالة والصفة ، وكان لذلك ضرورة اجتماعية كما هو فطرة إنسانية . . . . . إن الخدمة الجليلة التي تؤديها الأديان للجماعة لا تقف عند هذا الحد فليست كل مهمتها أنها المبعث القوي لتهذيب السلوك وتصحيح المعاملة ، وتطبيق قواعد العدل ، ومقاومة الفوضى والفساد ، بل إن لها وظيفة إيجابية أعمق أثراً في كيان الجماعة ذلك أنها تربط بين قلوب معتنقيها برباط من المحبة والتراحم لا يعدله رباط آخر من الجنس أو اللغة أو الجوار أو المصالح المشتركة .

بل إن هذه العلائق مجتمعة ، مهما يكن أثرها الظاهري من كف الأذى وبذل المعروف المتبادل ، تظل روابط سطحية تضم الأفراد كما تضم الأعواد في ضغث ولا تزال تتخللها الفجوات والشغرات والحواجز النفسية ، حتي تشدها رابطة الأخوة في العقيدة ، والمشاركة في المثل العليا ، فهناك تعود الكثرة وحدة وتصبح النفوس كالمرايا المتقابلة تنعكس صور بعضها في بعض . بل كثيراً ما تستغني هذه الوحدة الروحية عن سائر الوحدات الأخرى ، فتعقد بها أقوى الوشائج وأدومها بين أفراد اختلفت أجناسهم وتباينت لهجاتهم ، وتباعدت ديارهم وتفاوتت مصالحهم ، وكثيراً ما نرى الدول التي

تقوم على قاعدة المصالح المشتركة في الوطن بين ملل مختلفة تضطر إلي الاستنجد بما في هذه الأديان كلها من مبدأ التعاون على الخير ، والتناصر على دفع عدوان المغيرين ولذلك قيل بحق : إن الوطنية التي لا تعتمد على باعثة من الخلق والدين إنما هي حصن متداع يوشك أن ينهار .

وجملة القول إن الأديان تحمل من الجماعات محل القلب من الجسد وإن الذي يؤرخ الديانات كأنما يؤرخ حياة الشعوب ، وأطوار المدنيات (١) .  
ولذلك يؤكد علماء الاجتماع (أن الدين لا يخلو من الاتصال بشؤون الجماعة ، بل ينتهي الأمر بالعلماء الاجتماعيين الباحثين في تاريخ الأديان وأصولها إلى اعتبار الصبغة الاجتماعية في الدين أقوى وأرسخ من كل صبغة سواها) (٢) .

ومع هذه الحقائق الدامغة إلا ( أن الصدام الذي وقع في أوروبا بين الحضارة الحديثة وبين المسيحية الغربية قد اتجه خطأ إلى الإلحاد ، وهذا الاتجاه الخاطيء هو المسؤول وليس الحضارة الحديثة نفسها عن كل تلك العلوم ، وعن كل مظاهر المدنية اللذين يقودان العالم إلى الثورة على الدين ، وإنه ل يبدو لنا ببساطة القضية أن هذه المشكلات خارجة من بطن الحضارة الحديثة نفسها .  
إن الحضارة الحديثة بمعنى (الحضارة الصناعية ) كانت اكتشافاً لعصرها ، وكان يجب الاستفادة بها وفق الظروف في كل بلد ، ولكن تلك الحضارة التي تفوقت بها شعوبها لدرجة استعمار العالم الإسلامي كله ، والتي تحول

---

(١) المرجع السابق ، ص ٩٥ - ١٠٢ .

(٢) الدين والوحي والإسلام ، د . مصطفى عبد الرازق ، ص ٢٢ ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ ، دار القادري ، بيروت ، دمشق .

صدامها مع المسيحية : إلى الإلحاد كانت هذه الحضارة الحديثة تحدياً سياسياً وفكرياً للإسلام وكان من الواجب التصدي لهذا التحدي ذوداً عن عين كيانتنا وديننا .

ولكن العالم الإسلامي أخفق في كل شيء حتى في إثبات أنه يعني جوهر التحدي الذي أثارته الحضارة الحديثة ، ولذلك لم نتمكن نحن المسلمين من الاستفادة الحقة من الحضارة الحديثة ، ولم نستطع أن نقدم الرد الصحيح علي التحدي الذي يمينا في صميم مصيرنا ، ويمس مستقبل الدين نفسه على الأرض<sup>(١)</sup> .

وهكذا بعد أن تناول على الدين المتناولون واخترقوا جدار الهيبة من نفوسهم ضد تلك المقدسات ، كان لابد من الطعن في أعز ما يملكه الناس بل في عروتهم الوثقى كتاب الله العظيم ذلك الذي تكفل الله بحفظه حتى قيام الساعة .

أقول بدأ تناول يصل إلى حد لا يعقل حتى وصل إلى كتاب الله تعالى من حيث تواتره ونزوله على نبينا صلى الله عليه وسلم ، وسيبدو ذلك واضحاً من خلال ما سنراه في المبحث الثالث من هذا الفصل ، وهذا المبحث مكمل أو هو جزء من المبحث الثاني في الحقيقة ، ولكنني جعلته منفصلاً عنه لأهميته وحاجتنا للحديث عنه بشكل مستقل .

---

(١) الدين في مواجهة العلم ، د. وحيد الدين خان ، ص ١٣٤ - ١٣٥ ، ط ٤ ، ١٤٠٧هـ ، دار النفائس بيروت ، لبنان .

## المبحث الثالث القرآن الكريم

هناك العديد من الهجمات التي وجهت إلى القرآن الكريم في محاولة لإثارة الشكوك حوله وإفقاده لقدسيته وهيئته في نفوس المسلمين، وقد تعرض الدكتور محمد حسين -رحمه الله- لبعض تلك المطاعن من خلال مناقشته لنموذجين اثنين من تلك الهجمات المتعددة .

النموذج الأول هو كتاب الدكتور طه حسين<sup>(١)</sup> المسمى (في الشعر الجاهلي) والنموذج الثاني هو بحث جامعي في قراءات القرآن الكريم .  
النموذج الأول يقول عنه الدكتور محمد حسين -رحمه الله- :

(وقد كان أخطر ما ظهر في هذه الفترة مما يدعو إلى هدم التدين كتاب أثار عند ظهوره ضجة هائلة في الصحف وفي المجلس النيابي، وتناولت السلطات القضائية مؤلفه بالتحقيق، وجمعت نسخه من الأسواق حتى لا يتداولها الناس وذلك هو كتاب (في الشعر الجاهلي) لظه حسين، الذي ظهر سنة ١٩٢٦م بعد أن ألقاه صاحبه على طلبة السنة الأولى في كلية الآداب خلال العام الدراسي المنصرم .

والكتاب مقسم إلى ثلاثة أقسام أو ثلاثة فصول، الأول في توضيح منهجه في بحث الأدب العربي، وهو أكثر الأبواب إثارة، ولذلك اضطر المؤلف إلى إسقاطه أو إسقاط أكثره عندما أعاد طبع الكتاب باسم (في الأدب الجاهلي) وأدخل ما

---

(١) طه حسين : ولد في مصر عام ١٨٨٩م ، كف بصره في العام الخامس إثر مرض لم يعالج منه ، تعلم في الأزهر فترة من عمره ، له نشاط في عالم الأدب والثقافة ، ألف العديد من الكتب التي سببت جدلاً طويلاً ، عمل أستاذاً في الجامعة المصرية ، خاض عدداً من المعارك الصحفية والأدبية ، توفي عام ١٩٦٢م . طه حسين ، حياته وفكره في ميزان الإسلام ، أنور الجندي ، ص ٢١-٢٨ (بتصرف) ، بدون طبعة وتاريخ ، دار الاعتصام ، القاهرة ، مصر .

أبقاه منه بعد تعديله مفرقاً على الفصلين الذين أحلهم محل الفصل المحذوف، وهما (الأدب وتاريخه) و (الجاهليون - لغتهم - وأدبهم)، أما الفصل الثاني فهو في أسباب انتحال الشعر، وقد أبقاه كما هو عندما أعاد طبع الكتاب، والثالث في تطبيق دراسته على بعض الشعراء الجاهليين وقد أبقاه في الطبعة الثانية المتداولة بين الناس بعد أن أضاف إليه شيئاً في أوله وشيئاً في آخره، ثم إن المؤلف استحدث فصلين في آخر كتابه بعد أن جرده، تكلم في أحدهما عن الشعر الجاهلي وطبيعته وفنونه، وتكلم في الثاني عن النثر الجاهلي، شاكاً في وجود النثر الفني، راداً على ما تروي كتب الأدب من أمثله له<sup>(١)</sup>.

وسوف أنقل من الكتاب ما يتعلق بموضوع حديثنا ألا وهو موقفه من القرآن الكريم .

حيث [ يذهب المؤلف في الفقرة الثالثة من هذا القسم إلى أن الشعر المنسوب لهذا العصر لا يمثل الحياة الدينية أو العقلية أو الاجتماعية فيه، ثم يذهب في الفقرة الرابعة إلى أننا لا نستطيع أن نعتمد على هذا الشعر في تصور اللغة وخصائصها وأساليبها عند الجاهليين، محتجاً بما يرويه الرواة من الخلاف بين لغة الشمال وبين لغة الجنوب، ويستطرد المؤلف خلال هذه الفقرة إلى ذكر إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام، دون أن تدعو إلى ذلك حاجة ظاهرة، أو ضرورة ملزمة فيتناولهما بكلام لا يوصف بأقل من أنه كفر بكتب الله ورسله يؤذي إيمان المؤمنين، ويفسد عقائد صغار الطلاب الذين ألقى عليهم، فيقول مثلاً: (للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل، وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضاً، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي، فضلاً عن إثبات هذه القصة

(١) الاتحافات الوطنية في الأدب المعاصر، ج ٢، ص ٢٩٦ - ٢٩٧ .

التي تحدثنا بهجرة إسماعيل بن إبراهيم إلى مكة ونشأة العرب المستعربة فيها، ونحن مضطرون إلى أن نرى في هذه القصة نوعاً من الحيلة في إثبات الصلة بين العرب واليهود من جهة وبين الإسلام واليهودية والقرآن والتوراة من جهة أخرى).

ويدعي المؤلف أن هذه القصة قد اخترعت لتدعيم وجهة نظر الإسلام في الخلاف الذي كان قائماً بينه وبين الوثنية الجاهلية، ويزعم أن قرابة إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام للعرب ليست إلا أسطورة لقيت رواجاً عند القرشيين، لأنها تدعم مركزهم فيما كان بينهم وبين نجران وصنعاء من منافسة دينية، ثم يقول: (وإذن فليس هناك ما يمنع قریشاً من أن تقبل هذه الأسطورة التي تفيد أن الكعبة من تأسيس إسماعيل وإبراهيم، كما قبلت روما قبل ذلك، ولأسباب مشابهة، أسطورة أخرى صنعها لها اليونان، تثبت أن روما متصلة بإينياس بن بريام صاحب طروادة، أمر هذه القصة إذن واضح، فهي حديثة العهد، ظهرت قبيل الإسلام، واستغلها الإسلام لسبب ديني، وقبلتها مكة لسبب ديني وسياسي أيضاً).

وواضح من كلام طه حسين الذي قدمنا أمثلة منه جرأته على الدين وخطره على الناشئين واستخفافه بما قرره القرآن من صلة إبراهيم عليه الصلاة والسلام بالعرب وبنائه الكعبة، بما لا يرتفع عنده إلى أكبر من مرتبة الأساطير التي خلفها اليونان والرومان، ولعل من أخطر ما ينطوي عليه هذا الكلام أنه يرضى نزوات الشباب وغروره الذي يستجيب لما يصور له أنه قد أصبح من الذكاء ومن النضج العقلي بحيث يستطيع أن يناقش كل شيء، وأن يخضع كل دقيق وجليل لتفكيره.



وليس من شأننا هنا أن نتقد الكتاب ونبين فسادَه، فقد تكفلت بذلك كتب كثيرة كما سنرى، ولكن لا نستطيع أن نتجاوزه دون الإشارة إلى أن منهج مؤلفه في الاستدلال على ما يذهب إليه فاسد من الناحية المنطقية.

فهو يبدأ تفكيره في أغلب الأحيان بفرض هو محض تخيل مبني على الحدس والظن، ولكنه لا يلبث أن ينسى أنه لم يثبت هذا الفرض، فيضعه موضع القضية المفروغ من صحتها والمسلم بها، ويمضي في الاستنتاج، فهو مثلاً يفترض أن ما روي عن ابن عباس من حفظ الشعر القديم والاستشهاد به في معرض تفسير القرآن إنما اخترع اختراعاً لإثبات أن ألفاظ القرآن كلها مطابقة للفصح من لغة العرب (وهو كلام بين الفساد والتفاهة) أو أنه اخترع لإثبات أن عبد الله بن عباس كان من أحفظ الناس لكلام العرب الجاهليين، وهو يبدأ كلامه هذا بقوله: (أليس من الممكن أن تكون قصة ابن عباس قد اخترعت لكذا وكذا من الأسباب؟) ولكنه لا يلبث أن يستنتج من هذا الفرض الذي هو محض تخيل وادعاء أن إثبات قوة الذاكرة لابن عباس يخدم أهداف الشيعة السياسية، لأن ابن عباس كان يشهد بأن علياً أقوى منه ذاكرة.

واعجب معي لأن تنفق كل هذه الجهود في اختراع الشعر ليثبت قوة ذاكرة علي رضي الله عنه، وهو يمضي في سوق فروض يبدأها بـ (أليس من الممكن أن) أو (لعل) أو (أكاد أعتقد أن)، ثم يخيل إليه أن تراكم (اللعلات) والـ (أليس ممكنات) قد رفعت قيمة هذه الفروض وأثبتت صحتها، فهو مثلاً يتساءل: أليس من الممكن أن تكون قصة ابن عباس قد وضعت لغرض تعليمي يسير؟ ثم يقول: (لعل نافعاً: سأل ابن عباس عن مسائل قليلة فزاد فيها هذا العالم ومدّها). ثم يقول: (أكاد أعتقد أن هذا النوع من الانتحال هو

أصل المقامات وما يشبهها). ويختتم هذه الفروض ويختتم معها هذا الفصل الأول من كتابه بقوله: (إن من الحق علينا لأنفسنا وللعلم أن نسأل: أليس هذا الشعر الجاهلي الذي ثبت (!؟) أنه لا يمثل حياة العرب الجاهليين ولا عقليتهم ولا ديانتهم ولا حضارتهم، بل ولا يمثل لغتهم أليس هذا الشعر قد وضع وضعاً وحمل على أصحابه حملاً بعد الإسلام؟) وهو كما نرى لم يثبت شيئاً حتى الآن، ولم يخرج عن دائرة (أليس من الممكن)، ولكنه لا يلبث أن يقول (وكلنا محتاجون بعد أن ثبتت هذه النظرية (!؟) أن نتبين الأسباب المختلفة التي حملت الناس على وضع الشعر وانتحاله بعد الإسلام)[<sup>(١)</sup>].

ثم عقب رحمه الله على ذلك كله باستعراض ردة الفعل التي وقعت بعد خروج الكتاب إلى الساحة وكيف أهاج الرأي العام وتوالى المقالات تنقد الكتاب وتهاجم مؤلفه، وكيف غضب الأزهر وطالب الحكومة بطرد المؤلف ثم تعدى الأمر إلى المجلس النيابي واستجواب وزير المعارف من قبل الأعضاء، ثم كيف (شغل الكتاب الرأي العام والصحافة والقضاء وممثلي الشعب والهيئات المثقفة، كما لم يشغلها كتاب آخر في العصر الحديث)<sup>(٢)</sup>.

ثم ذكر ما تخلف عن تلك المعركة من كتب سبعة، استعرضها بأسلوبه الموجز وبين ميزة كل كتاب منها وأيها كان أسبق ظهوراً محدداً تاريخ ظهور كل واحد منها، عدا الكتاب الأول حيث لم يحدد تاريخه.

كما أنه اختار من بينها حسب ما هو واضح من عباراته كتاب محمد أحمد الغمراوي (النقد التحليلي لكتاب في الأدب الجاهلي) ليكون (أفضل ما كتب

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، محمد محمد حسين، ج ٢، ص ٢٩٦ - ٣٠١.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٠١.

في نقد الكتاب وأجمعه وأوفاه وأسلسه أسلوباً<sup>(١)</sup>.

أما الكتب الأخرى فأسوق رأيه فيها للتدليل على ما لهذا العملاق من قدرة على الاطلاع واستيعاب للكتب التي تحدثت عن هذا الموضوع وكذلك قدرته الفذة على التقييم والتمييز والدقة وكذلك التلخيص الموجز لرأيه فيها فهو مثلاً يقول عن كتاب الرافعي (تحت راية القرآن) إنه: (يمتاز بميزتين: أولاهما هي أنه أصدق هذه الكتب وأدقها في تصوير المعركة التي تلت ظهور الكتاب وما مرت به من أطوار وما تخللها من أحداث، والميزة الثانية هي أنه أكثر هذه الكتب حدة، وأعنفها في مهاجمة طه حسين، لأنه كتب في خلال المعركة، ولم يكتب بعدها كما هو الشأن في بقية الكتب)<sup>(٢)</sup>.

ويقول عن كتاب فريد وجدي (نقد كتاب الشعر الجاهلي) إنه: (أدني هذه الكتب إلى الرفق واللين، فهو يحمّد لطه حسين بعض ما يتفق معه فيه، ثم يعقب ذلك بمناقشة ما يخالفه فيه، متجنباً في ذلك سبيل العنف والمخاشنة)<sup>(٣)</sup>.

أما كتاب محمد الخضر حسين (فهو أدني إلى أسلوب الأزهر المتبع في الحواشي، والذي يتحرى الدقة في تتبع النص كلمة كلمة، فهو يتناول في نقده كتاب طه حسين صفحة صفحة، بل سطرّاً سطرّاً، فيقدم بين يدي نقده نص الفقرة أو الجملة التي سيتناولها بالمناقشة، مشيراً إلى رقم الصحيفة التي جاءت فيها، ثم يعقب بمناقشتها، مفيضاً في ذلك ما بداله، في صبر وحرص على الاستقصاء، وقد كان كتابه أطول ما ألف في الرد على طه حسين)<sup>(٤)</sup>.

(١) المرجع السابق، ص ٣٠٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٠٢.

(٣) المرجع السابق، ص ٣٠٢.

(٤) المرجع السابق، ص ٣٠٢.

أما كتاب الغمراوي الذي ذكرناه قبل ذلك فهو يصفه (بأنه لم يقتصر في نقده على الناحية الموضوعية التي انصرفت إليها جل عناية المؤلفين في الكتب السابقة، ولكنه احتفل بإبراز فساد المنهج العلمي للكتاب الذي حوى باسم العلم كثيراً مما يجهله العلم كما يقول الغمراوي في مقدمته والذي يريد أن يهدم تراث ثلاثة عشر قرناً باسم العلم دون أن يقدم دليلاً علمياً)<sup>(١)</sup>.

ثم يحيل الدكتور محمد - رحمه الله - إلى الهامش فيقول: (وراجع أمثلة لمناقشة المنهج العلمي من ص ١٠٤-١١٠ حيث يتكلم عن فساد تصوره لمنهج ديكرت، ص ١١٩-١٢٢. حيث يتكلم عن فساد تطبيقه لهذا المنهج، ص ١١٣ حيث يتكلم عن أن المؤلف لا يلتزم المنهج العلمي في شكله ولا يلزمه في حدسه، ص ١٣٨-١٣٩ حيث يتكلم عن أن مناهج البحث تختلف باختلاف العلوم، فما يصلح للعلم لا يصلح للتاريخ أو الأدب، ص ١٤١-١٤٦، حيث يطبق المنهج العلمي على المزاعم التي يدعى طه حسين أنها ثمرة الأسلوب العلمي، مبيناً فساد منهجه)<sup>(٢)</sup>.

أما كتاب محمد عرفه فقد علق الدكتور محمد - رحمه الله - على مقدمة المؤلف الذي قال: [(وأعد القراء وعداً صادقاً - ووعداً الحردين عليه - ألا أخضع هذا النقد إلا للعلم وحده، وألا أتحاكم فيه إلا إلى قضايا المنطق وما أثبتته التاريخ، وألا أقول فيه هذا كفر أو هذا يخالف الدين، وإنما أقول هذا يناقض الواقع ويخالف التاريخ لتلا يقولوا: نحن نبحت بحثاً علمياً، وأنت تخضعنا للدين) وقد صدق المؤلف فيما عاهد عليه، فلم يكذب يخرجه إلا

(١) المرجع السابق، ص ٣٠٣.

(٢) المرجع السابق، هامش ٢، ص ٣٠٣.

قليلاً) ثم أحال على الهامش فقال: (كالذي جاء في ص ٥٧-٥٨ من المرجع السابق، حيث يهاجم طه حسين مهاجمة عنيفة مندداً بجهلة وادعائه وضلاله)<sup>(١)</sup>.

ويقول: (وقد بدأ المؤلف كتابه بتلخيص المطاعن التي سيتولى الرد عليها في كتابه، وهي جميعاً تتصل بالقرآن، الذي قارن طه حسين بين المكي فيه والمدني حين أراد أن يخضعه لظروف البيئة ويعتبره نصاً أرضياً، يخضع لكل ما تخضع له النصوص الأدبية من مؤثرات وعقب المؤلف على ذلك بتفنيد هذه المزاعم، معتمداً على جمع كثرة من النصوص القرآنية التي تقطع ببطان مزاعم طه حسين، وتبين أن أحكامه هي طائفة من المجازفات التي لا تعتمد إلا على الظن الذي لا يرتقي إلي مرتبة العلم)<sup>(٢)</sup>.

ذلكم هو النموذج الأول الذي سقته لأبين فيه كيف أنه رحمه الله وبمنطقية شديدة بعيدة عن التشدد والغلو في الرد على طه حسين استطاع أن ينقض علمية المنهج الذي ظن طه حسين أنه يسير عليه، ويكفي أنه رحمه الله لم يطل النفس في مناقشة تفاصيل الكلام وإنما أورد نبذة قصيرة عن الكتب التي تولت الرد على طه حسين وأسلوب كل واحد منها، وعقب على ذلك برأيه الخاص والمبني على الاستغراب الشديد من تلك الفروض العقلية المهزوزة التي كان طه حسين يضعها ويبني عليها نظريته الشوهاء عن كتاب الله تعالى .

أما بالنسبة للنموذج الثاني فقد كان رحمه الله تقريباً هو الخصم الوحيد لذلك البحث المملئ بالافتراء والغلط والمجازفات ولذلك تولى رحمه الله الرد

(١) المرجع السابق، هامش ٢، ص ٣٠٤ .

(٢) المرجع نفسه، ج ٢، ص ٣٠٤ .

بالتفصيل والإسهاب المناسب معبراً عن رأيه في ذلك البحث وخاض من أجله معارك لمز من أجلها في دينه وأسلوبه وطريقته ، ولكنه لم يأبه لذلك وإنما عبر عن رأيه بكل قوة ووضوح دفاعاً عن الحق الذي يعتقد والرائي الذي يتبناه والدين الذي يدين به وينافح عنه .

وهذا النموذج هو كما قلت سابقاً عبارة عن بحث جامعي في قراءات القرآن الكريم بعنوان (دراسة في أصوات المد في التجويد القرآني) ويصفه الدكتور محمد حسين - رحمه الله - بأنه (بحث يقوم على مجازفات تجمع بين الانحراف والجهل ، يريد أن يشكك في سلامة النص القرآني)<sup>(١)</sup>.

ثم ينقل رحمه الله نماذج من الأخطاء الفادحة التي جاءت في البحث ويقول : إنها [أخطاء تمس العقيدة ، بل تهدم الأساس الأصيل الذي يقوم عليه الإسلام ، وتؤذي إيمان المؤمنين في أعز ما يعتزون به وهو القرآن .

وذلك بما زعمته الطالبة (صاحبة البحث) وأكدت في أكثر من موضع من أن القرآن الذي يتعبد به المسلمون ليس منزلاً من عند الله ، أو هو منزل من عند الله بمعناه لا بلفظه ، وهو ما لم يجرؤ أحد من المسلمين على القول به ، بل ما لم يجرؤ الملاحدة على الجهر به في وطن إسلامي .

زعمت الطالبة أن رسول الله ﷺ كان يغير ويبدل في النص القرآني فجاء في كلامها ، بعد كلام عن استخدام الرسول عليه الصلاة والسلام للهجات العرب المختلفة في أحاديثه العامة .

(ولما كان الرسول<sup>(٢)</sup> يفعل ذلك في أحاديثه العامة معهم ، فمن الأولى أن

(١) حصوتنا مهددة من داخلها ، د . محمد حسين ، ص ٢٥١ .

(٢) تورد الكاتبة كلمة الرسول ﷺ بدون الصلاة والتسليم وأحياناً توردتها بالتسليم فقط دون الصلاة وأحياناً تذكر بعض الصحابة رضي الله عنهم بدون أن ترضى عليهم .

يفعله في الأمر الأهم الذي أتوه من أجله، من الطبيعي أن يستبدل في النص القرآني لفظة بأخرى يعلم أنها أكثر شيوعاً في تلك البيئة، أو يرى أنها تحمل شحنات من المعاني تفهم الفكرة أكثر، أو أن يغير في نظام الجملة ليجعلها أكثر وضوحاً، أو ليكسبها بلاغة أكثر في نظر القوم الذين يقرأ أمامهم).

بل لقد زعمت الطالبة أن النص القرآني لم يتعرض للتغيير والتبديل على يد رسول الله ﷺ وحده، بل تعرض هذا التغيير والتبديل على أيدي المسلمين الأولين من الصحابة، لأن القرآن في زعمها ليس منزلاً من عند الله بلفظه، ولكنه منزل بمعناه، : (ويبدو لي الأمر على النحو التالي : حين نزل القرآن في أول عهده، كان الهدف الأول للمسلمين نشر الدعوة الإسلامية، وطبيعي أن يتركز الاهتمام على الفكرة وأن ينشغل بها الجميع، فكان الرسول ﷺ يقرأ النص ويغير فيه حسب الظروف، ويسمح لمن يقرأ عليه بقدر من المخالفة، وكذلك الأمر فيما يتعلق بالأداء).

وأكدت الطالبة هذا الزعم الفاسد في مواضع أخرى من بحثها حين قالت : (على أن الرسول عليه السلام كان يبيح الاختلاف ولا يعمد إلى التخطيء، كان يتسامح عليه السلام في النص بعض الشيء، وطبيعي أن يكون التسامح أيضاً في الجانب الأدائي إن لم يكن على نطاق واسع).

وقالت أيضاً : (كان كل ما يهم الرسول عليه السلام هو المحافظة على الفكرة، هذا بالإضافة إلى أن الرسول عليه السلام لم يضع في اعتباره فكرة التخطيء لمجرد اختلاف لفظين يؤديان معنى واحداً).

وقالت أيضاً : (ولكن الرسول عليه السلام كان حريصاً على الاعتدال وإباحة الاختلاف، مادامت الفكرة لم تتغير، والعبارة لم تخرج عن حدود

العربية السليمة).

وواضح من الكلمة الأخيرة في هذه العبارة أن كل ما اشترطته الطالبة في العبارة القرآنية هو مجرد السلامة، والسلامة أدنى مرتبة من البلاغة، والبلاغة أدنى مرتبة من الإعجاز، والقرآن قد وصف نفسه بأنه معجز في أكثر من موضع فقال تعالى: ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ (البقرة : ٢٣).

وزاد على ذلك فجعله معجزاً للإنس والجنّ، فقال تعالى: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾ (الإسراء : ٨٨).

وتصر الطالبة على ما زعمته من النزول بالعبارة القرآنية إلى مرتبة السلامة والصحة فحسب حين تقول بعد ذلك: (وكان الرسول عليه السلام إذ يفعل ذلك مطمئناً على النص القرآني، لأنه باللغة العربية بين أصحاب تلك اللغة، فالخلافات بينهم لن تكون خلافاً بين خطأ وصواب، ولكنها كلها خلافات في داخل إطار الصواب، يسبب وجودها العوامل التي لا بد منها، من لهجية وشخصية واجتماعية).

وزعمت الطالبة أن المسلمين لم يتفقوا على نص موحد للقرآن، وكل ما وصلوا إليه في زعمها هو شيء يشبه النص الموحد، فكانوا حين يرددون القرآن يحرصون - حسب تعبيرها - (على الاتفاق على ما يشبه النص الموحد، وقبل منهم الرسول عليه السلام، ذلك لأنه كان مطمئناً إلى أن التحريف لن يدخل القرآن فلغته هي العربية بين قوم يتكلمون بها، وفي الغالب لم يكن الفرد من الصحابة ليغير النص في كل مرة يقرأ بها).



وتعود الطالبة إلى تأكيد تلك المزاعم الفاسدة فتقول : (وعرض الأمر على هذا النحو يساعد على هدم فكرة التوقيف في قراءة القرآن، تلك الفكرة التي لا يقرها المدرس اللغوي أو الواقع التاريخي).

ثم قالت بعد استطراد أكدت فيه أن اختلاف الأداء وقع من الرسول نفسه عليه الصلاة والسلام، ثم من أصحابه عليهم رضوان الله، ثم من المسلمين عند تدوين المصحف على عهد سيدنا عثمان رضي الله عنه : (وهكذا تتضافر العوامل المختلفة على رفض فكرة التوقيف، كل ما يمكن أن يقال : إن قراءة القرآن اتفقت أصولها مع أصول الأداء العربي، ثم بعد ذلك تلونت بلون الظروف المختلفة) (هذه القراءات التي بين أيدينا يصعب جداً الادعاء بأنها كانت القراءات الملتزمة على عهد الرسول عليه السلام، لسبب تدخل عوامل التطور واللهجات) ثم عامل الاختيار، التي جعلت القارئ ينتخب قراءة من عدة قراءات تعلمها).

ومن الواضح أن نفي فكرة التوقيف هو نفي لتواتر القرآن، ونفي أن يكون النص القرآني الذي يتعبد به المسلمون ويحيطونه بكل أسباب الرعاية ويحرصون على صورته الكتابية إلى حد الاحتفاظ بالرسم العثماني الأول، مع مخالفته في بعض الأحيان لقواعد الإملاء العصرية، هذا النص القرآني الذي كان الحفاظ عليه هو سبب تمسك المسلمين من غير العرب بالحروف العربية في باكستان، وفي أفغانستان وفي إيران حتى الآن، وفي بلاد التركمان إلى ما قبل الانقلاب البلشفي، وفي تركيا إلى ما قبل الانقلاب الكمالي، وفي أندونيسيا إلى سنوات قليلة مضت، أليس هذا النص بكل ما حقه من أسباب العناية هو النص الذي أنزل على رسول الله ﷺ، والذي وعد الله سبحانه

وتعالى بحفظه حين قال جل من قائل : ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾  
(الحجر : ٩).

ذلك إلى أن التعديل الذي طرأ على النص القرآني - كما زعمته الطالبة -  
بوضع كلمة مكان كلمة أو بالتقديم والتأخير هو تعديل في الصياغة ، والتعديل  
في الصياغة تعديل في المعنى وفي المضمون ، يترتب عليه تعديل في التشريع  
وتعديل في العقيدة نفسها ، وهو في الوقت نفسه تعديل في الصفة البلاغية  
للكلام لأن البلاغة تقوم في المكان الأول على اختيار الكلمات وعلى ترتيبها ،  
وهو ما يسميه أهل ذلك الفن بالنظم أو الأسلوب .

بحيث يمكن أن تنتفي صفة البلاغة عن الكلام البليغ إذا حدث تغيير  
وتبديل في كلماته أو في ترتيب هذه الكلمات ، والقرآن هو مصدر العقيدة  
ومصدر التشريع الأول في الإسلام ، ومدار ذلك كله على النص ، وهو معجز  
لا شك بإجماع علماء المسلمين . وهو بقراءاته جميعاً منزل بلفظه من عند  
الله ، ومن فضول القول والإسراف في تبديد الوقت والجهد أن نتكلم في ذلك  
أو نقيم الحجة عليه .

فإجماع المسلمين منعقد على أن القرآن يعتمد فيه على السماع والنقل  
المتواتر عن رسول الله ﷺ عن جبريل عليه السلام في كل كلمة من كلماته ،  
هذا شيء ثابت ثبوتاً قطعياً ، عقيدة وتاريخاً وعقلاً ، والنصوص فيه والأدلة  
متوافرة متراكمة من كل وجه من هذه الوجوه ، وشهادة القرآن بذلك صريحة  
وتكفي فيها مراجعة الآيات العديدة في سور مختلفة كثيرة .

ومع ذلك كله فالبحث يقوم على المجازفة المنافية للمنهج العلمي ، وهي  
مجازفة لا تُحمل إلا على الجهل أو سوء القصد ، فالقضايا العلمية لا تقوم

على مجرد التوهم والتخيل، ولا سيما إذا كانت تتصل بدين الدولة وبمقدسات الأمة، وذلك حين عرضت الطالبة لجمع (أبي بكر بن مجاهد)<sup>(١)</sup> للقراءات السبع فقالت: (ويبدو لي، كفروض عقلية، ساعد على استنتاجها التعرف على ملابسات الجو وتفحص عمل ابن مجاهد) والاستنتاج العلمي لا يقوم حين يعجز الطالب عن فهم النصوص والتمييز ما بين كلمة وكلمة، فالطالبة تروى عن خالويه<sup>(٢)</sup> أنه قال: (وقرأ أعرابي (شراً يره، وخيراً يره) قدم وأخر، وقرأ آخر (لأجلسن لهم) بدلاً من (لأقعدن لهم) وتروى عن سيبويه<sup>(٣)</sup> أنه قال: (ربما قرأ الجفافة من الأعراب في سورة الإخلاص (ولم يكن أحد كفواً) وكذلك (ما هذا بشر) بدلاً من (ما هذا بشراً) في سورة يوسف، ثم تعتبر هذه الأخطاء تطورات قرآنية يرجع السبب فيها إلى (إحساس أولئك الأعراب بأن اللغة لغتهم، وبأن هذا النص جاء بتلك اللغة التي يتكلمونها، فعاملوه كأني نص لغوي آخر يسمحون لأنفسهم فيه ببعض التصرف ما دام المعني لن يتغير والبناء لن يفسد) وفساد هذا الاستنتاج مبني على فساد فهم النصوص،

(١) هو (أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد البغدادي، ولد سنة خمس وأربعين ومائتين، كان من كبار القراء وله علم بالحديث والنحو، وانتهى إليه علم القراءات، توفي في شعبان سنة أربع وعشرين وثلاثمائة). سير أعلام النبلاء، الإمام الذهبي، ج ١، ص ٢٧٢-٢٧٣، ط ٦، ١٤٠٩ هـ، مؤسسة الرسالة بيروت، لبنان.

(٢) خالويه: هو (الحسين بن أحمد بن حمدان بن خالوية الهمداني، الإمام النحوي اللغوي المقرئ المفسر، المعروف بذي النونين، وهما نون (الحسين) ونون (بن)، وقد كان يطولهما في كتابه، نشأ ببغداد واستوطن حلب، صنف أكثر من ستين كتاباً في علوم القرآن والنحو واللغة، توفي بحلب عام ٣٧٠ للهجرة)، الموسوعة العربية العالمية، عدد ١٠، ص ١٢.

(٣) سيبويه هو (عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي، إمام في النحو، طلب الفقه والحديث مدة، ثم أقبل على العربية فبرع وساد أهل العصر، وألف فيها كتابه الكبير الذي لا يُدرك شأوه فيه. وقيل: كان من فرط ذكائه حبسةً في عبارته، وانطلاقاً في قلمه. وكان قد تعلق من كل علم بسبب، وضرب بسهم في كل أرب مع حداثة سنه، توفي عام ثمانين ومائة، عن اثنتين وثلاثين سنة وقيل أربعين سنة). سير أعلام النبلاء، الإمام الذهبي، ج ٨ ص ٣٥١-٣٥٢.

فالقراءات المروية مجهلة غير منسوبة لقائل ، وهو ما يسمى في مصطلح الحديث بالتدليس فهي مروية عن (أعرابي) أو عن (آخر) أو عن (الجفأة من الأعراب) والرواية الأخيرة مضعفة بقول الراوي (وربما) ، هذا إلى أن نسبة هذه الروايات للأعراب يدل على أن المقصود هو تصوير جهلهم وجفائهم ، وقد كان الأعراب في كتب الأدب والفقہ على السواء رمزاً لجفاء الطبع والاغراق في الجهل ، كالذي يحدث الآن حيث نروى بعض النوادر والطرائف وننسبها لأهل الريف أو الصعيد ، والأعراب موصوفون بذلك في كتاب الله عز وجل : ﴿الأعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله﴾ (التوبة : ٩٧) ، ﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم﴾ (الحجرات : ١٤) [٢] .

وبعد هذا الاستعراض الموجز لما جاء في البحث يقول رحمه الله : (ولا بد للجامعة من أن تبرئ نفسها منه ومن تبعاته ، ولا بد لها من أن تدفع عن نفسها عند الذين شهدوا مناقشته أو قرأوه تهمة لا يصح أن تعلق بها ، وهي الاستخفاف بالدين وإذاعة ما يززع يقين الناس به ، ومكافأة الذين يفعلون ذلك بمنحهم درجاتها العلمية .

إن الجامعة يجب أن ترتفع عند الناس عن نطاق الشبهة ، بتيسير السبل لمثل هذه الآراء الهدامة أو إباحتها ساحتها ومنبرها لإذاعتها ، أو استخدام درجاتها العلمية في الدعاية لها ، ولا سبيل إلى ذلك إلا برد البحث واعتباره كأنه لم يكن أو بإحالة على الأقل إلى لجنة من المتخصصين في جامعة الأزهر التي هي وحدها جهة الاختصاص .

(١) حصوننا مهددة من داخلها ، د . محمد حسين ، ص ٢٥٦ - ٢٦٢ (بتصرف) .

إن القضية ليست قضية (حرية البحث) كما يزعمه الذين يحتمون بهذا الاسم، فحرية البحث مكفولة في الحدود التي لا يتعرض معها المجتمع للخطر بإثارة الفتن والتشكيك في الدين ومصادره، وفي الحدود التي لا تتحول عندها إلى عدوان على حقوق المؤمنين وإيذاء لمشاعرهم وضمائرهم، ولكن القضية في حقيقتها هي قضية عدم اختصاص وانتهاك لحرمة الجامعة التي يراد لها أن تسمح لغير متخصص بالبحث في موضوع لا يعرفه، وأن تمنح درجات جامعية ليس من شأنها أن تمنحها، وأن تيسر الأسباب وتسهل السبل لمن يوجه باسم البحث العلمي إهانات لجماعة المسلمين تسهم في أعز ما يعتزون به، وهي إهانات لا تستند إلى منطق أو علم، ولكنها تقوم على الجهل والمجازفة)<sup>(١)</sup>.

ولاشك أن هذه الكلمات التي تفيض بالحرارة والصدق تعكس مشاعر الغضب والألم التي كانت تختلج في نفس الدكتور محمد رحمه الله وهو يرى ويسمع ما وصفه هو بأنه لم يسبق إليه أحد من المسلمين ولا حتى الملاحدة من طعن وتشكيك في كتاب الله الكريم تقوم به باحثة تدعي العلم والتحقيق لتخرج بما يهز قلوب المسلمين الموحدين ويجرح مشاعرهم في الصميم .

بعد ذلك قام رحمه الله بكتابة مذكرة ثانية، رد فيها على بعض ما تعرض له من حملة شعواء نتيجة لما كتبه عن البحث السابق حيث جاء فيها أنه سيكتفي [ببيان خطورة ما ذهبت إليه الطالبة من نفي التوقيف في النص القرآني وفي الأداء القرآني، وهو ما حاولت بعض الآراء المنشورة أن تهون من شأنه .

(١) المرجع السابق، ص ٢٦٢-٢٦٣ .

ما هو التوقيف أولاً؟ . . التوقيف هو الاعتماد على الاتصال الشخصي وعلى السماع في حفظ القرآن وتجويده، ذلك بسماع الطالب من شيخه ثم حفظه اعتماداً على السماع وترديده على الشيخ، ثم إقرار الشيخ لما حفظه وإجازته بقراءته، فالطالب يسمع من شيخه أولاً، فإذا حفظ سمع الشيخ منه، وذلك كله اعتماداً على المصاحف المدونة، التي ظلت حتى الآن بالرسم العثماني الذي كتب به في خلافة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهو رسم يختلف في صورته الكتابية أحياناً عن القواعد العصرية للإملاء، ولكن المسلمين تمسكوا به سداً للذرائع، وقطعاً لكل سبيل يمكن أن يتسلل منها مفسد يشكك في سلامة النص القرآني من كل تحريف.

وقد كان هذا التوقيف هو نفسه الوسيلة لانتقال النص القرآني بوحى من الله عز وجل إلى نبيه ﷺ، فكان سيدنا جبريل عليه السلام يقرأ القرآن على سيدنا رسول الله ﷺ، فيحفظه الرسول بأمر الله ووعد له في قوله: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾ \* إن علينا جمعه وقرآنه \* فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه ﴿(القيامة : ١٦-١٩).

﴿سنقرئك فلا تنسى﴾ \* إلا ما شاء الله إنه يعلم الجهر وما يخفى﴾  
(الأعلى : ٦-٧).

فإذا كان شهر رمضان من كل عام عرض رسول الله ﷺ على جبريل عليه السلام ما أنزل عليه من القرآن، فلما كان شهر رمضان من عام وفاته ﷺ عرض القرآن كله على جبريل مرتين.

ومن المعروف أن قراءة القرآن وتجويده لا تزال تعتمد حتى الآن على التوقيف، الذي هو نقل التلميذ عن أستاذه، وإقرار الأستاذ قراءة تلميذه

وإجازته بها .

تقول الطالبة في السطر الأول من خاتمة البحث : (أول نتيجة توصل إليها البحث هي رفض فكرة التوقيف في قراءة القرآن) فإذا أضفنا إلى ذلك ما جاء في الفصلين الأول والثاني ، تبين بوضوح أن القول برفض التوقيف شائع في البحث كله من أوله إلى آخره ، لأن الفصلين الأول والثاني يمهدان للبحث ، والخاتمة تلخص نتائجه ، والطالبة تعتبر هذه النتيجة أول النتائج وأهمها ، ومعنى ذلك بدهاءة أن فصول البحث تدور حول تأكيد هذه النتيجة وتساق للوصول إليها وإثباتها ، فما هي النتائج التي تترتب على هذا الزعم ، الذي وصفه الشيخ على الخفيف بقوله : (ولا شك أن هذه شبهة لا يؤيدها دليل ، وهي فيها مخطئة قطعاً ، ولكن ذلك لا يترتب عليه اتهامها بأي زيغ ، ولا يستتبع إلا نسبة الخطأ إليها ، وتهاونها في الحكم بلا سند ، بناءً على مجرد ظن واستنتاج شخصي) .

والذي وصفه الشيخ فرج السنهوري بقوله : (ما سبق أن كتب ومحي ليس من شأنه لو بقى أن يمس عقيدة الكاتبة ، فإنه لم يكتب إلا عن خطأ وعدم فهم لحقيقة ما كتب فيه) .

عقيدة الطالبة لا تعيننا ، والله وحده - سبحانه وتعالى - هو الذي يعلم حقيقتها ويحاسبها عليها ، ولكن الذي يعيننا هو ما يفهم الناس مما كتبه ، والنتائج التي تترتب على ما جازفت بادعائه من القول : (برفض فكرة التوقيف في قراءة القرآن) .

معنى هذا القول هو أن حفظ القرآن وأداءه قد اعتمد على القراءة في المصاحف في بعض الفترات على الأقل لا على التلقين ، تلميذاً عن أستاذ ،

قراءة من المصاحف ، وهذا الادعاء الفاسد يفتح باباً واسعاً للكلام في سلامة النص القرآني ، لأنه يعني أن رواية هذا النص قد اعتمدت أحياناً على المكتوب وحده دون المسموع ، فإذا اتفق مثلاً أن دس على المسلمين مصحف محرّف في فترة من فترات الاضطراب والفتنة ، أو في إحدى الأطراف النائية من بلاد المسلمين ، كالذي حدث في هذه الأيام حين نشرت إسرائيل مصحفاً محرّفاً بين المسلمين في بعض البلاد الأفريقية ، فمن الجائز - إذا لم يكن حفظ القرآن معتمداً على السماع والقراءة معاً - أن تنتشر هذه القراءة المحرفة بين المسلمين .

ومعنى هذا أن رواية النص القرآني كانت تعتمد على ما يسميه علماء مصطلح الحديث بـ (الوجادة)<sup>(١)</sup> ، أي الاعتماد على المكتوب دون الرواية ، بأن يروي الراوي نقلاً عما وجد في كتب من ينقل عنه ، و(الوجادة) عند علماء مصطلح الحديث من أضعف مراتب التحمل ، وهي عندهم غير معدودة في باب الرواية ، لا يحق للراوي أن يروي بها عن أصحابها ، بل يقول : (وجدت بخط فلان) ، ومعنى هذا أنه لا يحق للذي يعتمد على قراءة المصحف دون توقيف أن يروي القرآن عن رسول الله ﷺ ، ولا يحق له إلا أن يقول : (وجدت في المصحف بخط فلان) إن الاعتذار عن هذا الخطأ الجسيم الخطير بجهل قضية التوقيف وعدم فهمها ،

---

(١) الوجادة : هي أن يجد المرء حديثاً أو كتاباً بخط شخص بإسناده فله أن يروي عنه على سبيل الحكاية فيقول : (وجدت بخط فلان ، حدثنا فلان . . ) وله أن يقول : (قال فلان) إذا لم يكن فيه تدليس يوهم اللقيا . (منهج النقد في علوم الحديث ، د. نور الدين عتر) ص ٢٢٠ ، ط ٣ ، ١٤٠١ ، دار الفكر ، دمشق) والرواية بالوجادة من باب المنقطع (تيسير مصطلح الحديث . د. محمود الطحان ، ص ١٦٥ ، ط ٦ ، دار التراث ، الكويت) .



يبرر عدم إجازة البحث ولا يبرر إجازته ، لأنه يدل على أن الطالبة لم تعرف الموضوعات الأساسية المتصلة بموضوعها ، وقد قررت أن أهم ما توصل إليه بحثها من نتائج هو رفض فكرة التوقيف ، وإذا جاز أن تمنح الجامعة درجاتها مع فساد العقيدة ، فمما لا شك فيه أنه لا يجوز أن تمنحها مع الجهل .

أما إن الأخطاء قد جاءت على هامش البحث في المقدمة والخاتمة ، فغير صحيح ، فالتوقيف مسألة أساسية في الأداء القرآني الذي هو موضوع البحث ، لأنه يتعلق بتواتر هذا الأداء واتصاله برسول الله ﷺ أو بعدم اتصاله ، والذي انتهت إليه الطالبة هو أنه غير متواتر ، وغير متصل برسول الله ﷺ .

أما إن الطالبة قد أساءت فهم التوقيف بحسن نية ، ففي الرسالة نصوص كثيرة تثبت أنها فهمت التوقيف فهماً صحيحاً ، وأنها مصرّة على أن النص القرآني والأداء القرآني كليهما غير متصلين برسول الله ﷺ ، وفي النصوص التي قدمتها في مذكرتي السابقة ما يكفي .

بل إن الطالبة لتذهب إلى نهاية المدى في مخالفة ما أجمع عليه علماء المسلمين في شأن الأداء القرآني ، فتجازف برفضه دون دليل ، في عبارة ملؤها الاستخفاف ، حين تقول : (وسواء اعترف العلماء أو لم يعترفوا بتأثر الأداء القرآني بالعامل الفني وغيره من العوامل الشخصية التي تؤثر في أي منطوق ، فإن الدرس اللغوي يأبى غير هذه الحقيقة) .

ومن العجيب أن يقول الشيخ على الخفيف بعد هذا كله ، في صنيع الطالبة : (فليس من الإنصاف إلا أن يرى أنها قد بحثت فأخطأت البحث ،

واجتهدت فأخطأت الاجتهاد). وإذا سلمنا جدلاً أن نفي التوقيف في قراءة القرآن مما يصح الاجتهاد فيه، فهل يصح الاجتهاد فيه ممن يجهل معنى التوقيف، فضلاً عن غيره من الأوليات التي ينبغي توافرها لراوي العلوم الإسلامية، لا المجتهد فيها؟! .

وليت الأشرطة التي حفظت ما قيل في المناقشة قد بقيت لتسمع فيها ما جاء في كلام أحد أعضاء اللجنة من الدفع بردها عن النظر في الموضوع وعدم سماع أقوالها فيه لجهلها به، ولكن هذه الأشرطة قد أفسدت ومحي ما عليها من تسجيل، في ظروف مريبة، يشهد بها محضر اللجنة التي تولت فتح معمل الصوتيات للحصول على هذه الأشرطة وسماعها ويمكن طلب هذا المحضر والاطلاع عليه.

وبعد أن وضحت خطورة القول بنفي التوقيف، يصبح الكلام فيما عدا ذلك لغواً.

فلا محل للكلام في التقاليد الجامعية، لأن الحرص على الدين أولى أن يراعى ويحافظ عليه، ما دامت الدولة تعتبره مقوماً من مقوماتها، وما دامت الدولة تحرص على أن لا تمكن للذين ينشرون الإلحاد.

على أن الذين تكلموا في هذه الناحية جعلوا المجلس الكلية حق الرقابة العامة، ومخالفة البحث لنظم الدولة العامة يدخل في هذه الرقابة العامة بغير شك، ومناقضة ما دار في المناقشة العلنية لنتيجتها يدخل في هذه الرقابة كذلك، ويكفي في هذه المناقضة أن يعلن عضو اللجنة، الذي تولى من بعد إصلاح الرسالة، رد الطالبة عن النظر في الموضوع لجهلها به، ثم يشترك بعد ذلك في الإجماع الذي تقرر فيه منحها درجة الماجستير بمرتبة (جيد جداً).

ولا محل للنقل عن فلان وفلان من القدماء أو المحدثين ، فالكتب قديمها وحديثها مملوءة بنقول فاسدة ، يشير القدماء إلى فسادها حيناً ، ويعتمدون على معرفة القارئ بوجوه نقلها وطرق روايتها حيناً آخر ، ومن المعروف أن أعداء الدين والمفسدين فيه يعتمدون فيما يذيعونه من شبهاتهم على هذه النصوص ، يأخذون منها ما يؤيد دعواهم بعد أن يتروه من سياقه ، ويتجاهلون ما يبطل هذه الدعاوى وينقضها والاستشهاد بالنصوص الشرعية والاستنباط منها أمر دقيق ليس بالهين ، وهو يخضع لقواعد فقهية وأصولية كثيرة لا محل لبسطها هنا ، وللجامعة إن شاءت أن تحيل الأمر إلى مشيخة الأزهر ، لتضعه بين أيدي المتخصصين ، ويتبين للناس وجه الحق في الأمر كله ، أما أن يعتد في ذلك على أفراد بأعيانهم ، يكفي أن يقال فيهم إن اختيارهم مبني على اعتبار معين ، هو الدفاع عن الطالبة ، ولا يدري أحد كيف صور الأمر لهم وقد سمعوه من طرف واحد ، فأمر غير جائز ، لأن الحيدة تنقصه ، فصحيفة (المصور) لم تنشر رأياً واحداً في غير مصلحة الطالبة ، وبعض الذين نشرت آراؤهم تربطهم بالمشرف على البحث أو الذين اشتركوا في مناقشته وفي إعداده صلوات تميل بهم إلى محاولة إنقاذهم من ورطتهم ومد يد العون لهم في محتتهم ، وبعضهم من السذج الذين غرر بهم وصور لهم الأمر على أنه اتهام بالزيف والإلحاد يراد توريط الطالبة فيه ، فتكلموا بدافع من العطف عليها ، يعترفون بخطئها وجهلها ، ولكنهم يهونون من صنيعها ويعتذرون بحسن نيتها ، وبعضهم من المفتونين بالتقاليد الجامعية وبحرية الرأي - كما يفهمها الليبراليون من الغربيين Liberals - لا يرون بعدها قداسة لشيء ، وهؤلاء لا أقول لهم إلا كلمات : إن الزمن قد تغير ، ولم يعد لهذه الكلمات التي ظل الناس حيناً من

الدهر يخبون باسمها في مجتمعنا الراهن ، فمجتمعنا الراهن مجتمع ملتزم ، لا يسمح فيه للهيئات ولا للأفراد بممارسة الحرية خارج عقائد الدولة ، والدولة مسلمة متدينة ، وإذا كانت فرنسا وهي دولة لا دينية من الناحية الرسمية - قد أهدمت شريطاً سينمائياً بشبهة المساس بكرامة الرهبان ورجال الأديرة ، فكيف يطلب من إحدى جامعاتنا ونحن دولة مسلمة متدينة ، أن تجيز رسالة تفتح باباً واسعاً للفتنة ، وللتشكيك في صحة النص القرآني وسلامته من كل تحريف؟ .

ويكفي لتصوير فساد الأسس التي يقوم عليها تفكير هؤلاء أن أنقل بعض ما جاء في كلمة الدكتور محمود محمود مصطفى أستاذ القانون الجنائي بحقوق القاهرة والعميد السابق لها ، يقول الأستاذ الدكتور محمود مصطفى في ختام كلمته : (وخلاصة الرأي أنه لا شبهة في أن مجلس الكلية لا يستطيع رفض قرار لجنة التحكيم ، بحجة أن الرسالة قد تضمنت عبارات غير مناسبة ، ولو كانت مخالفة للنظام العام) .

فلتسمح الدولة إذن في الرسائل الجامعية ، باسم حرية البحث العلمي ، وباسم المحافظة على التقاليد الجامعية المقدسة ، كلاماً لا أول له ولا آخر ، في تفضيل النظام الملكي على النظام الجمهوري ، وفي بيان سلامة النظام الرأسمالي وفساد النظام الاشتراكي ، وفي غير هذا وذاك مما يخالف النظام العام .

وذلك لون من التفكير الفاسد الذي لا ينبغي أن يقام له وزن أو يحسب له

حساب<sup>(١)</sup> .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٦٣ - ٢٧٠ .

وبعد هذا الاستطراد والحديث الطويل للدكتور محمد حسين - رحمه الله - أود أن أقول أنه غني عن القول أن نؤكد على أن ما ورد عند الكاتبة ومن سبقها يعتبر من الترهات الباطلة والقول الجزاف الذي لا يؤبه له وإلا فقد تحدى الله العرب أن يأتوا بمثل القرآن فعجزوا (فتحدهم أن يأتوا بعشر سور ولو مفتريات فعجزوا، وتحدهم أن يأتوا بسورة واحدة ولو مفتراه فعجزوا وما استطاعوا، وما ادعوا أنهم استطاعوا)<sup>(١)</sup>.

وأما من حيث تواتره وثبوته فقد تواتر (جيلاً بعد جيل وقد حفظه النبي ﷺ، وقرأه على جبريل قبل انتقاله من هذه الدنيا وحفظه أصحابه رضی الله تعالى عنهم، كما تلقوه عن النبي ﷺ، ثم حفظه من بعدهم التابعون، ومع أنه كتب في مصاحف في عهد الصحابة وتلقاها عنهم التابعون لم يقتصرُوا على ذلك، بل كانوا يتلقونه حفظاً مع وجود هذه المصاحف، وكان في كل جيل بعد جيل الصحابة والتابعين من يحفظ القرآن ترتيلاً كترتيل النبي ﷺ إلى أيامنا هذه وإن ذلك تحقيق لقوله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (الحجر: ٩).

وإن تواتره جعله قطعي السند، فكل سند متواتر تواتراً لا مجال للشك فيه، وإن قراءات القرآن المعتمدة كلها متواترة، ولا عبرة بالقراءات الشاذة، أي لا عبرة بالقراءات غير المتواترة، ومع ذلك فإن اختلاف هذه القراءات عن القراءات المتواترة ليس اختلافاً في متن القرآن، إنما هو اختلاف في شكل القراءة)<sup>(٢)</sup>.

(١) أصول الفقه، د. محمد أبو زهرة، ص ٨٠، بدون طبعه، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان.

(٢) المرجع السابق، ص ٧٩ - ٨٠.

فكيف تأتي تلك الأقوال الساقطة لتنفي عن القرآن أنه كلام الله وتجعله كلام الرسول ﷺ كما يرمي إلى ذلك طه حسين أو كلام العرب والأعراب الجفاة كما تروي الكاتبة السابقة .

بل إن ما أجمع عليه العلماء ولا خلاف فيه بينهم أن القرآن (هو ما نقل إلينا بين دفتي المصحف نقلاً متواتراً وقيدناه بالمصاحف لأن الصحابة ﷺ بالغوا في نقله وتجريده عما سواه حتى كرهوا التعاشير<sup>(١)</sup> . والنقط كي لا يختلط بغيره فنعلم أن المكتوب في المصحف هو القرآن وما خرج منه فليس منه إذ يستحيل في العرف والعادة مع توفر الدواعي على حفظ القرآن أن يهمل بعضه فلا ينقل أو يخلط به ما ليس منه)<sup>(٢)</sup> .

فإذا كان هذا هو رأي علماء الدين والملة من أمة محمد ﷺ فكيف يصح لهؤلاء المتخرفين أن يروجوا مثل تلك الأكاذيب على كتاب الله تعالى ، خاصة مع وضوح وقوة بيان وحجة أهل العلم في ذلك ، حتى قال بعضهم عن قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه غير المتواترة ، إنها ليست بحجة (لأنه واجب على الرسول ﷺ تبليغ القرآن طائفة من الأمة تقوم الحجة بقولهم وليس له مناجاة الواحد به وإن لم ينقله من القرآن)<sup>(٣)</sup> .

وأما ما روى عن ابن مسعود من أنه كان يجوز إبدال لفظه بمثلها فقد قال عنه ابن قدامه - رحمه الله - : (وهذا يجوز في الحديث دون القرآن ، ففي الجملة لا يخرج عن كونه مسموعاً من النبي ﷺ ومروياً عنه فيكون حجة

(١) هي وضع علامة بعد كل عشر آيات .

(٢) روضة الناظر وجنة المناظر ، موفق الدين بن قدامه المقدسي ، ص ١٨٠ ، ج ١ ، ط ٢ ، ١٤٠٤ هـ ، مكتبة المعارف ، الرياض ، السعودية .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٨١ .

كيفما كان ، وقولهم يجوز أن يكون مذهباً قلنا لا يجوز ظن مثل هذا بالصحابة رضي الله عنهم فإن هذا افتراءً على الله وكذب عظيم إذا جعل رأيه ومذهبه الذي ليس هو عن الله تعالى ولا عن رسوله ﷺ قرآناً، والصحابة رضي الله عنهم لا يجوز نسبة الكذب إليهم في حديث النبي ﷺ ولا في غيره فكيف يكذبون في جعل مذاهبهم قرآناً، هذا باطل يقيناً<sup>(١)</sup>. كما أنكر ذلك ابن الجزري رحمه الله فقال: (من يقول بأن بعض الصحابة كابن مسعود كان يجيز القراءة بالمعنى فقد كذب عليه)<sup>(٢)</sup>.

فإذا كان هذا هو الحال مع بعض ما روي عن الصحابة من ألفاظ فكيف يقال بأنه يحق للآخرين من الأعراب والقبائل أن يغيروا كلمة بأخرى وأن يعبروا عن الفكرة بتعابيرهم، مع العلم أن القرآن نزل عربياً فصيحاً بمعنى أنه جار في ألفاظه ومعانيه وأساليبه على لسان العرب قال الله تعالى: ﴿إنا جعلناه قرآناً عربياً﴾ (الزمر: ٣) وقال تعالى: ﴿قرآناً عربياً غير ذي عوج﴾ (الزمر: ٢٨) وقال تعالى: ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين \* بلسان عربي مبين﴾ (الشعراء: ١٩٣-١٩٥) وكان المنزل عليه القرآن عربياً أفصح من نطق بالضاد وهو محمد بن عبد الله ﷺ، وكان الذين بعث فيهم عرباً أيضاً فجرى الخطاب به عن معتادهم في لسانهم، فليس فيه شيء من الألفاظ والمعاني إلا وهو جار على ما اعتادوه، ولم يداخله شيء... (٣).

(١) المرجع السابق، ص ١٨١ .

(٢) مباحث في علوم القرآن، د. صبحي الصالح، ص ١٠٧، ط ١٦، ١٩٨٥م، دار العلم للملايين بيروت، لبنان .

(٣) الاعتصام، إبراهيم بن موسى الشاطبي، ص ٤٧، ج ١، ط ١، ١٤٠٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .

ويقول الشيخ عثمان بن علي بن حسن عن وجوه حفظ القرآن في عهد النبوة إن منها (كتابة الوحي ومقابلته، عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : كنت أكتب الوحي لرسول الله ﷺ، وكان إذا انزل عليه الوحي أخذته برحاء شديدة، وعرق عرقاً شديداً فكنت أدخل عليه بقطعة الكتف أو كسرة، فأكتب وهو يملي عليّ فإذا فرغت، قال : اقرأ، فأقروّه، فإن كان فيه سقط أقامه، ثم أخرج به إلى الناس) (١).

وذلك في بادئ الأمر، لئلاً يختلط القرآن بغيره، لحديث : (لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه، وحدثوا عني ولا حرج) (٢). ثم كان الإذن بالكتابة، بعد أن زال سبب المنع) (٣).

فمن خلال ما تقدم يتضح أن النبي ﷺ كان يراجع القرآن ويقوم السقط ويمنع من الكتابة حتى لا يختلط شيء بالقرآن فهل بعد ذلك يصح القول بأن القرآن الذي بين أيدينا هو عبارة عن أفكار إلهية وألفاظ بشرية.

إن القرآن الكريم الذي بين أيدينا (هو الذي أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ، وهو على ما كان عليه، لا زيادة فيه ولا نقصاً وقد ورد إلينا متواتراً، بنقل الكافة، التي لا تقع تحت حصر ولا عد، عن مثلها حفظاً وكتابة، ولم تختلف في عصر من العصور عما في غيره، بل هو كتاب واحد، بلفظ واحد، يجتمع أهل الأرض جميعاً على قراءته دون اختلاف بينهم، لا في

---

(١) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد، ١/١٥٢ باب عرض الكتابة بعد إملائه، ثم قال : (رواه الطبراني في الأوسط ورجاله موثقون). (منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد، ج ١، ص ٦٢).

(٢) صحيح مسلم ٤/٢٢٩٨، ٢٢٩٩ كتاب الزهد والرقائق، باب الثبوت في الحديث، حديث رقم ٣٠٠٤.

(٣) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، عثمان بن علي بن حسن، ج ١، ص ٦٢، ط ١، ١٤١٢هـ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، السعودية.



سورة، أو آية، أو كلمة أو حركة .

وقد ضمن الله تعالى لكتابه السلامة من التحريف، كما في قوله تعالى:

﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (الحجر: ٩) وهذا يقتضي حفظ عينه وهيئته التي نزل عليها، وقال تعالى: ﴿وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً، لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم﴾ (الأنعام: ١١٥).

قال البيضاوي - رحمه الله - في تفسيرها: (لا أحد يبدل شيئاً منها بما هو أصدق وأعدل، أو لا أحد يقدر أن يحرفها شائعاً ذائعاً كما فعل بالتوراة . . . فيكون ضماناً لها من الله سبحانه وتعالى بالحفظ)<sup>(١)</sup>.

وينقل الدكتور صبحي الصالح - رحمه الله - عن المستشرق بلاشير قوله: (إن نظرية القراءة بالمعنى كانت بلا ريب أخطر نظرية في الحياة الإسلامية لأنها أسلمت النص القرآني إلى هوى كل شخص، يثبته على ما يهواه)<sup>(٢)</sup> ثم يعلق قائلاً: (وفي هذا حمل للنصوص على غير وجهها الحقيقي، فليست النظرية هنا مما يصح حقاً أن يسمى القراءة بالمعنى كما نفهمه مثلاً في رواية الحديث بالمعنى، إذ القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد ﷺ للبيان والأعجاز، والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف أو كيفيتها من تخفيف أو تثقيل أو غيرهما).

فإذا صح أنه عليه الصلاة والسلام وسع على المسلمين في أول الأمر، وراعى التخفيف على العجوز والشيخ الكبير وأذن لكل منهم أن يقرأ على

(١) المرجع السابق، ص ٦٥-٦٦ .

(٢) مباحث في علوم القرآن، د. صبحي الصالح، ص ١٠٧ .

حرفه، أي على طريقته في اللغة، لما يجده من المشقة في النطق بغير لغته، فليس معنى هذا أنه كان يأذن لهم بإثبات هذه القراءات وكتابتها على أنها حروف نزل عليها القرآن، وإذن فما كانت توسعته عليه السلام في هذا النوع من القراءة إلا تخفيفاً على بعض الأفراد في حالات خاصة، وأما ما أذن فيه من هذه الحالات بإثباته وأقر كتبه الوحي عليه فهو محفوظ بطريق التواتر في أحرف قليلة معدودة يرفض ما عداها ولو جاء من طريق صحيح أحادي، لأن التواتر شرط في إثبات القرآنية، فتعميم هذه الحالات الفردية على جميع الأحرف السبعة، كأنها ضرب من القراءة بالمعنى، لا يمكن أن يقتصر عليه في فهم الحديث<sup>(١)</sup>.

وأخيراً أود أن أنقل نصاً للإمام الجليل ابن حزم -رحمه الله- حيث يقول: (فمن قال: إن القرآن نقص منه بعد موت رسول الله ﷺ، حرف أو زيد فيه حرف، أو بدل منه حرف، أو أن هذا المسموع أو المحفوظ أو المكتوب، أو المنزل ليس هو القرآن، وإنما هو حكاية القرآن، وغير القرآن، أو قال إن القرآن لم ينزل به جبريل ﷺ، على قلب محمد ﷺ، أو أنه ليس هو كلام الله تعالى فهو كافر خارج عن دين الإسلام، لأنه خالف كلام الله عز وجل وسنن رسول الله ﷺ وإجماع أهل الإسلام)<sup>(٢)</sup>.

(١) المرجع السابق، ص ١٠٧-١٠٨.

(٢) الدرر فيما يجب اعتقاده، أبو محمد بن حزم، ص ٢٢٠، ط ١، ١٤٠٨هـ، مطبعة المدني، مصر.

## الفصل الثاني

### موقفه من الانحرافات التشريعية

المبحث الأول : مقدمات الانحراف

المبحث الثاني : مسائل حول تطبيق الشريعة الإسلامية

المبحث الثالث : تحكيم الشريعة الإسلامية

المبحث الرابع : خصائص الشريعة الإسلامية

## المبحث الأول

### مقدمات الإنحراف

الحكم بما أنزل الله قضية من أكبر قضايا عصرنا، ودار حولها كلام ونقاش طويل بين المنادين بتطبيق الشريعة وبين الرافضين لذلك من أذئاب الاستعمار وربائبه الذين كانوا يدعون إلى الأخذ بالقوانين الحديثة الصالحة - في نظرهم - للعصر الحديث ومعطياته المتجددة .

ومن خلال تتبع كتابات الدكتور محمد حسين يرحمه الله في هذا الجانب نجد أنه تعرض لبعض آراء الداعين إلى ذلك وفنّدها تفنيداً كاملاً .

وسوف أقوم باستعراض جهوده في مجال الذب عن الشريعة والدفاع عنها، ولكنني أود أن أقدم بمقدمة كتبها هو رحمه الله عن بداية الانبهار بالغرب عموماً وبالتشريعات الغربية على وجه الخصوص والتي تبدأ من كتابات رفاعه الطهطاوي<sup>(١)</sup> وخير الدين التونسي<sup>(٢)</sup>، حيث كان رحمه الله يرى أن ما كتبه الطهطاوي والتونسي هو ما يمثل البذور الأولى في تغريب

---

(١) رفاعة الطهطاوي : ولد عام ١٨٠١م درس بالأزهر وابتعث إلى فرنسا ثم عاد إلى مصر بعد أن تأثر كثيراً بما شاهده هناك، تولى عدداً من المناصب التعليمية وغيرها ودعا إلى الأخذ بمبادئ الحضارة الغربية وألف عدداً من الكتب ضمنها بعض آرائه وأفكاره، يعتبر من دعاة الإصلاح والتغيير بمصر توفي عام ١٨٧٣م .  
الأعلام للزركلي، ج ٢، ص ٣٧٥، ط ٣ بدون تاريخ، ودار طباعة .

(٢) خير الدين باشا: ولد عام ١٢٢٥هـ، وهو وزير مؤرخ، من رجال الإصلاح الإسلامي، تقلد عدداً من المناصب العليا، فحاول الإصلاح والتغيير فأعياه الحال فاستقال منها، ويعتبر من رجال الإصلاح الذين تأثروا بمبادئ الثورة الفرنسية واقتنعوا بأن على الشرق أن يغير أساليب الحكم الاستبدادي، توفي في الأستانة عام ١٣٠٨هـ. الأعلام للزركلي، ج ٣، ص ٥٥، ط ٣ .

وتطوير الشريعة، وإن كانا لم يقصدا ذلك، وإنما هو نوع من الإعجاب والانبهار بما لدى الغرب من تطور، بحيث ظنا أن القوانين التي يحتكمون إليها كانت سبباً من أسباب فلاحهم، لذلك أخذ يستعرض رحمه الله الآثار الفكرية لخير الدين التونسي ورفاعه الطهطاوي، مبيناً فيما استعرضه تأثرهما بالحضارة الغربية كثيراً، يقول رحمه الله: (نستطيع أن نجد فيما كتبه كل منهما آراء مشتركة، هي صدى لتفكير القرن الثامن عشر في أوروبا، وفي فرنسا الثائرة بوجه خاص، وهي آراء تظهر للمرة الأولى في المجتمع الإسلامي، وربما رددناها عن حسن قصد دون أن يسبرا أغوارها البعيدة أو يتعمقا في حقائقها، ولكنهما على كل حال قد وضعوا البذور التي تعهدا من جاء بعدهما بالسقي والرعاية، حتى نمت وضربت جذورها في الأرض. وربما عرضت بعض هذه الآراء عرضاً سريعاً عاجلاً قد يبدو ضئيل الخطر، ولكن أهمية الطهطاوي وخير الدين ترجع إلى أنهما قد جلبا هذه البذور الغربية وألقياها في التربة الإسلامية . . . . . للمرة الأولى نجد دعوة إلى وضع مدونه فقهية واضحة محدودة، في صورة مواد قانونية، على نمط المدونات القانونية الأوروبية)<sup>(١)</sup>.

ويقول أيضاً رحمه الله: (ثم إن إعجاب الطهطاوي وخير الدين بتوافر الحرية في مجتمع الثورة الفرنسية حملهما على الدعوة إلى إعادة النظر فيما ينبغي أن تكون عليه علائق الحاكم والمحكوم، بل إعادة النظر في نظم الدولة والمجتمع كلها، والدعوة إلى وضع نصوص قانونية محددة واضحة يعرف بها

---

(١) الإسلام والحضارة الغربية، د. محمد محمد حسين، ص ٢٠-٢١، ط ٩، ١٤١٣هـ، دار الرسالة، مكة المكرمة.

الناس ما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات ، وكان ذلك هو الخطوة الأولى في الدعوة إلى فتح باب الاجتهاد ، ووضع مدونة فقهية شاملة<sup>(١)</sup> .  
وبعد أن ينقل كلاماً مقتطفاً من بعض كتابات الطهطاوي ، يقول الدكتور محمد حسين -رحمه الله- : (والجديد في هذا الكلام مما تأثر فيه الطهطاوي بالحضارة الغربية هو :

أولاً : دعوته إلى وضع مدونة قانونية شاملة ، على نمط المدونات الغربية الحديثة ، وهي خطوة قد سبقت إليها تركيا بصدور (التنظيمات) ، وسبق إلى الدفاع عنها خير الدين التونسي في كتابه (أقوم المسالك) .

ثانياً : الدعوة إلى تنظيم أحكام للمعاملات ثلاثم العصر ، والتماس الطريق إلى الاقتباس من نظم الغرب ، التي قامت عليها المصارف والشركات ، وهي فكرة قد بسطها خير الدين التونسي بسطاً أوفى وأعمق في كتابه (أقوم المسالك)<sup>(٢)</sup> .

ثم تحدث الدكتور محمد حسين رحمه الله عن ما وصل إليه الطهطاوي من أن القوانين التي تعمل بها الأمم لا تخالف الشرع في الجملة لأنها خلاصة التجارب البشرية والفطرة الإنسانية الصافية لذا جاءت موافقة لمراد الحكم الشرعي الإلهي ، يقول الطهطاوي : [(النواميس الطبيعية لا يخرج عنها حكم الأحكام الشرعية فهي فطرية خلقها الله سبحانه وتعالى مع الإنسان ، وجعلها ملازمة له في الوجود فكأنها قالب له نسجت على منواله وطبعت على مثاله .  
وكأنما هي سطرت في لوح فؤاده ، بإلهام إلهي دون واسطه ثم جاءت بعدها

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٢ .

شرائع الأنبياء بالواسطه ، وبالكتب التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، فهي سابقة على تشريع الشرائع عند الأمم والملل ، وعليها في أزمان الفترة تأسست قوانين الحكماء الأول وقدماء الدول وحصل منها الإرشاد الى طرق المعاش في الأزمنة الخالية ، كما ظهر منها التوصل الى نوع من إنتظام الجمعيات التالية عند قدماء مصر والعراق وفارس واليونان وكان ذلك من لطف الله تعالى بالنوع البشري ، حيث هداهم لمعاشهم ، بظهور حكماء منهم ، يقننون القوانين المدنية ، لا سيما الضرورية لحفظ المال والنفس والنسل).

والواقع أن (إعجاب الطهطاوي بهذه القوانين العقلية وبهذه الشرائع الوصفية سابق على كتاب خير الدين التونسي ، وسابق على صدور التنظيمات التركية ، نستطيع أن نلتمس بذوره الأولى في كتاب (تخليص الإبريز) الذي كتبه أثناء إقامته في باريس ، حيث يقول : (والقانون الذي يمشي عليه فرنساوية الآن ، ويتخذونه أساساً لسياستهم ، هو القانون الذي ألفه لهم ملكهم المسمى لويز الثامن عشر ولا زال متبعاً عندهم ومرضياً لهم ، وفيه أمور لا ينكر ذوا العقول أنها من باب العدل وإن كان غالب ما فيه ليس من كتاب الله تعالى ولا من سنة رسول الله ﷺ ، لتعرف كيف حكمت عقولهم بأن العدل والإنصاف من أسباب تعمير الممالك وراحة العباد).

وبذلك مهد الطهطاوي ، من حيث يدري ، أو من حيث لا يدري ، لقبول التشريع الوضعي الذي يستند إلى العقل - على قصوره ، وعلى مخالطة الشهوات له - ووافق في ذلك خير الدين التونسي ، الذي يمتاز كما أشرنا من قبل بأنه أعمق غوراً في فهم الحضارة الغربية ، فهو يدعو إلى الاقتباس منها

عن فقهه وبصيرته، تختلف عن السذاجة التي تبدو في كتابة الطهطاوي . . . (١).

إن هذا العرض من الدكتور محمد حسين -يرحمه الله-، يبين لنا مدى العناية التي كان يوليها رحمه الله لتتبع هذه الانحرافات التشريعية في حياة المسلمين، وردة على بعض الكتابات التي خرجت داعية إلى تطوير الشريعة واقتباس نظم الغرب دون وعي أو تفكير بمدى ملائمة ذلك لديننا الحنيف وشريعتنا الغراء أو حتى مناسبتها لواقعنا الذي يختلف كلية عن واقع الدول الغربية وظروفها.

---

(١) المرجع السابق، ص ٣٤ - ٣٥.



## المبحث الثاني

### مسائل حول تطبيق الشريعة الإسلامية

#### المسألة الأولى :

#### تطبيق القوانين الغربية بدلاً من الأحكام الشرعية :

يكمن الخطر الحقيقي في جعل القانون المسيطر على شتى نواحي المجتمع قانوناً غريباً بحتاً، وهذا ما حدث للأسف الشديد حيث (أن الخديوي إسماعيل<sup>(١)</sup> رفض الأخذ بمجلة الأحكام العدلية، حرصاً منه على الاستقلال الكامل عن الدولة العثمانية، ولو أنه كلف لجنة عامة لوضع قانون مدني مستمد من الشريعة الإسلامية يختلف عن المجلة لكان عمله مدعاة للتقدير والاحترام، إلا أنه بدلاً من ذلك فقد اتجه إلى القانون الفرنسي وأصبح هو القانون المعتمد في مصر، ومن الطبيعي أن يحدث هذا الاتجاه المنحرف أثراً سلبياً على مستوى الجماهير، وما لبث هذا الاتجاه أن اتسع، وابتدأت الدول العربية بعد ذلك تتجه نحو استيراد القوانين، وزرعها في المجتمعات العربية، مما أدى إلى فقدان التلاحم بين المواطن والقانون)<sup>(٢)</sup>.

---

(١) الخديوي : إسماعيل بن إبراهيم بن محمد علي الكبير، ولد في القاهرة عام ١٢٤٥ هـ وولي مصر عام ١٢٧٩ هـ، كان مولعاً بالتنظيم والهندسة والتخطيط. وفي عهده نكبت مصر بالمحاكم المختلطة، وكان مسرفاً في الإنفاق على ملذاته، عزل عام ١٢٩٦ هـ، وقضى بقية حياته في أوروبا وتركية إلى أن توفي في الأستانة عام ١٣١٢ هـ ونقلت جثته إلى القاهرة. (الأعلام، خير الدين الزركلي، ج ١، ص ٣٠٢-٣٠٣).

(٢) المدخل للتشريع الإسلامي، د. محمد فاروق النبهان، ص ٣٥٩، (بتصرف). ط ٢، ١٩٨٢ م وكالة المطبوعات، الكويت دار العلم بيروت.

والغريب في عملية المسخ هذه للشريعة أن أصحابها لا يستطيعون التصريح بالتخلي عن الشريعة وإنما يؤكدون حرمتها وقداستها والاستفادة منها ثم يطعنون فيها من الخلف وبطرق مباشرة .

فهذا مثلاً الدكتور عبد الرزاق السنهوري<sup>(١)</sup> يقول كما نقل ذلك الدكتور محمد حسين رحمه الله : (والهدف الذي قصدت إليه هو أن يكون للبلاد العربية قانون واحد يشتق رأساً من الشريعة الإسلامية)<sup>(٢)</sup> .

ويعقب الدكتور محمد حسين رحمه الله فيقول : (ولكن كلامه الذي تلا ذلك - وهو كلام بالغ الخطورة يكشف عن مبلغ ما في هذا الزعم من إخلاص ، ويبين أنه ليس إلا خداعاً ، وأن الشريعة الإسلامية التي يقصدها هي شيء آخر غير الشريعة التي أنزلها الله على سيدنا محمد ﷺ والتي تمت نعمة الله علينا بإكمالها منذ نزل قوله تعالى : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ (المائدة : ٣) )<sup>(٣)</sup> .

وكان الدكتور محمد حسين رحمه الله قد نقل عن المذكور جملة من أقواله والتي تبين بعضاً من المخادعة المكشوفة حول صلاحية الشريعة للعمل بها في عصرنا الحاضر ، حيث قال الدكتور محمد رحمه الله عن المذكور : [وهو يصف القانون المدني الجديد في مصر بأنه قد جعل للشريعة الإسلامية بعض الاعتبار ، ولكنه يعترف بأن (المشرع المصري بالرغم من كل ذلك لم يخط خطوة حاسمة في جعل القانون المدني مشتقاً في مجموعته من الفقه الإسلامي) . ويعتذر عن ذلك بأن المشروع المصري قد أخذ بأسباب الأناة

---

(١) عبد الرزاق السنهوري : فقيه قانوني ومشرع ، تلقى علومه بمدرسة الحقوق بالقاهرة ، اشتغل بالقضاء والتدريس بكلية الحقوق ، قام بوضع التقنين المدني في مصر وغيرها ، ووضع أسس التقنيات الحديثة بالكويت . الموسوعة العربية الميسرة ، إشراف محمد شفيق غربال ، ص ١٠٢٤ ، بدون طبعة ، ١٤٠٦ هـ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

(٢) حصوننا مهددة من داخلها ، د. محمد حسين ، ص ١٢٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٢٨ .

والتبصر) وتربص حتى يأخذ الفقه الإسلامي بأسباب التطور . . .) ثم يعود فيؤكد أن هذا القانون (يمثل أصدق تمثيل الثقافة المدنية العربية في العصر الذي نعيش فيه).

أما القانون العراقي فهو يتميز عنده بأنه (أول قانون مدني حديث يتلاقى فيه الفقه الإسلامي والقوانين الغربية الحديثة جنباً إلى جنب بقدر متساوٍ في الكم والكيف).

وهو يرى أن هذه التجربة (من أخطر التجارب في تاريخ التقنين الحديث) لأن وضع نصوص الشريعة الإسلامية إلى جانب النصوص الغربية قد (مكن لعوامل المقارنة والتقريب من أن تنتج أثرها، ومهد الطريق للمرحلة الثالثة والأخيرة في نهضة الفقه الإسلامي، يوم يصبح الفقه مصدراً لأحكام حديثة تجاري مدنية العصر وتساير أحدث القوانين وأكثرها تقدماً ورقياً).

وهو يقدر (بعد أن أصبح الفقه الإسلامي والقانون المدني الغربي جنباً إلى جنب في صعيد واحد، أن يتكامل القانونان وأن يتفاعلا، هذا يؤثر في ذلك وقد يتأثر به. ومن ثم تقوم نهضة علمية حقه لدراسة الفقه الإسلامي في ضوء القانون المدني الغربي. وهذه الدراسة هي التي قصدت أن أصل إليها، حتى إذا أتت ثمارها وتقدمت دراسة الفقه الإسلامي إلى الحد الذي يجعله مصدراً لقانون مدني يجاري مدنية العصر ويساير ثقافة الجيل، عند ذلك نكون قد بلغنا المرحلة الثالثة والأخيرة ويتحقق ببلوغنا هذه المرحلة الهدف المنشود) [ (١).

وهنا ينبري الدكتور محمد - رحمه الله - معقباً ومفنداً هذه الآراء المهترئة، فيقول عن شريعة الدكتور السنهوري المطورة إنها: (شريعة تستهدي (مدنية

(١) المرجع السابق، ص ١٢٧-١٢٨.

العصر) الغربية و(ثقافة الجيل) الغربية أيضاً، وتروض نفسها على أن ترتفع إلى مستوى شرائع الغرب، لأنها في زعم المؤلف لم تبلغ هذا المستوى، وقصد الكاتب إلى تطوير الشريعة الإسلامية واضح في مقاله هذا كل الوضوح، وهو يقصد بتطوير الشريعة الإسلامية جعلها ملائمة لنظم حياتنا ولأنماطها المنقولة عن الغرب المسيحي، أو الغرب اللاديني على الأصح.

فهو يريد أن يشكل الشريعة الإسلامية، في شكل هذه الحياة بدل أن يشكل الحياة بشكل الشريعة، أي أنه يحكم هذه الأنماط الغربية في الشريعة بدلاً من أن يحكم الشريعة في اختيار ما يلائمنا من هذه الأنماط، أو بعبارة أخرى هو يعرض الشريعة على واقع الحياة، ولا يعرض واقع الحياة على الشريعة وهو مع ذلك لا يميز بين الشريعة الإسلامية المنزلة من عند الله وبين القانون الغربي الذي صنعه المصالح والأهواء، بل الذي صنعه اليهودية العالمية في بعض الأحيان، كما هو الشأن في القانون الفرنسي الذي استمد منه القانون المصري بخاصة، لأن هذا القانون ثمرة من ثمار الثورة الفرنسية اليهودية التي أصبحت فرنسا من وقتها دولة لا دينية من الناحية الرسمية على الأقل، وما وجه المقارنة بين قانون صنعه الإنسان وبين قانون منزل من عند الله العليم الخبير؟<sup>(١)</sup>.

ثم يقول رحمه الله: (والذي يهدف إليه السنيهوري هو شر الحلول، لأن الذي يفعله هو تبديل الشريعة الإسلامية، ولا شك أن تفاعل الشريعة الإسلامية السماوية مع شرائع الغرب الوضعية هو شرٌّ مما كان حادثاً من استعارة القانون الغربي كله أو بعضه، لأن من الممكن التخلص من الدخيل في هذه الحالة، أما في حالة الاندماج والتفاعل فإدراك الحدود بينها صعب،

(١) المرجع السابق، ص ١٢٨-١٢٩.

وتخليص الشريعة الإسلامية مما دخلها من أسباب الزيغ والانحراف يكاد يتعذر بعد أن تتغلغل الروح الغربية في كيائها، ويصبح الناتج من تفاعلها شيئاً جديداً معقد التركيب تختلف خصائصه وصفاته عن كل من العنصرين المكونين له .

ثم إن الناس في الحالة الأولى يدركون إدراكاً واضحاً أن القانون الذي يحكمهم قانون دخيل، أما في الحالة الثانية فقد يتوهمون أن القانون الذي يحتكمون إليه قانون إسلامي، بل إن كاتب المقال يزعم لهم ذلك منذ الآن<sup>(١)</sup>.

ويظهر الدكتور محمد رحمه الله نباهة وفطنة واضحة في الربط بين دعوة الدكتور السنهوري وبين ما يخطط له الغرب من مسخ لكل ما هو إسلامي فيقول رحمه الله: [الواقع أن هذا الذي يفعله السنهوري هو الذي يهدف إليه الاستعباد الغربي، بدليل ما ذكره أحد المستشرقين، حيث يقول: (إن مستقبل التغريب والدور الذي سيلعبه في العالم الإسلامي لا يتوقف على هذه المظاهر الخارجية للتأثير والاقْتباس، لأن الصورة الظاهرية ثانوية، وكلما كان التقليد في المظاهر أكمل كان امتزاج الشيء المنقول بنفس المقلدين أقل، لأن فهم الروح والأصول التي تنطوي عليها المظاهر الخارجية فهماً كاملاً لا بد أن يصحبه إدراك التعديلات التي تتطلبها الظروف المحلية، ويمكن أن يزول من العالم الإسلامي كثير من النظم العربية التي نراها فيه الآن، ثم لا يكون مع ذلك أقل حظاً من الاستغراب، بل ربما كان أوفى حظاً، وإذا أردنا أن نعرف المقياس الصحيح للنفوذ

(١) المرجع السابق، ص ١٢٩ - ١٣٠ .

الغربي ولمدى تغلغل الثقافة الغربية في الإسلام كان علينا أن ننظر إلى ما وراء المظاهر السطحية، علينا أن نبحث عن الآراء الجديدة، والحركات المستحدثة التي ابتكرت بدافع من التأثر بالأساليب الغربية بعد أن تهضم وتصبح جزءاً حقيقياً من كيان الدول الإسلامية، فتنخذ شكلاً يلائم ظروفها) [١].

ويعود رحمه الله فيذكر أن الكاتب قد أقر بهدفه ويؤكد بأن هدف الكاتب (هو تغريب الشريعة الإسلامية نفسها وفرنجتها أو بعبارة أخرى (إسلام غربي) إن صح هذا التعبير وذلك حيث يقول: (فالتيجة الحتمية إذاً لوضع القانون المدني المصري ثم لوضع القانون المدني العراقي مشتقاً منه ومن الفقه الإسلامي على السواء هي النهوض بدراسة الفقه الإسلامي في ضوء القانون المدني الغربي) (٢).

ولكى يقيم الدكتور محمد رحمه الله الحجة واضحة على تهافت هذا الكلام وأنه مبني على جهل واضح بالشريعة الإسلامية وبعد تام عن مقاصدها وأحكامها نقل عن الكاتب اعترافاً واضحاً بعدم المعرفة الكافية بالشريعة وعلومها فقال رحمه الله: إن الكاتب (يعترف بأنه لم يدرس الشريعة الإسلامية إلا في وقت حديث متأخر جداً، حين اشترك في وضع القانون المدني العراقي، فأتيح له الاطلاع على بعض نصوص الفقه الإسلامي، وهو هنا يعترف اعترافاً صريحاً بأن اطلاعه على الفقه الإسلامي جديد تاريخاً، ومحدود موضوعاً، لا يتجاوز ما أتيح له أثناء اشتراكه في لجان وضع القانون العراقي، وأنه لم يمنحه من وقته سنة من عشرات السنين التي أفناها في دراسة

(١) المرجع السابق، ص ١٣٠ .

(٢) المرجع نفسه، ص ١٣٠-١٣١ .

القانون الفرنسي ، والواقع أن هذا الجهل بالشرعية الإسلامية يعلل فنتته بالقوانين الغربية ، التي حدت به إلى المجاهرة بأن تكون روح التقنين الغربي وأسلوبه هما قوام نهضة التشريع الإسلامي ، وهو بذلك معذور لجهله حسب اعترافه ومن جهل شيئاً عاداه ، ولكن من الظلم للناس وللإسلام والقانون أن يسلم زمام التشريع في البلاد الإسلامية إلى الذين يجهلون شريعتها ، ومن الواضح أن الرجل حين رأس لجان القانون المدني الجديد في مصر ، لم يكن على معرفة بالشرعية الإسلامية ، لأنه إنما اتصل بها حسب اعترافه أثناء اشتراكه في لجان القانون المدني العراقي ، وقد كان ذلك بعد وضع القانون المدني المصري الجديد ، واعترافه في هذا الصدد صريح ، إذ يقول : (وأكثر ما كان درسي للفقهاء الإسلامي عند وضع القانون المدني العراقي ، فإن هذا القانون كما قدمت مزيج صالح من الفقه الإسلامي ، والقانون المصري الجديد ، فأتاح لي اطلاعي على نصوص الفقه الإسلامي سواء كانت مقننة في المجلة ومرشد الحيران ، أو كانت معروضة عرضاً فقهياً في أمهات الكتب وفي مختلف المذاهب أن ألحظ مكانة هذا الفقه وحظه من الأصالة والابتداع ، وما يكمن فيه من حيوية وقابلية للتطور) (١) .

وحقاً إن من الظلم للناس وللإسلام أن يضع رجل مثل هذه القوانين التي تحكم حياة ملايين المسلمين وهو عن دستورهم الخالد بعيد ، ومن الغرب وقوانينه قريب قريب .

---

(١) المرجع السابق ، ١٣١ - ١٣٢ .

## المسألة الثانية:

### دراسة الفقه في ضوء القانون المقارن :

كثر الحديث عن دراسة الفقه الإسلامي في ضوء القانون المقارن ، مع أن الفقه غير القانون وقد وضح ذلك الدكتور القرضاوي توضيحاً شافياً كافياً .  
وأود هنا أن أنقل كلامه ليتضح لنا الفارق الكبير بين الاثنين وأنه لا مجال للمقارنة بينهما أبداً ، حيث (تختلف الشريعة الإسلامية عن القوانين الوضعية اختلافاً أساسياً من ثلاثة وجوه :

### الوجه الأول :

أن القانون من صنع البشر ، أما الشريعة فمن عند الله ، وكُلُّ من الشريعة والقانون يتمثل فيه بجلاء صفات صانعه ، فالقانون من صنع البشر ويتمثل فيه نقص البشر وعجزهم وضعفهم وقلة حيلتهم ، ومن ثم كان القانون عرضة للتغيير والتبديل أو ما نسميه التطور كلما تطورت الجماعة إلى درجة لم تكن متوقعة أو وجدت حالات لم تكن منتظرة ، فالقانون ناقص دائماً ولا يمكن أن يبلغ حد الكمال ما دام صانعه لا يمكن أن يوصف بالكمال ، ولا يستطيع أن يحيط بما سيكون وإن استطاع الإمام بما كان .

أما الشريعة : فصانعها هو الله ، وتتمثل فيها قدرة الخالق وكماله وعظمته وإحاطته بما كان وما هو كائن ، ومن ثم صاغها العليم الخبير ، بحيث تحيط بكل شيء في الحال والاستقبال حيث أحاط علمه بكل شيء ، وأمر جلّ شأنه أن لا تغيير ولا تبديل حيث قال : ﴿ لا تبديل لكلمات الله ﴾ (يونس : ٦٤) لأنها ليست في حاجة للتغيير والتبديل مهما تغير



الأوطان والأزمان وتطور الإنسان<sup>(١)</sup>.

والحقيقة أن الواقع خير شاهد على تبدل هذه القوانين وتغيرها بين فترة وأخرى، وفي ذلك أكبر التأكيد على عجزها عن مجاراة الأزمان وتطور الأحداث.

### الوجه الثاني:

(أن القانون عبارة عن قواعد مؤقتة تصنعها الجماعة لتنظيم شؤونها وسد حاجاتها، فهي قواعد متأخرة عن الجماعة أو هي في مستوى الجماعة اليوم ومتخلفة عن الجماعة غداً، لأن القوانين لا تتغير بسرعة تطور الجماعة، وهي قواعد مؤقتة تتفق مع حال الجماعة المؤقتة، وتستوجب التغيير كلما تغيرت حال الجماعة).

أما الشريعة فقواعد وضعها الله تعالى على سبيل الدوام لتنظيم شؤون الجماعة، فالشريعة تتفق مع القانون في أن كليهما وضع لتنظيم الجماعة ولكن الشريعة تختلف عن القانون في أن قواعدها دائمة ولا تقبل التغيير والتبديل وهذه الميزة التي تتميز بها الشريعة تقتضي من الوجهة المنطقية:

**أولاً:** أن تكون قواعد الشريعة ونصوصها من المرونة والعموم بحيث تتسع لحاجات الجماعة مهما طالت الأزمان وتطورت الجماعة، وتعددت الحاجات وتنوعت.

**ثانياً:** أن تكون قواعد الشريعة ونصوصها من السمو والارتفاع بحيث لا يمكن أن تتأخر في وقت أو عصر ما عن مستوى الجماعة.

والواقع أن ما يقتضيه المنطق متوفر بوجهيه في الشريعة، بل هو أهم ما يميز

---

(١) مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، د. يوسف القرضاوي، ص ٢٨، بدون طبعة وتاريخ، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر.

الشريعة الإسلامية عن غيرها من الشرائع السماوية والوضعية، فقواعد الشريعة الإسلامية ونصوصها جاءت عامة ومرنة إلى آخر حدود العموم والمرونة، كما أنها وصلت من السمو درجة لا تصور بعدها لسمو.

ولقد مر على الشريعة الإسلامية أكثر من (ثلاثة عشر قرناً)<sup>(١)</sup>. تغيرت خلالها الأوضاع أكثر من مرة، وتطورت الأفكار والآراء تطوراً كبيراً، واستحدثت من العلوم والمخترعات ما لم يكن يخطر على خيال إنسان، وتغيرت قواعد القانون الوضعي ونصوصه أكثر من مرة لتتلاءم مع الحالات الجديدة والظروف الجديدة، بحيث انقطعت العلاقة بين القواعد القانونية الوضعية التي نطبقها اليوم وبين القواعد القانونية الوضعية التي كانت تطبق يوم نزلت الشريعة، وبالرغم من هذا كله، ومع أن الشريعة الإسلامية لا تقبل التغيير والتبديل ظلت قواعد الشريعة ونصوصها أسمى من مستوى الجماعات وأكفل بتنظيم وسد حاجاتهم وأقرب إلى طبائعهم، وأحفظ لأمنهم وطمأنينتهم<sup>(٢)</sup>.

وإذا أردنا أن نضرب أمثلة على ذلك، ففي كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ الشيء الكثير فخذ مثلاً قول الله تعالى: ﴿وَأْمُرهم بَيْنهم﴾ (الشورى: ٣٨) أو اقرأ قول الرسول: (لا ضرر ولا ضرار في الإسلام)<sup>(٣)</sup>.

(١) الوقت الذي ألف فيه المؤلف الكتاب .

(٢) مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، د. يوسف القرضاوي، ص ٢٩-٣٠.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (١/١٤١) من رواية جابر بن عبد الله، قال الألباني-رحمه الله-: وله طرق كثيرة جاوزت العشر، وهي وإن كانت ضعيفة مفرداتها، فإن كثيراً منها لم يشتد ضعفها، فإذا ضم بعضها إلى بعض تقوى الحديث بها وارتقى إلى درجة الصحيح إن شاء الله تعالى، وقال المناوي في فيض القدير: والحديث حسنه النووي في الأربعين. قال ورواه مالك مرسلأ، وله طرق يقوي بعضها بعضاً، وقال العلائي: للحديث شواهد ينتهي مجموعها إلى درجة الصحة أو الحسن المحتج به. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (محمد ناصر الدين الألباني-رحمه الله-، ج ٣، ص ٤١٣، ط ٢، ١٤٠٥هـ، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق).

فهذان نصان من القرآن والسنة بلغا من العموم والمرونة واليسر ما لا يمكن أن يتصور بعده عموم أو مرونة أو يسر وهما يقرران الشورى قاعدة للحكم على الوجه الذي لا يضر بالنظام العام ولا بمصلحة الأفراد أو الجماعة، وبتقرير مبدأ الشورى على هذا الوجه بلغت الشريعة من السمو حده الأقصى الذي لا يتصور أن يصل إليه البشر في يوم من الأيام، إذ عليهم أن يجعلوا أمرهم شورى بينهم بحيث لا يحدث ضرر ولا ضرار، وهيئات أن يتحقق ذلك بين الناس .

ولو تتبعنا نصوص الشريعة لوجدناها على غرار النصين السابقين من العموم والمرونة والسمو، ومن السهل علينا أن نتبين هذه المميزات لأول وهلة في أي نص نستعرضه، فنصوص الشريعة كلها تصلح أمثلة على ما نقول، ويكفي أن نسوق للقارئ مثلاً آخر وهو قوله تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ (النحل: ١٢٥) فهذا النص تدل صياغته على أنه بلغ حد العموم والمرونة، أما المبدأ الذي جاء به النص فلم يعرف بعد أن هناك ما هو خير منه، ولا يمكن أن يتصور العقل البشري أن هناك طريقاً لأصحاب الدعوات يسلكونها في نشر دعواتهم خيراً عن طريق الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن<sup>(١)</sup>.

من خلال ما سبق في الوجه الثاني يتضح لنا التميز الكامل والفارق الكبير بين نصوص الشريعة ونصوص القانون من حيث الاستيعاب والمرونة والقدرة على تحقيق الحاجات البشرية .

---

(١) مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، د/يوسف القرضاوي، ص ٢٩-٣١.

### الوجه الثالث :

(أن الجماعة هي التي تصنع القانون وتلونه بعاداتها وتقاليدها وتاريخها والأصل في القانون أنه يوضع لتنظيم شؤون الجماعة ولا يوضع لتوجيه الجماعة، ومن ثم كان القانون متأخراً عن الجماعة وتابعاً لتطورها، وكان القانون صنع الجماعة، ولم تكن الجماعة من صنع القانون . . . . .

أما الشريعة الإسلامية فقد علمنا أنها ليست من صنع الجماعة، وأنها لم تكن نتيجة لتطور الجماعة وتفاعلها كما هو الحال في القانون الوضعي، وإنما هي من صنع الله الذي أتقن كل شيء خلقه .

وإذا لم تكن الشريعة من صنع الجماعة، فإن الجماعة نفسها من صنع الشريعة، إذ الأصل في الشريعة أنها لم توضع لتنظيم شؤون الجماعة فقط كما كان الغرض من القانون الوضعي، وإنما المقصود من الشريعة قبل كل شيء هو خلق الأفراد الصالحين والجماعة الصالحة، وإيجاد الدولة المثالية، والعالم المثالي، ومن أجل هذا جاءت نصوصها أرفع من مستوى العالم كله وقت نزولها، ولا تزال كذلك حتى اليوم، وجاء فيها من المبادئ والنظريات ما لم يتهيأ العالم غير الإسلامي لمعرفة، والوصول إليه إلا بعد قرون طويلة، ومن أجل هذا تولى الله جل شأنه وضع الشريعة، وأنزلها على رسوله نموذجاً من الكمال ليوجه الناس إلى الطاعات والفضائل، ويحملهم على التسامي والكمال حتى يصلوا أو يقتربوا من مستوي الشريعة الكامل وقد حققت الشريعة ما أرادها لها العليم الخبير، فأدت رسالتها أحسن الأداء، وجعلت من رعاة الإبل سادة للعالم، ومن جهال

البادية معلمين وهداة للإنسانية)<sup>(١)</sup>.

هذه هي أهم الفروق بين الشريعة والقانون . لذا يستنكر الدكتور محمد حسين رحمه الله أن ينادي البعض بجعل القانون أساساً [لدراسة الفقه الإسلامي (لإحيائه والنهضة به نهضة علمية صحيحة) حسب زعمه<sup>(٢)</sup>، فيقرر في بدء كلامه أن) الأساس في هذه الدراسة أن تكون دراسة مقارنة، فيدرس الفقه الإسلامي في ضوء القانون المقارن . (ولست أدري ما حاجتنا إلى هذه المقارنة، ولماذا كل هذا الحرص على ألا نخالف التشريع الغربي ولا نبتعد عن روحه؟ أليس في ذلك قتل لشخصيتنا وإفناء لها في الغرب، مما لا يخدم سوى مصالح الاستعباد والتبشير؟ ذلك إلى ما يتضمنه من تبديل شرع الله وتحريف الكلم فيه عن مواضعه، وهو كفر صريح وليس بعد الكفر ذنب .

ويطالب الكاتب بدراسة مذاهب الفقه الإسلامي المختلفة، والسني منها والشيوعي والخارجي والظاهري، (وتستكشف من وراء كل هذه قواعد الصناعة الفقهية الإسلامية، ثم تقارن هذه الصناعة بصناعة الفقه الغربي الحديث، حتى يتضح ما بينها من الفروق ووجوه الشبه، حتى نرى أين وقف الفقه الإسلامي، لا في قواعده الأساسية ومبادئه، بل في أحكامه التفصيلية وفي تفرعاته، فتمتد يد التطور إلى هذه التفصيلات، على أسس تقوم على ذات الفقه الإسلامي وطرق صياغته وأساليب منطقة، وحيث يحتاج الفقه الإسلامي إلى التطور يتطور، وحيث يستطيع أن يجاري مدنية العصر يبقى على حاله دون تغيير، وهو في الحالين فقه إسلامي خالص (!؟) لم تداخله

(١) المرجع السابق، ص ٣٢ - ٣٣ .

(٢) عبد الرزاق السنهوري .

عوامل أجنبية فتخرجه عن أصله (!؟) [١].

هنا يعلق الدكتور محمد حسين - رحمه الله - ويقول في عبارة واضحة غاية الوضوح: (ألا تعجب معي لهذا الرجل الذي يزعم بعد كل ما قاله أن الفقه الإسلامي الذي يسعى إلى تطويره تحت وصاية التقنين الغربي وفي ولايته هو فقه إسلامي خالص؟ وكيف يكون خالصاً وهو يحكم فيه (روح العصر)، وهي روح غريبة حسب اعترافه في كل موضع من مقاله؟ ومن الواضح أن (مدنية العصر) التي يطلب السنهاوري إلى الفقه الإسلامي أن يجاريها، ويطلب إلى واضعي القانون أن يتخذوها مقياساً لصلاحية الفقه الإسلامي، هذه المدنية هي مدنية غريبة فرضها الاستعباد الغربي ونجح في ترويجها وفي إرساء دعائمها وتنشئة الرجال الذين يسهرون عليها ورعاية هؤلاء الرجال ودفعهم إلى مناصب القيادة والزعامة بما يسمح لهم أن يرعوا جيلاً جديداً من أتباعهم، ثم يرعى هذا الجيل جيلاً من بعده، وهكذا دواليك، فتصبح قيادة المسلمين الفكرية والسياسية دائماً في يد هذه العصابة، لا يسمع الناس إلا كلامها وكلام أذنانها، ولا يرون إلا صورها وصور أذنانها، ولا يرقى أحدهم إلى مرتبة من مراتب الشرف ولا يفتح له باب من أبواب الرزق إلا إذا حصل على جواز المرور من هذه العصابة التي تسد كل منفذ وتحكم في كل باب وتحتل كل معقل، ويظل المسلمون هكذا محكومين في حقيقة الأمر بالاستعباد الغربي وهم يظنون أن حكاهم هم إخوانهم وأبناء أمتهم) [٢].

(١) حصوننا مهددة من داخلها، د. محمد حسين، ص ١٣٢ .

(٢) المرجع السابق، ص ١٣٢-١٣٣ .

وهكذا كان الدكتور محمد حسين -رحمه الله -دائماً، قوياً وواضحاً وواعياً لكل ما يحيكه أعداء دينه بدينه فيقف لهم شامخاً لا تهزه قوة من أمامه مهما كان، ولذلك كثر خصومه وأعداؤه رحمه الله .

ثم عاد رحمه الله وقال: [ومع ذلك فليس للشريعة الإسلامية من الاعتبار عند كاتب هذا المقال أكثر مما للقانون الروماني، فالغاية عنده أن (تنتهي هذه الدراسة بعد عشرات من السنين إلى أن يتجدد شباب هذا الفقه، وتدب فيه عوامل التطور لروح العصر .وتكون نهضة الفقه الإسلامي هذه شبيهة بنهضة القانون الروماني في العصور الوسطى .

وينبت الفقه الإسلامي قانوناً مدنياً متطوراً يجاري المدنية الحديثة، وينبثق هذا القانون الحديث من الشريعة الإسلامية كما انبثقت الشرائع اللاتينية والشرائع الجرمانية من الفقه الروماني )

مثل هذا الكلام لا يمكن أن يصدر عن مسلم يعتقد أن الشريعة الإسلامية منزلة من عند الله، وأنها حدود الله، لا يتعدها إلا كافر ظالم لنفسه .

ثم يأخذ الكاتب في بيان ما يتضمنه التقاء القانون الغربي بالفقه الإسلامي من وجوه واحتمالات، ويخرج القارئ من كلامه بأن ما يسميه (اشتقاق القانون من الشريعة الإسلامية) ليس في حقيقة الأمر إلا إخضاع الشريعة الإسلامية لأهواء العصر وشهواته وهو ما يسميه (مدنية العصر) .

وخلاصة ما يقوله هنا أنه لا يأخذ بحكم الشرع إلا حيث يتفق تماماً مع روح القوانين المدنية المستجلبة من أوروبا، ثم هو يعدل الحكم الشرعي أو يلغيه ويسقطه حسب مبلغ تعارضه مع هذه القوانين الغربية الأصول التي هي في زعمه (أصلح للعصر) أو (تجاري مدنية العصر) أو (تساير روح العصر)

حسب تعبيره في مواضع مختلفة من هذا المقال .

وتطوير الفقه الإسلامي الذي يدعو إليه الكاتب ، أو تبديله على الأصح ، هو تطوير وتبديل لا يقف عند حد ، حسب اعترافه نفسه حيث يقول : (فالهدف الذي نرمي إليه هو تطوير الفقه الإسلامي وفقاً لأصول صناعته ، حتى نشق منه قانوناً حديثاً يصلح للعصر الذي نعيش فيه ، فإذا استخلصنا هذا القانون في نهاية الدرس وأبقيناه دائماً التطور حتى يجاري مدنيات العصور المتعاقبة ، فقد تكون أحكامه في جزء منها ، قل أو كثر مطابقة لأحكام القانون المدني العراقي أو لأحكام القانون المدني المصري أو لأحكام كل من القانونين) . والمهم في ذلك كله أن هذا التطور الدائم سوف ينتهي بذلك التشريع الإسلامي المزعوم في المدى القريب أو البعيد إلى أن يصبح شيئاً مختلفاً عن الإسلام الذي أنزل على نبينا عليه الصلاة والسلام اختلافاً تاماً ، بل إنه كذلك منذ بدء وضعه أو التفكير فيه كما هو ظاهر في هذا البحث<sup>(١)</sup> .

إن هذه النتيجة النهائية التي توصل إليها الدكتور محمد - رحمه الله - هي النتيجة الحتمية لما سيكون عليه هذا الفقه أو التشريع الإسلامي من مسخ بعد أن تحكم فيه تلك القوانين البشرية المنحرفة .

ومما يؤكد لنا خطورة هذا الخلط الذي يسمونه توفيقاً بين الشريعة والقانون ما أنقله هنا من رأي لفضيلة الشيخ بدر متولي عبد الباسط عميد كلية الشريعة بجامعة الأزهر حيث يقول : (فكرة تطور الأحكام الشرعية بتطور الزمن هذه دعوى تخلب ألباب بعض الناس ، ولكن إلى أي مدى تتطور الأحكام الشرعية ، وفي أي شيء تتطور الأحكام الشرعية؟ هناك أحكام كما قلنا

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٣٤-١٣٥ .



أساسية قطعية لا ينبغي لأي أحد أن يمسه، ولا بأي تفكير، وهناك أحكام بنيت على العرف، وهناك أحكام بنيت على القياس، والقياس مبني على العلة، والعلة قد تنخرم، فإذا ثبت حقاً انخرام العلة، وأنها لم تكن مضطرده في مناسبتها، ففي هذه الحالة على العين وعلى الرأس نقول تغير الحكم بتغير الزمن، هناك أحكام بناها الفقهاء على فكرة علمية كانت سائدة في وقتهم، ثم تبين فساد هذه النظرية، أو هذا المبدأ العلمي بيقين، لكن هناك أحكام قطعية ثبتت بأدلة قطعية وفي مسائل فرعية ينبغي أن نبعتها تماماً عن أن تكون في متناول أية حاجة، وأن تكون بمحل القداسة عندنا<sup>(١)</sup>.

أما الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله فيقول عن نفس الفكرة: (إن كلمة التطور تضايقني نفسياً، وليست هذه المضايقة مبنية على تأثر عاطفي من سماعها، بل إنها مبنية على تأثر منطقي، لأن الذين يرددونها في خارج هذا المجلس الموقر - مجلس أسبوع الفقه الإسلامي - يريدون أن يحولوا الشريعة عن مقاصدها إلى ما يوافق أهواء واردة إلى مجتمعاتنا في عواصف ناسفة للحقائق الإسلامية، فيلغون الزكاة باسم تطور الاشتراكية، ويلغون الميراث باسم ذلك التطور أيضاً، ويكادون يلغون الزواج والطلاق باسم التطور، والذين يرددون كلمة التطور هنا، وهم أخف من أولئك وطأة، وأقل قبيلاً يؤمنون بالقوانين الأوروبية أكثر من إيمانهم بالشريعة الإسلامية، ويؤمنون بالاقتصاد القائم أكثر من إيمانهم بالقرآن والسنة النبوية، ومصادر الشريعة جملة وتفصيلاً، من أجل ذلك نتململ من كلمة التطوير)<sup>(٢)</sup>.

(١) الشريعة الإلهية لا القوانين الوضعية، د. عمر الأشقر، ص ١١٨، ط ٣، دار الفائس، الأردن، مكتبة الفلاح، الكويت.

(٢) المرجع السابق، ص ١١٩.

ويزيد الشيخ رحمه الله فيضيف ويقول: (إنهم يريدون التبديل، ولا يريدون إيجاد أحكام لما جدّ من أحداث، إنهم يريدون التغيير في الأحكام القائمة الثابتة بالنصوص من غير اجتهاد، بحيث تسير الشريعة الإسلامية وراء القانون القائم، لا أن يسير هو وراءها، يريدون أن تكون الشريعة محكومة بما يجرى بين الناس، لا أن تكون حاکمة على ما يجري بالخير أو الشر، وينسون أن الشريعة نزلت من عند الله لإصلاح المجتمع، وتنظيم العلاقات بين الناس)<sup>(١)</sup>.

ويجدر هنا أن أنقل كلام بعض العلماء الذين كانت لهم مشاركتهم مع رجال القانون في بعض المؤتمرات الخاصة بالفقه الإسلامي، حيث صدع هؤلاء الأفاضل بكلمة الحق في وجوه المنادين بالدراسات المقارنة، يقول الشيخ بدر متولي عبد الباسط عميد كلية الشريعة بجامعة الأزهر: (في الحقيقة أريد أن أطمئن في أننا عند مقارنة القانون بالشريعة أيهما حاكمٌ على الآخر؟ هل معنى ذلك أن نصدر الأحكام ثم نلتمس من الشريعة مسوغاً ولو كان المسوغ واهياً، والحقيقة أن تتبع المذاهب الواهية قد توسع فيها بعض الناس أخيراً، ولكن الحقيقة أن هذا لا ينبغي أن نعود إليه لأننا نقول الاجتهاد، والاجتهاد اتباع للدليل وليس اتباعاً لرأي أحد قاله)<sup>(٢)</sup>.

وكما يقولون الحق ما شهدت به الأعداء، [يقول فتزجيرالد وقد كان أستاذ القانون الإسلامي في مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بلوندر، يقول في مقال نشره في مجلة القانون الفصلية الإنجليزية عدد يناير ١٩٥١م]: الواقع أن

(١) المرجع السابق، ص ١١٩.

(٢) المرجع السابق، ص ١١٥.

النظامين : الروماني والإسلامي متضادان إلى حد لا يمكن معه التوفيق بينهما فيما يتعلق بالمسائل الأساسية، وهي المآخذ الصحيح للقانون، فالقانون الإسلامي هو قانون الله المشرع الوحيد، ولا سلطة لأي أمير في وضع القوانين، مشيئة العوام لا اعتبار لها إلا إذا مثلت إجماعاً عاماً كافياً).

ويقول أيضاً: (الشريعة كما ذكرنا من قبل تختلف اختلافاً أساسياً عن القانون الرومي، سواءً في طبيعتهما أو في غرضهما، فالقانون الرومي حتى في خالص ناحيته المجردة والعلمية ليس إلا قانون العلماء القانونيين، أو كما يقال في المثل اللاتيني: (كل قانون وضع فإنه وضع بسبب إنسان) أما القانون الإسلامي فهو أولاً وقبل كل شيء نظام أهل دين يطبقون الأحكام (الموجودة) على الوقائع، وغرضهم وصل كل نفس إنسانية بالله تعالى<sup>(١)</sup>.

هذا في الحقيقة يعطي صورة واضحة لتمييز التشريع الإسلامي عن غيره من الشرائع بل وغيره من القوانين الوضعية الأوروبية التي اشتقت أساساً من القانون الروماني.

### المسألة الثالثة :

#### التقنين :

تعرض د. محمد حسين رحمه الله لمسألة التقنين، أي وضع الأحكام الشرعية على هيئة مواد قانونية، وهي وإن لم تكن من صور الانحراف إلا أنها تعتبر جزءاً مما تحدث فيه خلال نظرته للحديث عن الشريعة ككل، وأذكر هنا استعراضاً سريعاً لهذه المسألة.

(١) المرجع السابق، ص ١٣٦ - ١٣٧ .

بدأت مسألة التقنين أيام الدولة العثمانية في عام ١٢٨٥ هـ حين أمرت بتأليف لجنة لوضع مجموعة من الأحكام المهمة في النواحي المدنية، منتقاة من قسم المعاملات في الفقه الحنفي، وقامت بترتيب مباحثها على الكتب والأبواب الفقهية المعتادة، ولكنها فصلت بمواد ذات أرقام متسلسلة كالقوانين الحديثة ليسهل الرجوع إليها والإحالة عليها<sup>(١)</sup>.

ولكن مسألة التقنين هذه لم تقابل بالترحاب من قبل الكل وإنما ظهر لها معارضون لخصوا اعتراضاتهم في الآتي:

(١) يلزم التقنين تقييد القاضي برأي واحد معين، وهو الرأي الذي يختاره واضعوا القانون، بينما يعتبر الفقه غنياً بالأراء الاجتهادية، مما يمكن القاضي بأخذ ما يراه أوضح، أما التقنين فهو جمود على رأي واحد.

(٢) التطبيق العملي لبعض القوانين، قد يظهر قصورها عن الحاجة أو عدم ملاءمتها، وقد تكون صالحة وتتغير الأوضاع فتفقد صلاحيتها.

(٣) التقنين سيخلق لدى القضاة نوعاً من التكاسل والالتكال على القانون المدون، دون تجشم الرجوع إلى مصادر الفقه والتنقيب فيها عن الحكم ودليله<sup>(٢)</sup>.

وقد لقيت هذا الاعتراضات اعتراضات أخرى ممن كانوا يرجحون عملية التقنين فقالوا رداً على الممانعين:

(١) إن من القضاة من يحتاج إلى مثل هذا التقييد والالتزام، حتى لا يخبط خبط عشواء ويقع في التناقض والاضطراب.

---

(١) مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، د. يوسف القرضاوي، ص ٢٩٧، (بتصرف)، المدخل للتشريع الإسلامي، د. محمد فاروق النبهان، ص ٣٩٩.

(٢) مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، د. يوسف القرضاوي، ص ٣٠٥ وما بعدها.

(٢) من الاعتبارات معرفة المتقاضين بوجهة الحكم بشكل عام .  
(٣) إن تقنين الفقه لا يعني أن يعتمد القاضي على مجرد القراءة، خاصة أن من يخدم نفسه ورسالته لا يرضى بذلك أبداً .  
(٤) القانون مهما اتسعت فروعه وتعددت فصوله لا يمكن أن يفى بالغرض في كل حوادث الدنيا مما يتيح للقاضي فرصة الرجوع إلى الشريعة .  
(٥) القضاة المعاصرون أصلاً مقلدون ويرجعون إلى رأي معين، فليس القانون هو الذي يقيدُه<sup>(١)</sup> .

فالتقنين للشريعة قد يكون هو الصواب في عصرنا هذا ولكن لكي ينجح ويحقق المأمول منه لا بد من توافر الشروط التالية :

(١) عدم الالتزام بمذهب معين لأن في ذلك تحجيراً وتضييقاً لدائرة الفقه الواسعة، فالفقه الإسلامي يتميز بتعدد الاجتهادات وتنوع المدارس والمشارب الفقهية، فلا بأس من الأخذ بها ما دامت لا تعارض نصاً قطعياً أو إجماعاً متيقناً أو دليلاً بيناً لا تجوز مخالفته .

(٢) أن يتم الاختيار بين هذه المذاهب فيما هو أرجح دليلاً، وأوفق بمقاصد الشريعة وأليق بتحقيق مصالح الناس ودفع الحرج والعنت عنهم .

(٣) النظر المستمر في هذا القانون بحيث ينظر إلى ملاحظات القضاة والمحامين والمهتمين وتؤخذ في الاعتبار<sup>(٢)</sup> .

والواقع يقول: (إن تطوير صياغة الفقه إلى ما هو متفق مع المألوف وعرف التعبيرات والاصطلاحات الحديثة شيء محمود بل ومطلوب وما تقوم به

(١) المرجع السابق، ص ٣٠٦-٣٠٧، (بتصرف) .

(٢) المرجع السابق، ص ٣٠٩-٣١١، (بتصرف) .

المؤسسات العلمية والجامعات الإسلامية من استصدار موسوعات الفقه الإسلامي دليل على الجدية في هذا الطريق .

والذين يتحملون هذه الأمانة يجب أن يكونوا من الفقهاء الذين تبصروا بأحكام الشريعة ، وتم لهم الاتصال الوثيق بأمهات الكتب الفقهية القديمة ، بل الأصيلة ، مع دراسات قانونية تفتح أمامهم آفاق المقارنة في المضمون والشكل<sup>(١)</sup> .

بعد هذا أحب أن أقول أن مبدأ تقنين الفقه الإسلامي إلى قواعد ومواد مرتبة تسهل عملية الرجوع إليها يعتبر في رأيي أمراً لا غبار عليه ولا بأس به ، إنما الاعتراض يكمن في تطوير الفقه تطويراً يناسب العصر من حيث المضمون لا الشكل ، وهذا ما يرفضه كل مسلم يعلم أن الشريعة منزلة من عند الله عز وجل وأن الحكم لا ينبغي أن يكون إلا لله تعالى ، وهذا الرأي يبدو والله أعلم أن الدكتور محمد حسين -يرحمه الله- لا يعترض عليه البتة بدليل أنه لم يعترض عليه أو يناقشه حين تعرض لمسألة التطوير في مضمون الشريعة ولو كان الأمر بالنسبة له محل اعتراض لتحدث عند ذلك قطعاً ، فما كان رحمه الله ليتعرض لشيء ويغفل آخر في موضوع واحد أبداً .

---

(١) على طريق العودة إلى الإسلام ، د. محمد البوطي ، ص ١١٤-١١٥ ، (بتصرف) ، ط ٢ ، ١٤٠٢ هـ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

## المبحث الثالث

### تحكيم الشريعة الإسلامية

لا يشك مسلم في أن الشريعة الإسلامية وتحكيمها في واقع الناس وحياتهم أمر شرعي لا يمكن مناقشته ولا التنازل عنه في عرف المؤمنين الصادقين ، وقد تكاثرت الروايات وتواترت أقوال علماء الأمة وأخبارها بالتأكيد على تلك المعاني وترسيخها ، وأحب هنا أن أنقل جملة من أقوالهم لزيادة الإيضاح وتأكيد العمل بشرع الله وأحكامه في حياة الناس .

أقوال أهل العلم في الحكم بما أنزل الله ووجوب تحكيم الشريعة :

قال ابن كثير - رحمه الله - عند تفسير قوله تعالى : ﴿ فاحكم بينهم بما أنزل الله ﴾ (المائدة : ٤٨) : أي فاحكم يا محمد بين الناس ، عربهم وعجمهم ، أميهم وكتابيهم ، بما أنزل الله إليك في هذا الكتاب العظيم ، وبما قرره لك من حكم من كان قبلك من الأنبياء ولم ينسخه في شرعك<sup>(١)</sup> .

وقال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : ﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ﴾ (المائدة : ٥٠) : ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير ، الناهي عن كل شر ، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله ، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم إلى أن قال : ﴿ ومن أحسن من الله حكماً لقوم

(١) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، كتب هوامشه وضبطه - حسين بن إبراهيم زهران ، ج ٢ ، ص ١٠٥ ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

يوقنون ﴿ أي ومن أعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله شرعه ، وآمن به ، وأيقن وعلم أن الله أحكم الحاكمين ، وأرحم بخلقه من الوالدة بولدها ، فإنه تعالى هو العالم بكل شيء ، القادر على كل شيء ، العادل في كل شيء ﴾ (١) .

وقال القرطبي - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴾ ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ﴾ ( المائدة : ٤٤ - ٤٥ - ٤٧ ) نزلت كلها في الكفار ، ثبت ذلك في صحيح مسلم من حديث البراء ، وقد تقدم ، وعلى هذا المعظم .

فأما المسلم فلا يكفر وإن ارتكب كبيرة ، وقيل : فيه إضمار ، أي ومن لم يحكم بما أنزل الله راداً للقرآن وجهداً لقول الرسول عليه الصلاة والسلام فهو كافر ، قاله ابن عباس ومجاهد ، فالآية عامة في هذا .

قال ابن مسعود والحسن : هي عامة في كل من لم يحكم بما أنزل الله من المسلمين واليهود والكفار أي معتقداً ذلك ومستحلاً له ، فأما من فعل ذلك وهو معتقد أنه مرتكب محرماً فهو من فساق المسلمين ، وأمره إلى الله تعالى إن شاء عذبه ، وإن شاء غفر له ، وقال ابن عباس في رواية : ومن لم يحكم بما أنزل الله فقد فعل فعلاً يضاهي أفعال الكفار ، وقيل : أي ومن لم يحكم بجميع ما أنزل الله فهو كافر ، فأما من حكم بالتوحيد ولم يحكم ببعض الشرائع فلا يدخل في هذه الآية ، والصحيح الأول ، إلا أن الشعبي قال : هي في اليهود خاصة ، واختاره النحاس ، قال : ويدل على ذلك ثلاثة أشياء ، منها

(١) المرجع نفسه ، ص ١٠٧ .



أن اليهود قد ذكروا قبل هذا في قوله: ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ ، فعاد الضمير لليهود بإجماع ، وأيضاً فإن اليهود هم الذين أنكروا الرجم والقصاص ، فإن قال قائل : (من) إذا كانت للمجازاة فهي عامة إلا أن يقع دليل على تخصيصها؟ قيل له : (من) هنا بمعنى الذي مع ما ذكرناه من الأدلة ، والتقدير : واليهود الذين لم يحكموا بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ، فهذا من أحسن ما قيل في هذا ، ويروى أن حذيفة سئل عن هذه الآيات أهي في بنى إسرائيل؟ قال : نعم هي فيهم ، ولتسلكن سبيلهم حذو النعل بالنعل . وقيل : (الكافرون) للمسلمين و(الظالمون) لليهود ، و(الفاسقون) للنصارى ، وهذا اختيار أبي بكر بن العربي قال : لأنه ظاهر الآيات ، وهو اختيار ابن عباس رضي الله عنه ، قال طاووس وغيره : ليس بكفر ينقل عن الملة ، ولكنه كفر دون كفر ، وهذا يختلف إن حكم بما عنده على أنه من عند الله ، فهو تبديل له يوجب الكفر ، وإن حكم به هوى ومعصية فهو ذنب تدركه المغفرة على أصل أهل السنة في الغفران للمذنبين)<sup>(١)</sup> .

وقال ابن كثير - رحمه الله - عن الآية نفسها عن السدي قوله : (ومن لم يحكم بما أنزلت فتركه عمداً أوجار وهو يعلم ، فهو من الكافرين)<sup>(٢)</sup> . لما نقل عن ابن عباس قوله : (من جحد ما أنزل الله فقد كفر ، ومن أقرب به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق)<sup>(٣)</sup> .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : (والتحقيق أن الشريعة التي

(١) الجامع لأحكام القرآن ، محمد بن أحمد القرطبي ، ج ٣ ، ص ١٢٤ ، ب (تصرف) ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

(٢) تفسير القرآن الكريم ، ابن كثير ، ج ٢ ، ص ٩٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٩٧ .

بعث الله بها محمداً ﷺ جامعة لمصالح الدنيا والآخرة، . . . . . والشريعة إنما هي كتاب الله وسنة رسوله، وما كان عليه سلف الأمة في العقائد والأحوال والعبادات والأعمال، والسياسات والأحكام والولايات والعطيات .

ثم هي مستعملة في كلام الناس على ثلاثة أنحاء: شرع منزل، وهو: ما شرعه الله ورسوله، وشرع متأول، وهو: ما ساغ فيه الاجتهاد، وشرع مبدل، وهو ما كان من الكذب والفجور الذي يفعله المبطلون بظاهر من الشرع أو البدع أو الضلال الذي يضيفه الضالون إلى الشرع، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وبما ذكرته في مسمى الشريعة والحكم الشرعي والعلم الشرعي يتبين أنه ليس للإنسان أن يخرج عن الشريعة في شيء من أموره، بل كل ما يصلح له فهو في الشرع من أصوله وفروعه وأحواله وأعماله وسياسته ومعاملته وغير ذلك، والحمد لله رب العالمين<sup>(١)</sup> .

(فعلى كل من الرعاة والرعية والرؤوس والمرؤوسين أن يطيع كل منهم الله ورسوله في حاله، ويلتزم شريعة الله التي شرعها له .

وهذه جملة تفصيلها يطول، غلط فيها صنفان من الناس، صنف سوغوا لنفوسهم الخروج عن شريعة الله ورسوله وطاعة الله ورسوله، لظنهم قصور الشريعة عن تمام مصالحهم جهلاً منهم، أو جهلاً وهوى، أو هوى محضاً .

وصنف قصرُوا في معرفة قدر الشريعة فضيقوها حتى توهموا هم والناس أنه لا يمكن العمل بها، وأصل ذلك الجهل بمسمى الشريعة ومعرفة قدرها وسعتها، والله أعلم<sup>(٢)</sup> .

---

(١)، (٢) مجموع فتاوى ابن تيمية، أحمد بن تيمية، جمع عبد الرحمن بن قاسم، ج ١٩، ص ٣٠٨ - ٣١٠، ط ١٢، عالم الكتب، الرياض، السعودية .

من خلال ما تقدم يتضح خطورة التبديل أو التغيير في شرع الله تعالى أو الرضا بشرع آخر يخالف شرع الله تعالى في قليل أو كثير، يقول الإمام ابن القيم رحمه الله في إعلام الموقعين: (إن الطاغوت هو كل ما تجاوز به العبد حده، من معبود، أو متبوع، أو مطاع، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه، غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله)<sup>(١)</sup>.

أما المعاصرون فننقل جملة من أقوالهم لزيادة التأكيد والإيضاح، يقول الشيخ إسماعيل بن إبراهيم الحسيني في التعليق على قول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾ (الحجرات: ٢) (فلينظر فإنه إذا كان رفع أصواتهم فوق صوته سبباً لحبوط أعمالهم، فكيف تقديم آرائهم وعقولهم وأذواقهم وسياساتهم ومعارفهم وقوانينهم وأوضاعهم عامدين عاملين على ما جاء به ورفعها عليه، أليس هذا أولى أن يكون محبباً لأعمالهم؟ بلي وربك... إلى أن يقول: وربما كان ردة ومروقاً عن الأمة الإسلامية، والملة الحنيفية، فليحذر الساسة أن يسوسوا الناس بغير ما أنزل الله... ويختتم رسالته بقوله: فكل من حكم بما أنزل الله فقد حكم بالعدل، وكل من حكم بغيره فقد ظلم، ومن لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله، واستحل أن يحكم بين الناس بما يراه هو عدلاً من غير اتباع لما أنزل الله فهو كافر، إذ لا عبرة بما يراه عدلاً من غير أن يكون موافقاً لما أنزل الله... والحاصل أن الحكم بالعدل واجب مطلق، في كل زمان ومكان وعلى كل أحد

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، راجعه وقدم له وعلق عليه طه عبدالرؤوف سعد، ج ١، ص ٥٠، بدون طبعة وتاريخ، دار الجليل، بيروت، لبنان.

ولكل أحد، والحكم بما أنزل الله على محمد ﷺ هو أكمل أنواع العدل وأحسنها، والحكم به واجب على النبي ومن اتبعه، ومن لم يلتزم حكم الله ورسوله فهو كافر وظالم لنفسه ولغيره)<sup>(١)</sup>.

كما تعرض لذلك الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله- فقال مبيناً معنى العبادة وأنها (تقتضي الانقياد التام لله تعالى أمراً ونهياً واعتقاداً وقولاً وعملاً، وأن تكون حياة المرء قائمة على شريعة الله، يحل ما أحل الله ويحرم ما حرم ويخضع في سلوكه وأعماله وتصرفاته كلها لشرع الله، متجرداً من حظوظ نفسه ونوازع هواه ليستوي في هذا الفرد والجماعة والرجل والمرأة، فلا يكون عابداً لله من خضع لربه في بعض جوانب حياته، وخضع للمخلوقين في جوانب أخرى)<sup>(٢)</sup>.

بعد هذا الاستعراض السريع لبعض أقوال أهل العلم أذكر الآن صور الانحراف عن تطبيق شرع الله من خلال ما جاء في كلماتهم السابقة فهي كالتالي:

(١) عدم تطبيق الشريعة كلية.

(٢) تطبيق بعض الشريعة دون بعض.

(٣) التغيير والتبديل في قواعد الشريعة، إما عن طريق:

أ) تطويرها بما يناسب العصر حتى ولو كان مخالفاً لنصها أو روحها.

ب) تغيير وتبديل بعض أحكامها بما يناسب القوانين الحديثة.

وذلك هو ما رأيناه بكل أسف في تلك المحاولات الشائنة، والتي تصدى

لها الدكتور محمد حسين رحمه الله وفند أباطيلها وكشف عوارها.

---

(١) التكفير - جذوره - أسبابه - مبرراته، د. نعمان السامرائي، ص ١٠٦ - ١٠٧، ط ٢، ١٤٠٦هـ، دار المنارة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

(٢) الشريعة الإلهية لا القوانين الوضعية، د. عمر الأشقر، ص ٢١٧، ط ٣، ١٤١٢هـ، دار النفائس، عمان، الأردن، ومكتبة الفلاح، الكويت.

## المبحث الرابع

### خصائص الشريعة الإسلامية

أود في هذا المبحث أن أتعرض لأهم خصائص الشريعة الإسلامية والتي من خلالها يتضح تميز الشريعة عن القوانين الوضعية بمميزات وخصائص عامة لا توجد في أي قانون وضعي بشري أبداً .

#### أولاً : الربانية:

(تمتاز الشريعة الإسلامية عن القوانين الوضعية بما لها من صفة ربانية، وصفة دينية، تفرغ على تشريعاتها قدسية لا نظير لها، وتغرس في نفوس أتباعها حبها واحترامها، احتراماً نابعاً من الإيمان بكمالها وسموها وخلودها)<sup>(١)</sup>.

فالشريعة الإسلامية هي من الله تعالى موحة (إلى رسوله محمد ﷺ باللفظ والمعنى وهو القرآن أو بالمعنى دون اللفظ وهو السنة، فهي بهذا الاعتبار تختلف اختلافاً جوهرياً عن جميع الشرائع الوضعية، لأن مصدر هذه الشرائع البشر ومصدر الشريعة الإسلامية رب البشر)<sup>(٢)</sup>.

وهذه الحقيقة من أهم ما تتميز به الشريعة الإسلامية لأن معنى أن تكون الشريعة ربانية أي أنها لا تخضع للمقاييس البشرية المحكومة (بالقصور والعجز البشري، والتأثر بمؤثرات المكان والزمان والحال، ومؤثرات الوراثة

(١) مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، د. يوسف القرضاوي، ص ٨٩ .

(٢) المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، د. عبدالكريم زيدان، ص ٣٩، ط ٧، بدون تاريخ ولا دار نشر.

والمزاج والهوى والعواطف، وإنما شارعها هو صاحب الخلق والأمر في هذا الكون، ورب كل من فيه وما فيه، الذي خلق الناس وهو أعلم بما ينفعهم ويرفعهم، وما يصلح لهم ويصلحهم. ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ (تبارك : ١٤).

ولأن الشريعة الإسلامية ربانية المصدر فقد تميزت بمميزات كثيرة منها:

(١) مبادئ الشريعة وأحكامها خالية من معاني الجور والنقص والهوى لأن صانعها هو الله، والله له الكمال المطلق الذي هو من لوازم ذاته، بخلاف القوانين الوضعية التي لا تنفك عن هذه المعاني لأنها صادرة عن الإنسان، والإنسان لا يخلو من معاني الجهل والجور والنقص والهوى وما إلى ذلك<sup>(١)</sup>.

ولا شك في أن الإنسان حين يشعر أنه يستمد (شرعه من الله فلا يضل ولا يشقى، وتتساوى إرادات البشر.. لتعلو فوقها إرادة الله، ويتساوى صفهم فلا يتقدم عليهم أحد بين يدي الله ورسوله، ولا يرتفع صوت فوق صوت النبي المبلغ عن الله، وتكون شريعة الله هي العليا لا شريعة معها ولا شريعة فوقها...!)<sup>(٢)</sup>.

(٢) يظل (لأحكام الشريعة هيبة واحترام في نفوس المؤمنين بها حكماً كانوا أو محكومين، لأنها صادرة من عند الله ومن ثم فلها صفة الدين. وما له هذه الصفة من حقه أن يحترم ويطاع طاعة اختيارية تنبعث من النفس وتقوم

(١) المرجع السابق، ص ٣٩ - ٤٠.

(٢) أصول الشريعة الإسلامية، مضمونها وخصائصها، د. على جريشة، ص ٨١، الطبعة الأولى ١٣٩٣ هـ، مكتبة وهبة، مصر.

على الإيمان ولا يقسر عليها الإنسان قسراً<sup>(١)</sup>.

حيث (يسارع المسلم إلى التقيد بأحكام الشريعة، وتنفيذ أوامرها واجتناب نواهيها راضياً مسلماً مطمئن القلب، مدفوعاً بصوت الضمير من الداخل، لا بسوط الشرطي من الخارج، حتى إذا غلبه هواه أو أنانيته يوماً، فخالف ما أمرت به الشريعة أو اقترف ما نهت عنه، فإنه سيظل شاعراً بالإثم حتى يتوب ويطهر نفسه مما قدمت يدها)<sup>(٢)</sup>.

كما أن الشريعة تتميز بميزة تفقدها القوانين الوضعية وهي أن (القوانين الوضعية أنظمة مدنية دنيوية فحسب، فكل أحكامها مقصورة على مراعاة الظواهر، وكل اعتمادها على قوة السلطة الزمنية، وكل جزاءاتها وعقوباتها محصورة في الناحية الدنيوية، فلا مكان فيها لفكرة الحلال والحرام، ولا لبواطن الأمور ونيات القلوب، ولا لعقيدة الحساب بين يدي الله، ودخول الجنة أو النار).

ولهذا إذا ضعفت السلطة التنفيذية أو أخطأت الهيئة القضائية، أو انحرفت إحداهما أو كلتاهما، وأمكن المواطن أن يفلت من العدالة بالقوة أو الحيلة، أو ذلاقة اللسان، فإنه سيفعل ذلك دون أن يشعر بكثير من الإثم أو الحرج فيما فعل.

أما الشريعة الإسلامية فهي نظام روحي ومدني، ديني ودنيوي، لهذا تعتمد على وازع الإيمان والخلق بجوار اعتمادها على قوة السلطان ورقابة الدولة، وهي تضع الجزاء الأخروي مع الجزاء الدنيوي جنباً إلى جنب، وهي

(١) المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، د. عبدالكريم زيدان، ص ٤١.

(٢) مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، د. يوسف القرضاوي، ص ٩٠.

تقيد المسلم بفكرة الحلال والحرام في كل عمل ، فالقوانين تقتصر على بيان أن هذا صحيح أو فاسد نافذ أو موقوف ، ولكن الشريعة تضيف إلى ذلك أن هذا حلال وهذا حرام ، وهذا طاعة وهذه معصية ، وتجعل جل الأشياء مرتبباً بالحقائق والبواطن لا بالصور والظواهر التي يبني عليها القضاء حكمه بالضرورة<sup>(١)</sup> .

### ثانياً : الأخلاقية :

الشريعة الإسلامية (جعلت غايتها إلى جوار استقرار المجتمع وانتظام علاقاته -تحقيق المثل الأعلى في حياة الناس ، والسمو بهم إلى أفق الإنسانية الرفيعة ، والمحافظة على القيم الروحية والخلقية العليا)<sup>(٢)</sup> .

ومن هنا جاءت شريعة الإسلام (والعرب يشربون الخمر ، بل يعشقونها عشقاً حتى جعلوا لها أكثر من مائة اسم ، كما كانوا يلعبون الميسر ، وقلما وجدت الخمر إلا جرت إلى الميسر والقمار ، فلم تعبأ الشريعة بهذا العرف السائد المستقر الذي شب عليه الصغير وهرم عليه الكبير ، وفتن به الخاصة والعامّة ولم تبال بما يعود على بعض الناس من منافع خاصة تجارية أو اقتصادية من وراء إباحة الخمر والميسر ، فنزل قوله تعالى : ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيها إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما﴾ (البقرة : ٢١٩) .

بهذا أعلن القرآن أن المحافظة على الأخلاق والقيم مقدمة على رعاية

(١) المرجع السابق ، ص ٩٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٣ .



المنافع المادية ، لأن هذه المنافع التي يحرص عليها بعض الناس ، لا تقاس بجانب الإثم ، أو الضرر العظيم الذي يصيب كيان المجتمع كله ، بأفراده وأسرته من وراء إباحة الخمر والميسر ، ولهذا سماها القرآن بعد ذلك رجساً ، وجعلها من عمل الشيطان ، وقرنها بالأنصاب والأزلام ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ﴾ (المائدة : ٩٠) (١) .

ولذلك يجد المتأمل ( بوناً شاسعاً بين الشريعة الإسلامية والقانون الروماني ، فالشريعة جاءت (بتقنين الأخلاق) أي جعل الأوامر والأحكام الأخلاقية قوانين ملزمة ، أما القانون الروماني فقام على أساس (تقنين العادات) أي صياغة ما تعارف عليه الناس من أوضاع وتقاليد في صورة قوانين ، وما أعظم الفرق بين الأمرين) (٢) .

ومهم جداً أن نذكر أن الشريعة بعد أن قننت الأخلاق قامت (بحمايتها وتثبيتها ومعاقبة الخارجين عليها ، ومن هنا شرع الإسلام العقوبات المقدرة على الجرائم الخلقية ، كحد الزنى وحد السكر ، وفوض السلطات الشرعية في تقدير عقوبات مناسبة للعب الميسر والاستهتار بالآداب العامة وغير ذلك) (٣) .

ومن أعظم الفروق بين القانون والشريعة فيما يتعلق بجانب الخلق هو (أن مهمة القانون الوضعي صياغة ما تعارف عليه من أوضاع ومعاملات وتقاليد ، في صورة مواد تشريعية ، مهما يكن في هذه الأوضاع

(١) المرجع السابق ، ص ١٠٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٤-١٠٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٠٦ .

والأعراف من فساد وانحراف ومهما يكن وراءها من إضرار بالجماعة وبالأمّة والإنسانية .

فالقانون مرآة تعكس صورة الأمّة صلاحاً وفساداً، ورقياً وهبوطاً، واستقامة وانحرافاً، أما الشريعة فمهمتها أن ترقى بالأمّة، وتأخذ بيدها، وتعينها على التحرر من ضغط الأنانية والشهوات، وأسر التقاليد الفاسدة، والأعراف الضارة، مهمة الشريعة أن تقوم عوج الأمّة، وتصلح ما فسد منها لا أن تبرر ضعفها وانحرافها، وتضفي عليه صبغة شرعية أوقانونية، إنما تقر الصالح والنافع فقط مما تواضعت عليه الأمّة (١).

### ثالثاً : الواقعية :

الشريعة الإسلامية (لم تسبح في بحار الخيال ولم تحلق في أجواء المثالية المجنحة، فتفترض إنساناً لا وجود له في دنيا الناس، كما تخيله الكثير من المثاليين علي مر التاريخ، أو كما تخيلته المذاهب الباطلة في العصر الحديث عن المجتمع الذي تنعدم فيه الفوارق وتزول الملكية، ولا يحتاج إلى دولة ولا قضاء ولا شرطة ولا سجون!).

أما شريعة الله فشرعت للإنسان كما هو، كما خلقه الله، بجسمه الأرضي وروحه السماوي، بأشواقه الصاعدة، وغرائزه الهابطة، بدوافعه الفردية ونزعتة بعوامل الفجور، وبواعث التقوى تصطرع في نفسه، ﴿ونفس وما سواها \* فآلهمها فجورها وتقواها﴾ (الشمس : ٧-٨) (٢).

(١) المرجع السابق، ص ١٠٤ .

(٢) المرجع السابق، ص ١١٩، (بتصرف).

ومن هنا تكمن عظمة الشريعة الإسلامية، في أنها عاشت مع الإنسان داخل نفسه ورأت ما يضطرم بين جنباتها فراعته كل ذلك، وأعطت لكل شعور حقه، ووجهت لكل نزوة ما يقابلها ويهذبها، ولذلك استطاعت أن تحيا في قلب الإنسان بما لم يتحقق لكل قوانين الأرض.

(ومن واقعية الشريعة الإسلامية أنها لم تكتف بالوازع الديني أو الأخلاقي في صيانة حقوق الناس، برغم عنايتها به وإلحاحها عليه ودعوتها إليه، ولكنها- مع ذلك- قررت (نظام العقوبات) لما ينطق به الواقع أن من الناس من لا يكفيه الإرشاد والتوجيه، ولا يردعه إلا عقوبة ملائمة تكف من شره وتزجره أن يعود لمثل جريمته، كما تزجر غيره أن يفعل مثل فعلته)<sup>(١)</sup>.

وأود في استعراض سريع أن أضرب أمثلة على واقعية الشريعة الكاملة ومراعاتها لأحوال الناس وتباينهم في الأفكار والآراء والحاجات وغير ذلك. فمثلاً (من واقعية الشريعة أنها برغم دعوتها إلى السلام أقرت وجود الحرب واعتبرتها سنة من سنن الوجود أو ضرورة من ضروريات التدافع فيه **﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾** (البقرة : ٢٥١).

ومن مراعاة الواقع كانت شرعية الطلاق وتعدد الزوجات فالواقع الملموس يشهد بأن من الناس من لا يصحبه التوفيق في زواجه، ومن العنت والحرَج بَمكان أن يكلف الصبر على من يكره معاشرته، وخاصة إذا كانت عشرة العمر مع أقرب الناس إلى المرء وهو (الصاحب بالجنب).

فلا غرو أن أباحت الشريعة الطلاق وأعلنت أنه أبغض الحلال إلى الله. ومع ذلك أحاطته بتوجيهات وبقيود والتزامات تحد من سوء استعماله

---

(١) المرجع السابق، ص ١٢٠.

وجعلته آخر العلاج حينما تفشل كل الوسائل .

وكذلك يشهد الواقع أن في الرجال من لا تعفه زوجة واحدة وخاصة إذا رزق بامرأة تطول دورتها الشهرية، أو قليلة الرغبة في الرجال أو مريضة أو نحو ذلك ومن الرجال من يكون قوي الرغبة في إنجاب ذرية تخلفه من بعده ولكن زوجته مصابة بالعقم إلى غير ذلك من الاعتبارات الفردية، على أن مصلحة المجتمع أحياناً تقضي بوجوب التعدد، إذا كانت النساء الصالحات للزواج أكثر من الرجال القادرين على أعبائه كما يحدث كثيراً بعد الحروب التي يحصد فيها زهرة الشباب<sup>(١)</sup>.

كل هذه الأمثلة وغيرها تؤكد أن الواقعية هي سمة من سمات الشريعة اللازمة لها، وأنها حين تكون ذلك إنما تعبر عن كونها شريعة إلهية، ليس فيها لمثاليات الناس وخيالاتهم نصيب .

لذلك بنيت الشريعة على التيسير ورفع الحرج ومراعاة الأزمان والأماكن وأحوال الأشخاص في فقه رشيد وواقعية صادقة .

#### رابعاً : الشمول :

من المعلوم أن الشريعة الإسلامية عامة لكل البشر وأنها (نظام شامل لجميع شؤون الحياة فهي ترسم للإنسان سبيل الإيمان وتبين له أصول العقيدة وتنظم صلته بربه، وتأمرة بتزكية نفسه، وتحكم علاقاته مع غيره، وهكذا لا يخرج من حكم الشريعة أي شيء)<sup>(٢)</sup>.

(١) المرجع السابق، ص ١٢١-١٢٣ (بیتصرف).

(٢) المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، د. عبد الكريم زيدان، ص ٥٧ .

والحقيقة أن هذا (الشمول الذي جاءت به الشريعة لا نظير له في القوانين الوضعية فهي لا تنظم مسائل العقيدة ولا الأخلاق ولا العبادات)<sup>(١)</sup>.  
ويعجبني قول الأستاذ سيد قطب - رحمه الله - حين يقول: (لا يمكن أن تجيء فكرة بشرية، ولا أن يجيء منهج من صنع البشر يتمثل فيه الشمول. أبداً.. إنما هو تفكير جزئي، وتفكير وقتي، ومن جزئيته يقع النقص، ومن وقتيته يقع الاضطراب الذي يحتم التغيير، ويتمثل في الأفكار التي استقل البشر بصنعها، وفي المناهج التي استقل البشر بوضعها دوام التناقض أو دوام الجدل)<sup>(٢)</sup>.

#### خامساً: الثبات:

تظهر خاصية الثبات في الشريعة الإسلامية في المصدر (الأصيل الثابت: الوحي، ثم في ثبات الأصول الكلية المستمدة منه، والمتخذة أساساً لكل اجتهاد أو تفريع)<sup>(٣)</sup>.

والثبات (أمر قدرى وشرعى، فإن الله سبحانه أنزل كتابه وهو مصدر الشرعية الأصيل وجرى أمره القدرى بحفظه من كل تغيير وتبديل ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (الحجر: ٩).

ولقد كان ذلك خصوصية لكتابه الأخير... لم تتحقق للكتب السابقة، الذي شاء سبحانه أن يكل حفظها لأصحابها فحرفوا فيها وبدلوا

(١) المرجع السابق، ص ٥٩.

(٢) خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، سيد قطب، ص ١٥٥-١٥٦، ط ٣، ١٤٠٣هـ، الإتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية.

(٣) أصول الشرعية الإسلامية، علي جريشة، ص ٨٥.

﴿بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء﴾ (المائدة : ٤٤) ولقد كان مصداق أمر الله القدري بحفظ كتابه أن تبوء على مدار التاريخ بالفشل كل محاولات التغيير أو التبديل أو محاولة التقليد والمحاكاة، كما كان مصداق ذلك أن يتواتر في الصدور وفي السطور على مدى التاريخ مبراً من كل تغيير وتبديل. ولئن صدق ذلك كله في القرآن شطر الوحي الأول، فلقد صدق كذلك في السنة شطر الوحي الثاني، وطاشت سهام الجاهلين، وقبض الله لسنته من ينقيها من كل دخيل، ومن يضع القواعد العلمية الصحيحة في علوم السنة العديدة التي كانت أول قواعد علمية رائدة في مجال الفكر الإنساني كله وهكذا تحقق للسنة ما تحقق للقرآن من أمر الله القدري بحفظ ذكره من كل تغيير أو تبديل أو تحريف.

ولقد كان أمر الله الشرعي بحفظ كتابه وسنة رسوله ﷺ تأكيداً للأمر القدري وتطبيقاً له فكان قوله تعالى: ﴿وَمَتَّ كَلِمَةَ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ (الأنعام : ١١٥) فقوله الصدق وحكمه العدل لا تبديل فيه ولا تغيير، وكان التأكيد في موضع آخر ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ (يونس : ٦٤) وكان الوعيد من أي تبديل أو تحريف ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ (الكهف : ١٥)، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ، وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ، أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (هود : ١٨).

وبالنسبة للسنة كان وعيد آخر (من كذب عليّ عامداً متعمداً فليتبوء مقعده من النار)<sup>(١)</sup>.

---

(١) البخاري ٣/ ١٣٠ في الجنائز: باب ما يكره من النياحة على الميت، ومسلم رقم ٤ في المقدمة: باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ عن المغيرة من شعبة رضي الله عنه.

وهكذا تضافر الأمر الشرعي مع الأمر القدري ليحققا ثبات الشرعية الإسلامية بثبات مصدريهما وحفظهما من كل تغيير أو تبديل أو تحريف<sup>(١)</sup>.

---

(١) أصول الشرعية الإسلامية ، علي جريشة ، ص ٨٥-٨٧ .

## ملخص

### الباب الثاني

#### الفصل الأول

- \* التعريف بالانحرافات وأنه الميل عن الحق .
- \* التعريف بالعقيدة وأنها مجموع الأصول الثابتة والتي تشمل ما يدين الإنسان به لربه ، ونظرته لله والكون والحياة .
- \* التعريف بالشريعة بأنها الأحكام الإلهية الربانية التي شرعها الله في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ ، وأنها لا تقبل التحريف أو التعطيل أو التغيير .
- \* نشأة الحرية الفكرية بالمفهوم الغربي وأسباب ظهورها وانتقالها إلى بلاد المسلمين ، وتلخيص ذلك من قبل الدكتور محمد حسين رحمه الله .
- \* وضوح الإصبع الصهيونية المدبرة خلف هذه الفكرة ، واستغلالها بالطريقة المناسبة لها كما أشار إلى ذلك رحمه الله .
- \* خطورة فكرة الحرية على عقائد الناس ومبادئهم ومثلهم العليا ، وخاصة مع التشكيك في الأصول الثابتة ، والإيحاء بأنها عرضة للنقاش والجدل وتفنيده ذلك .
- \* مفهوم الإسلام للحرية ومجالات الحرية الواسعة فيه .
- \* مهاجمة الدين وتسفيهه عقول الناس أو المتدينين ، على الرغم من أنه العمدة التي يقوم عليها صلاح أمر الناس .



- \* حاجة البشرية للدين وعدم قدرتها على المضي قدماً ما لم يكن الدين جزءاً من مقوماتها وخصائصها .
- \* انتشار الفساد والإلحاد الفكري إلى درجة الطعن في سلامة القرآن وصحة ثبوته معنى ونصاً عن الله عز وجل ، كما أوضح ذلك في بدء حديثه رحمه الله .
- \* اعتماد المهاجمين على المنطق العلمي كما يقولون مع عدم الالتزام بالمنهج مطلقاً ، وإنما هو نوع من التدليس والخداع بدليل الاعتماد فقط على الفروض الفكرية والتساؤلات الخاوية عن الدليل .
- \* قوته رحمه الله في مواجهة تلك الانحرافات المختلفة سواءً مع الجهات الرسمية كالجامعة أو مع الجهات الإعلامية ، والتي شنت عليه هجوماً لا هوادة فيه ، وثباته رحمه الله على ذلك الحق الذي اعتقده .
- \* عدم الخضوع للمجاملات والمداهنات التي كانت تندد من حوله ، ومطالبته بإلغاء البحث وعرضه على لجنة مختصة للحكم عليه .
- \* سعة علمه رحمه الله كانت واضحة في رده على تلك الباحثة واستدلاله بعلم المصطلح وغيره من العلوم التي تؤيد رأيه وتوجهه .
- \* اطلاعه على خلفيات الأحداث كما في ذكره لحادثة إتلاف الأشرطة وإثبات ذلك عن طريق المحاضر الرسمية .

## الفصل الثاني

- \* مقدمات الانحراف على يد رفاة الطهطاوي وخير الدين التونسي وبداية الانبهار بنظم الغرب وتشريعاته .
- \* الأفكار التي اقترحها رواد المستغربين لتبديل النظم الإسلامية بأخرى غربية .
- \* تغيير الشريعة بغيرها واستبدالها بنظم الغرب ، وطريقة الالتواء والدس التي تنبه لها الدكتور محمد حسين رحمه الله وكشفها بكل وضوح .
- \* الردود العلمية القوية الواضحة التي طرحها الدكتور محمد حسين رحمه الله في الرد على المطالبين بتغيير الشريعة .
- \* الرد على القائلين بدراسة الشريعة في ضوء القانون الغربي وإبطال حججهم .
- \* ذكر بعض الفروق بين القانون والشريعة .
- \* التركيز على مسائل التقنين وطرحها بشكل موضوعي وحاجة الأمة إليها حالياً .
- \* حكم الشريعة الإسلامية واعتباره أصلاً لا يصح التنازل عنه ولا المهادنة فيه ، مع ذكر بعض صور الانحراف عن تطبيق الشريعة .
- \* التعرض لأهم خصائص الشريعة والمنافحة عنها من خلال تلك الأصول المهمة .

**الباب الثالث**  
**موقفه من المذاهب الفكرية**

الفصل الأول

الروحية

الفصل الثاني

العالمية

الفصل الثالث

القومية

# الفصل الأول

## الروحية

المبحث الأول : تعريفها

المبحث الثاني : أهدافها

المبحث الثالث : وسائلها

المبحث الرابع : رده عليها ونقدها

## المبحث الأول

### تعريفها

أولاً: في اللغة :

يقول محمد بن أبي بكر الرازي: (الروح) يذكر ويؤنث والجمع (الأرواح) ويسمى القرآن وعيسى وجبرائيل عليهما السلام روحاً، والنسبة إلى الملائكة والجن (روحاني) (بضم الراء والجمع روحانيون وكذا كل شيء فيه روح روحاني بالضم)<sup>(١)</sup>.

وفي المعجم الوسيط: (الروح): ما به حياة النفس و(في الفلسفة): ما يقابل المادة . . . والروحاني: ما فيه الروح ونسبة إلى الروح . والآباء الروحانيون: علماء النصارى والطب الروحاني: ضرب من علاج النفس)<sup>(٢)</sup>. وقال صاحب المصباح المنير: قال ابن الأنباري وابن الأعرابي الروح والنفس واحد غير أن العرب تذكر الروح وتؤنث النفس . . . وقال بعضهم الروح النفس فإذا انقطع عن الحيوان فارقتة الحياة، وقالت الحكماء الروح هو الدم ولهذا تنقطع الحياة بتزفه وصلاح البدن وفساده بصلاح هذا الروح وفساده ومذهب أهل السنة أن الروح هو النفس الناطقة المستعدة للبيان وفهم الخطاب ولا تفنى بفناء الجسد)<sup>(٣)</sup>.

(١) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، ص ٢٦١ .

(٢) المعجم الوسيط، د. إبراهيم أنيس وآخرون، ج ص ٣٨١ .

(٣) المصباح المنير، أحمد بن محمد الفيومي، ص ٩٣ .

## ثانيا : في الاصطلاح :

هي ما يقابل المادية ، (وتقوم على إثبات الروح وسموها على المادة، وتفسر في ضوء ذلك الكون والمعرفة والسلوك)(<sup>١</sup>) .

أوهي (دعوة هدامة وحركة مغرضة مبنية على الشعوذة، تدعى استحضار أرواح الموتى بأساليب علمية وتهدف إلى التشكيك في الأديان والعقائد وتبشر بدين جديد وتلبس لكل حاله لباسها ، ظهرت في بداية هذا القرن في أمريكا ومن ورائها اليهود ثم انتشرت في العالمين العربي والإسلامي)(<sup>٢</sup>) .

---

(١) المعجم الوسيط ، د.ابراهيم أنيس وآخرون، ج ص ٣٨٢ .

(٢) الموسوعة الميسرة، ص ٨٤٦ .

## المبحث الثاني

### أهدافها

#### (١) هدم نبوة الأنبياء :

تهدف الروحية الحديثة إلى هدم النبوة وذلك لأنها (تزعم أنهم لا يزيدون عن أنهم وسطاء كالوسطاء الذين يستخدمهم المنوم المغناطيسي ، والذين يشاهدهم الناس في غرف تحضير الأرواح ، وكل ما هناك أنهم في درجة من الوساطة أرقى منهم)<sup>(١)</sup>.

و حين يعتنق الناس مثل هذه الآراء لا يبقى للأنبياء قداسة ولا عصمة ولا قدراً في نفوسهم لذلك يؤكد الروحيون على مثل هذه المعاني كثيراً ، يقول الدكتور على راضي في التعقيب على قصة موسى والخضر عليهما السلام : (إن علم الله موجود في كل مكان وزمان ولا يرتبط بنبوة وبكهنوت ، وليس مقصوراً على الرسل الرسميين أو محترفي الدين)<sup>(٢)</sup>.

ويبدو واضحاً أن هذا الكاتب يريد أن يقول عن الوحي إنه لا يزال موصولاً وإنه وأمثاله يمكن أن يكونوا رسلاً لنشر رسالة جديدة هي مذهبهم الباطل وقد صرح بذلك أحدهم فقال : (رسالتي أن أواسي المحروم ، وأساعد الإنسان على تحققة في نفسه من الله سبحانه . . . )<sup>(٣)</sup>.

(١) الإتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، د. محمد حسين ، ج ٢ ، ص ٣١٦ .

(٢) الروحية الحديثة ، د. محمد حسين ، ص ٧٦ ، ط ٢ ، ١٣٨٨ هـ ، دار الإرشاد للطباعة والنشر ، بيروت .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٧ .



فهو يصرح أن له رسالة يريد أن ينشرها ويدعو الناس إليها ، وهم إضافة إلى ذلك (يهدمون المسيحية والإسلام ويهدمون المسيحية لأنهم لا يرون المسيح عليه السلام إلا بشراً وسيطاً ، ويهدمون الإسلام لأنهم لا يصدقون بأن محمداً ﷺ خاتم الأنبياء ويقولون إن صلة السماء بالأرض قائمة دائمة لا تنقطع) (١).

ولذلك لا يتورعون أبداً عن الادعاء والكذب على أتباعهم بالقول الجزاف وينقل أحد الدعاة الروحانيين [ وهو القس ستون ، الأستاذ بجامعة (كوليدج سكول) رواية عما ألقته إليه إحدى الأرواح (نحن مرسلون من عند الله كما أرسل المرسلون من قبلنا ، غير أن تعاليمنا أرقى من تعاليمهم ، فإلها هو إلههم ، إلا أن إلها أظهر من إلههم وأقل صفات بشرية وأكثر خصائص إلهية) . ويقول أيضاً: (محب الإنسانية هو الذي يحبها لذاتها ، والفيلسوف هو الذي يحب العلم لذاته كذلك ، فأمثال هذين الرجلين هم أحباء الله . . . فالأول لا يقيد حبه للناس اعتباراً لجنس ولا لوطن ولا لاعتقاد ولا لاسم ، بل يحيط الإنسانية عامه بحبه الخالص ، فيحب الناس باعتبارهم إخواناً غير مبال بأرائهم الخاصة . . . وليس هو الذي لا يحب إلا الذين يوافقونه في الرأي . . . والثاني - أي الفيلسوف - هو الذي خلص من وطأة النظريات فيما يجب أن يكون ، ومن الخضوع للآراء الطائفية والتقاليد المذهبية ، فأصبح حراً من أسر المقررات ومستعداً لقبول الحقيقة مهما كانت ، بشرط أن تقدم عليها البراهين ، باحثاً عن مساتير الحكمة الإلهية ، فيجد سعادته من وراء هذا البحث).

(١) الإتجاهات الوطنية ، ج ٢ ، ص ٣١٧ .

ثم يكشف المقال عن هدفه حين يقول: (لا تخضع لأية عقيدة مذهبية، ولا تقبل بلا بصر ولا روية تعاليم لا تستند على العقل، ولا تأخذ بلا تحفظ وحيًا جاء لأحوال خاصة في عصر من العصور، وستعلم بعد أن الوحي لا ينقطع أبداً، وهو آخذ في الترقى، ولا وقت له ولا حد، وليس هو بامتياز لأمة دون أمة، ولا لشخص دون شخص، والله يكشف نفسه للإنسان شيئاً فشيئاً...).

ومن هذا يتبين أن الحقيقة في زعم هؤلاء الروحانيين، وفيما يروى هذا الباحث عن الروح المزعوم الذي ألقى إليه هذا الكلام (ليست محتكرة لأي دين في العالم، فإنها لا يصح أن تنحصر في واحد منها، وأنها أوحيت في أزمان مختلفة لأمم خاصة احتوتها أحوال خاصة، وأن ليس فيها ما يصح الركون إليه في كل أدوار البشر وفي جميع أجيالهم، فإنها في الوقت نفسه تصرح بأنها كلها وحي من الله، ولكنه وحي مشوب بالخرافات التي كانت عالقة في عقول المرسلين بها، أولئك المرسلين الذين نعتبرهم وسطاء ليس إلا)[<sup>(١)</sup>].

وهكذا يبدو واضحاً أنه لا قيمة عندهم للأنبياء والمرسلين، وأنهم ليسوا أكثر من مجرد وسطاء، وأن ما أرسلوا به ليس حكراً عليهم وأن هناك من هو أفضل منهم وأقدر على إبلاغ الرسالة خاصة مع القول بأن ما أرسلوا به كان لعصر معين وأمة معينة وتعلق به الكثير من الأفكار البالية التي لا تصلح لهذا العصر الحديث.

---

(١) المرجع السابق، ص ٣١٧ - ٣١٨.

## (٢) هدم الأديان:

تسعي الروحية الحديثة إلى هدم الشرائع وذلك لأنها (لا تكثرث لإقامة صلوات الأديان وشعائرها، ولا تجعل أهمية لغير العمل الصالح، بحسب ما يفهمه دعائها ويزعمونه، فهم إذن يبتغون إلى الله الوسيلة بمنهج جديدة وبشعائر مستحدثة تخالف شعائر كل الأديان، وليس الدين إلا منهجاً من المناهج يتوسل به العبد إلى ربه، فهم إذن أصحاب منهج جديد، أي أصحاب دين جديد . . . .) (١).

ويؤكد على أن هدف الروحية هو هدم الشرائع واستبدالها بالمناهج الجديدة ما ذكره الروح الكبير (هوait هوك) بقوله [ما يأتي]: (يجب أن نتحد في هذه الحركة، في هذا الدين الجديد، يجب أن تسودنا المحبة، ويجب أن تكون لنا قدرة على الاحتمال والتفاهم . . . .) (٢).

ثم يعود بعد ذلك ليقول: (. . . .) لذا فالروحية ستكون أقدر من غيرها على تأسيس دين جديد واسع للعالم كله . . . .) (٣).

ولم يقتصر هذا الكلام بكل أسف على مفكري الغرب من دعاة الروحية بل امتد ليشمل دعائها أيضاً من أبناء المسلمين، يقول أحدهم: (. . . .) إن هذه المنظمة ستكون لكل البشرية، وعن طريقها سوف يوضح لنا سكان العالم الروحي طريقة جديدة للحياة، ويعطوننا فكرة جديدة عن الله ومشيتته، إنهم سوف يأتون لنا بالسلام والطمأنينة الروحية وبسعادة النفس والقلب، سوف

(١) الإتجاهات الوطنية، د. محمد محمد حسين، ج ٢، ص ٣١٦-٣١٧.

(٢) الروحية الحديثة، د. محمد محمد حسين، ص ٥٧.

(٣) المرجع السابق، ص ٥٨.

يحطمون الحواجز بين الشعوب والأفراد، بين العقائد والأديان، سوف يقدفون بعيداً بالجهل ليحل الحق محله، إن هذا ليس مهمة سهلة كما يقولون، ولكنهم يتطلبون منا البساطة والتواضع، وأن تكون العضوية بدون نظر للوطن أو اللون أو الدين أو المذهب السياسي، ويجب أن لا يكون هناك رسم عضوية أو غرامة من أي نوع كان، ويجب على المنظمة ألا تعظم أي إنسان، وفي أماكن اجتماعها يجب ألا تعلق أي صورة أو يقام أي تمثال لأي فرد<sup>(١)</sup>.

ومما يؤكد أنهم يهدفون إلى هدم الشرائع والأديان صلتهم المشبوهة بالعديد من المنظمات التي قامت لأجل القضاء على الأديان قضاءً مبرماً، والترويج لنفسها كبديل عن كل تلك الأديان والموروثات.

يقول الدكتور محمد حسين رحمه الله: (وأسلوب الروحانيين في هذا الصدد شديد الشبه بأساليب بعض الدعوات المريية الأخرى)<sup>(٢)</sup>.

ثم يؤكد على ذلك بقوله: (والشيء الذي لا شك فيه هو أن الروحية في وضعها الراهن هي شرك من شرك الصهيونية العالمية الهدامة وآلة في يدهم يسخرونها لهدم المسيحية والإسلام على السواء، وهدم العصبية بكل أشكالها قومية كانت أو دينية، لكي يمهّدوا لقيام دولتهم الصهيونية التي يتوهمونها وسط أنقاض الخراب العالمي والانحلال الشامل الذي يسهل مهمتهم في السيطرة على العالم كله على ما يتخيلونه)<sup>(٣)</sup>.

---

(١) المرجع السابق، ص ٥٩ .

(٢) المرجع السابق، ص ٦٢ .

(٣) المرجع السابق، ص ٦٦-٦٧ .

ويعود رحمه الله فينقل نشرة أصدرتها شهود يهوه<sup>(١)</sup> [بعنوان (أساس للاعتقاد بعالم جديد) ، أول ما يطالع القارئ في هذه النشرة كلمات طبعت على الوجه الداخلي للغلاف جاء فيها (هل قلبك مريض ؟ هل هو مثقل بالويلات الغامرة هذا العالم القديم؟ وهل يستريح وتخف آلامه إذا علمت أن نهاية القلق والخوف والشغب والحرب والمرض أمست قريبة على الأبواب؟ . . . فهل عقلك حر؟ هل هو مستعد للاقتناع بالحق والصواب؟ أو أنه مغلق عليه بالتعصب الوطني، أو الجنسي، أو الديني؟) . . . . .

و يمثل ما يهاجم الروحيون رجال الدين، ويمثل ما ينددون بالتعصب للجنس أو للدين، ويمثلون قلوب الناس بالسخط على حاضرهم لكي يهيئوا نفوسهم لقبول ثورتهم القادمة، تقول نشرة شهود يهوه هذه: (العالم البالي أمسى شبيهاً بغاب كثير الأخطار، فالروح العسكرية العطشى إلى الدماء تجول فيه بخيلاء يصحبها السياسيون النفعيون، وجابرة التجارة المحتالون، ورجال الدين الطفيليون المرءون، وناكثو العهد الخوانون، وفاسدو الأخلاق المنحطون، وقساة القلوب المجرمون، وهؤلاء علاوة على ما تقدم، يزرعون فيما بينهم الشوك والعوسج وكل نبات سام كالبغض الجنسي والتعصب الديني والتحيز القومي والتعاليم التجديفية والإلحاد الشكس والفلسفات العقيمة العاملة كلها على خنق الحق الأبدي المسطر في كلمة الله).

---

(١) شهود يهوه: (هي منظمة عالمية دينية سياسية، تقوم على سرية التنظيم وعلنية الفكرة، ظهرت في أمريكا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. تدعى أنها مسيحية، والواقع يؤكد أنها واقعة تحت سيطرة اليهود وتعمل لحسابهم، وهي تعرف باسم (جمعية العالم الجديد) إلى جانب (شهود يهوه) الذي عرفت به ابتداء من سنة ١٩٣١م، وقد اعترف بها رسمياً في أمريكا قبل ظهورها بهذا الاسم وذلك سنة ١٨٨٤م، وهي تعادي الأديان عدا اليهودية، كما أنها لا تؤمن بخلود الروح)، الموسوعة الميسرة (بتصرف)، ص ٦٥٨.

ويمثل ما رأينا الروحيين يدعون إلى التحرر من الدين تقول هذه النشرة (هذا العالم القديم هو الآن في طور الزوال والاضمحلال، وكل من يتمسك به سيزول معه، إنما هناك عالم جديد قادم وطافح بالحياة، وكل من يناصره سيبقى ويدوم معه إلى الأبد، فهل عقلك حر كفاية لتراه؟ أم أنه مكبل بأصفاد التعصب الذميمة فيمتنع حتى عن التفكير فيه ويأباه؟ هل تسمح لكبريائك أن تسبق سقوطك، أو أنك تدك تلك الكبرياء الفارغة وتزيلها من الطريق أمام التفكير الصائب الصحيح؟ هل تستخدم عقلك لتفكر، أو تدع تعصبك يعمي بصيرتك) [١].

ولا يكفي الدكتور محمد حسين رحمه الله بذكر تلك المقارنات بين آراء الروحيين ومنظمة شهود يهوه بل يضيف إليها أدلة أخرى على الرباط الوثيق بين الاثنين بقوله: (أضيف إلى هذه الدلالة الصريحة قرائن أخرى تقويها، ومن ذلك أن أكبر مركز للحركة الروحية الآن هو نفسه أكبر مركز للحركة الصهيونية وهو أمريكا، وكثير من دعاة الروحية ومروجيها من المعروفين بصلتهم بكبار اليهود، فالطبيب الدكتور الكسيس كاريل A. careel مؤلف كتاب (الإنسان ذلك المجهول) يشغل وظيفة كبيرة في مؤسسة روكفلر، فهو المشرف على قسم المباحث فيها، وروكفلر الصغير المعاصر كما هو معروف يهودي يتستر تحت المسيحية، جده الأول القريب يهودي نزع من ألمانيا، ومساعداته ليهود فلسطين في الحرب العالمية الثانية مشهورة، ومسز مونا رولف Mona Rolf سكرتيرة المعهد الدولي للبحث الروحي بلندن كانت وثيقة الصلة بالطبيب اليهودي المتعصب فرويد، تدربت تحت إشرافه على العلاج النفسي،

(١) الروحية الحديثة، د. محمد محمد حسين، ص ٦٧ - ٧٠.

ثم انتقلت منه فيما بعد إلى العلاج الروحي عقب وفاة ابنها دافيد).

وقد روى الدكتور باورز في كتابه (ظواهر حجرة تحضير الأرواح) من بين البيئات المقنعة على صدق ما شاهده من ظواهر أن إحدى الأرواح المزعومة قد استطاعت أن تعطي كلمة السر الماسونية لأحد الملتحقين حديثاً بالماسونية، كما استطاعت أن تكشف عن أسرار ماسونية أخرى لأحد رجال العشيرة أو لأستاذ ماسوني.

وحقيقة الأمر في ذلك أن هذه الأسرار معروفة للروحانيين بحكم أنهم إخوان للماسونية في خدمة اليهودية العالمية الهدامة<sup>(١)</sup>.

أما فيما يتعلق بمطابقة مزاعم الروحية للعقائد اليهودية فيقدم لنا الدكتور محمد حسين رحمه الله نماذج واضحة على تلك المطابقة وذلك التفاهم الكامل بين المذهبيين، يقول رحمه الله: [ومن أقوى الأدلة على صلة الروحية بالصهيونية العالمية الهدامة المطابقة الكاملة بين مزاعم الروحانيين وبين عقائد اليهود في تصور الثواب والعقاب خاصة، فكلاهما يعتقد أنهما سيكونان في آخر الزمان على الأرض، وبمثل ما يبشر (شهود يهوه) بقرب السلام الدائم والنعيم الخالد حين تحكم إسرائيل وتنتصر على أعدائها، يزعم الروحانيون أن التواصل سوف يزداد حتى يتم ويصبح عاماً بين الأحياء والأموات، وعن طريقه سوف يتحقق (السلام والطمأنينة الروحية وسعادة القلب والنفوس) بعد أن تتحطم (الحواجز بين الشعوب وبين العقائد والأديان، ويقذف بعيداً بالجهل ليحل الحق محله)]<sup>(٢)</sup>.

(١) المرجع السابق، ص ٧٠ - ٧١.

(٢) المرجع السابق، ص ٧١ - ٧٢.

ويسوق لنا أيضاً دليلاً آخر على اتهامه للروحيين بالتبعية لليهود بقوله: (والواقع أن سخرية دعاة الروحية بالأديان وبرجال الدين على اختلافهم لا يبرأ منها إلا اليهود، فلا نجدهم مثلاً يهاجمون خرافات التلمود وما تنطوي عليه نصوصه المفتراة على اليهودية من قسوة وخسة وإجرام، وهم يهاجمون الكنيسة الكاثوليكية خاصة، لما هو معروف من شدة عدائها لليهود ومناهضتها للصهيونية، وقوة نفوذها التي مكنتها من الوقوف في وجه دعايات اليهود ومكايدهم، وهي قوة مستمدة من ضخامة مواردها ومن دقة تنظيمها، وهذا العداء واضح في كتب الروحيين مثل وضوحه في منشورات الصهيونية، والكنيسة الكاثوليكية تبادلهم هذا العداء، فتحذر أتباعها من قراءة مؤلفاتهم وتفند ألعابهم ودعاواهم.

ومن دعاواهم المفضوحة التي تفوح منها رائحة اليهودية قوية تزكم الأنوف ما يزعمه الدكتور باور الأمريكي في كتاب (ظواهر حجرة تحضير الأرواح) من أن المسيح عليه السلام كان وسيطاً وأن الروحيين المسيطرين عليه كانا هما موسى وإلياس عليهما السلام<sup>(١)</sup>.

ويؤكد الدكتور محمد حسين رحمه الله على أن القضاء على الدين وهدمه من نفوس الناس واحد من أهم أهدافهم، ويمثل على ذلك بقوله: [ومن أساليبهم الخبيثة في هدم الدين ما اخترعه دوائرهم من أسماء الفراعنة من قدماء المصريين والهنود الحمر من قدماء الأمريكيين، الذين يزعمون أنهم يحلون مكان القيادة بين أرواح الموتى، وينسبون إليهم مهمة ما يسمونه (الأرواح الحارسة) في جلساتهم، وهي الأرواح التي تتولى تنظيم الكلام بين

(١) المرجع السابق، ص ٧٢-٧٣.



الأرواح المتكلمة بزعمهم وتتولى في الوقت نفسه حراسة الجلسة من تدخل الأرواح الشريرة المشاغبة، ومن الواضح أنهم يقصدون بذلك هدم الإسلام والمسيحية وزعزعة يقين الناس فيهما، بتمجيد الوثنية الضالة الكافرة التي سبقتها، وتصوير هؤلاء الوثنيين بعد موتهم متمتعين بطمأنينة ونفوذ لا يتمتع بهما المتدينون بالإسلام والمسيحية، وقد سرت هذه العدوى إلى المشتغلين بالروحانية من المسلمين، فرأينا الدكتور على عبد الجليل راضي يجد الفرعونية والفراعنة في الوقت الذي يندد فيه بعلماء الدين المسلمين ورجال الدين المسيحيين، ومن أمثلة ذلك ما نشره في العدد ١٣١ من مجلة (عالم الروح) تحت عنوان (أرواح قدماء المصريين)، حيث ذهب إلى تمجيدهم في حياتهم وبعد مماتهم، وأبدى أسفه لأن (أرواحهم وهي ترفرف علينا ليل نهار لا تجد من بيننا وسطاء لها)، وذلك هو ما يدعوها في زعمه إلى أن تلجأ للجمعيات الروحية في أوروبا وأمريكا، ويشيد الدكتور راضي في مقاله هذا ببعض الأرواح الفرعونية المزعومة مثل روح (رع آمون رع) الذي (يتكلم عن الماضي السحيق ويشرح كيفية بدء الخليقة، كما يتكلم عن المستقبل البعيد ويوم القيامة وغير ذلك)، ومثل الروح (هميوت) الذي كان في زعمه مشهوراً بقوته العلاجية (وهو الآن يستخدم طريقته الخاصة في العلاج بالأشعة التي لم يستخدمها أحد آخر في العصر الحديث) ويختم كلمته بالتبشير بأن (رجعة أرواح قدماء المصريين بقوة وبكثرة باتت وشيكة . . . وعلى كل فنحن في انتظارهم سواء هنا في بلادهم أو في دوائر الغربين) [١].

وتحت عنوان الروحيون ينددون برجال الدين وعلمائه. يتعجب الدكتور

(١) المرجع السابق، ص ٧٤-٧٥.

محمد حسين رحمه الله من جهالة هذا الروحي الضال حين يثني على الوثنيين والفراعنة ثم ينطلق لمهاجمة رجال الدين الصادقين [فهو في الوقت الذي يتعصب فيه هذا المأفوك للوثنية الفرعونية هذا التعصب الشديد تراه يشنع بعلماء الدين المسلمين في مقاله الذي جاء في العدد نفسه من مجلة عالم الروح تحت عنوان (الروحية ورجال الدين)، رداً على كلمة للشيخ شلتوت ألقاها في الإذاعة تعقيماً على جلسة روحية سجلتها، وقد أنكر فيها إمكان وقوع العلاج الروحي على النحو الذي يزعمه منتحلوا هذا العلاج ومحترفوه.

ملاً الدكتور رده بآيات القرآن الكريم يحاول أن يقيم بها دعاواه بعد أن يحرفها عن مواضعها ويتعسف في تأويلها، ولا يزال يلوى رقاب الألفاظ حتى يدفعها دفعاً إلى ما يتخيله وما يدعيه من المعاني، وملاًه بكثير من المجازفات التي تنطوي على جرأة في استنباط الحكم، وعلى مهاجمة لعلماء الدين من المسلمين، بل تهور على مقامات الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وذلك في مثل تشبيه علماء الإسلام برجال الكنيسة في إنجلترا، وتوقعه أن يكون من آثار جمودهم المزعوم عنده أن ينصرف عنهم المسلمون (كما انصرف الناس عن كنائسهم التي لا تهب إلا الألفاظ التقليدية الجامدة) وأرجو أن يلاحظ القاريء أن الألفاظ التقليدية الجامدة وصف يمكن انطباقه على صلوات المسلمين أيضاً، فلا يخدع عن القاريء بظاهر الكلام عن صلوات المسيحيين، والدليل على عمومته وعلى أنه لا يخص به المسيحيين وحدهم أنه يقول عقب ذلك (ومن هنا يتبين مدى حب السلطة وحب الدنيا عند رجال الدين على اختلاف أديانهم ومللهم . . . ولا يخفى على الناس مدى

سطوتهم على الملوك والشعوب طوال عصور التاريخ ، فهم يفترضون أنهم ورثة الله وحدهم) . . . . .

ومن جهالات الدكتور ومجازفاته في التفسير ما ذهب إليه في تفسير قوله تعالى : ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ (آل عمران : ١٨) ، وقوله تعالى : ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ (فاطر : ٢٨) ، فقد راح يتهم بمن سماهم (رجال الدين) - وهم شيء لا وجود له عند المسلمين ، فعلماء الدين المسلمون شيء ورجال الدين المسيحيون شيء آخر - فقال إن الناس يستشيرونهم (في كل ما هب ودب) ، وزعم أن المقصود بالعلماء في الاثنين هم المشتغلون بالعلوم النظرية والتطبيقية التي يسميها الغربيون Science . ومن الواضح أن هذه الدراسات والحرف التجريبية ليست هي العلم المقصود ، لأن بين المشتغلين بها كثيراً من الملحددين والماديين ، ولأن أصحابها لا يبرؤون من الأهواء ، فليس هناك ما يمنع من أن يضعوا أنفسهم في خدمة إحدى الدعوات الهدامة ماداموا قد قبلوا ، ولا يزالون يقبلون أن يضعوا أنفسهم في خدمة الوحوش والطغاة من صانعي الحروب ومستعبدى الشعوب ومزوري الحقائق ومروجي الأباطيل . فهم في خدمة من يغدق عليهم ، ثم يحبسهم على ما يريد ويدبره ، من وراء أبواب مغلقة ، يعملون في داخلها كما تعمل دودة الحرير ، وإنما العلم المقصود بقول الله تعالى هو علم الحق ، علم الذين يتقون الله فيهديهم سبلهم ويملاً أبصارهم وبصائرهم بالنور ، ولكن داعية الروحانيين المسكين يريد أن يفسر القرآن العربي بمفاهيم أوروبية ، بل بمفاهيم صهيونية<sup>(١)</sup> .

(١) المرجع السابق ، ص ٧٥-٧٨ .

### (٣) هدم الأخلاق:

يسعى الروحانيون لنشر الجريمة والإفساد عن طريق القول بأن أصحاب الجرائم (مجبورون عليها وبالتالي لا يعاقبون) (١).

وهم بذلك يفتحون الباب على مصراعيه لكل من في نفسه مرض ويذهبون مذهب أصحاب الدراسات النفسية الذين يبررون الجريمة حين يصورون المجرم مريضاً، ويرجعون دوافعه إلى عقد نفسية مستقرة فيما يسمونه العقل الباطن، فليس هناك إذن ما يدعو إلى القصاص، بل ليس هناك ما يدعو إلى أن يخجل مجرم من نفسه ولا إلى أن ينبذ المجتمع مجرماً ويطارده بالاحتقار ما دامت المسألة مرضاً لا حيلة له فيه، والروحانيون يذهبون هذا المذهب نفسه من طريق آخر، فهم يبررون الجريمة بإرجاعها إلى ما يسمونه (المس الروحي) والمجرم في الحالين مكره على الجريمة يرتكبها تحت عامل داخلي عند الفرويديين، أو تحت عامل خارجي عند الروحانيين، وكل منهما يهدم التقنين الخلقي من أساسه في الدنيا والآخرة، ومن الواضح أنه يحو في الوقت نفسه الشرائع السماوية كلها، بل القوانين الوضعية أيضاً، فهو عود إلى الجبرية الضالة المفسدة للدين وللدنيا جميعاً، وبمثل ما يفسد الروحانيون على الناس دنياهم يفسدون عليهم دينهم بما يزعمونه لهم من أن الجنة والنار فكرة عقلية أو حالة نفسية وأن الناس على اختلاف نحلهم وطبائعهم يعيشون فيما وراء الموت حياة هي نفسها حياتهم على الأرض، وأن فرصة التكفير عن الذنوب لا تنقطع بموتهم، وهم بذلك يهدمون أكبر رادع للناس عن الظلم والإفساد، وهم في الوقت نفسه يزجون بأنفسهم فيما اختص الله ذاته سبحانه وتعالى بعلمه (٢).

(١) المرجع السابق، ص ٧٢ - ٧٣ .

(٢) المرجع السابق، ص ٧٨ - ٧٩ .

## المبحث الثالث

### وسائلها

تستخدم الروحية الحديثة عدداً من الوسائل المختلفة لترويج مبادئها بين المخدوعين وأصحاب الظروف والمشاكل الخاصة يجدون فيها ملجأً ينفسون فيه عما في نفوسهم من أحزان وأشجان وأمراض .

ومن تلك الوسائل :

#### (١) الأسلوب العلمي :

حيث يسعى الروحيون للاستفادة من لوثة العلم التجريبي والتي غزت العقول وبهرت الأبواب ، وأصبح حديث الناس يدور حولها فلا يثبت أمر ولا ينبغي أن يصح إلا من خلال العلوم التجريبية البحتة ، ولعل من العجيب أن تعتمد الروحية على هذا الأسلوب وهي التي تهتم بالروح وعالم اللامحسوسات ، خاصة وأن العلم التجريبي البحت يرفض مثل هذه الاتجاهات غير العلمية أو المادية ، ومع ذلك تأتي الروحية لتروج لنفسها عبر العلم التجريبي .

يقول الدكتور محمد حسين رحمه الله عن كتاب يتحدث فيه مؤلفه عن الروحية : (فقد مهد لدعاواه بمقدمة بارعة في الكشف الطبيعية الحديثة التي حطمت الذرة واقتحمت ظلماتها ، انتهت إلى أن العالم ليس إلا حركة ، فهو مجموعة من الموجات التي تختلف كماً وكيفاً والتي يمكن أن تتداخل ، ويمكن أيضاً تحويل بعضها إلى البعض الآخر ، أو بعبارة أوضح تغييرها من

مادة إلى أخرى - حسب ما اصطلاحنا على تسميتها في واقعنا الحسي المحدود-  
وقرن المؤلف ذلك بأن حواسنا لا تدرك من هذه الاهتزازات أو هذه الموجات  
إلا أقلها. وأن ما تدركه لا يكاد يقاس في تفاهته وضآلته إلى ما لا تستطيع  
إدراكه، وأن بعض هذا الذي لا ندركه قد أمكن إدراكه بوسائل علمية  
مختلفة.

ثم انتقل المؤلف من ذلك إلى أن للروح وجوداً حقيقياً مستقلاً وأنها  
تتداخل مع الجسم المادي الملموس وتتخلله وتطابقه مطابقة تامة، ولكنها في  
اهتزازها خارجة عن المدى الذي تستجيب له حواسنا، ثم انتهى إلى أن عجز  
الحواس عن إدراكها لا يعنى - حسب ما قدمه - أنها غير موجودة، أو أن من  
غير الممكن إدراكها بوسيلة من الوسائل التي نتغلب بها على المجهول ونوسع  
بها المدى الضيق الذي تنحصر فيه حواسنا بحكم الفطرة التي فطرت عليها;;;  
بهذه المقدمة البارعة التي تلبس ثوب العلم، والتي تبعد عن المؤلف صفة  
الشعوذة والمخادعة، وتنفي عن الموضوع الذي يمهده بهذا الكلام شبهة  
الخرافة، استطاع المؤلف أن يستدرج القارئ لقصصه الغريبة فيما رواه عن  
تجاربه المزعومة و عما خلص إليه من صور فيما بعد الموت<sup>(١)</sup>.

## (٢) أسلوب الخداع :

يدرك الروحيون تماماً أن ما يقومون به ليس من الحقيقة في شيء وأن  
حيلهم لا يمكن أن تنطلي على الناس إلا بالوسائل المخادعة الملتفة خلف

---

(١) المرجع السابق، ص ٣٤ .

التلبيس والتمويه، لذلك يكثرون من استخدام تلك الوسائل وأشير هنا إلى أهمها وهي:

### أ) الظلام:

والأمر (فيه مشهور معروف، فالظواهر الروحية كلها تجري في ضوء أحمر خافت هو أقرب للظلام. بل إن ظواهر التجسد والصوت المباشر ونقل الأجسام وتحريكها - وهي أقواها في الاحتجاج وأحسمها للشك - تجري في ظلام دامس لا يستطيع معه المراقب أن يتبين مواضع الجالسين ولا مصدر الصوت، ولا يستطيع كذلك أن يميز شيئاً من تفاصيل المكان كجدرانه أو أبوابه أو نوافذه أو أثاثه)<sup>(١)</sup>.

### ب) الخباء:

الخباء (أو ما يسميه الروحيون الخدر أو المخدع فالمقصود به حجرة جانبية مفصولة عن الحاضرين بحيث لا يستطيعون رؤية ما يجري داخلها، ولكنها في الوقت نفسه متصلة بالحجرة المظلمة المعدة لأن تكون مسرحاً لما يجري من مشاهد ويستعاض عن الحجرة في بعض الأحيان بخباء أو بجانب من الحجرة يفصله عن الجالسين حجاب كثيف، ومن هذا المكان المحجوب بستار يضاف إلى حجاب الظلام السابق تخرج الأرواح المزعومة متجسدة، واليه تعود بعد قليل...)<sup>(٢)</sup>.

---

(١) المرجع السابق، ص ٣٥.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٦.

## ج) الوسيط :

الوسيط هو (العمود الفقري لهذه الألعيب كلها ، وهو شخص يزعم الروحانيون أن فيه استعداداً فطرياً يؤهله لأن يكون أداة يجرى عن طريقها التواصل ، وهذا الاستعداد ضرب من الحساسية التي لا يعرفونها إلا بالإحالة إلى (الإكثوبلازم) الموهوم الذي يزعمون أنه أكثر توافراً فيه وهم لا يشترطون لهذه الحساسية أي شرط أخلاقي أو ديني ، فليس من اللازم أن يكون الوسيط مستقيم السيرة أو متديناً- على حسب ما يفهمه الناس من مفهوم هاتين الكلمتين - بل إن هذه الحساسية التي تؤهله لإحداث التجسيدات المزعومة ولرؤية ما لا يراه الناس وسماع ما لا يسمعون ليست أكثر من خاصية من الخصائص التي تميز تكوينه الشخصي مثل قوة البصر أو قوة الشم أو الذكاء أو قوة الأعصاب ، تتوافر للصالح وللطالح .

وأرجو أن أنبه القارئ في هذا الموضوع إلى أن الروحانيين لا يثبتون للرسول والأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه إلا صفة الوساطة هذه . . . والمعجزات التي جرت على أيديهم ليست إلا ظواهر روحية كالظواهر التي تحدث في حجرة تحضير الأرواح ، بل إن هؤلاء المفسدين يتحدثون الكنيسة في أوروبا وأمريكا زاعمين أن في وسع بعض الوسطاء أن يعيدوا إحداث كل ما نسب للمسيح عليه السلام من معجزات . وهؤلاء الوسطاء الذين لا تقوم للروحانية بدونهم قائمة هم الذين يزعمون للجالسين أنهم يرون كيت وكيت أو يسمعون كذا وكذا .

وهم الذين يكتبون ما يكتبون زاعمين أنه يملى عليهم إملاءً فيصدقهم الناس ويعتبرونه دليلاً بيناً على صدق مزاعم الروحانية .



والواقع أننا إذا استثنينا ظاهرتي التجسد والصوت المباشر - وهما ظاهرتان لا قيمة لهما في الحقيقة بعد شرحنا للظروف التي تلابسهما - فأكثر البيئات الأخرى مثل رؤية غير المنظور أو ما يسمونه Claire voyance سماع غير المسموع أو ما يسمونه Claivaudience والكتابة التلقائية أو ما يسمونه Automatic Writing والتواصل عن بعد أو ما يسمونه Telepathy وكل تفوهات الغيبوبة، ذلك كله يعتمد على الوسيط، ونتائجه كلها منوطة بصدقه وأمانته<sup>(١)</sup>.

#### د ( شهود الجلسة :

وهم الحاضرون (من يشهدون هذه الظواهر فعددهم كما يقول رئيس المعهد الدولي للبحث الروحي يتراوح بين عشرة وخمسة عشر شخصاً، وهو يشترط لنجاح الجلسة أن يكون نصف هذا العدد على الأقل أعضاء ثابتين لا يتغيرون من المواظبين على حضور الجلسات، ويعلل الروحيون ذلك بأن التوافق والتعارف شرط ضروري للجلسة الناجحة)<sup>(٢)</sup>.

تلك الأمور هي أهم وسائل أسلوب المخادعة الذي من خلاله يوهمون الناس بأن لديهم بحثاً وعلماً في مجال الروح واستحضار الأرواح.

#### ٣) أسلوب التدرج :

يقول الدكتور محمد حسين رحمه الله، بعد أن تكلم عن العديد من

---

(١) المرجع السابق، ص ٣٧ - ٣٩ .

(٢) المرجع السابق، ص ٤٠ .

المنظمات المشبوهة وصلتها بالروحانية : (ولهم جميعاً أسلوب واحد في تصيد الضحايا واستدراجهم ، فهم يلوحون لهم بعنوان خلاب براق لا يرفض الاستجابة له رجل فاضل ، كالإنسانية والإخاء والحرية والمساواة والبر ، ولا يفاجئونهم بدعوتهم دفعة واحدة ، بل يتسربون إلى أعماق قلوبهم من أيسر طريق وبأحب أسلوب .

فالروحيون مثلاً يبدوون دعوتهم وكأنهم يحاربون المادية والإلحاد ويحاولون إثبات استمرار الحياة بعد الموت حيث الثواب والعقاب ، فيطمئن الضحية إلى صدق نواياهم ، وعند ذلك يعرضون عليه ما أشكل عليه فهمه من المعجزات وحوارق الوقائع والحوادث ومتشابه الآيات ، يفسرونها تفسيراً يلبس ثوب العلم ويتفق مع مذهبهم وفروضهم التي يدعونها ، فيزداد اطمئنان المرید إليهم بعد أن يجد نفسه وقد فهم على ضوء تعاليمهم ومزاعمهم ما أشكل عليه فهمه من قبل ، وفي هذه المرحلة يصبح ميله إلى تصديقهم أشد ، فيتدرجون به إلى القول بأن رسل الله وأنبياءه ليسوا إلا وسطاء بينه وبين خلقه يبلغون رسالته ، وأن هذه الرسالة قائمة لا تنقطع لأن خلق الله في حاجة دائمة إلى هدايته ، وما داموا كذلك فالوساطة دائمة ، ثم يقولون عن لب الدين هو بذل الخير لخلق الله ، ولا حرج على الناس فيما وراء ذلك ، وأن طقوس الأديان على اختلاف صورها ليست إلا أساليب لبلوغ هذه الغاية ، وأن الناس على اختلاف أديانهم بعد سواء ، مسلمهم ومسيحيهم ويهوديهم وبوذيهم ، كلهم يعيشون إخواناً فيما وراء الموت ، وأن باب التوبة مفتوح أمام الكافر والفاسق والمخطئ بعد الموت ، وأن فرصة الترقى متاحة له دائماً وأن الجنة والنار حالة عقلية أو حالة نفسية ، أو هما واقع يجسمه الفكر ويصنعه الخيال

الذي يعكس باطن صاحبهما وحالته النفسية كما يزعمون .  
ولا يزال المرید یسمع فی أوكارهم وفي منظماتهم وفي مجلاتهم كل يوم ما يؤيد هذه الأوهام ويزيدها رسوخاً في نفسه ، ويسمع معها في الوقت نفسه كلاماً جميلاً في الحق على التمسك بالخلق الفاضل والتسامح وترك التكالب على حطام الدنيا ، يوهمونه أن الناطق به روح كبير مثل ما يزعمونه عن الروح المسمي سيلفر بيرش ، الذي تزعم الدوائر الروحية في الغرب أنه المسيح ، بينما تزعم بعض الدوائر الروحية في بلاد المسلمين أنه الخضر ، وعند ذلك يجد المرید نفسه وقد انسلخ من دينه وضل الطريق ، فقد تحرر من التكاليف والشعائر ، وشك في صريح ما بين يديه من نصوص فأصبح يتأولها تأويلاً يوافق ما وقر في نفسه من مذاهب الروحيين ، وفي هذه المرحلة يصبح المرید في حالة من البلبلة واضطراب الفكر تسلبه إرادته وتجعله آلة في يد أصحاب الدعوة وأسيراً لأوهامهم ، بعد أن تتمكن من نفسه ، لطول مصاحبته لها وإلفه ما يتكرر من مشاهدتها التي يفخمهما الظلام ويهول من شأنها أعصابه المتوترة التي تتأول كل همسة خافته وكل إشارة عابرة وكل صدفة متاحة ، فتراها على غير حقيقتها ، وتذهب في تأويلها وفي تخريجها مذاهب تلحقها بالخوارق والمعجزات كأنهم هم المعنيون بقول شوقي رحمه الله :

غلبوا على أعصابهم فتوهموا أوهام مغلوب على أعصابه<sup>(١)</sup>

(١) المرجع السابق ، ص ٦٣ - ٦٥ .

## المبحث الرابع رده عليها ونقدها

انطلق الدكتور محمد حسين رحمه الله في رده على الروحية الحديثة من منطلقات واضحة محددة تعتمد على الرد العلمي والتحليل الدقيق للوسائل المستخدمة في الترويج لتلك المفتريات .

فمثلا في رده على ما يدعونه من العلمية والتجريب يقول رحمه الله تحت عنوان (هل في هذه التجارب بينة علمية صحيحة؟) .

(وقد جمع فندلاي في كتابه (على حافة العالم الأثري) كل ما اجتمع له من عجائب وخوارق خلال تجاربه الروحية وجعل في مقدمتها ثلاثة حوارات اعتبرها أقوى الأدلة على مزاعمه ، فأفرد لها الفصل السابع من كتابه تحت عنوان : ( ثلاث حوادث ) . ولو تأمل القارئ هذه الحوادث متمعناً فاحصاً لوجد أنها جميعاً لا تصلح أن تكون بينات ، لأنها جميعاً تتعلق في كل حالة من هذه الحوادث بالمؤلف وبشخص آخر ، فالمسألة كلها مرهونة بصدقهما وإخلاصهما وانتفاء الغفلة عن أيهما .

أحد الأشخاص المستشهد بهم أخوه ، والآخر قسيس مريب حصل على دكتوراه في اللاهوت ، وهو من دعاة الروحية ، والواقعة التي يرويها تتعلق بأحد وسطاء الروحية ممن يتسمون باسم مريب تفوح منه رائحة اليهودية (دافيد دوجيد David Duguid) والشخص الثالث الذي تقوم عليه البيئات الثلاث المزعومة سيدة مجهولة تدعى (وودسمز Mrs. Woodsmis) ، ومطلوب من

القارئ أن يؤمن بهذه الأوهام اعتماداً على ذمة المستر فندلاي وأخيه، أو القسيس المريب، أو السيدة وود.

هذه هي أقوى بينات المؤلف التي صدر بها حججه تحت عنوان (ثلاث حوادث). أليس واضحاً بعد ذلك كله أن البيئة العلمية لا يمكن أن تقوم بمعناها الصحيح وسط هذه الظروف والملابسات؟ فالمعاذير التي تلتبس في حالة الفشل كثيرة، وأدوات الخداع ووسائله متوافرة، كالظلام والخباء والآلات المنبثة في أنحاء الحجرة وفي سقفها وأرضها وجدرانها، وبين ظاهرة وخفية، مما يحتال على وجودها بأنها آلات لتسجيل الصوت أو الحرارة أو الوزن أو للتصوير أو للأشعة تحت الحمراء وفوق البنفسجية.

فالزعم بأن تجارب الروحيين تجارب علمية زعم باطل يقوم على خداع الناس ببناء الكلام على بعض قوانين الطبيعة في الذبذبة والموجات، والتمويه عليهم بحشد الآلات والأدوات، وتمسح الروحيين بقوانين الطبيعة وأجهزة التجريبيين يشبه تمسح الهدامين بآيات القرآن حين يحرفونها عن مواضعها ويخرجونها عن دلالتها لكي تبدو أقوالهم كأنها متفقة مع الدين.

فالتجريب العلمي يتميز أولاً وقبل كل شيء بإمكان إعادته وتكراره إذا توافرت شروط محددة واضحة، أما شروط الروحيين فهي غامضة لا سبيل إلى تحقيقها، وهي غير محددة بظواهر واضحة محسوسة أو معقولة يمكن الاحتكام إليها ومراجعتها، فإذا حاول شخص أن يعيدها بنفسه بعيداً عنهم وعن معاملهم ثم فشل - وهو فاشل لا محالة - رد فشله إلى ظروف لا يمكن أن توصف علمياً بأنها في توافر الشروط<sup>(١)</sup>.

(١) المرجع السابق، ص ٤٢ - ٤٤.

لم يكتف الدكتور محمد حسين رحمه الله بذلك بل عرض بشيئين يتشبه  
بهما الروحانيون ليستعينوا بهما على الخداع والتمويه وهما أولاً ما يقال إن (بين  
معتنقي الروحية والمخدوعين بدعاواها بعض علماء الطبيعة والكيمياء  
والرياضة، وبينهم كثير من المشهورين بدقة بحوثهم ونجاحها، والواقع أن  
الحقائق الكونية التي اكتشفها الإنسان وأستغلها حتى الآن والتي سوف  
يكتشفها ويستغلها من بعد، ليست إلا معادن جزئية تفيد معرفة كل جزء منها  
على حدة، ولكنها لا تفيد إدراك الكل الذي ينتج من ربط ما بين الأجزاء  
والوحدات في كل الميادين ما عرف منها وما لم يعرف، ولذلك كانت براعة  
كل واحد من الباحثين في هذه الفروع أو المستكشفين لبعض أسرارها  
محصورة في دائرة لا يتجاوزها ولا يتعداها إلى غيرها من الميادين، وقد يكون  
بعد ذلك متوسط الخبرة فيما عداها من شؤون، بل المعروف أن بين المشهورين  
من المشتغلين بالعلوم التجريبية كثيراً ممن تغلب عليهم الغفلة والسذاجة وتجاوز  
عليهم الحيلة والخداع بأيسر سبيل، لطول عكوفهم على أنفسهم وانكبابهم  
على الدائرة الضيقة التي حصروا أنفسهم فيها لا يحولون عنها انتباههم، مما  
يعزلهم عن الناس ويضعف خبرتهم بالحياة، ويجعل كل واحد منهم أقرب  
إلى الصانع الماهر منه إلى العالم المحيط، ولكن الغرب المفتون بالمادة  
وبدراساتها التجريبية، والمحتقر لما عداها، هو الذي سماهم Scientists،  
واشتق لهم هذا الاسم من الكلمة التي تدل على المعرفة في اللغة اللاتينية  
(Sciens)، وجرينا نحن من بعد ذلك على هذه التسمية فترجمنا الاصطلاح  
إلى (علماء). فالنبوغ في فرع من فروع هذه الدراسات إذن لا يكفي لحماية  
المشتغل به من الخداع ومن الغش الذي لا بد لاكتشافه من توافر الحصافة

الاجتماعية والإدراك العام والتقدير الصحيح الملهم الشامل)<sup>(١)</sup>.

أما الشبهة الثانية وهي استخدام آلات التصوير الحديثة والتي تستخدم الأشعة تحت الحمراء (فمن المهم أن يعرف القارئ أن الذين يلتقطون هذه الصور المزعومة أشخاص معنيون ممن يسمونهم (وسطاء) فهم وحدهم الذين يقومون بالتقاط الصور، وليس مسموحاً لغيرهم بأن يقوم بهذا العمل، وكل ما يسمح به للزائر المتشدد هو أن يشتري الألواح الحساسة ويضعها في آلة التصوير، أما آلة التصوير نفسها وأما الذي يلتقط الصورة فلا سلطان له عليهما ولا رقابة، على أن صور الأشباح الملتقطة والمزعوم أنها أرواح كلها صور غائمة، والروح يظهر فيها مغلفاً بثوب شفاف أبيض كثيف نوعاً ما بحيث يحجب قسماً من الوجه وأكثر تفاصيل الجسد، وليس بين الصور الملتقطة صورة واحدة يبدو فيها الوجه سافراً تماماً، فهو غائم بحيث يتعذر الاستدلال على صاحبه أو إقامة الحجة على مطابقة الصورة الملتقطة لبعض الوسطاء أو الأشخاص)<sup>(٢)</sup>.

أما تناقضات الروحية الواضحة والمتعددة فحدث ولا حرج، وما ذلك إلا لأنها ليست مبنية على منهج أو طريقة منطقية عقلية، فكلها تهيئات وخرافات مختلفة، نشرت مجلة الروح نص محاضرة ألقاها صاحبها في كل من نادي القضاة بالقاهرة وبالإسكندرية، عرض فيها للمس الروحي فقال: (فأما المس الروحي وهو هيمنة روح شرير مشاغب على شخص ما، فإنه لا يسبب له أمراضاً وظيفية أو عضوية فحسب، بل يدفع به في

(١) المرجع السابق، ص ٤٥ - ٤٦ .

(١) المرجع السابق، ص ٤٤ - ٤٥ .

بعض الأحيان إلى ارتكاب جريمة قتل ضد غيره أو ضد نفسه، أو يدفعه إلى تناول مخدر أو مسكر حتى ينهار فيه). ثم أخذ المحاضر في سرد أمثلة يدلل بها على صدق دعواه، نقلاً عن المجلات الروحية التي تصدر في إنجلترا وأمريكا في قصص لا تخلو تفاصيلها من تناقض يتعارض مع ما يدعيه الروحيون أنفسهم من قواعد وأصول.

### مع روح سفاح :

فمن ذلك مثلاً ما يروى عن حديث دار في إحدى جلسات الروحيين في أمريكا مع روح قاتل كان قد ارتكب جريمته مرغماً - حسب زعمهم - تحت ضغط روح ضخمة الجثة كان يبدو له ويهدده في حياته، ويزعم الراوي أن روح هذا القاتل تولاهما الفرع فجأة أثناء الحديث لأن الرجل الضخم الجثة لاح لها من جديد يحمل في يده خنجراً ويصحبه زميلان قصيران، فأخذت الروح تصيح: ركبتني! لقد دفع بالخنجر في ركبتني وفي ساقي الأخرى! ساقي!! يا للشيطان إنه يطعنني! . . . إلى آخر ما جاء في القصة، وهذه القصة الشيطانية العجيبة تناقض ما يزعمه الروحيون أنفسهم من أن لكل جلسة من جلسات الروحية روحاً حارساً يتولى تنظيمها وذود الأرواح العابثة عنها. وتزعم الدراسات الروحية الخرافية أن لهذه الأرواح الحارسة سلطاناً كبيراً تضعف أمامه أرواح الأشرار، فأين كان ذلك الروح الحارس المزعوم عن روح القاتل المظلوم؟!!

### أرواح المتحرين :

ومن أمثلة هذا التناقض أيضاً ما زعمته بعض هذه القصص من أن بعض



الأرواح الشريرة التي أنهى أصحابها حياتهم على الأرض بالانتحار تضيق ذرعاً حين تكتشف بعد الانتحار أنها لا تزال حية، ولذلك تمضي في متابعة عملية الانتحار! (فإذا ما اتصلت هذه الأرواح بذوي الحساسة الوساوية من الأحياء ظنوا أن جسوم هؤلاء جسومهم) فيدفعون أصحابها للانتحار!)، وهذا الزعم يتناقض ما يزعمه الروحيون أنفسهم من أن الروح صورة تطابق جسم صاحبها تمام المطابقة، وأنها مرئية ملموسة مدركة الكيان والحدود بالنسبة لنفسها، حتى إن كثيراً من الأرواح تظن أنها لا تزال مستمرة في حياتها الدنيا، فكيف تظن الأرواح أن جسوم الغير جسوم لهم مع أن أجسامهم الحقيقية منظورة ملموسة لهم فيما يزعمون.

### معالجة أرواح المجرمين:

ومن أمثلة تناقضهم أيضاً ما زعمته هذه القصص من أن بعض الدوائر الروحية نجحت في رد الطمأنينة إلى أرواح القتلة والسفاحين المضطربة بعد أن أفهموها حقيقة موقفها وطلبوا إليها (أن تتبه لوسطها الجديد حتى ترتقي في حياتها الروحية)، فهذه الدوائر الروحية تعمل - حسب زعمهم - (على إنقاذ هذه الأرواح الحائرة بإفهامها مقامها الجديد، فإذا ما تنبعت إلى هذا الوسط الجديد زالت عنه هذه الآلام النفسية).

ومن عجب أن تظل هذه الأرواح الضالة الشريرة في قلقها واضطرابها حتى تنبعتها دائرة روحية في الحياة الدنيا، أليس الأولى بهذه المهمة سكان عالم الروح نفسه الذين يتولون قيادة هذه الدوائر الروحية، والذين يعالجون ساكني الأرض في حياتهم الدنيا ويرشدونهم - هل يعقل عاقل هذا الخلط الذي لا مبرر له؟ أرواح الموتى ترشد الأحياء، بينما الأحياء يرشدون أرواح الموتى؟! .

وأدعى من هذه المزاعم للضحك والسخرية أن الروحية قد أصبحت بهذا الاعتبار خطوة إلى الأمام في الدراسات النفسية الفرويدية .  
فقد كان الفرويديون يزعمون أنهم يعالجون مرضى النفوس من الأحياء بطريق ما يسمونه التحليل النفسي ، فجاء هؤلاء الروحيون يزعمون أنهم يعالجون مرضى النفوس من الأموات أيضاً ، أليس هذا طريفاً ومضحكاً؟ بل أليست هذه المزاعم أشد فتكاً بالعقول وإفساداً للمجتمع من تدخين الحشيش والأفيون؟<sup>(١)</sup> .

أما أعجب تناقضاتهم وأكثرها غرابة فهو ما يدعونه من محاربة المادية والإلحاد ومحاولة إثبات الحياة بعد الموت ، كذلك في (تعاليمهم خلط وتناقض كثير ، فهم يمجدون الشيوعية في الوقت الذي يدعون فيه إلى تنمية القوى الروحية وقد جاء في بعض مقالاتهم [ كلام منسوب إلى روح مزعوم من أرواحهم التي يسمونها الأرواح المرشدة يدعى مون تريل قال فيه (إن روسيا سوف تبرهن على أنها في عداد الأمم المتقدمة ، قد يشك في نواياها ، ولكن النتائج التي سوف تحصل عليها سوف تفتح عيون الذين ينقصون من عزيمتها ... ومع ذلك فإنكم تسمونها دولة لا إلهية ، ألا إن الله ينادي الإنسان دائماً إلى الارتقاء ]<sup>(٢)</sup> . فكيف يا ترى يلتقي مفهوم الروحية المناقض تماماً للفكرة الشيوعية معها في وقت واحد؟ وكيف تظفر الشيوعية بثناء ومدح من قبل روح مرشدة وليست أي روح؟ .

أما دعاواهم المتهاففة التي لا تثبت للبحث والتمحيص فهي أيضاً واضحة

(١) المرجع السابق ، ص ٥٠-٥٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٤-٦٥ .

بينه تتمثل في بعض الأمثلة التي يذكرونها من باب الفخر والإطراء، بينما هي في واقع الأمر عبارة عن ترهات وأقوال وحكايات باطلة نسجها الخيال المريض. يقول الدكتور محمد حسين رحمه الله: [ومن دعاواهم العريضة التي لا تثبت للمناقشة ما يزعمونه من أن أحد المشتغلين بالأمراض العصبية في جامعة من جامعات أمريكا قد استطاع (أن يجسد روح أمه وأن يقص خصلة من شعرها ثم يفحص بعدئذ الشعر فحسباً هستولوجياً ميكروسكوبياً).

فإذا كانت الروح تستطيع التجسد بحيث تصبح ملموسة محسوسة لكل الناس، وبحيث يمكن قص خصلة من شعرها والاحتفاظ بها ثم تظل الخصلة المقصوفة متجسدة بعد أن يزول تجسد صاحبتها، فما الذي يمنع الروح من البقاء في هذه الحالة ومعاودة نشاطها في الحياة الدنيا مع الناس مرة أخرى؟ يقول الروحيون إن الإنسان مكون من الجسم المادي عند موته ويحتفظ بالجسم الأثيري، فكيف يستطيع استعادة الجسم المادي مرة أخرى؟ وإذا كانت المسألة كما يزعمون هي خفض ذبذبة الجسم الأثيري حتى يصبح منظوراً ملموساً، فلماذا لا يتخلص الإنسان عند موته من الجسم المادي؟ لقد كان ينبغي أن يكتفى في هذه الحالة بارتفاع ذبذبته حتى يستحيل من جسم مادي إلى جسم أثيري، وذلك مقابل حدوث العكس عند انخفاض ذبذبة الجسم الأثيري لكي يتحول إلى جسم مادي ملموس، كما يزعمون حدوثه في جلسات تحضير الأرواح.

### الاستعانة بالأرواح في كشف الجرائم:

ومن دعاوى الروحيين المتهافة أيضاً أنهم يؤكدون إمكان (الاستعانة

بالأرواح في كشف جرائم القتل خاصة) ويستدلون على ذلك بأمثلة كثيرة يحشدونها ويحيلون إليها، فإذا كان من الممكن للروح أن تسيطر على إنسان وتقوده إلى ارتكاب جريمة يكون من آثارها أن يسجن أو يقتل، فما هو الضمان لأن تكون الروح حين يستعان بها في الكشف عن المجرم بريئة من سوء القصد؟ فقد ترشد إلى غير المجرم مثلاً بدافع من الرغبة في حماية المجرم أو إيذاء برئ ما دام العالم قد أصبح فوضى على ما يزعم هؤلاء المخرفون المفسدون؟ .

### الوسيلة تتحول إلى رجل عجوز :

ومن خرافاتهم التي يروونها نقلاً عن شيخهم المشهور سير آرثر كونان دويل في كتابه (حافة المجهول)، ما زعمه الراوي من أن الوسيلة قد تحولت أمام عينيه (إلى رجل عجوز ضعيف له ظهر منحني وشفتان متهدلتان)، ولست أدري كيف يمكن لرجل يفكر تفكيراً علمياً أن يقبل هذا القول؟ هل هذه روحية أم سحر و شعوذة؟ وهل يمكن أن يستقر في العالم نظام إذا سادته مثل هذه الظواهر وأصبحت شيئاً طبيعياً مألوفاً ميسور الحدوث على يد أي إنسان؟ ثم يزعم الراوي أن الروح الذي حل بجسد الوسيلة فمسخه وشوّهه على ذلك النحو قد تكلم فإذا هو يجهل أنه ميت، حتى تلتطف شهود الجلسة في إقناعه بذلك، فإذا كان يجهل موته حقاً فكيف يستعين بجسد وسيطة لإظهار نفسه؟ وأمعن من ذلك كله في التخريف والتناقض ما زعمه الراوي من أن هذا الروح شاركهم في تناول الخبز والشاي ورجاهم أن يزودوه بكوب آخر منه، لأنه لم يذقه منذ زمن بعيد فكيف تأكل الروح أو تشرب من طعامنا

وشرابنا المادي مع التباين الأساسي - كما يزعم الروحيون أنفسهم - بين طبيعتهما ودرجتي اهتزازهما؟! .

ذلك وأمثاله كثير في كتب الروحيين وفي مجلاتهم التي لا طائل وراء إحصائه واستقصائه . . . (١)

بعد ذلك الاستعراض لعوار الروحية الحديثة وسلبياتها الواضحة، تحدث الدكتور محمد رحمه الله عن الحياة الأخرى في ضوء كلام الله تعالى فقال- بعد أن استعرض عدداً من الآيات الكريمة حول اليوم الآخر وما سيحدث فيه من أهوال- : (ولا ينبغي أن يغيب عن بال الناس أن إطلاق الاتصال بالموتى وجعله في متناول كل إنسان، والاستعانة بهم في علاج مرضانا وفي شؤون دنيانا المختلفة، إفساد للحياة التي يقوم بعض عمرانها على التنافس واستباق الخيرات، وعلى المحاولة المتصلة الدائبة المتكررة في سبيل التفوق وفي التغلب على الصعاب والانتصار على مصادر التعب والقلق ومن بينها المرض، وهو كذلك إبطال للحكمة في خلق الموت والحياة وما قدر الله سبحانه وتعالى وقضى من إقامة الحجاب بينهما لحكمة يعلمها تنتظم بهما حياتنا في الدنيا وفي الآخرة.

ولا ينبغي أن يغيب عن بال الناس كذلك أن في عالم الخفاء شريرين ومفسدين وكفاراً وضالين ﴿وَأَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ وَمَنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرِيقًا قَدَدًا﴾ (الجن : ١١) وأن معرفة الأحياء والأموات والإنس والجن محدودة بحدود الزمان والمكان الذي لم يحيطوا به، ولا سبيل إلى الإحاطة به، فالله سبحانه وتعالى هو وحده الذي أحاط بكل شيء علماً، فمن استنجد بهم

(١) المرجع السابق، ص ٥٤-٥٦ .

واستمدهم وعاذ بهم فقد أرهق نفسه وغامر بها في المهالك وعرضها للشر كله  
﴿وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً﴾  
(الجن : ٦)، ومن عاذ بالله وتوكل عليه فهو حسبه سبحانه وتعالى ﴿ومن  
يتوكل على الله فهو حسبه﴾ (الطلاق : ٣)، ولا سلطان لشرار خلق الله من  
الجن والشياطين عليه ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من  
الغاوين﴾ (الحجر : ٤٢).

وبعد، فأنا أعرف بين فضلاء المسلمين أشخاصاً بأعينهم خدعتهم دعوة  
الشياطين ممن يتسمون بالروحيين، فانزلقوا إليها، وصدقوا دعاواها وأدمنوا  
حضور اجتماعاتها لاهين عن حقيقتها، ألا وإني أشهد الله أنني قد نصحت  
لهم ولم أدخر وسعاً، وما أراهم يرتابون الآن في أن عليهم أن يختاروا بين  
الكفر والإيمان، وبين الضلال والإسلام، فليستمسكوا بحبل الله المتين وسط  
هذه التيارات، فلئن أفلتت أيديهم لتقذفن بهم هذه الدوامات إلى قرار  
سحيق، أسأل الله لي ولهم العصمة والنجاة إلى يوم الدين<sup>(١)</sup>.

وبهذه الكلمات الصادقة الناصحة يختم رحمه الله رده على الروحية  
الحديثة ونقده العنيف لها بعد أن استطاع الكشف عن عوارها وضلالها من  
خلال التجربة المباشرة أو من خلال الاطلاع على ما سطرته أيدي روادها  
ودعاتها من كتب تمتليء بالغث المبتذل من الأفكار والشواهد التي تأبأها  
العقول السليمة والفطر السوية.

(١) المرجع السابق، ص ٧٩-٨٩ (بتصرف)، وأزمة العصر، ص ٩١-٩٥ (بتصرف).

# الفصل الثاني

## العالمية

المبحث الأول: تعريفها

المبحث الثاني: أهدافها

المبحث الثالث: وسائلها

المبحث الرابع: رده عليها ونقدها

## المبحث الأول تعريفها

أولاً : في اللغة :

العالم : الخلق والجمع (العوالم) بكسر اللام (العالمون) أصناف الخلق<sup>(١)</sup>.  
وقيل ( كل ما حواه بطن الفلك ، وكل صنف من أصناف الخلق ، كعالم  
الحيوان ، وعالم النبات )<sup>(٢)</sup> والعالم ( بفتح اللام الخلق وقيل مختص بمن  
يعقل )<sup>(٣)</sup>.

ثانياً : في الاصطلاح :

هي (مذهب يدعو إلى البحث عن الحقيقة الواحدة التي تكمن وراء  
الظواهر المتعددة في الخلافات المذهبية المتباينة، ويزعم أصحاب الدعوة  
والقائمون عليها أن ذلك هو السبيل إلى جمع الناس على مذهب واحد تزول  
معه خلافاتهم الدنيوية والعقدية لإحلال السلام في العالم محل الخلاف)<sup>(٤)</sup>.  
ومن خلال التعريف اللغوي يتضح أن المقصود بالعالمية كل الخلق أو العالم  
ويخص بطبيعة الحال الصنف البشري لأنه الصنف الوحيد العاقل .

ويأتي التعريف الاصطلاحي ليبين أن الداعين إليه يريدون جمع هذا  
الصنف تحت راية واحدة وعلى مذهب واحد لتزول معه الخلافات والعداوات

(١) مختار الصحاح، أبي بكر الرازي، ص ٤٥٢ .

(٢) المعجم الوسيط، د. إبراهيم أنيس وآخرون، ج ص ٦٢٤ .

(٣) المصباح المنير، أحمد بن محمد الفيومي، ص ١٦٢ .

(٤) الإسلام والحضارة الغربية، د. محمد حسين، ص : ١٩٣ .



ويحل السلام على وجه الأرض .

ويبدو الترابط بين التعريفين اللغوي والاصطلاحي بذلك واضحاً

ومنسجماً تماماً من حيث المعنى والنتيجة المرادة .

## المبحث الثاني

### أهدافها

العالمية مذهب حديث تبدو [ في أخطر أشكالها حين تتجاوز الحضارة إلي الدين فتعمل - وهيئات - على تدمير الإسلام وتمييعه في دين عالمي مزعوم وذلك حين يقول أحدهم : (و حينما يصبح في مقدور الجميع الوقوف على كل المعلومات المجردة عن الهوى ، و حينما يصبح الجميع أحراراً في تفكيرهم ، لهم من الشجاعة ما يجعلهم يتقبلون ما هو خير و عدل و جميل ، عندئذ يكون من المحتمل أن يسود العالم دين واحد ، و إنني سأكون سعيداً باتباع دين عالمي موحد ، تنبع مصادره من حقائق التاريخ ، و تشمل مبادئه العدالة الاجتماعية ، و تقوم بفضلها مظاهر الحب و الإخاء على أنقاض (الكراهية و الخصومة) و من الواضح أن هذا الكلام هدم صريح للإسلام و لكل دين صحيح ، فالأديان لا تقبل مثل هذه المساومات التي قد تقبلها السياسة ، و قد يقبلها الاقتصاد . . . ]<sup>(١)</sup>.

ويمكن أن أجمل أهداف العالمية في هدفين اثنين رئيسيين ولكنهما في غاية

الخطورة وهما:

#### (١) إلغاء تميز الشخصية المسلمة :

تهدف العالمية إلى محاولة تمييع وطمس معالم الشخصية المسلمة

الواضحة .

يقول الأستاذ محمد قطب ناقلاً ومعلقاً على أحد المستشرقين النمساويين

---

(١)

وهو فون جرونبيوم قوله : إن الحاجز الذي يحجز المسلم عن التغريب هو استعلاؤه بإيمانه وإنه لا بد من تحطيم ذلك الحاجز لكي تتم عملية التغريب .  
(أرأيت إنه هدف مقصود لذاته . . ألا يشعر المسلم بالاستعلاء بالإيمان يراد له أن تذوب شخصيته وتتميع ، ولا تكون لها تلك السمة المميزة التي أرادها الله : ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾ (البقرة : ١٤٣) .

إن أعداء الإسلام لن يستريحوا حتى يزيلوا ذلك التمييز الذي يحسه المؤمن : ﴿ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا﴾ (البقرة ٢١٧) .

وتلك قضية قديمة عمرها الآن أكثر من أربعة عشر قرناً . . . أي منذ وجد المجتمع الإسلامي في المدينة . . . ولكن وسائل القتال تتغير ، ومن بينها اليوم ما نسميه (الغزو الفكري) ومن بين الغزو الفكري هذه الدعوى . . . دعوى الإنسانية<sup>(١)</sup> .

فباسم الإنسانية يقال للمسلم الحق . يا أخي لا تعتزل الناس ! إن الإنسانية كلها أسرة واحدة ، فتعامل مع الأسرة كفرد منها ، ولا تميز نفسك عنها ! وشارك في النشاط الإنساني ومظاهر الحضارة (الإنسانية) ! .

تلك هي القضية ! إن تمسك المسلم بإسلامه شيء يغيظ أعداء الإسلام بصورة جنونية . . . ولا يهدأ لهم بال حتى يذهبوا عنه ذلك التمسك ويميعوه . . . فإذا تميع بالفعل ولم تعد له سمته المميزة له ، احتقروه كما احتقرت أوروبا

---

(١) يطلق على العالمية أحياناً الإنسانية .

الأتراك بعد أن أزال أتاتورك إسلامهم و(فرنجهم) و(غربهم) . . . (١).

## (٢) إزالة روح الجهاد من نفوس المسلمين :

لأن (أشد ما يخشاه أعداء الإسلام من الإسلام هو روح الجهاد الكامنة فيه!) (٢).  
ويؤكد المستشرقون خوفهم من الإسلام ومن الروح الجهادية لأتباعه ،  
فهذا المستشرق الكندي المعاصر (ولفرد كانتول سميث) (يقرر أن أوروبا لا  
تستطيع أن تنسى الفزع الذي ظلت تزاوله عدة قرون من الفتح الإسلامي ،  
وأن هذا الفزع لا يدانيه شيء في العصر الحديث ، ولا فزع أوروبا من استيلاء  
الشيوعية على تشيكوسلوفاكيا سنة ١٩٤٨ !).

وهذا هو المستشرق الأمريكي (روبرت بيمن) يقول في مقدمة كتابه  
(السيف المقدس).

(إن لدينا أسباباً قوية لدراسة العرب والتعرف على طريقتهم ، فقد غزوا  
الدنيا كلها من قبل وقد يفعلونها مرة ثانية) !  
إن النار التي أشعلها محمد لا تزال تشتعل بقوة ، وهناك ألف سبب  
للاعتقاد بأنها شعلة غير قابلة للانطفاء !

ولنترك المستقبل لعلم الله . . . فما تدري ماذا يكون من أمر المسلمين غداً .  
ولكننا ننظر إلى الحاضر ذاته فنلمح السبب في فزع أعداء الإسلام من روح  
الجهاد الكامنة فيه .

(١) مذاهب فكرية معاصرة ، محمد قطب ، ص : ٥٩٣ - ٥٩٦ ط ٧ ، ١٤١٣ هـ ، دارالشروق ، القاهرة ، مصر .

(٢) المرجع السابق ، ص : ٥٩٧ .

إن أوروبا لم تتضخم كما تضخمت اليوم ، ولم تصل إلي (الرفاهية الناعمة التي تعيش فيها إلا باستعمار العالم الإسلامي ، ونهب خيراته واستعباد أهله وإخضاعهم لنفوذها فماذا يكون إذا استيقظت في المسلمين روح الجهاد فطردوا ذلك الاستعمار بكل أنواعه الخفية والظاهرة ، العسكري منها والسياسي والاقتصادي ، واستردوا سيادتهم على أرضهم وأرواحهم وأفكارهم وضمائرهم .!؟

ماذا يحدث لأوروبا لو تم ذلك ؟ ومن أين لها الرفاهية الناعمة التي تعيش فيها اليوم ، إذا احتفظ المسلمون بخيراتهم لأنفسهم ، أو باعوها لأوروبا بيعاً حراً بالسعر الحقيقي الذي تستحقه في التجارة الحرة المتكافئة؟ ومن أين لها التضخم الذي تمارسه اليوم ، سواء التضخم العسكري أو العلمي أو المادي ، إذا انحسرت مواردها وكسدت بضاعتها التي توزعها اليوم على ( المتخلفين ) وتربح فيها بغير حساب!؟

كلا ! ما يحب أعداء الإسلام قط أن تستيقظ روح الجهاد الكامنة فيه ، ولو لم يتحقق شيء من كلام روبرت بيمن ، الذي يزعج به أعصاب الغرب ليشتدوا في الضغط على المسلمين ولا يتيحوا لهم أي فرصة للنهضة . . أو على وجه التحديد ، لا يتيحوا لهم أي فرصة للرجوع إلى حقيقة الإسلام التي فقدوها بعملية (التغريب)!

ودعوى الإنسانية من أسلحة الحرب الموجهة ضد روح الجهاد عند المسلمين<sup>(١)</sup>.

---

(١) مذاهب فكرية معاصرة ، محمد قطب ، ص : ٥٩٧ - ٥٩٨ .

وسياتي في رد الدكتور محمد حسين رحمه الله ما يكفي لنقض تلك  
الأهداف ، وبيان موقف الإسلام منها .

## المبحث الثالث

### وسائلها

تسعى العالمية للوصول إلى تحقيق أهدافها باستخدام وسائل متعددة

وملتوية أذكر منها مايلي :

#### (١) تحطيم الأديان :

تسعى العالمية لتحطيم الأديان ، وإزالة سلطانها عن قلوب الناس وضمائرهم ، (حتى يحل محلها الولاء للمذهب الجديد ، فهدم الأديان مرحلة لابد أن يمر بها الداخل في مذهبهم ، لكي يتحقق ما يزعمونه من محو العصبية التي هي في زعمهم أصل العداوات والحروب بين الناس والأمة)<sup>(١)</sup> .

ولا شك أن مهاجمة الأديان وسيلة فعالة للتمهيد للعالمية بكل أشكالها وألوانها المختلفة ، لأن وجود الأديان بما لها من مكانة في قلوب الناس يعني وجود حاجز كبير ليس من السهولة تجاوزه إلا بتحطيمه كلية وتفريغ المكان من آثاره ثم تعبئته بأفكارهم وتطلعاتهم المشبوهة .

#### (٢) استغلال العاطلين واستقطابهم :

تسعى العالمية لنشر الدعوة في أوساط الخاملين (الذين تقصر همهم عن الطموح إلى وسائل النهوض ، والأخذ بأسباب القوة والجهاد في سبيلها ، فيركنون إلى أحلام العالمية التي تمنهم بسلام يعطف فيه القوي على الضعيف . ويكف عن استعباده واستغلاله)<sup>(٢)</sup> .

(١) الإسلام والحضارة الغربية ، د . محمد حسين ، ص : ٢٠٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص : ٢٠٢ .

ويبدو أن مثل هذا الكلام يجد رواجاً واسعاً في أوساط الجبناء ، والخاملين الذين يحبون السلامة في كل شيء حتى ولو كان على حساب الدين والمبادئ لذا يجد العالميون فرصتهم السانحة السهلة عند أولئك القوم ، فيحدثونهم عن المستقبل الآمن للعالم ، ويحدثونهم عن السلام الذي سيرفرف في كل الدنيا وعن التعاون والتكافل الذي سيعم البشرية ، وهكذا يعيش الحاملون حلمهم الكبير مع مبادئ العالمية والإنسانية (وليس أضر بالأمة الضعيفة من هذه الأحلام ، لأنها تزيدها ضعفاً على ضعفها ، وتقضي على البقية الباقية من معالم شخصيتها ، إذ تذيبها في مفهوم شاسع تفقد معه معرفة كنهها ، وحدود ذاتها ، لأنه يشملها ويشمل أعداءها على السواء ، وتحاول بالسفسطة أن تجمع بين الضدين اللذين لا يجتمعان : القوة ، والضعف ، والقدرة والعجز ، والطموح والخمول ، والعمل والكسل ، وقد جربنا الكلام عن الإنسانية والتسامح والسلام وحقوق الإنسان في عصرنا ، فوجدناه كلاماً يصنعه الأقوياء في وزارات الدعاية والإعلام ينفق ويروج عند الضعفاء ، فهو بضاعة معدة للتصدير الخارجي وليست معدة للاستهلاك الداخلي ، لا يستفيد منها دائماً إلا القوي ، لأنها تساعد على تمكينه من استغلال الضعيف الذي يعيش تحت تخدير هذه الدعوات في ولاء مع مستغله ومستعبده ، ويستنفذ طاقاته وقدراته في الأحلام بدل أن يوجهها لعلم نافع ، يحرره من قيود ضعفه وعجزه ، ويجمع ما تشتت من قواه ، وما ضمير حتى كاد يتلاشى من إرادته وطموحه ، ثم إن الأحلام العالمية لن تغير سنة الله في خلقه ، ولن تحول مجرى ناموسه في التاريخ ولن تحقق ما يزعمه الداعون باسمها من أهداف ، ولن يكون من نتائجها إلا أن تذوب بعض جماعات ضعيفة متهافئة



عاجزة كتب عليها الفناء، لأنها لا تستحق البقاء، أو لأنها - علي الأصح - فقدت مقومات الحياة، تذوب وتفني لتتغذى بها جماعات أخرى أقوى تُبنى على أنقاضها<sup>(١)</sup>.

٣- استخدام الأساليب المتتوية للوصول إلى التبرير المنطقي الذي يبين الحاجة إلى العالمية أو أنها نتيجة طبيعية، لذلك يسعى العالميون لوضع (تطبيقات واسعة في كل نواحي الحياة وأنشطتها المختلفة، من سياسية ودينية واقتصادية وأدبية ولغوية، وكلها تحاول أن تصل إلى النظام الواحد الذي يجمع الناس في كل ميدان من هذه الميادين المختلفة على مذهب واحد أو هي بعبارة أخرى تحاول أن تكتشف الأصول الإنسانية المشتركة - حسب زعمهم - وراء مظاهر التعدد المتباينة في هذه الأنشطة البشرية، لتصبح الأرض وطناً واحداً يدين بدين واحد، ويتكلم لغة واحدة، ويتذوق الفنون والآداب بذوق واحد مشترك، وليست الدراسات الحديثة في الدين المقارن والأدب المقارن والقانون المقارن وعلم اللغة المقارن، أو مايسمونه علم اللغة العام.. . وأشباهها إلا فروعاً من هذا التصور، وأدوات لتحقيق هذه الغاية التي لا سبيل لتحقيقها، لأنها تطمح إلى أن تخرق سنن الله ونواميسه، أو لأنها تجهل هذه السنن والنواميس<sup>(٢)</sup>.

وهكذا يسعى القوم إلى استخدام كل الوسائل الممكنة حتى التي يبدو عليها الأسلوب العلمي ليحققوا ما يصبون إليه من نشر مذهبهم الجديد.

(١) الإسلام والحضارة الغربية، د. محمد حسين، ص: ٢٠٢ - ٢٠٣.

(٢) المرجع السابق ص ٢٠٥ - ٢٠٦.

## المبحث الرابع

### رده عليها ونقدها

الدعوة إلى العالمية دعوة مرفوضة جملة وتفصيلاً لدى الدكتور محمد رحمه الله ولذلك كان رده عليها رداً واضحاً وافياً قاطعاً لا مجال فيه للمجاملة أو التنازل يقول رحمه الله ( والدعوة باطلة من أساسها لأنها تخالف سنة ثابتة من سنن الله في الأرض وهي دفع الناس بعضهم ببعض وضرب الحق بالباطل ، والهدم والبناء وجهان لهذه السنة لا يفتآن يعملان دون انقطاع وكل ميسر لما خلق له ، هذه السنة قائمة بأمر الله تعالى ، ولن تجد لسنة الله تبديلاً ، هي قائمة في داخل أجسامنا التي لا يتوقف الصراع فيها بين كرات الدم البيضاء وبين الجراثيم والأمراض الغازية ، وفي الخلايا التي تبني من جديد على أنقاض خلايا أخرى تموت ، وفي الصراع القائم في باطن نفوسنا بين الضمير الديني وبين الشهوات \* وفي الأرض آيات للموقنين \* وفي أنفسكم أفلا تبصرون \* (الذاريات ٢٠ ، ٢١) وسنة الصراع والهدم والبناء ، من مظاهر الحركة والمياه في الكون وفي المجتمعات الإنسانية ، ثم إن الصراع بين الحق والباطل لا ينكشف آخر الأمر إلا عند يروز الحق في أقصى صورته وأنقى عناصره ، وهلاك الباطل ومحق شوائبه ، وقد صور القرآن الكريم هذه السنة الدائبة ، في مثلين ضربهما لاختلاط الحق والباطل ، أحدهما في السيول التي تختلط بالأوحال والأقذاء والأقذار ، وبما تجرف من جيف ، وما تقتلع من نبات ، ثم لا يبقى منها على طول المجرى وتعدد

المتعرجات إلا الماء الصافي العذب في الأنهار التي تفيض بالخير والبركات ،  
والمثل الآخر في المعادن التي نستخرجها من الجبال ومن باطن الأرض  
مختلطة بالشوائب وبالعناصر الغريبة ثم لا يبقى منها على ضرب النار حين  
تصهر إلا الحُر الخالص من جواهرها النافعة :

﴿ أنزل من السماء ماءً فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً ومما  
يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زيد مثله كذلك يضرب الله الحق  
والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض  
كذلك يضرب الله الأمثال ﴾ (الرعد : ١٧) .

فالصراع والخلاف الذي تزعم العالمية أنها تعمل على محوه هو سر من  
أسرار الحياة نفسها وناموس من نواميس الله في خلقه . يجري على قدر ،  
وينتهي إلى غاية ، ويسوقه تدبير من عليم حكيم ، وقد يظهر للمتدبرين من  
خلق الله بعض المزايا والحكم الخفية التي يحجبها ظواهر بغیضة منفرة ، ولكن  
أعماقها وأبعادها وسائرها تظل محجوبة عنا لا يعلمها إلا الله (١) .

إذن فالقضية من الأساس مرفوضة لأنها تخالف سنة كونية ثابتة منذ الأزل  
وحتى الأبد ألا وهي الصراع بين الحق والباطل والخير والشر لأن المجتمعات  
البشرية تتعدد وتتنوع في صفاتها وفي سماتها كما (أنها تدرك ذواتها من  
طريقين : أولهما : التقاء كل جماعة منها على صفات عامة تؤلف بينها وتشد  
بنيانها وتوحد صفوفها ، فتبدو في كثرتها كالجسم الواحد ، ثانيهما : هو  
اختلاف كل جماعة في مجموعها عن غيرها من الجماعات الأخرى ، لكي  
تدرك ، أنها ذات معنوية مستقلة عن غيرها من الذوات متشابهة أفرادها

(١) الإسلام والحضارة الغربية، د. محمد حسين ، ص: ١٩٣ - ١٩٤ .

يحفظها من التشتت والتفكك ومخالفتها لغيرها تحميها من أن تذوب وتنماع من أجل ذلك حرصت الدول في تجمعاتها الحديثة على اصطناع ما يعمق هذا الشعور بالذات من الوجهين كليهما ، فهي تصطنع الأعلام الخاصة ، والأناشيد الوطنية وتعني بالتاريخ والفنون وبالآداب القومية ، التي تبرز شخصيتها ، وتجمع قلوب الناس وأذواقهم على التحمس لها والتعلق بها .

والإسلام - وهو دين الفطرة ، يقرب بهذا النظام الإلهي ، الذي يحفز إلى العمل وإلى التنافس الذي هو سبب العمران ، ويحدد مكان كل عامل في عمله فالعمل - لكي يكون مثمراً وفعالاً - يحتاج إلى تنظيم ، والتنظيم يقوم على تقسيم العمل وربط كل طائفة من العلم بمهمة محددة لا يتجاوزها إلى غيرها ، ولا تسأل إلا عنها ، من أجل ذلك كانت سنة الله في الأرض على جعل الناس أمماً وشعوباً وقبائل ، كل أمة منها مسؤولة عما يليها مما وكلها الله به ولا تسأل عن سواه ، أما الذي يجيء بعد هذه النظم الأرضية فالله أعلم به ، وعلينا أن نسلم بحكمته ، وننقاد لستته فيما نعلم وفيما لا نعلم ، يخاطب الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ في الكتاب المنزل عليه فيقول : ﴿ لكل أمة جعلنا منسكاً هم ناسكوه فلا ينازعنك في الأمر وادع إلى ربك إنك لعلی هدی مستقیم \* وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون \* الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون ﴾ (الحج : ٦٧-٦٩) . . . . .

وقد حرص الإسلام على تمييز المسلمين عن سائر الأمم بوصفهم أمة ذات كيان مستقل ونهاهم عن أن يقلدوا غيرهم في ملبسهم أو عاداتهم فقال ﷺ (من تشبه بقوم فهو منهم) (١) وقال : ( ليس منا من تشبه

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٣١) وأحمد (٢ / ٥٠ و ٩٢) وغيرهما عن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال الألباني =

بغيرنا)<sup>(١)</sup> وعمد إلى مخالفتهم في هيئتهم ، وأمر المسلمين بالحرص على هذه المخالفة تمييزاً لهم من غيرهم ، فأمر بقص الشارب وإطالة اللحية تمييزاً لهم من المشركين الذين كانوا يطيلون شواربهم ، ويحلقون لحاهم ، وذلك في قوله : ( خالفوا المشركين ، أحفوا الشوارب وأعفوا اللحى )<sup>(٢)</sup> وأمر بخضاب اللحية بالحناء تمييزاً لهم من اليهود والنصارى الذين كانوا لا يخضبون ، فقال : ( إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم )<sup>(٣)</sup> ، ورواه مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى بأبي قحافة رضي الله عنه يوم فتح مكة ورأسه ولحيته كالثغامة بياضاً والثغام نبت أبيض الزهر والتمر واحدته ثغامة) فقال رسول الله ﷺ ( غيروا هذا بشيء واجتنبوا السواد )<sup>(٤)</sup> .

وكان ﷺ يقول : ( تسحروا فإن في السحور بركة )<sup>(٥)</sup> وقال ابن حجر في

= في إرواء الغليل ، حديث صحيح ( إرواه الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ، محمد ناصر الدين الألباني ، ج ٥ ، ص ١٠٩ ، ط ٢ ، ١٤٠٥ هـ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، دمشق .

(١) أخرجه الترمذي (١١٦/٢) وغيره عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده وقال الترمذي (إسناده ضعيف وروي ابن المبارك هذا الحديث عن ابن أبي لهيعة فلم يرفعه .) قال الألباني ضعيف بهذا اللفظ ( إرواء الغليل ج ٥ ص : ١١١ .

(٢) مختصر صحيح البخاري ، الزبيدي ، تحقيق إبراهيم بركة ، (١٩٩٧) ، ص ٤٦٤ ، ط ٢ ، ١٤٠٦ هـ ، دار النفائس ، بيروت ، لبنان . ومختصر صحيح مسلم ، المنذري ، تحقيق الألباني ، (١٨٤) ص ٥٦ ، ط ٥ ، ١٤٠٥ هـ ، المكتب الإسلامي ، بيروت .

(٣) صحيح مسلم (٦٢ / ١٥٥) باب في مخالفة اليهود والنصارى في الصبغ ، ومختصر مسلم للمنذري ، (١٣٤٨) ، ص ٣٦١ .

(٤) صحيح مسلم (٦٢ / ١٥٥) باب في صبغ الشعر وتغيير الشيب ، ومختصر مسلم (١٣٤٧) ، ص ٣٦١ .

(٥) صحيح البخاري (كتاب الصوم) (باب في بركة السحور من غير إيجاب) ومختصر البخاري للزبيدي (٩٣٦) ، ص ٢٠٧ .

شرحه : (ومما يعلل به استحبابُ السحور المخالفة لأهل الكتاب ، لأنه ممتنع عندهم ، وهذا أحد الوجوه المقتضية للزيادة في الأجور الأخروية) (١).

وقد دعا الإسلام المسلمين إلي أن يكونوا أشداء على الكفار رحماء بينهم ، وذلك في قوله تبارك وتعالى : ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ (الفتح : ٢٩) ، ونهاهم عن اتخاذ الأولياء والأصدقاء من أعداء المسلمين الذين أخرجوهم من ديارهم أو أعانوا على ذلك في قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ﴾ (المتحنة : ١٠).

نزلت في حاطب بن أبي بلتعة حين كتب إلى بعض أهل مكة تودداً ، يرجو من وراء ذلك أن يرعوا حرمة ، ويحفظوا من بقي من قرابته عندهم . بل لقد ندد الإسلام بمن ترك الهجرة واللحاق برسول الله ﷺ من أجل أهله وتجارته بمكة ، وفيهم نزل قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون ﴾ (التوبة : ٢٣)

في مقابل هذه الشدة على العدو أوصى رسول الله ﷺ المسلمين بالتراحم فحرم عليهم دماءهم وأموالهم وأعراضهم ، وذلك في خطبة الوداع بمكة يوم النحر ، حيث قال : « إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني ، ج ٤ ، ص ١٧٢ ط ١ ، ١٤١٠ هـ ، دارالكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا ، وستلقون ربكم فيسألکم عن أعمالکم ، فلا ترجعن بعدي ضلالاً يضرب بعضکم رقاب بعض»<sup>(١)</sup> .

ولو تتبعنا الدعوة المبتدعة المعاصرة إلى العالمية لوجدنا أنها - على اختلاف صورها وشبهها كما سننبه من بعد - دعوة هدامة مخربة من وجوه كثيرة<sup>(٢)</sup> .

ثم بعد ذلك يحاول الدكتور محمد حسين رحمه الله بيان فساد هذه الدعوة من خلال الاستعراض البين الواضح لمظاهر الهدم والتخريب التي تحتويها هذه الدعوة فيقول : (إن كل شعبة من شعبها تريد أن تكون ديناً جديداً يجتمع عليه الناس ، ومن أجل ذلك فهي تشترك في مهاجمة الأديان ، لتحطم سلطانتها على قلوب الناس وضمائرهم ، حتي تُحلَّ محلَّها الولاء للمذهب الجديد ، فهدم الأديان مرحلة لا بد أن يمر بها الداخل في مذهبهم ، لكي يتحقق ما يزعمون من محو العصبية التي هي في زعمهم أصل العداوات والحروب بين الناس والأمم ، وأكثر الناس تأثراً بدعوة العالمية هم الخاملون من الضعفاء الذين تقصر هممهم عن الطموح إلى وسائل النهوض ، والأخذ بأسباب القوة والجهاد في سبيلها ، فيركنون إلى أحلام العالمية التي تمنهم بسلام يعطف فيه القوي على الضعيف ، ويكف عن استعباده واستغلاله ، وليس أضر بالأمة الضعيفة من هذه الأحلام ، لأنها تزيدها ضعفاً على ضعفها ، وتقضي على البقية الباقية من معالم شخصيتها ، إذ يذبيها في مفهوم شاسع تفقد معه معرفة كنهها ، وحدود ذاتها ، لأنه يشملها ويشمل أعداءها على السواء ، وتحاول بالسفسطة أن تجمع بين الضدين اللذين لا يجتمعان :

(١) مختصر صحيح مسلم ، المنذري ، باب حجة النبي ﷺ ، ص ١٨٦ - ١٨٨ .

(٢) الإسلام والحضارة الغربية ، د. محمد حسين ، ص : ١٩٣ - ٢٠٢ ، (بتصرف) .

القوة والضعف ، والقدرة والعجز ، والطموح والخمول ، والعمل والكسل ،  
وقد جربنا الكلام عن الإنسانية والتسامح والسلام وحقوق الإنسان في  
عصرنا ، فوجدناه كلاماً يصنعه الأقوياء في وزارات الدعاية والإعلام لينفق  
ويروج عند الضعفاء ، فهو بضاعة معدة للتصدير الخارجي وليست معدة  
للاستهلاك الداخلي ، لا يستفيد منها دائماً إلا القوي ، لأنها تساعد على  
تمكينه من استغلال الضعيف الذي يعيش تحت تخدير هذه الدعوات في ولاء  
مع مستغله ومستعبده ، ويسنفد طاقاته وقدراته في الأحلام بدل أن يوجهها  
لعلم نافع ، يحرره من قيود ضعفه وعجزه ، ويجمع ما تشتت من قواه ، وما  
خمد حتى كاد يتلاشى من إرادته وطموحه .

ثم إن الأحلام العالمية لن تغير سنة الله في خلقه ولن تحول مجرى ناموسه  
في التاريخ ، ولن تحقق ما يزعمه الداعون باسمها من أهداف ، ولن يكون من  
نتائجها إلا أن تذوب بعض جماعات ضعيفة متهاففة عاجزة كتب عليها  
الفناء ، لأنها لا تستحق البقاء ، أو لأنها - على الأصح - فقدت مقومات  
الحياة ، تذوب وتفنى لتتغذى بها جماعات أخرى أقوى تبنى على أنقاضها ،  
ثم يظل الصراع قائماً بين الجماعات القوية المتنافسة ، وتمضي سنة الله الأزلية  
في طريقها المرسوم ، لا تحيد عنه ولا تبيد : ﴿ فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد  
لسنة الله تحويلاً ﴾ (فاطر : ٤٣) .

بعد هذه النظرة الواقعية العميقة لمعطيات العصر وأسلوبه الواضح في  
الحكم على القوة والضعف في حياة الأمم بل والقدرة على السيطرة والتمكين ،  
يبدأ الدكتور رحمه الله الحديث عن قضية فلسفية صائبة ، تفيض بالحكمة  
والعمق حيث يقول : ( إن الناس في ضعفهم البشري ، وتمسكهم الشديد



بالحياة الدنيا وإشفاقهم مما وراء الموت - وهو مهول مرهوب عند ضعفاء الإيمان وعند من لا يؤمنون برسالات الله - لا يدركون من الحروب والصراع إلا الجانب الذي يكرهونه ويخافونه ، وهو العذاب والآلام التي تصاحب الصراع ، والموت الذي قد ينتهي به ، ولكن نظرة متدبرة تهدي المؤمنين إلى أن الآلام والموت ، على امتداد الحياة الكبرى ، ليست إلا بعض المكاراه القليلة الخطر على الامتداد الطويل المديد الذي لا يحده الخيال ، ولا يكاد يذكرها الإنسان بعد أن يتجاوزها إلى ما وراءها ، فهي لا تزيد عما يقابله في طفولته أو صباه أو في شبابه ، أو في بعض أطوار حياته من ضروب المعاناة في الأمراض أو الحوادث أو الكدح أو الكفاح في سبيل المعرفة أو في سبيل طلب العيش والطموح للأفضل ، والمسألة الأساسية في ذلك كله هي أن البون واسع جداً بين وجهتي النظر عند من يؤمن باستمرار الحياة بعد الموت والحساب والثواب والعقاب ، وعند من لا يؤمن بذلك ، ولا يرى إلا هذه الحياة الدنيا ، وهذه مسألة مهمة ، لأنها تحسم النقاش بين صنفين من الناس في كل الخلافات المذهبية التي يبدو النقاش بين أطرافها غير ذي جدوى منذ البدء ، فالنقاش غير مثمر بين رجل يؤمن بالحياة الأخرى ، وبين رجل آخر لا يؤمن بها ، لأن هذا الخلاف الأساسي يستتبع سلسلة من النتائج المختلفة التي لا سبيل إلى التقائها في إدراك القيمة الحقيقية لكل المفاهيم البشرية ، فالنقاش لا يمكن أن ينتهي إلى إقناع أو اقتناع بين الرجلين ، لأن أحدهما يعتقد أن هذه الحياة الدنيا هي كل شيء ، وأن جهده ينبغي أن ينحصر في توفير المتعة فيها وحدها لنفسه ، ولمن يجيء بعده من أبنائه وأحفاده ، بينما يرى الآخر أن متع هذه الحياة الدنيا ينبغي أن ينظر إليها في إطار الحياة المستمرة الكلية ، فإنها أطول

وأبقى ، أحدهما يبدو كأنه إنسان عامل في صباه أو في شبابه ، تحدثه عن حياته المستقبلية في كهولته أو في شيخوخته ، فلا يدرك من كلام الناصح شيئاً ، بل هو يقابله بالاستخفاف والاستهزاء ، ويبدد طاقته وثروته في الاستمتاع بكل ما تصل إليه يده ، وما يدخل في حيز قدرته وإمكانه ، وهو أبداً ظامئاً ، جائع لا يرتوي ولا يشبع ، فإذا ذهب الشباب تذكر - ولات حين نفع - ما قدمه له الناصحون مما استخف به وأعرض عنه ، وهو يعاني من الفقر والمرض والضياع والقلق في كهولته وشيخوخته ، بينما يبدو الآخر رجلاً أحسن الاستماع إلى ما قدم إليه من نصح ، فعمل منذ صباه المبكر وشبابه لمستقبله ، وألف أن يحرم نفسه من بعض ما تشتهي ، وأن يحملها على بعض ما تكره من الكفاح في سبيل الخبرة والمعرفة والعيش الأفضل ، حتى أصبح هذا الإلف من عاداته المستقرة التي هونت عليه مرارة الإحساس بالحرمان ومعاناة الكفاح ، فتلاشى الإحساس بالمرارة وبالمعاناة ، وتحول طمأنينة راضية .

إذن الصراع عند المؤمنين خير في جملته ، وإن بدا جانب الضرر فيه أظهر للمدى القصير وللنظرة المتعجلة ، وهو العامل الأساسي الذي يكمن وراء كل تقدم بشري وحضاري ، فهو الذي يحمل الضعيف والمتخلف على أن يخلع أثواب الخمول والكسل ، ويشمر عن ساعد الجد والعمل ، ويتحمل تكاليف الجهاد والكفاح ليكون الأفضل والأعلى ، وهو الذي يحمله على التضحية براحته والسهر لاستكمال وجوه النقص فيه ، لأنه يعرف أن ضعفه يعرضه لعدوان الأقوى واستعباده ، وأنه في حال قوته يجني ثمرة عمله ؛ بينما هو في حال ضعفه يعمل العمل نفسه لصالح مستعبديه .

ومن أظهر البراهين على ذلك ما تلاحظه من سرعة معدل التقدم الحضاري

في خلال الحروب وفي أعقابها وهو ما عرفه المعاصرون معرفة اليقين في خلال الحربين العالميتين الأخيرتين ، ففي الحرب العالمية الأولى وفي أعقابها تقدم الطيران واستخدم استخداماً حربياً خلال الحرب ، ومدنياً بعدها ، وخلال الحرب العالمية الثانية وفي أعقابها تقدمت الكشوف الذرية والصاروخية والإلكترونية واستخدمت استخداماً حربياً خلال الحرب ، ثم مدنياً بعدها .

ذلك لأن الإنسان - تحت الشعور بالخطر والخوف من الفناء- تنطلق مواهبه وإمكاناته الكامنة بأقصى طاقتها للدفاع عن الذات ، وتزداد هذه الجهود المبذولة إلى درجات خيالية لم يكن أصحابها أنفسهم يتصورون إمكانها تحت ضغط المنافسة بين الأطراف المتصارعة ، ومن المعروف الذي تثبته المشاهدة أن سرعة الذي يجري في سباق سلمي للبطولة تختلف عن سرعته حين يجري فراراً من خطر يهدد حياته ، لأن في جسم الإنسان قوى مدخرة لا تبرز إلا تحت الشعور بخطر الفناء ، وهي تبرز عند ذلك بروزاً تلقائياً خارجاً عن إرادته<sup>(١)</sup> .

والحق أن هذا الكلام هو ما يصح أن نقول عنه يكتب بماء الذهب لأنه يفيض بالحكمة والمنطق والتجربة ويؤكد أن هذا الرجل كان حين يدافع ويناقش ويهاجم ينطلق من نية صادقة خالصة والله حسيبه فيجد من الله العون والتوفيق فيما يقول ويكتب . ويعود رحمه الله للتأكيد على الأهداف السيئة والنيات الخبيثة لهذه الدعوة فيقول : (المقصود بكل هذه الدعوات وأشباهاها بالإضافة لما سبق الكلام عنه من إيجاد الألفة والصدقة بين المستعبد والمستعبد وهو تشتيت الناس وصرفهم عن وطنهم وأمتهم التي يعرفون مكانهم منها

---

(١) الإسلام والحضارة الغربية ، د. محمد حسين ، ص: ٢٠٣- ٢٠٥ .

ووظيفتهم فيها ، إلى تيه مضل من المبادئ التي لا تحدها حدود واضحة العالم ، والتي تشبه بحراً لا ساحل له ، فيمثل الداعي إليها كمثل الذي يقول لواحد من الناس ، إنك لست مواطناً في الكرة الأرضية ، ولكنك مواطن في كون الله الذي ليست الأرض إلا جزءاً منه لا يتجاوز مقدار حبة رمل بالقياس إلى ما تحمل الصحاري من رمال ، أو هو كمثل الذي يقول للنحلة : إن جهودك لا ينبغي أن تكون محصورة في مملكتك المحدودة ، وفي خليتك الضيقة ، ولكن ينبغي أن تكون هبة مشاعة في كل ممالك النحل وخلاياه وإن مثل هذه الدعوات ليس وراءها إلا الضياع المطلق ، فالرجل الذي يخرج عن الأرض ليكون مواطناً في كون الله يقع في حيرة لا يستطيع أن يصنع معها شيئاً ، والنحلة التي تخرج من خليتها لتشارك بجهودها في بناء كل الخلايا في كل ممالك النحل تصبح مجرد نحلة ضالة مشردة ، لا تجد لها مكاناً في غير مملكتها ولا تستطيع أن تعود إلى خليتها الأولى بعد أن تتشابه عليها المسالك فتضل ، إن الإنتاج يحتاج إلى العكوف والدأب وحصر الجهد وتركيز العمل وتحديد مسالكه وأهدافه . إن الله سبحانه وتعالى قد شدَّ أهل الأرض بالأرض ، ووكلَّ بكل كوكب من يقوم على عمارته وأقام كل طائفة من خلقه فيما قدر وأراد ، وجعل لكل قوم منسكاً هم ناسكوه ، وأقام كل فردٍ على ثغرٍ يلزمه الدفاع عنه وحده دون غيره من الثغور .

على أن الذي يريب في كل هذه الدعوات العالمية أنها لا تصدر دائماً إلا من الغرب فليس بينها دعوة واحدة قد صدرت عن بلدٍ من بلاد الشرق التي انبعثت منها الأديان التي تتوزع العالم كله ثم إن وراء هذه الدعوات دائماً خزائن تمدها بمدد من المال لا ينضب ، يسمح لأصحابها بأن يسافروا وبأن

يدعو غيرهم إلى هذه المؤتمرات وبأن يقيموا الحفلات ويثيخوا الدعايات ، ولو  
سأل سائل : من أي مصدر يجيء هذا المال ؟ ولأي هدف ينفق بهذا السخاء؟  
لما وجد على سؤاله جواباً<sup>(١)</sup> .

وفي ختام الحديث عن العالمية يؤكد مرة أخرى كما أكد من قبل مدى  
قدرته رحمه الله على التمييز بين المصطلحات ، والكلمات وإيحاءاتها المختلفة  
وذلك في مثل قوله رحمه الله ( فضلت أن أجعل عنوان هذه المحاضرة  
(الإسلام والعالمية) بدلاً من العنوان الذي اقترحت عليه الجامعة ، وهو (عالمية  
الإسلام) ذلك لأن استعمال الألفاظ التي جرت مجرى الاصطلاح في  
المذاهب المعاصرة المتصارعة كالعالمية والاشتراكية والديموقراطية في وصف  
الإسلام ، وتحديد سماته خطأ جسيم ، فهذه الكلمات ترتبط في الأذهان  
ارتباطاً وثيقاً بالأصول المذهبية ، والظروف التاريخية والاجتماعية التي  
أحاطت بنشأتها وتطورها ، ومع ما هو مسلم من حسن النية عند بعض الذين  
يستعملون هذه المصطلحات لتحبيب الإسلام إلى جيل الشباب المفتون بها ،  
فإن إثم استعمالها أكبر من نفعه ، لأنها تريح الإسلام بموازن غير  
إسلامية . فتزيد ما وقر في نفوس هؤلاء المفتونين من الافتنان بكل ما يجيء عن  
الحضارة الغربية والعكس عند المسلمين هو الصحيح وهو ما ينبغي أن يكون ،  
فهذه النظم على اختلافها ، قديمها وحديثها ، لا تصح عندنا ولا تجوز في  
أذواقنا وعقولنا إلا إذا وافقت الإسلام ، وفرق كبير بين أن يتحدث كاتب أو  
مفكر عن (عالمية الإسلام) أو (اشتراكية الإسلام) أو (ديموقراطية الإسلام)  
وبين أن يتحدث عن (الإسلام والعالمية) أو (الإسلام والاشتراكية) أو

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، د. محمد محمد حسين ، ص : ٣١٥ - ٣١٦ .

(الإسلام والديموقراطية) ، ففي الحالة الأولى يفترض الكاتب أو المفكر منذ البدء أن الإسلام عالمي أو اشتراكي أو ديموقراطي بكل ما تحمله الكلمة من معاني مذهبية اصطلاحية ، أما الحالة الثانية ، فهو يتحدث عن الإسلام بوصفه ديناً مستقلاً ومذهباً في الحياة ذا كيان قائم بذاته لا يقبل تبديلاً أو تعديلاً لأنه وحي من عند الله ، قد ثبتت أصوله وكملت ، وتمت بكمالها نعمة الله على المسلمين الذين رضي الله لهم الإسلام ديناً ثم هو على سبيل المقارنة والحاكم على المذاهب الجديدة بالصحة أو بالفساد يزن ( العالمية ) و( الاشتراكية ) ، و( الديموقراطية ) بموازين الإسلام .

وإذا كانت العالمية هي ما ذكرناه في وصفها ، وفي بيان صورها المختلفة وحقيقة أهدافها ، فأى شيء منها يصح في الإسلام؟ وما الذي يعنيه التحدث عن الإسلام حين نصفه بأنه دين عالمي؟

الإسلام دين عالمي بمعنى أنه رسالة موجهة لأهل الأرض جميعاً تدعوهم إلى الدخول فيه والنصوص القرآنية صريحة في ذلك تؤكد عموم الرسالة الإسلامية ، في مقابل قومية الرسالات الأخرى ، منها على سبيل المثال : قوله تعالى يخاطب رسوله ﷺ : ﴿ وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا ﴾ (النساء : ٧٩) ، وقوله تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ﴾ (سبأ : ٢٨) ، وعموم الرسالة وشمولها للناس كأنه ظاهر في دعوة أهل الديانات السماوية السابقة للدخول في الإسلام ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ (آل عمران : ٦٤) .

وكان من مقتضيات هذا العموم في رسالة الإسلام أن يكون خاتم رسالات  
الله للناس ﴿ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيئاً  
علماً﴾ (الأحزاب : ٤٠).

ومن أجل أن الإسلام هو دين الناس كلهم أجمعين على اختلاف الأزمنة  
والأمكنة كان دين يسر لا يشدد على الناس ، ولا يكلفهم ما يشق عليهم ،  
وذلك ليكون ملائماً لهم على اختلاف طاقاتهم ، وتباين ظروف حياتهم ،  
في فراغ البداوة وبساطتها ، وفي مشاغل المدينة وتعقيداتها ، فالإسلام دين  
الفطرة التي فطر الله الناس عليها جميعاً . . . .

والإسلام بعد ذلك كله عالمي لأنه يربط بين الدين والدولة ، فمهما تفرق  
المسلمون في الأوطان والأجناس ومهما توزعتهم الدول والحكام فالدين  
وشريعته يوحدهم ويجمعهم على أنماط مشتركة ، وأذواق متقاربة ، ونظم  
اجتماعية واقتصادية واحدة ، لا يحق لمسلم أن يخرج عن نصوصها الصريحة  
بتأويل أو تعديل فهي حدود الله ﴿ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه﴾  
(الطلاق : ١).

ذلك هو الإسلام وتلك هي حدود عالميته ، عالمية تفتح بابها لكل طارق  
ولا تغلقه دون قاصد ، عالمية تمحو الأخوة الإسلامية فيها كل الفروق العرقية  
والطبقية ، ويصبح معها المسلمون متساوين في الحقوق والواجبات ، ولكنها  
تدرك حدود ذاتها إدراكاً يميزها عن غيرها ، ويمنعها أن تذوب فيه ، بل وتعد  
أسباب القوة والحماية ذاتها ، ولتكون كلمة الله هي العليا ، ولكنها لا تسيء  
استعمالها ، فغاية القتال في الإسلام هي إعلاء كلمة الله وإقرار السلام والأمر  
بالمعروف والنهي عن المنكر :

﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات  
ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز  
\* الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف  
ونهاوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور ﴾ (الحج : ٤٠ - ٤١) .

﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا  
علي الظالمين ﴾ (البقرة : ١٩٣) .

تلك هي العالمية الصحيحة التي يلتقي فيها الناس من كل الأجناس  
والألوان والأرضين على الحق والإنصاف وعلى حب الله والانقياد لإرادته ،  
ورحم الله شوقي إذ يقول :

كم من غزاة للرسول كريمة	فيها رضاً للحق أو إعلاء
كانت لجند الله فيها شدة	في إثرها للعالمين رخاء
ضربوا الضلالة ضربة ذهبت بها	فعلى الجهالة والضلال عفاء
دعموا على الحرب السلام وطالما	حقنت دماءً في الزمان دماءً <sup>(١)</sup>

وهكذا يكشف الدكتور محمد حسين رحمه الله عوار العالمية كما كشف  
عوار غيرها من الدعوات ويرد عليها بكل أنواع الرد الشرعي والعقلي  
والواقعي المعاش ، وإنه ليكاد أن يكون رحمه الله موجوداً معنا هذه الأيام  
ويسمع كما نسمع عما يسمونه بالعوامة ، وما أدراك ما العوامة ، وهي ولاشك  
العالمية التي تحدث عنها رحمه الله ، وفندها وبين خطرها وجللها ، وإنني لأرى  
في رده هذا وحديثه عن العالمية ، والذي كتبه في عام ١٣٩٤ هـ ، ما يكفي عن

(١) الإسلام والحضارة الغربية ، د. محمد محمد حسين ، ص ٢١١ - ٢٢٣ ، (بتصرف) .



فكرة العولمة الحديثة ، والتي تسعى إلى توحيد كل شيء في هذا العالم وصبغه بالصبغة الغربية البحتة، باعتبار أنها الصبغة الأقوى والمسيطرة حالياً على مراكز القرار والتأثير ، وأخص بالذكر الصبغة والثقافة الأمريكية على وجه الخصوص ، وهناك من الكتاب من يسمي العولمة بالأمركة ، ولا شك أن فكرة العولمة تشهد حواراً فكرياً قوياً وصداماً عنيفاً بين التيارات المختلفة تدور بين القبول والرفض ، وكل له وجهة نظره ودفاعه ولقد أجرت مجلة المعرفة السعودية حواراً غير مباشر بين العديد من الكتاب والمفكرين حول قضية العولمة ، فكان لكل منهم اتجاه ونظرة، ترجع كلها إلى ثلاثة آراء :

**الرأي الأول :** الرفض الكامل للعولمة واعتبارها غزواً جديداً لكل المبادئ

والقيم والمفاهيم الإسلامية في كل شؤون الحياة .

**الرأي الثاني :** القبول الكامل لها واعتبارها فرصة للحاق بركاب العلم

والحضارة والتقدم وتعويض مافات .

**الرأي الثالث :** محاولة التأثير في العولمة وإيجاد موضع قدم للثقافة

الإسلامية ومحاولة الحد من أضرار العولمة على جماهير الناس مع محاولة

التميز والاحتفاظ بالهوية الخاصة بالأمة ودينها العظيم<sup>(١)</sup> .

---

(١) مجلة المعرفة ، العدد ٤٦ - ٤٧ ، محرم وصفر ١٤٢٠هـ، الملف الصحفي ، مجلة شهرية تصدر عن وزارة

المعارف بالمملكة العربية السعودية .

## الفصل الثالث

### القومية

المبحث الأول: تعريفها

المبحث الثاني: أهدافها

المبحث الثالث: وسائلها

المبحث الرابع: رده عليها ونقدها

## المبحث الأول تعريفها

أولاً: في اللغة :

(القوم الرجال دون النساء لا واحد له من لفظه ، قال زهير :

وما أدري ولست أخال أدري أقوم آل حصن أم نساء

وقال تعالى : ﴿ لا يسخر قوم من قوم ﴾ ثم قال : ﴿ ولا نساء من نساء ﴾

(الحجرات : ١١) .

وربما دخل النساء فيه على سبيل التبعية لأن قوم كل نبي رجال ونساء<sup>(١)</sup> .

وقال الفيومي في المصباح المنير : ( وقوم الرجل أقرباؤه الذين يجتمعون

معه في جد واحد وقد يقيم الرجل بين الأجناب فيسميهم قومه مجازاً

للمجاورة، وفي التنزيل ﴿ يا قوم اتبعوا المرسلين ﴾ (يس : ٢٠) قيل كان

مقيماً بينهم ولم يكن منهم وقيل كانوا قومه . . .<sup>(٢)</sup> .

وفي المعجم الوسيط (وقوم الرجل أقاربه عصبية، ومن يكونون بمنزلتهم

تبعاً له . . .)<sup>(٣)</sup> .

(١) مختار الصحاح ، أبو بكر الرازي ص ٥٥٦ - ٥٥٧ .

(٢) المصباح المنير ، أحمد بن محمد الفيومي ، ص ١٩٩ .

(٣) المعجم الوسيط ، إبراهيم أنيس وآخرون . ج ٢ ، ص ٧٦٨ .

## ثانياً : في الإصطلاح :

- ١ - (صلة اجتماعية عاطفية تنشأ من الاشتراك في الوطن والجنس واللغة والمنافع ، وقد تنتهي بالتضامن والتعاون إلى الوحدة . . . )<sup>(١)</sup>.
  - ٢ - (حركة سياسية فكرية متعصبة ، تدعو إلى تمجيد العرب ، وإقامة دولة موحدة لهم ، على أساس من رابطة الدم والقربى واللغة والتاريخ ، وإحلالها محل رابطة الدين ، وهي صدى للفكر القومي الذي سبق أن ظهر في أوروبا)<sup>(٢)</sup>.
  - ٣ - (معناها أن أبناء الأصل الواحد واللغة الواحدة ينبغي أن يكون ولاؤهم واحداً وإن تعددت أرضهم وتفرقت أوطانهم)<sup>(٣)</sup>.
  - ٤ - ظاهرة تمجد (جماعة محدودة من الناس يضمها إطار جغرافي ثابت ، ويجمعها تراث مشترك ، وتنتمي إلى أصول عرقية واحدة)<sup>(٤)</sup>.
- من خلال ما تقدم يتضح لنا الارتباط بين المعنى اللغوي والاصطلاحي ، وأن أصل القومية الواحدة هو اجتماع القوم أو الطائفة الواحدة أو العصبية التي تنتمي إلى أصل واحد أو جد واحد ، تسعى لتحقيق نوع من التميز والشخصية الخاصة بها من منطلق اللغة أو الجنس أو الأرض أو المصالح المشتركة ، دون النظر إلى اعتبارات أخرى ، كالدين مثلاً أو غيره .
- وقد قيل إن القوم سمو قومياً (لقيامهم بالعظائم والمهمات)<sup>(٥)</sup>.

---

(١) المرجع السابق ص ٧٦٨ .

(٢) الموسوعة الميسرة ، ج ١ ، ص ٤٤٨ .

(٣) مذاهب فكرية معاصرة ، محمد قطب ، ص ٥٥٤ .

(٤) الإسلام والحضارة الغربية ، د. محمد حسين ، ص ٢٢٥ .

(٥) المصباح المنير ، أحمد محمد الفيومي ، ص ١٩٩ .

فكان الذين نادوا بالقومية بناءً على فكرتهم ونظرتهم قاموا بمهمة عظيمة  
في نظرهم، ألا وهي الدعوة إلى القومية كمنهج ودستور يسرون عليه وبينون  
آمالهم على تحقيقه في أرض الواقع.

## المبحث الثاني

### أهدافها

هذه الدعوات الباطلة كالقومية والوطنية والإنسانية (على الرغم من اختلاف دوائرها، واختلاف مفاهيمها، واختلاف عوامل الترابط بين أفراد كل منها، تقوم جميعها على مفاهيم خاصة ذات روابط ضعيفة في تكوين الأمة ذات الكيان الواحد سياسياً واجتماعياً وغير ذلك، أو ما يمكن تحقيقه من هذه الأمور في الواقع، وأدناها وحدة المشاعر، واتجاه الولاء، والتآخي والتعاون، وعدم الاعتراف النفسي بالفوارق المتباينة لمضامين الدعوة)<sup>(١)</sup>.

وقد نشأت هذه الدعوات في أوروبا بسبب ظروف كثيرة، أدت إلى ظهورها ظهوراً كبيراً بحيث أصبح لها سوق رائجة بين شعوب أوروبا بشكل مخيف، مما أدى إلى نشوء الخلافات والصراعات العنيفة، بسبب محاولة كل شعب أو قوم الظهور على الآخرين وإثبات الأفضلية عليهم.

وقد كانت (دعاوى القومية والوطنية المصدرة عن عمد إلى العالم الإسلامي، من بين وسائل الغزو الفكري الذي استخدمه الصليبيون المحدثون في غزو العالم الإسلامي...) <sup>(٢)</sup>.

ويمكن أن أخص أهدافها في الآتي:

#### (١) تفكيك عرش الدولة العثمانية وإسقاطها:

حيث (يعترف القوميون أن الدولة الغربية وجدت في القضية العربية

(١) كواشف وزیوف، د. عبد الرحمن الميداني، ص ٢٤٧.

(٢) مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، ص ٥٧٧.

فرصة سانحة لتفكيك عرش الدولة العثمانية، وفصل إطار العربية عنها... (١).

ولا شك أن هذا الهدف هو الهدف المهم بالنسبة لأعداء الأمة في ذلك الوقت وللأسف فقد نجحوا نجاحاً منقطع النظير واستطاعوا أن يفسدوا ود العلاقة القائمة بين العرب والدولة العثمانية مما أدى إلى دخول كثير من العرب الحرب مع أوروبا ضد الدولة العثمانية، حتى قيل: (لولا مساعدة الجيش العربي والعمال العرب ما استطعنا أن نتغلب على تركيا)<sup>(٢)</sup>، وحدث بعد ذلك ما حدث من سقوط الخلافة ووقوع كثير من الأقطار العربية تحت وطأة الاستعمار، وذلك ما كان له أن يحدث لو بقيت الدولة العثمانية على أرض الواقع.

إذن فقد كانت (القومية الطورانية وهي قومية الأتراك في جاهليتهم قبل دخولهم في الإسلام، وشعارها (الذئب الأغبر) وهو معبود الأتراك في جاهليتهم قبل دخولهم في الإسلام)<sup>(٣)</sup>، جزءاً من أسباب تفكيك الدولة العثمانية، وقابلها في الجانب الآخر القومية العربية، والتي حدثت كردة فعل لما حدث عند الأتراك.

## (٢) قطع الصلة بين المسلمين وإسلامهم:

وذلك لأنه طالما بقي المسلمون مسلمين (فسيصعب على الغزاة ابتلاعهم مهما كانوا عليه من الضعف والتخلف، وذلك أن العقيدة الإسلامية عقيدة جهاد، وقد ذاق الفرنسيون في الشمال الأفريقي، وذاق الإنجليز في الهند

(١) الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، الشيخ أحمد بشير، ص ٤٦٤.

(٢) مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، ص ٥٨٣.

(٣) المرجع السابق، ص ٥٨١.

وغيرها من أقطار أفريقيا وآسيا من عقيدة الجهاد هذه ما لا يزال عالقاً في نفوسهم برغم كل الضعف والتخلف الذي كان عليه المسلمون، فاقتلاع هذه العقيدة واستبدال غيرها بها أمرٌ ذو أهمية بالغة، سواءً من وجهة النظر الصليبية أو من وجهة النظر الاستعمارية البحتة، فالمسلمون لا يقبلون الاستعمار ولا يرضخون له طالما كانوا (مسلمين)، فإذا اجتمعت وجهة النظر الصليبية ووجهة النظر الاستعمارية تجاه الإسلام - كما هو واقع الأمر - كانت الرغبة في اقتلاع هذه العقيدة أكد والعمل على استبدال غيرها بها أعنف وأشد<sup>(١)</sup>.

### (٣) تحويل حركات الجهاد الإسلامية إلى حركات قومية سياسية :

وذلك لأن الحركات غير الإسلامية، (لا تنظر إلى العدو على أنه صليبي مستعمر، ولكن على أنه مستعمر فقط . . وفرق واضح في درجة العداء وطريقة المجاهدة بين أن يكون العدو منظوراً إليه على حقيقته، وبين أن يكون مغلفاً برداء الاستعمار فحسب . .

كما أن العدو غير قادرٍ على التفاهم مع الحركات الإسلامية، لأنه لا سبيل إلى التفاهم معها في الحقيقة إلا بإخراج ذلك العدو خارج البلاد، ومن ثم فلا سبيل إلى استعمال السياسة من جانب العدو، أما الحركات غير الإسلامية فالتفاهم معها سهلٌ وممكن! . . .)<sup>(٢)</sup>.

### (٤) تيسير عملية التغريب :

وذلك لأنه حين تقوم (حركة الجهاد على أساس إسلامي يكون الباب

(١) المرجع السابق، ص ٥٧٧ .

(٢) المرجع السابق، ص ٥٧٧ - ٥٧٨، (بتصرف).



موصداً تماماً بين المجاهدين وعدوهم ، لا يأخذون شيئاً من فكره ولا عقائده ولا تقاليده ولا أنماط سلوكه المنافية للإسلام ، أما حين يتحول الجهاد إلى حركات سياسية ، فالحاجز أرق ويسمح بالأخذ . . . .  
وعملية التغريب - أو الغزو الفكري - كانت أهم ما يحرص عليه الصليبي المستعمر .

فحين يفقد المسلم شخصيته الإسلامية فإنه يفقد في الحقيقة نقطة ارتكازه.. ومن ثم فإنه يتهاوى ويضيع .  
و حين يظل المسلم مسلماً فإنه يمكن أن يستعير من العالم حوله ما يحس أنه في حاجة إليه دون أن يفقد شخصيته ، ودون أن يفقد استعلاءه الذي يستمدّه من الإيمان ، ﴿ولا تهنأوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾ (آل عمران : ١٣٩) (١).

#### (٥) تقوية النصارى وتمكينهم من السيطرة على المسلمين :

وذلك (لأنهم إذا قطعوا العرب عن صلة الأخوة الإسلامية وروجوا لهم فكرة القومية العربية ، فإن النصارى من العرب والمسلمين من العرب يتساوون في العروبة ، وإذا اتفقوا على القومية ، على أساسها فإنه لا يبقى فارق بينهم في الحقوق والامتيازات ، بل إن النصارى يمتازون بقوة دولهم المنتصرة الأوروبية على دولة الخلافة العثمانية ، وهذا هو الذي استقر في نفوسهم كامناً وقصدوا إليه) (٢).

(١) المرجع السابق ، ص ٥٨٢ ، (بتصرف).

(٢) فكرة القومية العربية في ضوء الإسلام ، صالح العبود ، ص ١٧٩ ، ط ١ ، بدون تاريخ ، دار طبية ، الرياض ، السعودية .

## المبحث الثالث

### وسائلها

لقد استخدم الأعداء كل امكاناتهم العقلية والمادية لإيصال الدعوات الهدامة إلى بلاد المسلمين عبر وسائل رخيصة، ومنها :

#### (١) إنشاء الجمعيات القومية :

وذلك لكي تتبنى الدعوة إلى القومية، وتقوم على نشرها وترويجها بين الناس، وتجمع لها ومن حولها الأنصار والمؤيدين، ويؤيد ذلك كثرة الجمعيات القومية التي نشأت في فترة زمنية يسيرة ففي نهاية القرن الميلادي الماضي وفيما لا يزيد عن خمسة عشر عاماً تأسست أربع جمعيات قام عليها مجموعة من النصارى، وفي بداية القرن العشرين وفيما لا يزيد عن خمسة عشر عاماً تكونت قرابة عشر جمعيات كلها تدعو إلى القومية العربية بعيداً عن الإسلام كرابطة وحيدة توحد صفوف أبنائه وتربطهم برباط الدين والعقيدة<sup>(١)</sup>.

#### (٢) بعث التاريخ القديم للقوميات المتعددة :

من المعروف أن اليهود المتمسلمين، المعروفين بـ (يهود الدونما، الذين هاجروا من المغرب واستوطنوا البلقان، كانوا هم المنظمين الحقيقيين لحزب الاتحاد والترقي الذي نادى بالقومية الطورانية . . . ونادى بضرورة تترك الدولة، أي جعل المناصب فيها وقفاً على الأتراك وحدهم، ومعنى ذلك

(١) الموسوعة الميسرة، ج ١ ص ٤٤٨ - ٤٤٩ .

- كما حدث بالفعل - أن يحس العرب أنهم مظلومون في ظل الحكم التركي ،  
وأ أنهم مهضوموا الحقوق . . . )<sup>(١)</sup> .

لذلك (لما صاح الترك مفاخرين بطورانيتهم استيقظ في العرب فخرهم  
بمجدهم القديم ، فبدأ العرب - وهم الأمة التي ظهرت فيها الرسالة الإسلامية  
ونزل كتابها بلسانهم - يستنكفون حكم الترك الذي بسط عليهم نفوذهم منذ  
القرن السادس عشر ، فظلوا يتتهزون كل فرصة سانحة للثورة ، يعلنون تمردهم  
في أعقاب كل حرب أوروبية يخرج منها الترك مهزومين . . . )<sup>(٢)</sup> .

بل وحتى القومية العربية أصابها ما أصاب غيرها وهي (التي بدأت بالدعوة  
إلى جمع شمل العرب في دولة واحدة تفككت وانحلت بعد الحرب العالمية  
الأولى إلى قوميات مختلفة تحت ضغط الظروف ، والواقع السياسي الذي  
قسم بلادهم بين إنجلترا وفرنسا وراحت كل قومية من هذه القوميات الناشئة  
تدعم وجودها وتعمق جذورها وتوصل كيائها بإحياء تاريخها السابق على  
الإسلام والتغني بأمجاد تلك الأيام الغابرة ، وتوجيه التاريخ والأدب والفنون  
المختلفة من موسيقى وتصوير ونحت لخدمة هذا الهدف الذي يربط الأجيال  
الناشئة بالوطن في حدوده الأرضية دون غيره من الأوطان ، ولم يعد للبلاد  
الإسلامية في نظر الأجيال الناشئة في ظل هذه المفاهيم الجديدة فضل على  
البلاد غير الإسلامية ، بل ربما تقدمت بلاد غير إسلامية على بلاد أخرى  
إسلامية لاعتبارات أخرى تدعو إليها مصلحة اقتصادية أو ظروف سياسية  
نشأت تحت ضغوط أجنبية)<sup>(٣)</sup> .

(١) مذاهب فكرية معاصرة ، محمد قطب ، ص ٥٨١ .

(٢) الاتجاهات الوطنية ، د. محمد حسين ، ج ٢ ، ص ٩٩ .

(٣) الإسلام والحضارة الغربية ، د. محمد حسين ، ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .

ولأجل ذلك نشطت الدعوات المختلفة لتحقير الأدب العربي وانتقاصه، وحاولوا إيجاد البديل عن طريق الدعوة إلى إحياء الآداب الشعبية القديمة، والتنقيب عن الآثار الغابرة، واستخدام اللهجات العامية والمحلية زيادة في التفريق وقطع أواصر الدين، وينقل الدكتور محمد حسين رحمه الله عن المستشرق الإنجليزي جب: (وقد كان من أهم مظاهر سياسة التغريب في العالم الإسلامي تنمية الاهتمام ببعث الحضارات القديمة التي ازدهرت في البلاد المختلفة التي يشغلها المسلمون الآن فمثل هذا الاهتمام موجود في تركيا وفي مصر وفي أندونيسيا وفي العراق وفي إيران، وقد تكون أهميته محصورة الآن في تقوية شعور العداء لأوروبا، ولكن من الممكن أن يلعب في المستقبل دوراً مهماً في تقوية القوميات المحلية وتدعيم مقوماتها)<sup>(١)</sup>.

وهكذا بذر أعداء الأمة بذور عودة الجاهليات القديمة إلى أصحابها ولبسوا عليهم دينهم وجمعوهم تحت شعارات الأصل الواحد أو اللغة الواحدة أو المكان الواحد دون أن يكون للدين أي اعتبار عندهم.

### (٣) استخدام الأقليات غير المسلمة في نشر القومية :

سعى الغزاة إلى استخدام الأقليات التي لا تدين بدين الإسلام كالنصرانية مثلاً والتي كان لها ولأبنائها الدور الأكبر في إنشاء الجمعيات القومية وذلك صرفاً للمسلمين عن إسلامهم وهدماً لارتباطهم الوثيق بإخوانهم المسلمين في كل مكان، وللحصول على المكانة المناسبة لهم بعيداً عن حكم الإسلام.

يقول برنارد لويس وهو أستاذ ورئيس قسم التاريخ في جامعة لندن البريطانية: (كان هناك المثقفون العرب المسيحيون في بيروت وجبل لبنان حيث

(١) المرجع السابق، ص ٢٧١.

لاقت الفكرة الوطنية صدى وردة فعل ، وكانوا كمسيحيين أكثر انفتاحاً  
للأفكار الأوروبية .

وكل ذلك دفعهم لتحبيذ قيام دولة على أساسٍ وطني لا على أساس  
ديني ، فإذا كانت اللغة والحضارة والأرض متطلبات الهوية للمواطن  
فللمسيحيين العرب وهم يملكون المتطلبات اللازمة حقاً في أن يكونوا مواطنين  
من الدرجة الأولى ، وهذا ما لم يكن لهم في الإمبراطورية الإسلامية<sup>(١)</sup> .  
تلك كانت أهم الوسائل التي استخدمها أعداء الأمة لنشر وترويج فكرة  
القومية في بلاد المسلمين .

---

(١) فكرة القومية العربية ، صالح العبود ، ص ١٨١ .

## المبحث الرابع

### رده عليها ونقدها

هذه الدعاوى المحمومة والباطلة عن القومية لاقت رواجاً للأسف الشديد بين الكثير من أبناء الأمة الإسلامية المغلوبة على أمرها لذا حاول الدكتور محمد حسين رحمه الله أن يتصدى لها بالرد العلمي والمنطق العقلي الواعي، وكانت ردوده عليها غاية في القوة والمتانة كعادته، بل إنه رحمه الله استوفى الحديث فيها استيفاءً كاملاً وخصص لها فصولاً كاملة في بعض كتبه، والحق أنه رحمه الله استطاع باقتدار كبير وبراعة لا يستطيعها إلا هو وأمثاله من عمالقة الفكر والأدب أن يستوفي تاريخها وأسباب نشأتها والمراحل التي مرت بها، ومن هم زعماءؤها الذين نادوا بها وتولوا كبرها، والمواجهات التي خاضوها مع دعاة الرابطة الإسلامية وما أفرز ذلك كله من نتائج خطيرة، كان لها تأثيرها البالغ على واقع الأمة المعاصر .

وحيث إنه قد استوفى رحمه الله رده على القومية في كتابه الإسلام والحضارة الغربية فسوف أكتفي بالاعتماد عليه من بين كتبه لنقل ردوده على دعاة القومية .

يقول رحمه الله عن عدوى النزعة القومية وانتقالها إلى العرب والمسلمين مؤكداً على أنها انتقلت إليهم (فيما انتقل إليهم من آثار الفكر الغربي والفلسفات السياسية والاجتماعية الحديثة، وأصبحت ظاهرة بارزة في هذه البلاد العربية والإسلامية مع مطلع القرن العشرين الميلادي ودخلت هذه المجتمعات في صراعٍ بين هذه المفاهيم القومية المستحدثة، وبين المفاهيم

الإسلامية التي لا يقوم فيها اعتبار للأنسب والأجناس ، والتي تعتبر المسلمين  
حيثما كانوا أمة واحدة يقوم الدين فيها مقام النسب ، بل يتقدم عليه ، فالمسلم  
أخ للمسلم من دون أبناء عمومته إن كانوا غير مسلمين . . . . .  
وبين هذه القوميات التي نشأت في بلاد المسلمين كانت القومية العربية  
أبرزها وأحوجها للدراسة ، فقد كانت منذ نشأتها ، ولا تزال موضع جدل  
كثير ، نتج عما أحاطها في أذهان العرب والمسلمين من لبس يرجع إلي أن  
العرب هم جرثومة الإسلام وأصله الأول ، وإلى أن لغتهم هي لغة الإسلام  
التي نزل بها كتابه ، والتي تؤدي بها كل شعائره ، وبرزت في معجم الأدب  
والفكر السياسي كلمات العروبة والجامعة العربية والقومية العربية على  
التعاقب ، ثم اختلطت مفاهيمها ، وتميعت مدلولاتها في بعض الأحيان ،  
وغلب على العامة استعمالها في معنى واحد مع تفضيل استعمال بعضها على  
بعض ، وكان المقصود بها في كل الأحوال هو الصفات الجامعة لذلك الجنس  
من الناس المسمى عند المعاصرين بالعرب ، على خلاف فيما بين الناس في  
تصور مدلول هذه الكلمة وفي مقومات ذلك الجنس فالمحافظون من دعاة  
القومية العربية يرون أنها فرع من التصور الإسلامي ، وكل ما في الأمر أنه  
خاص بالذين يتكلمون العربية من المسلمين الذين تتجاوز مساكنهم والذين  
تكونت منهم الدولة الإسلامية ، أو الدول التي ضمتها الخلافة الإسلامية منذ  
ظهور الإسلام .

أما المتفرنجون من دعاة القومية العربية فهم يستمدون تصورهم من غلاة  
القوميين عند مفكري الغرب ، ولا يقيمون وزناً لقديم العرب الإسلامي الذي

حدد شخصيتهم ، ولا يرتبطون بالسمات التاريخية لهذه الشخصية<sup>(١)</sup> .  
وهنا تكمن المشكلة الكبرى لأن القومية العربية أخذت بالاتجاه المغالي  
فظهرت الفكرة المتطرفة ضد كل ما هو إسلامي أو يمت للإسلام بصلة وعانت  
الأمّة من لوثات هذا الاتجاه اللاديني أشد المعاناة ، واصطلت بلظى فكرهم  
المنحرف .

وأسوأ ما في الموضوع أن التفريق بين العروبة والإسلام (لا يستند إلى  
أساس ، فالإسلام هو الذي أعطى للعرب لغتهم ووحدهم عليها وعلى القيم  
التي تضمنها كتابه وسنة رسوله ﷺ ، فالتقت قلوبهم وعقولهم وأمزجتهم  
على ما يحلون وما يحرمون ، وما يحبون وما يكرهون ، وما يستملحون وما  
يستقبحون ، وتوحدت أنماط حياتهم في عباداتهم ، وفي أفراحهم ، وفي  
أحزانهم ، وفي نظمهم داخل بيوتهم وخارجها ، لأنهم في ذلك كله كانوا  
محكومين بالفقه وبالآداب والفنون التي نشأت ونمت وترعرعت في ظل  
الإسلام ، وخضعت لأحكامه ، وتأثرت بقيمه ومزاج شعوبه)<sup>(٢)</sup> .

إن (العروبة بطبيعتها وبحكم نشأتها ونموها وازدهارها والعوامل التي  
ضبطت هذا الازدهار والتطور هي عروبة إسلامية ، وقد ساهم في تطورها  
الحضاري على مدى القرون والأجيال عناصر عربية غير مسلمة ، ولكن  
مساهمتها ظلت في داخل الإطار الإسلامي الذي لم يكن يسمح لأحد  
بالخروج عليه ، ولم تجد هذه العناصر العربية من غير المسلمين غضاضة في أن  
تساهم في بناء هذه الحضارة في الحدود الإسلامية ، لأن هذه الحدود لم تكن

---

(١) الإسلام والحضارة الغربية ، د. محمد حسين ، ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٣١ .



تتعارض مع عقائدهم ، بل إن تخطي هذه الحدود والخروج عليها في أكثر الأحيان هو في الوقت نفسه خروج على حدود دينهم ، وخوض فيما يحرمه ، وكان الإسلام يمنح هذه العناصر كل حرياتنا الدينية ويحظر التضييق عليها ، أو ممارسة أي لون من ألوان الضغط لحملها على ترك دينها والدخول في الإسلام بل كان الإسلام الذي يبيح للمسلم أن يتزوج غير المسلمة يمنعه من إجبارها على ترك دينها واعتناق الإسلام . . . )<sup>(١)</sup> .

ويعود الدكتور محمد رحمه الله للتأكيد على أن العروبة (شخصية معنوية لها وجود تاريخي حقيقي ذو مقومات ثابتة محددة ، لا لبس فيها ولا غموض ، وليست مولوداً جديداً تقترح له المقومات ، وتخترع له الأسس والمبادئ في مصانع دعاة العروبة على اختلاف أجنتهم وزعاماتهم ، ولنسأل أنفسنا في روية يحكمها عقل مجرد من الأهواء ما هو البديل من عروبة إسلامية؟ العروبة لا يمكن أن تكون نصرانية ، ولا يمكن أن تكون يهودية ، لأن المسلمين يكونون الكثرة الكاثرة للعرب ، فهل يكون البديل في البلاد التي تسكنها جماعة من النصارى - قلوباً أو كثروا - هو عروبة في ظل حضارة أجنبية؟ هذا أمر قد أصبح مرفوضاً حتى من الذين ارتضوه بالأمس في ظل الحكم العثماني . . . )<sup>(٢)</sup> .

ويضيف أيضاً قائلاً : (لم يبق بعد ذلك كله من الفروض المحتملة للبديل من العروبة الإسلامية إلا أن تكون العروبة لا دينية ، بمعنى أن تكون مجردة من الارتباط بالقيم الدينية في أي دينٍ من الأديان ، ولتساءل من جديد ماهي

(١) المرجع السابق ، ص ٢٤٥ - ٢٤٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٤٧ - ٢٤٨ .

المزايا التي يمكن أن تحققها عروبة لا دينية ، مما تعجز العروبة الاسلامية عن تحقيقه ؟ .

الشخصية العربية كما رأينا هي شخصية عريقة تضرب عروقها في أعماق التاريخ ، وقد ارتبطت بالإسلام منذ نشأتها ، ونمت وتطورت ونضجت في داخل إطاره ، دون أن يكون في ذلك تعارض مع أصول الأديان السماوية الأخرى التي نبتت من المنطقة ذاتها ، فالإسلام هو الذي أعطى العروبة شكلها الثابت المحدد وجعل لها شخصيتها المتميزة التي يلتقي عندها كل العرب ، لا يختلفون عليها ولا ينكرها أحد منهم أو ينفر منها . . . (١)

و حين نجد العروبة من قيمتها الدينية فسيقع الخلاف والتناحر بين كل الطوائف داخل المجتمع الواحد (وسيحاول فريق من الناس أن يعالج صراع الطوائف والشيع والمذاهب بالدعوة إلى نظم جديدة للمجتمع فيفشلون ، ولا يزيدون على أن يضيفوا للمذاهب القائمة مذاهب جديدة تزيد في احتدام المعركة وفي شدة الصراع ، على أن المسيحيين الذين يخافون على أمنهم وسلامتهم وحریتهم في ظل عروبة إسلامية هم أكثر خوفاً وأبعد عن الأمن في ظل عروبة لا دينية ، لأن الإسلام وحده هو الضامن لمنع انحراف المسلمين إلى عصبية جهولة عمياء تحطم وتعتدي وتظلم ، فالخطر الحقيقي على غير المسلمين من العرب لا ينجم إلا إذا نشأ جيلٌ من المسلمين يجهلون إسلامهم في ظل العروبة اللادينية التي يدعو إليها بعض الناس ، لأنهم قد يتعصبون عند ذلك تعصباً أعمى ينحرف بهم إلى ما كان الإسلام ينهى عنه آباءهم وأجدادهم طوال أربعة عشر قرناً جربوا ذلك في الحكم العثماني من قبل ،

(١) المرجع السابق ، ص ٢٤٨ - ٢٤٩ .

فكانوا أسوأ حالاً في حكم ملاحدة الاتحاديين بعد عزل السلطان عبدالحميد، هذا إلى أن قوام الديموقراطية التي تغنى بها أهل هذا العصر هو نزول القلة على حكم الكثرة، فلماذا تجدد القلة غير المسلمة غضاضة في إقرار الكثرة المسلمة على بناء حياتهم في ظل الإسلام، وعلى هدى منه<sup>(١)</sup>.

بعد ذلك يتوجه رحمه الله بالنقاش والحديث إلى غلاة القوميين العرب فيقول عن تقليدهم الأعمى لأوروبا: (يذكرنا بقصة رمزية قديمة تتحدث عن حمارين، كان أحدهما يحمل ملحاً وكان الآخر يحمل اسفنجاً، رأى حامل الإسفنج صاحبه ينزل إلى الماء فيذيب بعض الملح ويخرج منه أخف حملاً، فخطر له أن يحصل على المزية نفسها بالأسلوب نفسه، فكانت النتيجة على عكس ما توقعه، وخرج من تجربته أثقل حملاً).

إن ما ينفع قوماً قد يضر بآخرين وما يزكو عليه نبات من العناصر والأجواء قد يقتل نباتاً آخر أو يؤذيه، والناس في ذلك - ككل خلق الله - طوائف وأمم يتمايزون في الطبائع والأمزجة وفي أساليب الحياة ووسائل التقدم والرقي، وقد يقتل بعض جماعاتهم ما تصح به جماعة أخرى.

وإذا كانت العروبة ضرورة اقتصادية وحريرية في مجال الصراع العالمي الذي لم يعد فيه مكان للكتل الصغيرة لضعف إمكاناتها ولعجزها عن الدفاع عن نفسها أمام الطامعين، فإن الوحدة الاقتصادية والحربية لا تتم على أساس من الاقتناع العقلي وحده، ولا بد لها لكي تكون وثيقة ودائمة أن تستند إلى إحساس عام مشترك ورغبة صادقة مخلصه في مختلف بلاد العرب وعلى امتداد أوطانهم، وهذا الإحساس العام إنما هو اتجاه عاطفي وتآلف قلبي أولاً

---

(١) المرجع السابق، ص ٢٤٩ - ٢٥٠.

وقبل كل شيء ، فإدراك الفائدة التي تعود على العرب من وحدتهم الاقتصادية أو الحربية أمر قد يدركه رجال الاقتصاد أو رجال الحرب أو خاصة الناس ومفكروهم على وجه العموم ، أما العامة - وهم سواد الناس وكثرتهم - فلا ينساقون إلى الوحدة إلا بدافع من عواطفهم وما استقر في نفوسهم من معتقدات ، وربط العروبة بالإسلام هو وحده الذي يجمع العرب على هذا الإحساس المشترك فيجعلهم يداً واحدة على عدوهم ، وهو وحده الذي يمنح جهادهم صفة الإخلاص والفدائية وطول النفس في المصابرة والجلد على أنه يجب أن نعرف في كل حالة أن الدولة العربية الواحدة ليست هي الصورة الوحيدة للجامعة العربية ، وليس التحريض على بعض النظم العربية وتقسيمها إلى نظم رجعية ، ونظم تقدمية هو السبيل للوصول إلى هذه الجامعة ، بل إن هذه الصورة وهذا الأسلوب يعوق المسيرة ويؤخر الوصول إلى الهدف ، ويقوم في وجهه العقبات في بعض الأحيان ، ولكن اللب والصميم في هذه الجامعة العربية هو الحب المتبادل بإخلاص دون شائبة من ريبة ، أو سوء ظن بين الحكام والشعوب على السواء ، لأن الصراع في أي صورة من صوره لا يفيد إلا العدو ولأن الحب والمحاسنة بين الإخوة هو أقرب الطرق إلى تقويم الاعوجاج وتلافي الأخطاء .

ذلك هو حديث العروبيين الذين يحددون العروبة من الإسلام ، علي اختلاف مذاهبهم واتجاهاتهم ، أما الإسلاميون الذين يسيئون الظن بالعروبة أو القومية العربية ، بدعوى أنها تفتت الوحدة الإسلامية وتشق عصا المسلمين المجتمعين على الإسلام ، فتجعل منهم عرباً وغير عرب ، فلنا معهم حديث آخر .

إن الانحراف الذي صحب الدعوة في أول نشأتها بارتباطها بحضانات أجنبية لا يصح أن يكون مبرراً لمعارضتها الآن ، فظروف نشأتها في ظل دولة إسلامية جامعة للشمل تختلف عن ظروفها اليوم مع تفرق الشمل واختلاف الكلمة ، فإذا كانت هذه الدعوة قد فتت بالأمس في عضد الجامعة الإسلامية ، فهي اليوم - إذا صححت مسيرتها- الخطوة الأولى في الطريق إلى هذه الجامعة ، فالعرب هم أقرب الناس بين المسلمين إلى تحقيق وحدة جامعة بحكم اللغة المشتركة التي تربط بعضهم ببعض من ناحية ، والتي تربطهم بأصول الدين الإسلامي من ناحية أخرى ، وبحكم تجمع دولهم وتلاصقها في حيز مكاني واحد ، لا يقوم بين أجزائه عوائق أو فواصل طبيعية .

وهم بحكم هذا التقارب والتآلف واتفاق العادات والأمزجة أو تقاربها على الأقل مهيوون لأن يكونوا نواة إسلامية صلبة تُشع على العالم الإسلامي من ثقافة الإسلام ، وتحمل من أعباء الارشاد والتوعية والرعاية ماتعجز الدول العربية عن النهوض به ، فالجامعة العربية هي نقطة البدء التي لا بديل عنها في هذه المسيرة الطويلة نحو جامعة إسلامية لا سبيل إليها الآن، مع إنشغال كل بلد من بلاد المسلمين بمشكلاته الخاصة ، ومع ترامي أطراف هذه البلاد ، وانعدام وسائل التواصل بينها بإختلاف لغاتها وبعيد شعوبها -بحكم هذه القطيعة - عن هذه المعرفة الصحيحة للإسلام ذاته الذي يراد جمعهم عليه ، فالوحدة الحقيقية المهيأة أسبابها الآن هي وحدة البلاد العربية ، أما البلاد الإسلامية الأخرى فلا بد أن تسبق وحدتها خطوات أخرى ، أولها نشر اللغة العربية ، التي لا تتم جامعة بغيرها .

إن مقاومة الأخطاء والانحرافات في إدراك حدود العروبة ومقوماتها بالهرب

منها وبمهاجمة العروبة ذاتها هو ضرب من ضروب العجز وضيق الحيلة ،  
والحزم في أن تواجه هذه الأخطاء والانحرافات بتصحيحها وبيان زيفها ،  
وسوف تكون هذه العروبة الإسلامية عند ذاك محط آمال المسلمين جميعاً ،  
ومهوى قلوبهم ، ، لأن الذين يعادونها منهم الآن إنما يعادونها لما غلب على  
لسان زعمائها ومتفلسفيها من فهم عنصري يسقط الإسلام من حسابه حيناً ،  
ويعاديه ويحاربه في كثير من الأحيان بعد أن ترك الإسلاميون لهم الميدان  
يسرحون فيه كما يشاءون دون رقيب أو حسيب (١) .

وصدق والله ، لقد ترك الإسلاميون الساحة لأولئك يصلون فيها  
ويجولون دون مزاحمة من أحد يرفع صوته بكلمة الحق ويدوي بها في وجوه  
البطالين حتى جاء الزمن الذي انطلت فيه الحيلة (على المغفلين من أبناء  
المسلمين ، علمتهم وربتهم المدرسة الغربية ، وانسلخوا من الدين الإسلامي  
إلى العلمانية ، آخذين بالمادية الغربية ، أو المادية الشرقية) .

وضمن شعار الوحدة القومية المقرون بالعلمانية ، مع الدعم  
الاستعماري ، والمكايد الدولية المدبرة ، أقبل المتظاهرون بالانتماء إلى العروبة  
والاعتزاز بها ، المتعصبون سراً لطوائفهم المعادية للإسلام والمسلمين ،  
فتسللوا بالحيلة والمسكنة وأساليب الذكاء إلى مراكز القوة التعليمية والإدارية  
والسياسية والعسكرية ، حتى قبضوا على معظم نواصيها وركبوا أقوى  
ظهورها .

ومن حيلهم أنهم اتخذوا الذين انسلخوا من الإسلام من أبناء المسلمين  
مطايا مرحلية ، فاجتازوا على ظهورهم المسافة من مواقعهم في الصفوف

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٥٢ - ٢٥٤ .

الأخيرة ، إلا مواقع الصفوف الأولى ، فمنصات القيادة ، ضمن جماهير المسلمين المخدوعين بالمطايا .

واستخدمت المكائد الدولية الطائفية المحلية والقوميات لإشعال نيران الثورات والحروب والصراعات ذات النزعات القومية .

ولما وصلت الأقلية الطائفية غير المسلمة إلى مراكز القوة الفعلية ، كشفوا الأقنعة عن وجوههم ، وكشروا عن أنيابهم ، ونبذوا الأكثرية المسلمة ، وفرضوا عليها استعباداً وإذلالاً ، وانطلقوا بجرأة تامة ، وصراحة غير متوارية ، يتفدون رغبات الدول الإستعمارية ، ورغبات الصهيونية ورغبات كل أعداء الإسلام والمسلمين ، وأعداء الشعوب العربية (١) .

ويمكن أن أختتم هذا الفصل بنقل مقاله سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله في نقد القومية العربية حيث يقول : (إن الدعوة إلى القومية العربية أو غيرها من القوميات دعوة باطلة وخطأ عظيم ومنكر ظاهر وجاهلية نكراء وكيد ساخر للإسلام وأهله وذلك لوجوه :

الأول : أنها تفرق بين المسلمين وتفصل بين المسلم العجمي عن أخيه العربي ، وتفرق بين العرب أنفسهم لأنهم لا يرضونها جميعاً .

الثاني : أن الإسلام نهى عن دعوى الجاهلية وحذر منها ، ونهى عن جميع أخلاق الجاهلية وأعمالهم .

الثالث : أنها سلّمت إلى موالاتة كفار العرب وملاحدتهم من أبناء غير المسلمين واتخاذهم بطانة والاستنصار بهم على أعداء القوميين من المسلمين .

---

(١) كواشف وزیوف ، د . عبد الرحمن الميداني ، ص ٢٦٤ - ٢٦٥ .

الرابع : الدعوة إليها والتكتل حول رايتها يفضي بالمجتمع إلى رفض حكم القرآن . (١) .

إذن هذه القومية التي رفضها الدكتور محمد حسين ، وواجهها وواجه دعائها وفند أباطيلهم وآراءهم ، منتصراً للإسلام وأهله .

---

(١) فكرة القومية العربية ، صالح العبود ، ص ٢٦٧ - ٢٦٨ .



## خاتمة

### الباب الثالث

- الحديث عن تلك المذاهب الباطلة التي تعرضنا لها في هذا الباب ، تتشابه تشابهاً كبيراً في جوانب عدة ، يمكن أن أوجزه فيما يلي :
- \* البيئة التي نشأت فيها تلك المذاهب ، كانت بيئة مضطربة وفاسدة ، تموج بالصراعات المختلفة والآراء المتعارضة والانحرافات الخطيرة .
  - \* نشأت تلك المذاهب كردة فعل لتلك الظروف والأحوال المزرية التي عاشتها أوروبا في تلك الفترة المظلمة .
  - \* مؤسسوا ودعاة تلك المذاهب هم ، ممن أثبتت الوقائع والأحداث أتماءهم إلى المنظمات والمؤسسات الصهيونية العالمية ، أو هم ممن تربطهم باليهود روابط مختلفة ، من نسب أو مصاهرة أو موالاة .
  - \* دخول تلك المذاهب إلى العالم الإسلامي كان ثمرة لمؤامرات خسيصة ، اشترك فيها أعداء الأمة الإسلامية مع أتباعهم الذين تربوا في أحضانهم من أبناء المسلمين .
  - \* استخدمت الكثير من الوسائل والأساليب الملتوية ، لإدخال تلك الأفكار والنحل الزائفة إلى بلاد المسلمين .
  - \* وجدت تلك المذاهب دعماً كبيراً من جهات عدة ، تجتمع في غالبها على بغض الإسلام وأهله ، وساعدهم في ذلك واقع المسلمين المرير ، وغفلة

الذين انساقوا خلف تلك الشعارات الضالة والمذاهب المنحرفة ، وخذعوا  
ببها رجاها الزائفة .

\* قامت تلك المذاهب بدورها المشبوه ، فأفسدت حياة المسلمين ، وفرقتهم  
شيعاً وأحزاباً ، وأججت بينهم الصراعات والفتن ، وأضعفت انتماءهم  
للإسلام ، وتسببت في محو سميتهم وشخصيتهم المميزة .

**الباب الرابع**  
**موقفه من قضايا التغريب**

## الفصل الأول

موقفه من تغريب التربية والتعليم

## الفصل الثاني

موقفه من تغريب المرأة

## الفصل الثالث

موقفه من دعاة التغريب

## الفصل الأول

### موقفه من تغريب التربية والتعليم

المبحث الأول : موقفه من تغريب التربية

المبحث الثاني : موقفه من تغريب التعليم

## المبحث الأول

### موقفه من تغريب التربية

يبدأ الدكتور محمد حسين رحمه الله حديثه عن هذا الجانب المهم بقوله :  
(لاشك أن وزارات التربية والتعليم هي أهم هذه المعامل (معامل الدين واللغة)  
والحصون الساهرة على أمن الشعوب وكيانها، لأنها هي المؤتمنة على أئمن ما  
تملك الأمة من كنوز ، وهي الثروة البشرية بما تنطوي عليه من قوى مادية ،  
ومن ملكات عقلية وخلقية ، ممثلة في رجال الغد الذين تشرف على تربيتهم ،  
وهي ثروة تتضاءل إلى جانبها كل كنوز الأرض ، لأن كنوز الأرض لا تساوي  
شيئاً بدونها ، فالعقل هو الذي يستخرجها من مكانها ويحيلها من مادة صماء  
جامدة إلى قوة حية منتجة ، والخلق الديني هو الذي يدفع الناس إلى أعمال  
هذا العقل في الطريق الصحيح وإلى بذل الجهد فيما وكل إليهم من أمور أداء  
الأمانة ، وابتغاءً للعزة والسيادة وإعلاء الحق .

وقد وقع في يدي هذه الأيام كتاب أصدرته الجامعة الأمريكية ببيروت في  
العام الماضي (يوليو ١٩٥٦) يحتوي على محاضرات في نظم التربية ، هي  
سجل لما دار في مؤتمر دعت إليه هذه الجامعة ، واشترك فيه جماعة من كبار  
المسؤولين عن التربية في مصر وفي سوريا والعراق والأردن ولبنان وقد مثلت  
ثلاث من هذه الدول في ذلك المؤتمر الأمريكي بثلاثة وزراء سابقين للتربية  
والتعليم . فمثلت مصر بإسماعيل القباني ، ومثلت العراق بعبد الحميد  
كاظم ، ومثلت الأردن بأحمد طوقان ، والأخيران من تلاميذ الجامعة

الأمريكية الداعية لعقد هذا المؤتمر ، وقد كان العضو الأوربي يشغل عند عقد هذا المؤتمر منصب مستشار لشؤون اللاجئين الفلسطينيين في منظمة الإغاثة الدولية ، أما البلدان الباقيان - سوريا ولبنان - فقد مثلهما رجلان من كبار المسؤولين عن التعليم وهما جميل صليبا عميد كلية التربية في الجامعة السورية ، ونجيب صدقة المدير العام لوزارة التربية الوطنية والفنون في لبنان . وقد اشترك مع إسماعيل القباني في هذا المؤتمر عضو مصري ثان هو حامد عمار الأستاذ في معهد التربية العالي بجامعة عين شمس ، ورئيس قسم التدريب في المركز الدولي للتربية الأساسية في العالم العربي بسرس (الليان)<sup>(١)</sup> .

هذه المقدمة التي بدأ بها الدكتور محمد حسين رحمه الله كانت بين يدي استعراض لما أفرزه ذلك المؤتمر المشبوه من قرارات وتوصيات تهدف إلى هدم التعليم من أساسه والقضاء على أصول التربية الإسلامية قضاءً مبرماً . ويمكن أن نرى جهد الدكتور محمد حسين رحمه الله في التحذير من بعض المفاهيم التربوية ، والوسائل المشبوهة التابعة لها من خلال حديثه عن التربية كالاتي :

### أولاً : التربية من وجهة النظر الغربية :

لا يشك عاقل في أن التربية هي بيت القصيد وقطب الرحا بالنسبة للعلم ، وأن العلم الذي يفتقد إلى التربية يكون وباله على صاحبه وعلى الناس عظيماً ، ولذلك كان لابد أن تصاحب التربية التعليم ، ولمعرفة هذه الحقيقة عند العقلاء قديماً وحديثاً ، كانت العناية باختيار المؤدبين من قبل الخلفاء

(١) حصوننا مهددة من داخلها، د.محمد حسين، ص ٢٠ - ٢٢ .

وغيرهم من وجوه الناس وساداتهم ، بل وتوصيتهم بالأبناء والعناية بهم ،  
قال عمرو بن عتبة لمعلم ولده :

ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك ، فإن عيونهم معقودة  
بعينك ، فالحسن عندهم ما صنعت والقبيح عندهم ما تركت ، علمهم كتاب  
الله ، ولا تكرههم عليه فيملوه ، ولا تتركهم منه فيهجروه ، روههم من  
الحديث أشرفه ، ومن الشعر أعفه ، ولا تنقلهم من علم إلى علم حتى يحكموه  
فإن ازدحام الكلام مشغل للفهم ، وعلمهم سنن الحكماء ، وجنبهم محادثة  
النساء ، ولا تتكل على عذر مني لك فقد اتكلت على كفاية منك<sup>(١)</sup> .

واضح من هذا الكلام الموجه من ذلك الأب إلى مربِّي ابنه أنه يضع له  
أصول التربية التي يجب أن يسير عليها المربون والموجهون .

وفي العصر الحديث كان الاهتمام بالتربية يمثل شيئاً مهماً بالنسبة لرجال  
التربية ، حيث توالى الدراسات والبحوث والمؤتمرات والمراكز التي تعني  
بالتربية وتضع لها الأسس والمناهج والوسائل المناسبة الكفيلة بنشرها في  
أوساط المجتمعات المختلفة ، وكان المنطلق لكل التوجهات المختلفة في إعداد  
الدراسات والبحوث هي البيئة التي يعيشون فيها والدين الذي يعتقدونه ،  
وهو الأمر الذي يمكن أن نعتبره أمراً طبعياً ، ولكن أن تنشأ هذه الدراسات في  
بيئة مختلفة عن بيئتنا ، ولأصحابها ديانات تختلف عن ديننا الحق ، ثم يراد  
لهذه الإفرازات المشوهة أن تطبق في بيئتنا الإسلامية ، وأن نتنازل عن كل  
موروثاتنا وأخلاقنا فهذا هو المستغرب والمستنكر ، وهو ما يخالف المنطق

---

(١) تأديب الناشئين بأدب الدنيا ، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، تحقيق وتعليق محمد إبراهيم خليل ،  
ص ١٢٥ ، طبعة وتاريخ بدون ، مكتبة القرآن ، القاهرة ، مصر .



العلمي في أن لكل بلد ظروفها وبيئتها التي لا يمكن أن تقبل إلا ما يناسب تلك الظروف والبيئة ، ولذلك كان الدكتور محمد حسين قوياً وشديداً على بعض الدراسات التي تبناها بعض أبناء جلدتنا ، والمتسمين بأسمائنا، وقد استعرض رحمه الله بعض مجالات الإفساد في بيئتنا الإسلامية ، وقد قمت بتبويبها كالآتي :

### (١) البيئة الريفية أو القروية :

يمثل الريف أو القرى عادة في كل بلاد العالم المكان المحافظ على المبادئ والقيم والأخلاق باعتباره بعيداً عن المدينة وما بها من تفكك وانحلال .  
وإذا كان الأمر كذلك في كل مكان ، فمن باب أولى أن يكون الريف العربي والإسلامي في مقدمة الأماكن المحافظة في العالم ولذا فقد سعى المتفرنجون لإخراج الريف الطاهر النقي من طهارته ونقاوته إلى خبث حضاراتهم ووبائها العفن وحيث أن كل (الوسائل والأساليب التي يستخدمها الغربيون في هذا الصدد من صحافة ودعاية ومؤسسات علمية أو اجتماعية وسينما وشراء للأقلام والذم وللرجال إلى آخر ما هناك ، كل ذلك لا يصل إلي الريف ولا يتجاوز حدود المدن ، فما الذي صنعه أمريكا لتلافي هذا النقص ، والاحتيايل لدخول الريف الذي عجز التبشير وعجزت الأساليب الاستعمارية العتيقة عن اقتحامه إلى ما قبل الحرب العالمية الأخيرة ؟ اخترعت أمريكا تحت ستار الدولية ، وعن طريق الأمم المتحدة شيئاً اسمه (التربية الأساسية)<sup>(١)</sup> .

ويعرف الدكتور محمد حسين رحمه الله (التربية الأساسية) معتمداً على

---

(١) حصوننا مهددة من داخلها ، د.محمد حسين ، ص ٢٢ .

كلام الذين يمارسون هذه التربية، فيقول [وما هي التربية الأساسية؟ يقول الدكتور حامد عمار في بحثه الذي ألقاه في هذا المؤتمر الأمريكي ( التربية الأساسية منهج من مناهج الإصلاح الاجتماعي لرفع مستوى المعيشة، ويؤكد قيمة العملية التربوية وتغيير الأفكار والنزعات إلى جانب تغيير الأوضاع المادية ]، و يقول في موضع آخر (تسعى التربية الأساسية إلى محاولة تغيير الأفكار والنزعات والاتجاهات، كما تسعى إلى تغيير في الأوضاع المادية في الدائرة التي تلتزمها، ويؤمن دعاة التربية الأساسية أن كل عمل أو مشروع مادي لا بد أن يسبقه ويصاحبه ويتبعه تغيير في تفكير الناس وفي الاتجاهات الفكرية والنفسية، حتى يمكن أن يكون العمل منتجاً إنتاجاً كاملاً...) [١].

ويقول أيضاً رحمه الله: (وواضح أن تغيير الأفكار والنزعات والاتجاهات الذي أشار إليه الباحث يقوم على أسس غربية خالصة، تروج باسم العلم، علم مزعوم لا يستقر له قرار ولا يقطع في ظاهرة برأي يتفق عليه أصحاب الرأي، يسمونه (علم النفس) وواضح أيضاً أن هذا (التغيير) - تغيير الأفكار والنزعات والاتجاهات - لا يبالي أن يخالف الإسلام وتعاليمه في الريف المسلم، لأن القائم على هذا (التغيير) ليس هو مشيخة الأزهر، ولكن القائم عليه هم مجموعة من (الخوارج) يختفون خلف الشخصوس العربية التي تبدو للناظر وكأنها تتحرك بإرادتها، وواقع الأمر أنها لا إرادة لها، وأنها تسير في خطوط مرسومة، وحسب خطط مدبرة، قدرها أناس أقل ما يوصفون به أنهم لا يباليون بالإسلام وتعاليمه، إن لم يكونوا معادين لها يعملون على محوها واستئصالها من نفوس الناس، ولهم في ذلك أساليب خبيثة،

---

(١) المرجع السابق، ص ٢٢ - ٢٣ .

يتسللون عن طريقها إلى قلوب أهل الريف السذج الغافلين ، وسوف لا أصف لك أنا هذه الأساليب ولكنني سأدع العضو الغربي المحترم في هذا المؤتمر الأمريكي يقدم لك صوراً منها بألفاظه كما جاءت في الكتاب الذي بين يدي<sup>(١)</sup>.

### أساليب التربية الأساسية :

(أ) التعرف وهو الخطوة الأولى التي لا بد منها وهدفه :

[ (أن يتحسس العامل الاجتماعي طريقه إلى القرية بصورة عامة وأن يألفه الناس ويألفونه . . . ومن المستحسن أن تكون هذه المرحلة من العمل مرحلة فيها شيء من الاسترخاء وأخذ الأمور بمأخذ غير محدد، إذ إن هذا الهدوء والاسترخاء ضروريان لتأسيس العلاقات الاجتماعية وتنميتها، وبخاصة إذا تذكرنا أن الفلاح سريعاً ما تأخذه الريبة ويتولاه الشك إذا تبين إلحاحاً من غريب عليه في أمر من الأمور . . ثم إنه لا بد من التعرف على قادة القرية الطبيعيين الذين يعتبرون عناصر فعالة في تكوين الرأي العام والتأثير فيه . . . وليس من المهم أن يكون هؤلاء القادة من النوع الذي يرغب فيه المصلح، لكنه لا بد من الاعتراف بهم واستغلالهم).

(وإذا كان التعرف يتطلب الاتصال والزيارة ومبادلة الحديث فإن هذا شرط لازم، وليس بكاف في كثير من الأحيان، وربما كان القيام بعمل إنشائي سريع من أنجح الوسائل لكسب الثقة وتأسيس علاقة طيبة مع الأهلين . . . وقد تبين بالتجربة أن دق طلسم مياها القرية، أو إصلاح خزان المياه بالجامع، أو مقاومة الآفات الحشرية في الزراعة، كان من أقوى العوامل التي وثقت الصلة بين

(١) المرجع السابق، ص ٢٣ .

أهل القرية وبين المشرفين على مختلف جوانب الخدمة الاجتماعية فيها، وأذكر أن زجاجات قطرة العيون كانت من أهم الوسائل التي اكتسبت بها إناث المركز الدولي للتربية الأساسية ثقة نساء القرية).

(ب) مرحلة الدراسة والبحث :

(يقوم فيها المشتغل بميدان التربية الأساسية أو الخدمة الاجتماعية بجمع المعلومات والبيانات اللازمة جمعاً منظماً بحيث تكون معرفته لظروف القرية معرفة لا تقوم على مجرد الإحساس، بل على الاستقصاء للحقائق وتنظيمها، حتى يستعين بها في رسم خطته وتنفيذ برنامجه . . . ومن البحوث المفيدة أيضاً تشكيل مختلف العادات والطقوس التقليدية التي تشكل حياة الريفيين وتعالج كثيراً من نواحي نشاطهم . . . ومن الأمور العملية المفيدة في هذه البحوث الكيفية، الاحتفاظ بمذكرات أو يوميات يسجل فيها الباحث ملاحظاته ومجريات الحوادث وظروف العمل أثناء إقامته في الريف. ولا شك أن مثل هذه المذكرات هي المادة الخام التي تستطيع أن تعتمد عليها في فهم ظروف الحياة الريفية فهماً ديناميكياً يتميز بغنى الواقع وتفاصيل الحياة اليومية) [١].

تلك هي الأساليب الرئيسية في مؤسسات التربية الأساسية، ويبدو من ظاهرها أنها مجرد وسائل نفسية تجريبية بريئة، القصد منها تحسس أحوال أهل القرى والتعرف على مشاكلهم ومتابعة ظروف حياتهم بهدف معرفة كيفية الدخول إلى قلوبهم ومشاعرهم وتخليصهم من حياة الجهل والفقر والعوز، أما حقيقتها غير المعلنة فلها أهدافها الخبيثة ومراميها البعيدة، والتي لا تخرج

(١) المرجع السابق، د. محمد حسين، ص ٢٣ - ٢٥. (بتصرف).

عن الأهداف المعروفة للغزو الفكري والاستعمار الفكري الغربي الذي يسعى لمسح المجتمع الإسلامي وتذويب شخصيته تذويماً كاملاً .

### أهداف مؤسسات التربية :

(أ) جمع المعلومات الدقيقة والمفصلة عن المجتمعات الإسلامية :

يقول الدكتور محمد حسين رحمه الله : (من الذي يشرف على إدارة هذا الجهاز وعلى جمع كل هذه المعلومات والدقائق ؟ هيئة أجنبية ، وليكن اسمها ما يكون ، لتكن هي ( التربية الأساسية) أو (النقطة الرابعة) أو ما شئت من هذه العناوين المختلفة.

هل هناك وسيلة للجاسوسية أضمن وأرخص وآمن من هذه ؟ تجمع الهيئة من سماسرتها ، الخبيث منهم والمغفل ، ما شاءت من المعلومات في هدوء واطمئنان ، دون أن يثير عملها ريبة أحد ، بل إنها تلقى المساعدة الكاملة من الجهاز الحكومي ، وتيسر لها سبل توثيق الصلات بالناس ، وتترك لها الفرص لتعمل في بطن ومهل وفي غير عجلة ، فهم جواسيس في ثياب أطباء ، يؤتمنون على كل أسرار المريض الذي لا يخفي منها شيئاً طلباً للشفاء ، فإذا هذه الأسرار تستغل في الغدر به ، وإذا هي تدرس لاختيار أفعل الوسائل لقتله وأمثل السبل لامتناع ما بقي في عروقه من دم)<sup>(١)</sup> .

(ب) إفساد المرأة الريفية وفرنحتها :

تهدف مؤسسات التربية من ضمن ما تهدف إليه إلى القضاء على حياة المرأة الريفية وتغيير أخلاقها ، بدليل ما نقله الدكتور محمد حسين رحمه الله عن أسلوب الإفساد المتبع لتحقيق الهدف ، حيث يقول أحد أولئك المفسدين

(١) المرجع السابق ، ص ٢٥ .

متحدثاً عن عمل أحد عملائهم ما يلي : (ذهب مبعوث المؤسسة الدولية - أو الأمريكية إن شئت - وهو شاب عربي اسمه ) فؤاد فرج (إلى القرية ليعيش فيها، واستطاع أن يقيم في حجرة من الحجرات المخصصة لإقامة زوار ضريح الست (والمقصود بها هي السيدة زينب رضي الله عنها حفيدة النبي ﷺ)، وأخذ يتلمس طريقه لممارسة نشاطه بعد أن وثق به أهل المنطقة واطمأنوا إليه، فنجح في إدخال بعض التحسينات الزراعية، وقدم ألواناً مختلفة من الخدمات الصحية بمعاونة السكان وتنظيمهم. رش المدينة كلها بمسحوق د.د.ت. للقضاء على الذباب والبعوض، وجفف الشوارع، وأنشأ نادياً للشباب، كما أنشأ دراسات مسائية في القراءة والكتابة للبالغين من الأميين، وكون جمعية تعاونية .

وبعد أن سرد ذلك المفسد ضروب النشاط التي قامت بها هذه المؤسسة الأجنبية ختم وصفه لهذه التجربة بالسطور التالية، التي تدل على الهدف الحقيقي لهذه البعثات قال: [(وفي السنة الماضية بدأ الرجال الذين يعيشون في محيط هذا الرائد- بعد أن تحسن اقتصادهم وصحتهم تحسناً كبيراً نتيجة لجهوده العلمية - يفكرون في حاجات نساءهم، وهذا هو ما ظل فؤاد فرج ينتظره زماناً، وقد أحيل الاقتراح إلى قسم رعاية المنزل بالمؤسسة المسؤولة عن هذا العمل، فأعد برنامجاً للنساء والأطفال يدار من مكاتب قدمتها القرية بلا إيجار).

ثم يعقب على ذلك بقوله: (إن المشروع الذي وصفناه هو جزء من تجربة تشمل اثنتين وستين قرية، يبلغ مجموع سكانها ستة وعشرين ألفاً، وهو مثال

العشرات غيره من الجهود الفعالة المماثلة التي يمكن القيام بها)<sup>(١)</sup>.

لا شك أن أولئك الغزاة لاحظوا أن الريف بعيد عن وسائلهم الخبيثة في تخريب المجتمعات وجرها إلى الرذيلة، ورأوا أن الحياة الريفية بما تمثله من محافظة وأصالة وخلق تقف سداً منيعاً أمام أساليبهم الملتوية، فرأوا أنه لا بد من تحطيم قلعة الريف وحصنه، وهي عفاف المرأة وعفتها، فجعلوها هي الهدف الذي من خلاله يستطيعون إفساد رجال القرية وجيلها القادم، ولذلك كانت وسائلهم وأهدافهم التي ذكرناها سابقاً.

(ج) تخريج جيل من خبراء الاجتماع بعقول أمريكية :

من الأهداف المهمة التي يسعى لتحقيقها الغزاة، العناية بمجموعة من أبناء البلاد التي يخططون لإفسادها، فيقومون باختيار هذه المجموعة وغسل أفكارها وتربيتها على الأسلوب والنمط الغربي في الحياة، ويهدمون كل حسنات النمط الشرقي والإسلامي، مما يجعل من تلك المجموعة أداة طيعة في يد أسيادهم، بل ويصل الأمر لأن يكون أشد انحرافاً وأكثر تهوراً في تطبيق الحياة الغربية على المجتمع الإسلامي، يقول الدكتور محمد حسين رحمه الله عن أسلوب هذا الخبير المستغرب: (يلبس ثياب العرب والمسلمين، ويتسمى بأسماء العرب والمسلمين، ويعمل في حكومات العرب والمسلمين لغير أهداف العرب والمسلمين. ولا يمضي وقت طويل حتى يصبح المشتغلون بشئون الخدمة الاجتماعية وتنظيم الحياة العربية والإسلامية في شتى مناحيها من هؤلاء المتأمركين الذين يفسدون حين يزعمون أنهم يصلحون

---

(١) المرجع السابق، ص ٢٦ - ٢٧ .

ويهدمون حين يظنون ويظن المخدوعون بهم أنهم يبنون ويشيدون<sup>(١)</sup>.

## (٢) تربية الأطفال :

ذكر الدكتور محمد حسين رحمه الله أن سلسلة صدرت عن مؤسسة فرانكلين عنوانها [كيف نفهم الأطفال - سلسلة دراسات سيكولوجية]. وأشرف على هذه السلسلة وقدم لكل كتاب الدكتور عبدالعزيز القوصي المستشار الفني لوزارة التربية والتعليم في مصر. والحديث في هذه السلسلة موجه إلى الآباء والمدرسين حسب ما هو مبين على غلاف كل عدد من أعداد هذه السلسلة، إذ رسم في أعلى الجانب الأيسر كتاب مفتوح، في إحدى صفحاته (الطريق إلى حياة أفضل) وفي الصفحة الأخرى (علم النفس للآباء والمدرسين) ويؤكد الدكتور القوصي هذا الهدف، إذ يقول في تقديم العدد الأول من أعداد هذه السلسلة الذي صدر في مارس ١٩٥٤ م، وأعيد طبعه في أكتوبر ١٩٥٥ م، مما يدل على الرواج الذي تلقاه هذه السموم الأمريكية، يقول في هذه المقدمة: (هذا هو الكتاب الأول في مجموعة من الكتب تهدف إلى توجيه الآباء والمدرسين إلى حياة أحسن من تلك التي يعيشونها. ولا نقصد بالحياة الأحسن أن تكون كذلك من الناحية المادية، وإنما هي حياة أحسن من حيث الأداء لرسالة الأبوة ورسالة التربية).

فالمشرف على هذه السلسلة - وهو من كبار رجال التربية في مصر - يعرف أن هذه المؤسسة الأمريكية تهدف إلى توجيه الآباء والمدرسين، وهو يقر هذا الهدف، وترضى نفسه أن يعين الأموال الأمريكية عليه، وهو يعرف - كما يعرف كل عاقل - أن الناس لا يصعدون فيما يأتون من أعمال إلا عن

---

(١) المرجع السابق، ص ٢٨.



دوافع تدفعهم إلى العمل ، وأن هذه الدوافع مهما تختلف وتتنوع فهي تشترك في أنها تحقق نفع الفرد أو الجماعة التي تنتمي إليها .

فمن الواضح أن الفرد أو الجماعة لا تبذل الجهد والمال إلا فيما يعود عليها بالمنفعة ، فليت شعري ألم يرد على خاطر الأذكياء الذين يشاركون في هذه الأعمال - كتباً كانت أو مقالات أو مؤتمرات - هذا السؤال الذي لا ينبغي أن يغيب على البال : ما هو النفع الذي يعود على هذه المؤسسة ، والذي يدفعها إلى بذل ما تبذله من جهد ومال - إذا لم يكن هذا السؤال قد ورد على أذهان هؤلاء الأذكياء فقد ورد على ذهني ، وأظنه قد ورد على أذهان الكثير من الأذكياء وغير الأذكياء وقد تكون الإجابة على هذا السؤال طويلة ، وقد لا تكون واضحة في أذهان الذين يتساءلون . . . . . ]<sup>(١)</sup> .

بعد هذه المقدمة وتساؤلاتها العميقة من قبل الدكتور محمد حسين رحمه الله يوضح لنا الأهداف التي تسعى لتحقيقها تلك المؤسسات وهي :

( أ ) توثيق الصلات بأصحاب النفوذ وكسب ودهم وولائهم :

وهذا لا يتأتى إلا عن طريق (البذل السخي الذي يقدم في صورة مهذبة جداً، فهو لا يعدو أن يكون أجراً على مجهود قد بذل ، وقد لا يكون هنالك مجهود ، وقد يكون المجهود تافهاً وصورياً ، وقد يكون الأجر مضاعفاً أضعافاً كثيرةً ، ولكن المأجور لا يقول عادة أن الأجر كبير ، وصاحب العمل مهذب رقيق يقدم عطاءه السخي في أدب جم وفي حياء (كأنك تعطيه الذي أنت سائله) - كما يقول شاعرنا العربي القديم زهير<sup>(٢)</sup> .

(١) المرجع السابق ، ص ٣٣ - ٣٤ .

(٢) زهير بن أبي سلمى : ( شاعر جاهلي من شعراء المعلقات ، عاش في الفترة التي سبقت ظهور الإسلام ، شهد حرب داحث والغبراء ، أحد فحول الشعراء المقدمين ، توفي عام ٦٢٧ م ) ، الموسوعة العربية العالمية ، ج ١١ ، ص ٦٥٨ .

ب) (السيطرة على توجيه المجتمع ، عن طريق هؤلاء الأصدقاء من أصحاب النفوذ وعن طريق المخدوعين بأسمائهم ممن يقرؤون ما ينشرون ، والذي ينشرونه ليس باطلاً كله ، بل إن فيه حقاً كثيراً ، بل إن الباطل فيه يلبس ثوب الحق فيصعب على غير الخبير الاهتداء إلى موضوع الخطر فيه ، ولكن بعض الأباطيل عارية لا تخفى ولا تلبس غير أثوابها . . . )<sup>(١)</sup>.

تلك هي الأهداف التي يسعى من خلالها الغربيون والمستغربون تغيير المجتمع وتطويره وفق مفاهيمهم وأفكارهم الخاصة.

وقد نقل الدكتور محمد حسين رحمه الله نماذج مما جاء في تلك السلسلة من أفكار تهدم الخلق وتذهب الحياء ، حيث يقول : [قدم الكتاب مجموعة من الأسئلة في صورة اختبار يساعد الآباء - فيما يزعمه المؤلف - على تبين اتجاه الأبناء الخاص في وضوح وفي جلاء ، وعلى تقدير ما تنطوي عليه تصرفاتهم من خطأ وصواب ، وأثبت المؤلف الإجابة الصحيحة المزعومة على كل سؤال من هذه الأسئلة في ذيل الصفحة ، ومن بين هذه الأسئلة السؤال رقم ٦ ونصه هو : (هل ترى في التعبير السافر عن المحبة ما ينبئ عن ذوق رديء أو ما يثير الحرج) ؟ والجواب الصحيح فيما يزعمه الكتاب الأمريكي هو : (لا) ، والسؤال التالي هو : (هل تعتقد أن المواقف التي تتضمن ناحية جنسية تثير الضحك ؟) والجواب الصحيح الذي أثبتته الكتاب هو : (نعم) .

وجاء في الكتاب أيضاً : (إن الكثير من الآباء اليوم لا يكثرثون للظهور مجردين من الثياب أمام أطفالهم الصغار . وهذا أمر لم يكن يحدث في

(١) المرجع السابق ، ص ٣٤ - ٤٥ ، (بتصرف) .

الماضي إلا نادراً، كذلك أصبحت أبواب الحمامات وغرف النوم تترك مفتوحة أحياناً فيرى الصغار أبويهم وهم يخلعون ملابسهم أو يرتدونها، فإذا كان في وسع الآباء أن يفعلوا ذلك بصورة طبيعية ودون شعور بالحرج أو الاضطراب فإن ذلك يكون مراناً طبيعياً، لأنه يعود الطفل على الشعور بأن الجنس ليس أمراً مشيناً، كما يساعد على إشباع فضوله فيما يتعلق بأجسام الكبار).

كما جاء فيه أيضاً: (إذا حدث التجريب في النواحي الجنسية في الفترة الواقعة بين سن ٨-١٢ فمن المحتمل أن يقع بين أفراد الجنس الواحد، إذ نجد الصبية مثلاً يعرضون أعضاءهم التناسلية بعضهم على بعض، ويعتبر ذلك محاولة من الطفل لتحديد مدى مشابهته أقرانه، كذلك قد يلجأ البعض إلى ممارسة العادة السرية - كمحاولة لتخفيف ما يشعرون به من توتر جسيمي انفعالي - ومرة أخرى نقول: (إن هذا السلوك لا يعتبر غير طبيعي، ولا يدمغ الطفل بالشذوذ أو الإجرام أو الانحراف، كما أنه لا يستدعي عقابه أو تهديده إنه سيصاب بأمراض خبيثة، ولا يتطلب محاضرات خلقية تلقى عليه، كما لا يبرر نبذه وتحقيره).

وجاء فيه أيضاً: (فبدلاً من فصل البنين عن البنات يجب علينا أن نعمل على إشراكهم معاً في الأعمال الممتعة ومواقف اللعب، وأن نحاول مساعدتهم على تكوين مشاعر طبيعية مريحة نحو أفراد الجنس الآخر، وعلى الآباء تشجيع أطفالهم على المساهمة في نواحي النشاط المشتركة بين البنين والبنات مما تشرف عليه المدرسة والجمعيات الرياضية أو المراكز الاجتماعية، فهذا النشاط المشترك ليس (مواعيد غرامية) بل هو فرص لاشتراك البنين مع البنات في متع الرياضة وركوب الخيل أو الدراجات والسياحة وغير ذلك،

وإذا حدث (استلطاف) بعض البنين والبنات فينبغي النظر إليه على أنه نوع من الصداقة وليس (غراماً) أو (عشقاً) والمعاكسات البريئة التي من نوع (مراد وسهير صديقان حميمان) قد تبعث في صداقتهما دفئاً كانا يفتقران إليه ، وقد تولد فيهما الشعور بأننا نتوقع منهما أن يسلكا مسلك الكبار) .

وجاء أيضاً: (إن خروج الفتيات في صحبة الفتيان من الأمور الطبيعية التي يستطيع معظم الآباء تقبلها - في الوقت المناسب على أي حال - باعتبارها جانباً من جوانب النمو الجسمي للمراهق) .

وجاء أيضاً: (في كل علاقة تقوم بين فتى وفتاة يشعر كل منهما في بعض الأحيان بدافع يحفزه إلى التعبير عن حبه وتقديره للآخر بلمسة أو ضغطة على يد أو قبلة ، والرغبة في الكشف عن هذه المشاعر بهذه الطريقة أو الاستجابة لها أمر طبيعي) .

وأخيراً يقترح مؤلف الكتاب برامج للدراسة في مراحل التعليم المختلفة ويضع تحت كل برنامج من هذه البرامج ما يرى أنه خليق بالدراسة ، ومن بين ما يراه خليقاً بالدراسة في برنامج (المواد الاجتماعية) ص ١٠٤ : (المعايير الخلقية والأخلاق الحديثة ، وأساليب المجتمع في تقرير الخطأ والصواب) و(المركز الاقتصادي والقانوني للمرأة وكيف تأثر بتغير الظروف الاقتصادية في المجتمع وآثار هذا التغير على حياة الأسرة والزواج) .

ومن بين ما يقترحه المؤلف في برنامج (العلاقات العائلية) : كيف تعرف أن ما تشعر به هو الحب؟ كيف تختار رفيق حياتك؟ فترة الخطوبة العلاقات السابقة على الزواج . . . إلخ) . ومن بين ما ذكره تحت عنوان: (النشاط غير المنهجي) ، في بيان أهداف البرنامج وأساليبه: (والغرض منها مساعدة

الطلاب والطالبات على تنمية علاقات طيبة، وهي تتضمن: أندية الشباب - صحيفة المدرسة - جمعيات الهوايات والميول - التمثيليات - مجالس إدارة الطلبة - حفلات السمر والرقص).

وجاء فيه أيضاً: (فمن حق الآباء أن يهتموا بمدى كفاءة الذين يقومون على تعليم أبنائهم وبناتهم الأمور الجنسية، فهم يريدون مدرساً يستطيع تزويد التلاميذ بنظرة عامة عن الزواج والتكيف الجنسي، وقد يشعر البعض منهم أن خير من يستطيع ذلك هم المتزوجون والمتزوجات، ولكن ليس هناك ما يدل على أن هذا شرط ضروري، وإن كان له بعض المزايا).

فإذا لم تنفعك كل هذه النماذج فهناك نموذج من كتاب آخر أصدرته مؤسسة فرانكلين نفسها وأشرف على إخراجه وقدم له الدكتور القوصي أيضاً حين كان عميداً لمعهد التربية العالي للمعلمين بجامعة عين شمس، واسم الكتاب هو (كيف تتكامل الشخصية).

وجاء في هذا الكتاب أيضاً: (إن جميع الحاجات الإنسانية سواء كانت عضوية ينبغي إشباعها للإبقاء على الحياة، أم اجتماعية يقتضي إشباعها أيضاً تتضمن عيشة راضية، أو جنسية تشتمل على الحاجتين - الاجتماعية والعضوية - كلها ما هي إلا قوى دافعة إلى النشاط، تحض على العمل بدلاً من مجرد التطلع أو التفكير فيه، وكلنا نعرف أنه عندما تستيقظ حاجة ما، سواء أكان نشاطها شعورياً أم لا شعورياً، فإننا نحس بحالة من التوتر، وأن هذا الشعور يفقدنا الهدوء والراحة، ويستفزنا للعمل على الحد من شدة هذا التوتر أو التخلص منه كلية، وعندئذ نعود إلى الهدوء مرة أخرى، أي أنه إذا ما تم إشباع حاجة من حاجتنا زال التوتر، وهذا القول يصدق على جميع الحاجات البشرية).

وجاء أيضاً تحت عنوان (المشاعر الجنسية مشاعر طبيعية): (ولنصور المسألة الآن تصويراً واضحاً، إن الطبيعة الجنسية ليست بالشيء الشاذ أو المشوه، بل إنها الحياة الجنسية التي تقوم عليها الأسرة، تلك الأسرة التي تعتمد عليها ثقافتنا، والشيء الطبيعي الصائب أن يحب الفتیان الفتيات وأن تحب الفتيات الفتیان. والواقع أن أغلب المشكلات التي هي مصدر لشقاء شباب العقد الثاني من العمر ومن يكبرهم من إخوة وأخوات يمكن ردها إلى الثقافة والمدنية التي نعيش فيها، أو على الأقل يمكن أن نقتفي أثرها في الاتجاهات السائدة في هذه الثقافة أو المدنية، وإنها حقيقة على جانب عظيم من الأهمية أن الثقافات التي يتعلم النشء في ظلها الحقائق الجنسية في سن مبكرة وبطريق عرضي بحيث لا يكتنفها إبهام أو غموض لا يتعرض الأطفال ولا الشباب فيها لتلك المشكلات المألوفة في حياتنا وحياة أصدقائنا). ثم يقول بعد ذلك: (فالشوق إلى القبله أو بعض الغزل الرقيق أو الإنصات إلى قصة فيها تلميحات جنسية - كل هذه ليست أموراً شائنة، فليهدأ الشباب بالأى، فليس كل ما يدور حول الجنس يدخل في باب المحرمات، ولعل كثيراً مما نكتبه كان ضحية سوء التوجيه).

هذه نماذج من الآراء التي يشرف المستشار الفني لوزارة التربية والتعليم على ترويجها، فهل تجد فيها الكفاية لتعليل بعض ما يجري من حولنا في هذه الأيام؟<sup>(١)</sup>.

لا شك أن هذه الأفكار والنظريات التي تفشت في دراسات وكتب الكثير من التربويين المستنيرين كما يسمون أنفسهم كانت بمثابة كاسحات الألغام أمام

---

(١) المرجع السابق، ص ٣٥ - ٣٩.

ما نراه اليوم من تهافت أخلاقي وانحطاط في القيم والمثل العليا التي كانت تحكم مجتمعاتنا الإسلامية قروناً طويلة ، ونحن نعلم جيداً أن تلك الأخلاق والقيم منعت عنا ويلات الحضارة المادية المختلفة كشيوع روح الأنانية وتفكك الأسر وانتشار العلاقات المحرّمة والأمراض الخبيثة المعدية وكانت بعد الله تعالى حصناً واقياً من تلك الشرور والآفات.

ويبدو واضحاً من اختيار الفئة التي تتحدث عنها الدراسة وكذلك أسلوب الكتابة المغلف بالأبحاث العلمية الزهية تبدو فيه البساطة والمنطقية ، وأهم من ذلك التدرج والبطء في نشر الإباحية والمجون ، حتى لا يقابل ما يعرضونه بهجوم شديد يلفت أنظار المجتمع مما يؤدي إلى رفضه ومقاومته ولقد كنت حقيقة أقرأ هذه النماذج التي يستعرضها الدكتور محمود حسين رحمه الله فأعجب لذلك المستوى الهابط الذي وصل إليه مدعو العلم والتحضر وأعجب أكثر من الذين ولدوا ونشأوا في بلاد المسلمين ودانوا بدينهم ومع ذلك يصبحون مطايا وأبواق لأعدائهم الذين استغفلوهم بوعي منهم أو بغير وعي ، ولكن لم يزل التاريخ يسجل لنا أسماء لعملاء وخونه ومرترقة باعوا دينهم بعرض من الدنيا قليل زائل فبئس ما يفعلون.

وأعود إلى الدكتور محمد حسين رحمه الله الذي رد على تلك الأفكار والدراسات رداً علمياً منطقياً ، قال رحمه الله : إن (هذه الدعوات وأمثالها مما ننزعج له لأنه ينافي الدين والخلق القويم ، ومما نسميه نحن بذاءً وفجوراً ، ويسميه أصحابه (علماء) ويضعونه تحت عنوان جميل اسمه (علم النفس) ، ويغوون الناس باسم العلم فيما فشل فيه التبشير والدعوات الهدامة طوال قرن من الزمان . نعم ، هذا البذاء وهذه الدعوة السافرة إلى هدم الخلق ونقضه ،

والقضاء على الحياء الذي لا يقوم بغيره مجتمع ولا خلق ولا دين، وإشاعة الفاحشة بين خلق الله، تسمى عند الأمريكيين وسماستهم (علماء).

فقد كتب بالخط الفارسي الجميل على غلاف هذا الكتاب وعلى غلاف هذا الكتاب وعلى غلاف كل كتاب من كتب هذه المجموعة - وهي على اختلافها تشترك في الكلام عن الجنس والاهتمام به - (سلسلة دراسات سيكولوجية) والسيكولوجيا هي ما يترجمه الذين رزئت بهم هذه الأمة بـ(علم النفس).

وعلماء النفس هؤلاء يبنون قواعدهم وقوانينهم على تجارب مهما يظنوا بها الدقة فهي معرضة للخطأ من نواح كثيرة ومهما يظن الناس بها الأمانة فهي معرضة للتحييز، ولأن تكون أداة في يد أصحاب المذاهب السياسية والاقتصادية والدينية.

إذ من الواضح أن هذه التجارب - مهما ادعى أصحابها شمولها - هي غير شاملة لأفراد الجنس الذي تجرى عليه.

ثم إن نجاحها بعد ذلك يتوقف في كثير من الأحيان على صراحة الأفراد المستجوبين وصدقهم، وعلى أمانة الباحثين وبعدهم عن التحييز، وصحة إدراكهم لدلالات ما يشاهدون وما يحسون، وعلى توافر كل ما يستلزمه الحكم الصحيح من شروط، ومهما يحرص صاحب التجارب النفسية والاجتماعية على التنوع وعلى الشمول في اختيار الذين يُجرى عليهم تجاربه، فليس هناك وسيلة للقطع بأن الأفراد الذين جرت عليهم التجارب أو الإحصاءات يمثلون الجنس الذي يتمون إليه تمثيلاً صحيحاً.

ثم إن هذه التجارب محدودة بحدود الزمان والمكان، فهي تمثل جيلاً من



الجنس الذي تجرى عليه التجارب وليس هناك ضمان لصحة الحكم المستنبط بالقياس إلى الأجيال السابقة أو اللاحقة ، لأن الحكم الذي يصلون إليه هو في أكثر الأحيان خاضع لظروف معينة مرتبطة بالمكان والزمان والملابسات .

ومن الأهمية بمكان في مثل هذه البحوث أن نتأكد من نزاهة الباحث وأنه غير مسخر لخدمة مذهب معين من المذاهب السياسية أو الدينية فإذا استوثقنا من ذلك كله بقي أن نستوثق من أنه غير واقع تحت تأثير آراء معينة تحيد به في تجاربه وفي استنباطه عن الحق ، وأنه قد التزم الدقة والأمانة واعتصم بالصبر والأناة في هذه التجارب .

من أجل ذلك كثرت مذاهب النفسيين والاجتماعيين وتعددت آراؤهم ، وأصبح كل فريق منهم ينكر آراء الآخرين أشد الإنكار ويسفهاها أشد التسفيه ، فما أكثر ما نشاهد بين النفسيين الاجتماعيين من خلاف ، وما أعظم ما نجد بين مذاهبهم من تفاوت يبلغ حد الطرفين المتناقضين في كثير من الأحيان .

والواقع أن بحوث النفس والاجتماع ليست علوماً بالمعنى الدقيق كما يتوهم كثير من المخدوعين بها ، وجل ما توصف به أنها فروض علمية يحاول مفترضوها أن يعللوا بها بعض الظواهر النفسية والاجتماعية .

ولو عرف هؤلاء المخدوعون ما تتعرض له من تغير دائم لا يستقر ، لعلموا أن من المجازفة الخطرة الهدامة أن نترك نصوص الدين الثابتة المسلمة إلى هذه الفروض المتغيرة التي ينقض بعضها بعضاً ، وأن كل سند أصحاب هذه الدعاوى النفسية والاجتماعية الشاردة هو الظن الذي أضل من قبلهم من الكافرين ، والذي وصفه الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم بأنه لا يغني عن الحق شيئاً .

وحقيقة الأمر في ذلك كله أن العقل ليس هو الأداة الصحيحة لبحث المسائل النفسية كلها، لأن النفس تدخل في عالم الغيب الذي لا يخضع لحاسة من الحواس، ولأن تقرير الخطأ والصواب في علم الأخلاق يحتاج لمعرفة العلة الأولى والهدف الأخير، ونحن لا نعرفهما من في هذه الحياة الدنيا أو فيما وراءها. من أين جئنا وإلى أين نصير؟ وهل ذلك الذي يبدو ضاراً في اللحظة الراهنة يمكن أن يكون نافعاً في مستقبل الزمان قريبه أو بعيده - والقرب والبعد في الزمان مسألة نسبية - وهل يمكن أن ندرك وجهاً من وجوه النفع فيه لو أتيت لنا معرفة ما غاب عن علمنا من بعض الظروف الملازمة له في الماضي أو الحاضر أو المستقبل؟.

(وقصة العبد الصالح مع موسى عليهما السلام في سورة الكهف من أروع الأمثلة لتصوير هذا القصور البشري في إدراك الخير والشر).

هذا إلى أن عجز الحواس البشرية أصبح شيئاً محسوساً ملموساً تؤيده التجربة العلمية الآن، فالعين البشرية مثلاً ينحصر مدى إدراكها فيما بين الموجات الضوئية التي طولها ٧ . . . . . و. ، والموجات الضوئية التي طولها ٤ . . . . . و. من الستمتر، وهي الموجات المحصورة بين اللون الأحمر واللون البنفسجي، وهي لا تدرك بعد ذلك شيئاً مما فوق البنفسجي، ولا تدرك شيئاً مما تحت الأحمر وقل مثل ذلك في حاسة السمع وفي سائر الحواس، وإذا ثبت قصور الحواس فقد ثبت قصور التفكير البشري المبني على مشاهدات هذه الحواس.

فالتجارب والإحصاءات إذن ليست هي الوسيلة الصحيحة الحقيقية في مذاهب الناس وسلوكهم، لأنها محددة بحدود الزمان والمكان والحواس،

ولذلك لم يكن هناك مندوحة من الاستناد في التنظيم الاجتماعي والتقنين التربوي الخلقى إلى الشرائع السماوية، لأن موضوعها هو هذا التنظيم وجمع الناس عليه.

أما العقل فميدانه المسائل المادية الخالصة كالهندسة والكيمياء، ولكل ما اصطلح الغربيون في هذا العصر على تسميته بـ (Science) لذلك لم تترك الشرائع والأديان السماوية إلا ما يدخل في عالم الغيب مما يتصل بالسلوك الذي يترتب على إدراك الخير المطلق والشر المطلق، لأن العقل البشري عاجز بطبيعة تكوينه عن إدراكه، ولو أخذ فيه لخطب في أودية من الظن والوهم الذي لا يستند إلى دليل، ولاختلف الناس فيما بينهم اختلافاً شديداً لا يجتمعون معه على رأي ولا يلتقون عند غاية.

وقد ترك الدين بعد ذلك للعقل أن يسرح ويمرح كيف شاء فيما هو صالح له من ميادين البحث والمعرفة، فلم يأت نبي من أنبياء الله بنظريات في الهندسة أو في الطبيعة أو الكيمياء - إلا ما يكون من ذلك على سبيل إظهار المعجزة - لأن ذلك من شأن العقل، وهو مهياً له.

أما ما وراء ذلك من عالم الغيب الذي لا يخضع لمشاهدته وحسه فهو خارج عن حدود طاقته وقدرته بحكم فطرته التي فطره الله عليها، وذلك هو معني قوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ (الأنبياء: ١٠٧) لأن الله سبحانه وتعالى حين علم عجز العقل وقصوره أرشدنا فيما هو خارج عن حدوده إلى ما فيه صالحنا رحمة بنا، وذلك أيضاً هو السبب في جعل التسليم لحكمة الله والانقياد لأوامره ولزوم حدوده هو الأصل في التدين وهو الخطوة الأولى فيه: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ (آل عمران: ١٩).

والمثل المضروب لذلك في القرآن هو قصة أبينا إبراهيم، إذ أمر أن يذبح ابنه فانقاد للأمر هو وابنه دون أن يعرفا وجه الحكمة فيه أو يسألا عنه، فحققا بذلك ما أراد الله سبحانه من اختبارهما: ﴿فلما أسلما وتله للجبين \* وناديناه أن يا إبراهيم \* قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين﴾ (الصفات: ١٠٣ - ١٠٤).

جمع الدين الناس على قيم الخير ومثله، وهي قيم موحدة متفق عليها، ثم جاء هؤلاء الباحثون باسم علم النفس والاجتماع ففرقوا الناس ومزقوا وحدتهم وشككواهم في قيمهم، ثم لم يستطع واحد منهم أن يقدم البرهان الحاسم على صدق مذهبه، فماج بعض الناس في بعض، وبغى بعضهم على بعض، وأصبح العلم والمعرفة عامل فرقة وفساد وانحلال بدل أن يكون عامل سعادة ووثام، وأصبح كل مجرم لا يعدم سندا له في تبرير دوافعه إلى الإجرام من قواعد علم النفس المزعوم، الذي يتعقب كل ما أجمعت الأديان والأخلاق على أنه فضيلة بالنقص والتسفيه، وكأن وظيفته هي تسفيه الفضائل وتبرير الجرائم.

وليس يفهم من ذلك أننا ندعو إلى مصادرة البحوث النفسية والاجتماعية والأخلاقية، فذلك ما لا يدعو إليه عاقل يؤمن بنعمة العقل والتفكير، ولكن الذي ندعو إليه هو أن ندرك حق الإدراك مدى طاقتنا العقلية والفكرية، فنقيد أنفسنا في هذه البحوث وأمثالها مما يتصل بعالم الغيب - والتقنين الخلقي جزء منه - بقيود الدين، نلتزم حدوده ولا نتكبر الطريق حتى لا نتعرض للضلال والهلاك.

فنحن إذن لا نعطل العقل، ولكننا نحفظه من الضلال، ونلزمه أصول

وقواعد هي كالسور الذي يعصم السالك في الظلام من الترددي في الهاوية ،  
وهي مثل قوانين المنطق التي لا يعتبر التزامها حداً للتفكير ولكنه عصمة له ،  
وهي مثل الدستور الذي لا يعتبر تقييد المشرعين به في كل ما يشرعون حداً من  
سلطتهم ولكنه ضمان لهذه السلطة أن تزيح عن القصد عن علم أو عن غير  
علم.

ونحن إن احتجنا إلى الاستفادة من خبرة الغرب وتفوقه في الصناعات  
الآلية التي كانت سبباً في مجده وسيادته ، فمن المؤكد أننا في غير حاجة إلى  
استيراد قواعد السلوك والتربية والأخلاق التي تدل الأمارات والبوادر  
على أنها ستؤدي إلى تدمير حضارته والقضاء عليها قضاءً تاماً في القريب  
العاجل ، إننا نحتاج إلى مواد البناء ، لأن لدينا من عوامل الضعف والهدم ما  
يكفي.

ومع ذلك كله تجد فينا من لا يصغون السمع إلى صوت الدين ، وهم  
يلحدون في آيات الله فيميلون بها عن وجهها حيناً ويحاولون فيها أشد  
المحاولة حيناً آخر ، ولكنهم يخضعون لهذه المزاعم الداعرة ويرونها فوق  
النقاش والمرء.

هؤلاء قوم لا تقوم عندهم الحجة بالقرآن ، ولكنها تقوم بهذه الظنون  
والأوهام ، فإذا عارضتهم بالثابت من قول الله سبحانه وتعالى - وهم  
يزعمون أنهم مسلمون - لووارؤوسهم وقالوا : نحدثك في العلم وتحدثنا في  
الدين ؟ كأن هذه الأوهام أثبت عندهم من القرآن ، أترى فرقاً بين هؤلاء ، وبين  
أم قد خلت من الضالين يقولون إذا ذكروا بآيات الله ﴿ قد سمعنا لو نشاء لقلنا  
مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين ﴾ (الأنفال : ٣١) ﴿ ليحملوا أوزارهم

كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون ﴿ (النحل : ٢) ﴾<sup>(١)</sup>.

بعد هذا الاستعراض والنقاش الواعي من الدكتور محمد حسين يرحمه الله، أود الآن أن أنقل بإيجاز شديد بعض ما كتب حول المفهوم الحقيقي للتربية من وجهة النظر الإسلامية التي تعطينا الصورة الصحيحة والمثالية لما يجب أن تكون عليه التربية الحققة.

ثانياً : التربية من وجهة النظر الإسلامية :

لا يمكن أن تصلح المجتمعات البشرية (إلا بتربية النفس والجيل والمجتمع على الإيمان بالله ومراقبته والخضوع له وحده، ومن هنا كانت التربية الإسلامية فريضة في أعناق جميع الآباء والمعلمين، وأمانة يحملها الجيل للجيل الذي بعده، ويؤديها الربون للناشئين، وكان الويل لمن يخون هذه الأمانة وينحرف بها عن هدفها أو يسيء تفسيرها، أو يغير محتواها)<sup>(٢)</sup>.

ولعل من نافلة القول أن أقول أن البشرية في أمس الحاجة الى الإسلام بعد أن جربت النظريات الحديثة والأفكار البشرية، فزاد شقاؤها وطال عناؤها، وذلك لأن الإسلام (هو المنهج الرباني المتكامل، المواتي لفطرة الإنسان، والذي أنزله الله لصياغة الشخصية الإنسانية صياغة متزنة متكاملة، وليجعل منها خير نموذج على الأرض، يحقق العدالة في المجتمع الإنساني، ويستخدم ما سخر الله له من قوى الطبيعة، استخدماً نيراً متزاناً، لا شطط فيه

(١) المرجع السابق، ص ٣٩ - ٤٤ .

(٢) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبد الرحمن النحلاوي، ص ١٨، بدون طبعة وتاريخ دار الفكر بيروت - لبنان .

ولا غرور، ولا أثره ولا استثثار، ولا ذل ولا خضوع<sup>(١)</sup>.

(١) خصائص التربية الإسلامية :

المنهج الإسلامي في كل جزء من جزئيات الحياة التي نعيشها منهج متكامل متوازن له خصائصه أو سماته التي تميزه عن غيره من المناهج الأرضية الباطلة. والتربية الإسلامية هي جزء من هذا الشمول الكامل الذي يميز الإسلام عن غيره، ولها منهجها المستقل، ولهذا المنهج سمات تبين روعة الإسلام وكمال نظرته) فالتربية من وجهة نظر الإسلام (عملية تتعلق قبل كل شيء بتهيئة عقل الإنسان وفكره وتصوراته عن الكون والحياة وعن دوره وعلاقته بهذه الدنيا وعلى أي وجه يتتفع بهذا الكون وبهذه الدنيا، وعن غاية الحياة المؤقتة التي يحيها الإنسان، والهدف الذي يجب أن يوجه مساعيه إلى تحقيقه. وقد قدم الإسلام هذه الأفكار كلها في منظومة من التصورات مترابطة، متينة البنيان.

كما قدم لنا العقائد التي يجب على الإنسان أن يؤمن بها، لكي تحرك في نفسه الأحاسيس والمشاعر، وتغرس العواطف الجديرة بأن تدفعه الى السلوك الذي نظمت الشريعة له قواعده وضوابطه، السلوك التعبدي الذي يحقق الهدف الذي خلق من أجله الإنسان، سواء أكان هذا السلوك فردياً، أم جماعياً.

فالجانب الإيماني الاعتقادي من الدين يقدم لنا أساساً راسخاً من العقيدة الثابتة والتصورات الواضحة المترابطة، والأهداف النيرة، والحوافز الدافعة إلى السعي، الباعثة على بعد الأمل والتفاؤل والجد والوعي.

(١) المرجع السابق، ص ١٩.

والجانب التشريعي يقدم لنا قواعد وضوابط نقيم عليها سلوكنا وننظم بها علاقاتنا بل هو الذي يرسم لنا خطة حياتنا وسلوكنا والجانب التعبدي هو سلوك المسلم الذي يحقق به كل تلك التصورات والأهداف والضوابط والأوامر الشرعية.

وعملياً التربية هي تنمية شخصية الإنسان على أن تتمثل كل هذه الجوانب، في انسجام وتكامل، تتوحد معه طاقات الإنسان وتتضافر جهوده لتحقيق هدف واحد تتفرع عنه وتعود إليه جميع الجهود والتصورات وضروب السلوك، ونبضات الوجدان<sup>(١)</sup>.

ويمكن أن نجمل خصائص المنهج الإسلامي بناءً على ذلك، كما يقول الأستاذ محمد قطب في الأمور التالية :

أ) الشمول والتكامل.

ب) التوازن.

ج) الإيجابية السوية .

د) الواقعية المثالية<sup>(٢)</sup>.

(٢) الوسائل والأهداف :

رأينا أهداف ووسائل أصحاب التربية الأساسية وكذلك أصحاب الدراسات النفسية الحديثة، وسوف نرى هنا نظرة الإسلام للوسائل والأهداف. يقول الأستاذ محمد قطب: (هل العبرة في مناهج التربية بالوسائل أم بالأهداف؟

(١) المرجع السابق، ص ٢٧ - ٢٨ .

(٢) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ص ٣٣، ط ١٤، ١٤١٤ هـ، دار الشروق، القاهرة، مصر .



إن بعض الوسائل على الأقل يتغير من عصر إلى عصر، ومن جيل إلى جيل.

ثم إن الوسيلة الواحدة يمكن أن تخدم أهدافاً عدة، أو لا تخدم هدفاً على الإطلاق! . . . . .

وهكذا كثير من الوسائل لا يحكم بذاته على منهج، ولا يبين الطريق، ولكن هذا ليس معناه أن نهمل الوسائل ونسقطها من الحساب كلاً. فالوسائل هي أدواتنا الوحيدة لتحقيق ما نؤمن به من الأهداف، وينبغي العناية الكاملة بها، في بحثها واختيارها، إذ الوسيلة الفاسدة تضيع الهدف الصالح وتعيد عن الطريق.

ومن ثم فالوسائل والأهداف ترتبطان ارتباطاً كاملاً في مناهج التربية . . . لا تفترقان. لا يمكن تقديم الهدف من غير الوسيلة التي تؤدي إلى تحقيقه، ولا يمكن تقديم الوسائل بمعزل عن الأهداف.

ومنهج التربية الإسلامية منهج متميز متفرد في وسائله وفي أهدافه بشكل ظاهر يلفت النظر، ويدعو إلى التفكير في مصدر هذه العقيدة التي تفردت على مدار التاريخ.

ولا شك أن التقاء عرضياً يحدث بين الإسلام وغيره من مناهج التربية ومناهج الحياة، سواءً في الوسائل أو الأهداف. ولكن هنالك حقيقة تظل قائمة بعد ذلك، هي أن البشرية لم تعرف في تاريخها كله نظاماً بهذه السعة وهذا الشمول وهذه الإحاطة، بحيث لا يند عنه شيء في حياة الإنسان ولا لحظة من حياته، لا تقع في محيط منهاجه الشامل الدقيق، وتظل له مزية أخرى فوق ذلك: هي أن هذه السعة وهذه الإحاطة لا تخرجان به عن وحدة

الهدف ووحدة الطريق ، فهو ليس طرائق قدداً كل منها يؤدي غاية منفصلة ، ويجذب النفس في اتجاه ، فتمزق بين الشد والجذب ، وإنما هو طريق واحد وغاية واحدة ، تجمع كل شتات النفس وتوحيدها ، فتستقيم على النهج ، وتتجمع على الغاية ، فتلتقي النفس من داخلها في سلام بعضها مع بعض ، وفي سلام من خارجها مع الكون والناس والحياة.

ومنذ اللحظة الأولى يحس الإنسان بذلك التفرد . فبينما تلتقي مناهج التربية الأرضية كلها تقريباً على هدف مشابه ، وإن اختلفت في وسائل تحقيقه متأثرة بالبيئة والظروف التاريخية والاجتماعية والسياسية . . . الخ ، نجد الإسلام منذ البدء مفترقاً عنها في هذا الهدف ، مغايراً لها في الاتجاه . تلتقي مناهج التربية الأرضية على أن هدف التربية هو إعداد (المواطن الصالح) .

وتختلف الأمم بعد ذلك في تصور هذا المواطن وتحديد صفاته . فقد يكون هو الجندي الشاكي السلاح ، المتأهب في كل لحظة للوثوب سواء لعدوان أو لرد العدوان ، وقد يكون هو الرجل الطيب المسالم الذي لا يحب الاعتداء على أحد ولا اعتداء أحد عليه ، وقد يكون هو الناسك المتعبد الذي يهجر الحياة الدنيا وينصرف عن صراع الأرض الكريه . وقد يكون هو العاشق لوطنه المجنون بعنصريته . . . وقد يكون . . . وقد يكون . . . ولكنها تشترك كلها في شيء واحد : في إعداد (المواطن الصالح) .

أما الإسلام فلا يحصر نفسه في تلك الحدود الضيقة ، ولا يسعى لإعداد (المواطن) الصالح ، وإنما يسعى لتحقيق هدف أكبر وأشمل ، هو إعداد (الإنسان) الصالح .

الإنسان على إطلاقه ، بمعناه الإنساني الشامل ، الإنسان بجوهره الكامن في أعماقه ، الإنسان من حيث هو إنسان ، لا من حيث هو (مواطن) في هذه البقعة من الأرض أو في ذلك المكان.

وذلك معنى أشمل ولا شك من كل مفهوم للتربية عند غير المسلمين<sup>(١)</sup>.

هذه المعاني الراقية التي يتحدث عنها الأستاذ محمد قطب في بيانه السابق ، تبين وبصورة واضحة منهجية الإسلام المتزنة والثابتة في نظريته لأصول التربية الصحيحة . فالوسائل المستخدمة للوصول لأي هدف من الأهداف ينبغي أن تكون مشروعة تناسب الفطرة والقيم النبيلة الموجودة في كل مجتمع من المجتمعات ، كما أن الأهداف النهائية المطلوب الوصول إليها يجب أن تكون أهدافاً صالحة نافعة ، تعمق الخلق وتشر الفضيلة أما أن تستخدم وسائل مشروعة للوصول إلى أهداف مريبة تخرج المجتمع عن فطرته وقيمه وأخلاقه ، كما هو عند أصحاب التربية الأساسية الذين استخدموا وسائل مشروعة في خدمة أهل القرى البسطاء ، للوصول في النهاية إلى أهدافهم المريبة والتي تتمثل في تغيير الأفكار والنزعات والاتجاهات وفق الأسس الغربية الخالصة والتي تروج باسم العلم . أقول : إن ذلك في النهاية يدل على البون الشاسع بين التربية الإسلامية وغيرها من وسائل التربية الحديثة ، التي لا تحتكم إلى دين أو خلق أو حتى منهج وإن ادعوا العلمية والنزاهة فيما يطرحونه من أفكار ونظريات .

والشيء نفسه يمكن أن يقال عن تلك الدراسات النفسية والاجتماعية التي تنشر الرذيلة والإباحية بحجة الخوف على المجتمع من عقدة الكبت التي تنمو

---

(١) المرجع السابق ، ص ١١ - ١٣ .

مع الصغار وتسبب مستقبلاً الكثير من الاضطرابات النفسية على حد زعمهم ، ويمكن أن ننقل هنا عن بعض مفكري الغرب ما يناقض كلام أولئك الماجين وأتباعهم ، فمثلاً يقول الطبيب النفسي بنجامين سيوك معلقاً على تربية الأطفال التي تراعي النزوات والرغبات : (إن هذا التردد والتذبذب في تربية الأطفال وهذه المراعاة الوجلة القلقة لرغباتهم ونزواتهم ، تعتبر إحدى النواحي لما يشار إليه عادة بـ (ظاهرة التدليل والإباحة) ، وهي غالباً ما تواكب النزعة إلى السماح للأطفال بأن يكونوا غير مهذبين ، وعصاة لأبائهم وأمهاتهم ، أو تائهين شارقين بالدمع لأقل إثارة ، أو مهملين فيما يخصهم من أشياء أو فيما يمتلكه الغير وشديدي الهياج والعدوان والإثارة في لعبهم ولهوهم)<sup>(١)</sup> .

وإذا كان هذا كلام أحد علماء النفس الغربيين وكان يعيش نفس البيئة ونفس الثقافة التي عاشها أقرانه وزملاؤه فهذا يدلنا على صدق ما قاله الدكتور محمد حسين يرحمه الله ، حول تناقضات علم النفس وعدم المنهجية أو الثبات على أمر واضح يمكن الاحتكام إليه ، ويبدو كلام ذلك الطبيب النفسي الأقرب للحق لأنه يفسر فعلاً الواقع الذي تعيشه المجتمعات الغربية التي نشأت على تلك الأفكار الإباحية وبالغت فيها بعد أن سمتها التربية الحديثة ، فكانت تلك التربية وبالاً عليها . فتحديد الهدف من التربية إذن له قيمته ومكانته ، لأن ذلك يعنى أن تكون الوسائل والخصائص جميعها منسجمة مع الهدف النهائي من التربية الإسلامية وهو (تحقيق العبودية لله في حياة الإنسان

---

(١) أصول التربية الحديثة ، عبد الرحمن النحلاوي ، ص ٦-٧ .

الفردية والاجتماعية)<sup>(١)</sup>.

ويمكن أن نحدد الهدف من التربية وفق الضوابط التالية :

أ) أن يكون موافقاً للفطرة الإنسانية ويعمل على تربيتها وحفظها من الانحراف وسلامتها.

ب) أن يكون محققاً للتصور الإسلامي الصحيح.

ج) التدرج بحيث يكون مناسباً للمرحلة الزمنية التي يتعامل معها.

د) الواقعية بحيث يمكن تطبيقه بما يناسب الامكانيات والظروف المحيطة به.

هـ) العناية بالجوانب السلوكية العملية، كالتربية على الجهاد ونشر الدعوة

الإسلامية وغير ذلك)<sup>(٢)</sup>.

### مصادر التربية الإسلامية:

إن أهم ما تتميز به التربية الإسلامية هي أنها تستقي شرعيتها وتستمد أهدافها ووسائلها ومناهجها من مصادر ربانية لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، ولا تتنازعها الأهواء، ولا تتلاعب بها الظروف والبيئات، ولا توجهها الأفكار البشرية القاصرة بل هي كما أسلفت منضبطة بضوابط واضحة وتعتمد على أصول ثابتة، هي أصول الإسلام الخالدة ومصادره الراسخة ويمكن أن نجملها في الآتي:

### القرآن الكريم:

المصدر الأساسي لكل ما يهم المسلم في حياته هو القرآن الكريم، وله

---

(١) المرجع السابق، ص ١٠٨.

(٢) المرجع السابق، ص ١٩٦ - ١٩٩. (بتصرف).

أسلوبه الخاص فيما يتعلق بالتربية فهو (يفرض الإقناع العقلي مقترناً بإثارة العواطف والانفعالات الإنسانية فهو بذلك يربي العقل والعاطفة جميعاً، متمشياً مع فطرة الإنسان في البساطة وعدم التكلف، وطرق باب العقل مع القلب مباشرة)<sup>(١)</sup> ومما ورد من قواعد التربية والخلق في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِيَ حَتَّىٰ يَغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١) فهذه قاعدة مطردة وسنة إلهية ثابتة في قضية الاستقامة وضدها، والسعادة والشقاء، وهي أن التغيير يبدأ من الإنسان ذاته، ومن داخل النفس ذاتها، وهي قاعدة يحتاجها المربون والمصلحون، كي يسيروا على نهجها في أساليبهم وطرائقهم، فيأتوا الأمور من أبوابها)<sup>(٢)</sup>.

كذلك في قول الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ. الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ. وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ...﴾ (المطففين: ١-٣) حيث تشمل هذه الآية على قاعدة في الأخلاق تتعلق بالبائع الفردي والبائع الجماعي في أخلاق الإنسان وسلوكه، وتحدد بوضوح هذا الوعيد الشديد من رب العالمين لمن وقع في وبال النزعة الفردية في الأخلاق فأصبح لا همّ له إلا نفسه، ولا داعي عنده للتفكير في الآخرين ومن ثم فلا حرج عند هذا الصنف المرذول من الناس أن يسلك هذا المسلك الذي وصمته به الآية! وما ذكر في الآية -من الكيل والوزن- ما هو إلا مثال. وأفعال الشر والانحراف تتعدد، والمنحرفون يخترعون من السلوك والأنماط ما يعبرون به عن نوازعهم الفردية

(١) المرجع السابق، ص ٢٣.

(٢) الأخلاق الفاضلة، د. عبد الله الرحيلي، ص ٤٤-٤٥، ط ١، ١٤١٧هـ، مطبعة سفير، الرياض، السعودية.

البغيضة ، والله المستعان) (١) .

### السنة النبوية :

المصدر الثاني من مصادر التربية الإسلامية هو السنة النبوية وهي لا شك غنية بأقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته التي يمكن أن تمثل مورداً كبيراً لكل ما تحتاجه التربية من أمثلة ووسائل وأهداف للنهج الإسلامي الذي تسير عليه .

ومن أمثلة ذلك ما جاء في قوله ﷺ : ( . . . ) ومن يستعفف يعفّه الله ، ومن يستغن يغنه الله ، ومن يتصبر يصبره الله . . . ) (٢) هذا الحديث ينبه إلى قاعدة مهمة في سنة الله في تغيير أخلاق الناس وسلوكهم ، وهي أن مرد بداية ذلك إلى الإنسان ذاته ، إلى رغبته وإرادته ، ثم مباشرته للخطوة الأولى ، وهي فطم النفس عن الهوى ، أو فطم النفس عن التماذي في الشهوات وعن التماذي في الاستجابة لمطالب نفسه الأمارة بالسوء ونفسه الهلوع .

وقد تضمن الحديث ضرب المثل بثلاثة أمثلة ، وسبيل إصلاح النفس تجاهها ، وسبيل تحقيق المطلوب فيها كلها أيضاً يرتكزان على شيء واحد ، هو صيام النفس عن كل ما هو ضد المطلوب الشرعي ، فالعفة تحصل بالإستعفاف ، والغنى يحصل بالإستغناء ، والصبر بالتصبر !

وهناك لاشك مصادر أخرى تدور في فلك الكتاب والسنة كأقوال وأفعال سلف الأمة وعلمائها ورجالات التربية والأدب ، تحمل في طياتها الكثير من المعاني السامية والأهداف العالية والوسائل السابقة .

(١) المرجع السابق ، ص ٤٦ .

(٢) مختصر صحيح البخاري رقم (٧٢١) ، (٧٤٧) ، ص ١٦٧ ، ١٧٣ ، كتاب الزكاة عن حكيم بن حزام وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما ، ومختصر صحيح مسلم رقم (٥٥٥) ، ص ١٥١ ، كتاب الزكاة ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

## المبحث الثاني

### موقفه من تغريب التعليم

كما أن التربية جزء لا يتجزأ من المنهاج العام الذي تسير عليه الأمم، كل بحسب دينها وظروفها، فإن التعليم هو حجر الزاوية في تنشئة الأمم والبلوغ بها إلى صناعة المجد وبناء الحضارات.

إن الناشئة في كل مكان تصاغ أفكارهم وتُصنع عقولهم وتتكون آراؤهم من خلال سنوات التعليم التي يقضونها في بدايات حياتهم وحتى بلوغهم سن النضج، حيث تفرغ كل أمة مثلها وقيمها وعاداتها وتقاليدها وكل ما يتعلق بها في عقولهم ونفوسهم كما أريد لهم على الأغلب الأعم.

لذلك كان التعليم مهماً إلى الحد الذي يمكن أن يوصف بأنه أحد مقومات الحياة الرئيسة، وبدونه تصبح الأمم غثاء لا نفع فيها.

وأمتنا المسلمة كغيرها من أمم الأرض، يعتبر التعليم عندها جزءاً لا يتجزأ من حياتها ومثلها وقيمها التي تميزها وتجعل منها أمة ذات رسالة وهدف.

ولكنها حوربت أيما حرب وغزيت أيما غزو في مجالات التعليم المختلفة لديها، ووضعت لها ومن خلال المناهج والبرامج معاول هدم تنخر في جسدها عبر الأجيال المتعاقبة، مما حدا بالناصحين للتنادي فيما بينهم ورفع الصوت بالإصلاح والتغيير مع بيان مكامن الخطر والفساد في نظم التعليم الحالية.

وقد برز الدكتور محمد محمد حسين في هذا المجال بروزاً كبيراً، حيث



كان من أوائل المتنبهين لهذا الخطر ، فتحدث عنه في كتبه أكثر من مرة ، ونبه إلى خطورة الواقع الحالي للتعليم في أكثر من مقال ، وسوف أبين فيما يأتي بعضاً من جهوده في مواجهة ذلك الغزو المدمر وبيان موقفه منه .

ذكر رحمه الله ما يمثله التعليم من قيمة وأهمية عند المستشرقين وآمالهم المرجوة من خلال غزو التعليم ، حيث نقل عن المستشرق الإنجليزي جب ، أحد مستشاري وزارة الخارجية الإنجليزية وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، نقل عنه قوله : (والسبيل الحقيقي للحكم على مدى التغريب (أو الفرنجة) هو أن نتبين إلى أي حد يجري التعليم على الأسلوب الغربي ، وعلى المبادئ الغربية ، وعلى التفكير الغربي ، والأساس الأول في كل ذلك هو أن يجري التعليم على الأسلوب الغربي ، وعلى المبادئ الغربية ، وعلى التفكير الغربي ... هذا هو السبيل الوحيد ولا سبيل غيره ، وقد رأينا المراحل التي مرّ بها طبع التعليم بالطابع الغربي في العالم الإسلامي ، ومدى تأثيره على تفكير الزعماء المدنيين وقليل من الزعماء الدينيين)<sup>(١)</sup> .

وهذا الكلام من مثل هذا المستشرق وأمثاله يبين أن الهدف النهائي هو تغريب العالم الإسلامي وطبعه بطابع الحضارة الغربية ومن أهم الوسائل المعينة على ذلك هو التعليم حيث أكد هذا ما نقله أيضاً رحمه الله عن أحد بحوث مؤتمر دراسة الشؤون الثقافية والاجتماعية في الشرق الأدنى حيث يقول الكاتب لويس توماس في بحثه عن (العلاقات الداخلية والخارجية في تركيا) : (إن مصطفى كمال فشل في ريف الأناضول ، ولكنه نجح في تحويل القطاع المثقف من الشعب إلى حياة جديدة ... وقد مكن التعليم

---

(١) الاتجاهات الوطنية ، محمد حسين ، ج ٢ ، ص ٢١٦ - ٢١٧ .

لهذا التحول الجديد<sup>(١)</sup>.

كما نبه باحث آخر وهو [كويلر في مقاله (العلاقات الداخلية والخارجية في إيران): (إلى الدور الخطير الذي يمكن أن يقوم به التعليم في تدعيم الروح القومية وجمع الإيرانيين بمختلف طبقاتهم وثقافتهم عليها وذلك (إذا اتسع نطاقه فشمّل طبقات العامة، وإذا عمّق حتى يصل إلى المستوى الذي يعرف المتعلمين بما لقادة الفكر من آراء واتجاهات، وإذا قُدّم في حذر إلى رجال الدين فمكّنهم من مواجهة تراثهم الروحي الإيراني وتفهم ما به من كنوز)]<sup>(٢)</sup>.

ويعلق الدكتور محمد حسين رحمه الله في الهامش على جملة التراث الروحي الإيراني بقوله: (وصف التراث الروحي بالإيرانية صريح فيما يهدف إليه التخطيط من تحريك العصبية المذهبية والإقليمية داخل الفكر الإسلامي وتضخيمها)<sup>(٣)</sup>.

من خلال ما تقدّم يتضح ما للتعليم من أهمية في حياة الأجيال على وجه الخصوص وحياة الأمم على وجه العموم.

وسوف أستعرض الآن مجالات الغزو الفكري في مجال التعليم في بلاد المسلمين من خلال ما كتبه الدكتور محمد حسين رحمه الله.

أولاً: مناهج الدين:

الدين هو المورد الذي لا ينضب والمعين الذي لا يجف لكل أمة من الأمم،

---

(١) الإسلام والحضارة الغربية، د. محمد حسين، ص ١٣٣.

(٢) المرجع السابق، ص ١٣٣ - ١٣٤.

(٣) المرجع السابق، ص ١٣٤.

وقد شكل الدين في حياة الأمم المؤثر الأكبر لها في توجهاتها وأفكارها، بل ومقومات حياتها ووجودها، لذلك كان من الطبيعي أن يحرص أصحاب كل دين على دينهم وأن يجعلوه مهوى الأفئدة منهم ويوالوا عليه ويعادوا.

لذلك حرصت كل أمة على إرضاع ناشئتها منذ الصغر على حب الدين وتعلمه وتعليمه والحرص عليه، فبنشأ الناشئة منهم على ما عودهم عليه أبائهم ومعلموهم، ولا شك أن هذا هو عين الصواب والحق، وأقصد بذلك تعليم الصغار الذين سيصبحون كباراً يقودون أممهم في ركب الحضارة، أقول أقصد به تعليمهم الدين الذي يمثل هويتهم الواضحة.

وكان من باب أولى وأحرى أن يفعل المسلمون ذلك وهم خير الأمم وأتبعهم للحق المنزل من عند الله جل وعلا وقد كانوا كذلك في سابق عهودهم وغابر أزمانهم، ولكن مسلمي القرن العشرين تنازلوا وبكل سهولة عما كان يفعله سابقوهم، فجعلوا من الدين في حياتهم وحياة أبنائهم آخر الاهتمامات وأبعد الأهداف، وسوف نرى صدق هذا من خلال تتبعنا لما كتبه الدكتور محمد حسين رحمه الله عن هذا الجانب .

وأود قبل أن أنتقل إلى استعراض ما كتبه الدكتور محمد حسين رحمه الله أن أنقل هنا كلاماً للأستاذ محمد قطب يبين فيه الأجواء التي تحيط بمادة الدين في المدارس في تلك الفترة التي شهدت ذلك الغزو الرهيب .

يقول الأستاذ محمد قطب: (إن أكبر المدرسين سناً هو الذي يوكل إليه تدريس الدين بحجة إراحته من تعب تصحيح الدفاتر وحملها من المدرسة إلى البيت وبالعكس! ويزيد على ذلك أن حصة الدين توضع في نهاية الجدول المدرسي، فهي في أغلب الأحيان الحصة السابعة يوم السبت أو الخامسة يوم

الخميس أو السادسة في بقية الأيام! . وفحوى ذلك أن التلاميذ يتلقون درس الدين وهم في حالة الضجر والإعياء في نهاية اليوم المدرسي ، وهم ينتظرون دق الجرس لينفلتوا إلى الشوارع وإلى البيوت ، ويتلقونه من مدرس عجوز فان يسعل ويتفل ويتحرك في تراخ ظاهر . . . فيقترن درس الدين في نفوسهم بالعجز والفناء والضجر والضيق والرغبة في الانفلات ! فوق أنه درس ميت في طريقة تدريسه ، فهو مجموعة من النصوص تلقي لتحفظ حفظاً وتستظهر بلا حركة ولا حياة ولا روح<sup>(١)</sup> .

والحقيقة أن هذا لم يكن ليتحقق لولا التخطيط المدرس للقضاء على كل ما يمثل الدين في التعليم وينقل الدكتور محمد رحمه الله تأكيداً لذلك عن المستشرق جب قوله : (ومع أن الوحدة الإسلامية قد انتهت من الناحية القانونية الرسمية ، ومع أن الثقافات القومية قد أخذت مكانها في المدارس ، ومع أن الفوارق الاجتماعية قد أصبحت أكثر وضوحاً ، ومع أن الثقافة الدينية التقليدية قد أصبحت محصورة في عدد قليل محدود ، مع ذلك كله فالمعاهد الدينية نفسها لا تزال قائمة ، ولا يزال حفاظ القرآن ودارسوه كما كانوا لم ينقص عددهم ، ولم يضعف سحر آيات القرآن وتأثيرها على تفكير المسلمين وربما كان تقديس شخصية محمد صلى الله عليه وسلم وما يثير ذكره من حماس في سائر المسلمين على اختلاف طبقاتهم من أهم ملامح النهضة الإسلامية الحديثة)<sup>(٢)</sup> .

وهذا الذي يقوله هذا المستشرق هو ما قاله أيضاً صنيعة الاستعمار وتلميذه

---

(١) واقعنا المعاصر ، محمد قطب ، ص ٢٢٣ .

(٢) الاتجاهات الوطنية ، د. محمد حسين ، ج ٢ ، ص ٢٢٠ .

النجيب طه حسين حيث يقول الدكتور محمد حسين رحمه الله عنه : (و أول ما ينبغي أن يزال ويهدم عنده هو الأزهر ، فهو يتحدث عنه أول ما يتحدث - في الفقرة السابعة من كتابه<sup>(١)</sup> - ، فيصوره أثراً من مخلفات العهود المتأخرة المنحلة ، ومشكلة من المشاكل التي تتطلب حلاً . . . )<sup>(٢)</sup> .

كما بين الدكتور محمد حسين أيضاً موقف طه حسين الراض من [مدارس المعلمين الأولية ، التي يتخرج منها مدرسو المرحلة الأولى ، والتي تتخذ لوناً إسلامياً في تثقيف طلبتها وفي شروط الالتحاق بها . ولكنه يحتال لغرضه ولا يصرح به ، ويصوغه في أسلوب مهذب خلاب ، فيقترح (جعل الشهادة الثانوية شرطاً أساسياً لدخول الطلاب مدارس المعلمين الأولية) . ولكي يبرر المؤلف طلبه هذا ، يبالغ في التهويل من خطر التعليم الأولي ، ومن شدة الحاجة إلى العناية بثقافة المعلم فيه) .

وبعد هذه الأفكار الخطيرة التي يطرحها الدكتور طه حسين ، يعود إلى مشروع بعيد المدى وهو الدعوة (إلى إنشاء معهد للدراسات الإسلامية في كلية الآداب ، ينافس الأزهر الذي لا سبيل إلى السيطرة عليه ، والتحكم في توجيهه ، والطلب في نفسه ليس بدعاً ، ولكن البدع الخطير هو السبب الذي بنى عليه هذه الدعوة حين قال : (وليس من شك في أن طبيعة الحياة العصرية تقتضي أن تعنى كلية الآداب عناية خاصة بالدراسات الإسلامية على نحو علمي صحيح) . فهو لا يبنى دعوته على الحاجة الإسلامية ، ولكنه يبنها على الحاجة العصرية ، وكأن هناك إسلاماً عصرياً يتميز بطابع خاص ، أو كأنما يراد

---

(١) مستقبل الثقافة في مصر .

(٢) الاتجاهات الوطنية ، د. محمد حسين ، ج ٢ ، ص ٢٣٦ .

بالدراسات الإسلامية الحديثة أن تتأقلم وأن تتخذ أشكالاً تتناسب مع ظروف كل إقليم ومع أهواء أهله، وهو لا يريد أن ينشئ هذه الدراسات في كلية الآداب بوصفها إحدى كليات الجامعة في بلد إسلامي، ولكنه يريد أن ينشئها لتدرس الإسلام على النحو الذي يسميه (نحواً علمياً صحيحاً)، والذي فسره بعد ذلك مباشرة حين مضى يقول: (لأن كلية الآداب متصلة بالحياة العلمية الأوربية، وهي تعرف جهود المستشرقين في الدراسات الإسلامية)<sup>(١)</sup>.

وهذا من وجهة نظري يمثل قمة الهزيمة الفكرية والنفسية أمام حضارة الغرب الفكرية والأدبية، والعجيب أن يأتي من قبل رجل وصل إلى أن يكون وزيراً للمعارف في أكبر بلد عربي، بل ويسمونه على امتداد الوطن العربي الكبير بعميد الأدب العربي، وهذا في حد ذاته يعتبر انحرافاً ومخادعة للنفس، ولكن المشكلة هي أن تلك الفترة التي عاشتها الأمة ولا زالت تعيشها تعبر عن المستوى المتدني للحالة الثقافية في الأمة وذلك بفعل الغزو الفكري الرهيب الذي قلب الحقائق وغير المفاهيم.

ويذكر الدكتور محمد حسين رحمه الله [أن هذا المشروع ومعه مشروع إنشاء معهد للأصوات لدراسة اللهجات قديمها وحديثها قد باء بالفشل وكاد الناس ينسونها ثم دارت الأيام دورتها فإذا المشروعان يظهران من جديد، حيث عاد مشروع إنشاء قسم للدراسات الإسلامية (في صورة اقتراح مقدم من أحد أعضاء لجنة التربية الدينية بوزارة التربية والتعليم. وكما كان صاحب الاقتراحين القديمين شخصاً واحداً هو طه حسين، فقد كان صاحب الاقتراحين الجديدين شخصاً واحداً هو محمد خلف الله وقد اقترن المشروعان

---

(١) المرجع السابق، ص ٢٣٩ .

الجديدان بظروف وملابس تدعو إلى التدبر والتأمل.

بدأت فكرة هذين المشروعين في مؤتمر للثقافة الإسلامية عقد في صيف سنة ١٩٥٣م بدعوة من جامعة برنستون الأمريكية ودعي إليه مندوبون من مختلف البلاد الإسلامية بين أندونيسيا شرقاً والمغرب العربي غرباً، واشترك معهم عدد مساوٍ من الأمريكيين، بعضهم من رجال وزارة الخارجية وبعضهم من المبشرين الذين يسترون أهدافهم الهدامة تحت اسم البحث العلمي، وفريق ثالث من موظفي شركات البترول.

أما مشروع إنشاء قسم أو شعبة للدراسات الإسلامية في كل كلية للآداب بالجامعات المصرية)، فقد بناه صاحبه على أن الركن الأكبر في نجاح التربية الدينية (هو المعلم الذي ينبغي أن يعاد النظر في تكوينه وإعداداته وأن يرسم لذلك منهج جديد يحقق له عمق الثقافة وحرية الفكر) وبناه كذلك (على أن قيام مصر بنصيبتها في تقدم الإنسانية، وفي حل مشكلات الحياة المعاصرة يتطلب من المصريين تعمقاً في دراسة دينهم، وتبين موقفه من مختلف المذاهب والاتجاهات التي يجيء بها التطور الاجتماعي والفكري) واقترح فيما اقترحه من الدراسات في هذا القسم دراسة (سيكولوجية الدين) و (التاريخ الديني والفكري للبشرية قبل الإسلام) و (ما كان لمصر وعلمائها بين الأمم الإسلامية من آثار علمية خالدة) و (النظم الدينية والأخلاقية المقارنة).

فالدراسة المقترحة تقوم على أساسين، أولهما استبعاد الأزهر من القيام بوظيفة تعليم الدين لأن مناهجه لا تحقق للدارسين فيه (عمق الثقافة وحرية الفكر)، وثانيهما هو الصبغة المصرية التي تبرز في الإشارة إلى مهمة مصر القيادية في حل مشكلات الحياة المعاصرة ومسايرة التطور الاجتماعي وهو

تطور غربي بالبداية - كما تبرز في إمداد الدارس بما يقوى فيه الاعتزاز بفقهاء الإسلام وعلمائه من المصريين بخاصة، مما يوجد لونا من الشعوبية الإسلامية يشبه الشعوبية السياسية<sup>(١)</sup>.

كل ما تقدم أنتج تدنياً (في مستوى الدارسين والمدرسين في مراحل التعليم كافة، والذي لا يمارى فيه إلا مكابر، ونظرة فاحصة إلى تلك الظاهرة الخطيرة تكشف أن العلة الأساسية في ذلك إن هي إلا التركيز في الكليات المنوط بها الآن إعداد المدرسين، على مواد واهية الصلة بواقع الإنسان العربي المسلم ثقافياً ووجدانياً وواقعياً . . . . وأني أسمح لنفسي بأن أقرر بأمانة يحاسبني عليها الله أن الكثرة المطلقة لمن حاورتهم من طلاب هذه الكليات يبنون لعجزهم عن التواصل الفكري والروحي بأغلبية تلك المواد المقحمة، والتي تمت إلى مجتمعات غربية أو شرقية غربية يفصلنا عنها محيطات وبحار، فضلاً عن تضاد العادات والتقاليد والأعراف والعقائد وموروثات التراث والوجدان والواقع البيئي المعيشي نفسه، ويقرر الطلاب في غير لبس أن جل جهدهم يصر فونه مرغمين إلى تلك المواد التي لا يتواصلون معها، والتي لا يجمعهم بها إلا شعور الغربة والاستغراب، على حين لا يبقى من الجهد إلا أقله يتوجهون به إلى مواد دراستهم الأساسية التي يدركون دون لبس أيضاً - أنها بغير بديل عدتهم في حياتهم العلمية والعملية.

وأعتقد أيها السادة أنكم تشاركونني الرأي في أن الرغبة الحميمة في تجنب هول هذا الواقع العلمي المهتريء القبيح الذي بثنا وفي قر فادح منه الآن، كانت وراء الإصرار النهائي لدى الدكتور محمد حسين في أن نعص على

---

(١) حصوننا مهددة من داخلها، د. محمد حسين، ص ٢٠٥ - ٢٠٦.



تراثنا وأصالتنا وديننا وعروبتنا بالنواجذ، وفي الأهمية المطلقة في أن تكون مناهجنا في دراسة اللغة والدين مرتبطة بأصولنا الخصبية ومصادرنا المعطاءة، وهي بالتأكيد لا تنبع من فراغ، ولا تنتهي إلى عدم، بل لا يملك منزله عن الهوى إلا أن يقرب بأن القرآن والسنة والتراث العربي بفروعه المختلفة وفي عصوره المزدهرة تشكل الأسس الكيانية للإنسان العربي المعاصر، التي لا يجوز ولا يمكن أن يتصور بناؤه في حاضره ومستقبله إلا عليها<sup>(١)</sup>.

ثانياً : مناهج اللغة :

شن أعداء الدين حرباً لا هوادة فيها على كل ما يمكن أن يكون سبباً في ربط الناشئة بدينهم أو لغتهم أو ربطهم مع أبناء أمتهم بعضهم ببعض، وتابعهم في ذلك المتفرنجون ودعاة التغريب ممن تربوا في مدارس الغرب وحواضره أو الذين استهوتهم المدنية الغربية ومباهجها وكان من أعظم ما حيكت لأجله المؤامرات في مجالات التعليم المختلفة هي مناهج اللغة، حيث وجهت لها سهام في إثرها سهام في محاولات لتحطيمها وإزاحتها من حياة الأجيال.

يقول الدكتور محمد حسين رحمه الله مصوراً تلك الحرب : [كان الشعوبيون يروجون اللهجات السوقية المحلية التي يسمونها العامية بمختلف الأساليب وكان أعداء العروبة والإسلام يتحايلون في انتزاع الدراسات العربية من حضانة الدين والقرآن، حتى قال قائلهم<sup>(٢)</sup> : (فالذين يزعمون لنا أن نتعلم العربية ونعلمها لأنها لغة الدين فحسب ثم يرتبون على ذلك ما يرتبون من

---

(١) مناهج اللغة والدين في فكر الدكتور محمد حسين ، د. صالح حسن اليطي ، ص ٦١ ، (ضمن كتاب موقف الدكتور محمد حسين من الحركات الهدامة).

(٢) طه حسين ، في كتابه (مستقبل الثقافة في مصر).

التائج العلمية والعملية إنما يخدعون الناس ، وليس ينبغي أن تقوم حياة الأمم على الخداع ، فإن اللغة العربية ليست ملكاً لرجال الدين ، يؤمنون وحدهم بها ويقومون وحدهم من دونها ، ويتصرفون وحدهم فيها ، لكنها ملك للذين يتكلمونها جميعاً من الأمم والأجيال ، وكل فرد من هؤلاء الناس حر في أن يتصرف في هذه اللغة تصرف المالك متى استوفى الشروط التي تبيح له هذا التصرف ، وإذن فمن السخف أن يظن أن تعليم اللغة العربية وقف على الأزهر الشريف والأزهريين ، وعلى المدارس والمعاهد التي تتصل بينها وبين الأزهر أسباب طوال أو قصار .

هذا سخف لأن الأزهر لا يستطيع أن يفرض نفسه على الذين يتكلمون اللغة العربية جميعاً وفيهم المسلم وغير المسلم ( والغرض الذي يرمى إليه صاحب هذا الكلام من قطع الصلات التي تربط الدراسات العربية بالدراسات الإسلامية هو أن ينزع عن العربية قداستها ويحرمها من حماية الدين وحصانته ليكشفها أمام أعدائها ويعينهم على الإجهاز عليها بعد أن يحررها من كل نصير أو معين ، ولم يستح صاحب هذا الكلام وشيعته أن يتخذوا مجمع اللغة العربية في القاهرة ومكاتب جامعة الدول العربية ومؤتمراتها ميداناً لنشاطهم ، فدعا أحدهم في المؤتمر الأول لمجامع اللغة العربية بدمشق إلى تأليف معاجم محلية لا يثبت فيها إلا ما بقي من لهجات العرب حياً في كل إقليم ، ودعا آخر إلى إعادة النظر في تبويب النحو وتدوينه من جديد . . . ]<sup>(١)</sup> .

والغريب أن هذا الكلام يصدر من رجال اجتمعوا لأجل العناية باللغة العربية والحفاظ عليها ، ومع ذلك يهرفون بمثل هذه الترهات دون أن يعوا أو

---

(١) حصوننا مهددة من داخلها ، د . محمد حسين ، ص ١٨٨ - ١٨٩ .

لعلهم يعون تماماً الآثار الخطيرة لمثل هذه المجازفات.

يقول الدكتور محمد حسين رحمه الله : (واللغة العربية التي بحث هذا المؤتمر شؤونها هي أقوى ما تقوم عليه الوحدة العربية من الروابط ، وهي الرابطة التي ارتفعت حتى الآن فوق كل مرء ، فقد مارى أعداء العروبة زمناً في أن العرب ينتمون إلى جنس واحد ، فسمعنا أصوات المفكرين من الشعبويين دعاة الجاهلية الأولى ، بين فرعونية وفينيقية وآشورية وبابلية ، وماروا حيناً في ارتباط القومية العربية بالإسلام ، فسمعنا من يزعم أن هذه الصيغة تنفر غير المسلمين من العرب ، وظلت رابطة اللغة بعد ذلك تسمو عن كل مرء ، لا ينازع منازع في أنها هي الرباط الأقوى بين العرب .

لذلك كان آخر ما يتوقعه القارئ في الكتاب الذي جمع ما ألقى في هذا المؤتمر من بحوث أن يجد فيه ما يعين على توهين الرابطة ، أو تفريق المجتمعين عليها ، من مثل الدعوات المريبة الهدامة إلى مسخ اللغة الفصحى أو تبديل قواعدها وخطها)<sup>(١)</sup>.

لقد كان رحمه الله حريصاً على اللغة العربية مدافعاً عنها ، مبيناً في كل كتاباته حجم الكارثة التي تنتظر الأمة بتوهين عرى اللغة وقواعدها ، لذا وقف رحمه الله وقفة قوية تجاه محاولات هدم اللغة ، والقضاء عليها قضاءً مبرماً .

يقول رحمه الله : [أما الاقتراحات التي تدعو إلى مسح قواعدها في اللغة العربية وفي النحو وفي الإملاء والخط ، فقد جاءت على لسان طه حسين ،

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٦١ - ١٦٢ .

وصفيه إبراهيم مصطفى الذي صدع بوحيه حين ألف منذ عشرين عاماً<sup>(١)</sup> كتاباً ميثاقاً في النحو سماه (إحياء النحو).

ألقى طه حسين محاضرة دعا فيها إلى العدول عن قواعد النحو الثابتة المتداولة التي اجتمع عليها العرب والمسلمون زاعماً أنها لم تعد صالحة وأنها هي السبب في ضعف الطلاب وتخلفهم.

وتقدم إبراهيم مصطفى باقتراحين ، أحدهما في كتابة الهمزة والألف اللينة . . . ودعا فيه إلى توحيد الصور الكتابية للهمزة ، والآخر في تيسير قواعد النحو . . . مهد به لاقتراحات تيسير النحو والصرف . . المقدمة باسم مجمع القاهرة والتي تحمل طابع إبراهيم مصطفى المعروف في (إحياء النحو) الذي دعا فيه إلى تبويب جديد للنحو من ابتكاره .

وقد سحب إبراهيم مصطفى اقتراح الهمزة قبل أن ينظر في جلسة المؤتمر العامة ، ويبدو أنه لم يجد الظرف مهياً لقبوله فخشى أن يتخذ قراراً ، يرفضه وآثر أن يدع الباب مفتوحاً حتى يستطيع هو أو آخر من عصابته العودة إلى ذلك في فرصة أكثر ملائمة ، أما مقترحات تيسير النحو فقد قرر المؤتمر في شأنها أنه (نظر في مقترحات تيسير النحو التي أعدتها وزارة التربية والتعليم في مصر فوجد بعد دراستها أنها تحتاج إلى زيادة في البحث والتمحيص ، وقررت تأجيل النظر فيها إلى مؤتمر آخر . . . ) وقد كنت أرجو أن يقضي فيها المؤتمر قضاءً حاسماً صريحاً يقرر فيه فسادها وضررها ، لأن هذا القرار الذي يظهر فيه نفوذ دعاة الهدم والتبديل لم يمنع القائمين على برامج التدريس في مصر من أن يضعوا هذه المقترحات الفاسدة موضع التنفيذ .

---

(١) وقت كتابة هذا المقال .

وبعد ، فقد شغل هؤلاء المحاضرون والمقترحون بمشاكلهم الوهمية ما يقرب من نصف وقت المؤتمر ، على أن أكثر ما جاء في مقالاتهم بضاعة مزجاة بارت في كل سوق ، وكلام معاد مكرر ليس فيه جديد ، ولكن أصحاب هذه المذاهب المنحرفة يعتمدون في أسلوبهم على أن الناس إذا تكرر سماعهم للباطل أو شكوا أن يصدقوه ، لذلك فهم يكررون القول حيناً بعد حين ودفعة بعد فترة ، ولا ينضب لهم معين في إلباس مقالهم أليق الأثواب بالمقام ، وعرضه من جوانب جديدة تقربه من نفوس الناس .

وهم لا يسأمون من هذا التكرار ، لأنهم يعرفون أنهم يخاطبون في كل مرة جيلاً غير الذي سمعهم من قبل ، وقد ينجحون في إغواء بعض من ضاقت عنه حيلهم من قبل ، وهم يعتمدون مع ذلك كله على أفراد عصبتهم ممن وصلوا إلى مراكز تسمح لهم بمدد العون في ترويح هذه الدعاوى وفي وضعها موضع التنفيذ ، وفيهم من يشغل مراكز خطيرة تسمح لهم بالسيطرة على الصحافة والإذاعة ووزارات التعليم والجامعات ، لذلك كان فرضاً لازماً على كل عارف بحيلهم أن لا يميل من تكرار الرد عليهم ركوناً إلى أنه قد أذاع الرد من قبل ، حتى لا تنفرد دعاياتهم المفسدة بالشباب فيتأثر بها ثم لا يجد من يصححها ويتشله من تيارها ويبطل فعل سموها .

وأول ما يلفت النظر في هذه الكلمات والمقترحات ما انحدرت إليه مجامع اللغة العربية ، ومجمع القاهرة منها بخاصة - من ترويح الدعوات المريية إلى تطوير اللغة وقواعدها ورسمها ، وهو تطوير يختلف أصحابه في تسميته ، ولكنهم لا يختلفون في حقيقته ، يسمونه تارة تهذيباً وتارة تيسيراً أو تارة إصلاحاً وتارة تجديداً ، ولكنهم في كل الأحوال وعلى اختلاف

الأسماء يعنون شيئاً واحداً هو التحلل من القوانين والأصول التي صانت اللغة خلال خمسة عشر قرناً أو يزيد ، فضمنت لجيلنا وللأجيال المقبلة أن تسرح بفكرها وتمرح في معارض فنون القول وآثار العبقريات الفنية والعقلية لا تحس قيود الزمان ولا المكان ، فكأن القرآن قد أنزل فينا اليوم وكأنما شعراء العربية وفقهاؤها وفلاسفتها وكتابها وأطبائها ورياضيوها وطبيعيوها وكيميائيوها على اختلاف أزمانهم قد كتبوا ما كتبوا وألفوا ما ألفوا في الأمس القريب . . . . .

وليس الخطر الكبير في الدعوة إلى العامية ، ولا هو في الدعوة إلى الحروف اللاتينية ، أو الدعوة إلى إبطال النحو وقواعد الإعراب أو إسقاط بعضها ، فالداعون بهذه الدعوات من صغار الهدامين ومغفليهم الذين ليس لهم خطر العتاه الذين يعرفون كيف يخدعون الصيد بإخفاء الشرك ، وكيف يستدرجون الناس بتزوير الكلام ، إن الخطر الحقيقي هو في الدعوات التي يتولاها خبثاء الهدامين ممن يخفون أغراضهم الخطيرة ويضعونها في أحب الصور إلى الناس ، ولا يطمعون في كسب عاجل ، ولا يطلبون انقلاباً كاملاً سريعاً ، الخطر الحقيقي هو في قبول مبدأ التطوير نفسه ، لأن التسليم به والأخذ فيه لا ينتهي إلى حد معين أو مدى معروف يقف عنده المطورون ، ولأن التزحزح عن الحق كالتفريط في العرض ، فالذي يقبل التزحزح عن الحق قيد أنملة مرة واحدة يهون عليه أمثالها مرة ثم مرات حتى يسقط إلى الحضيض ، ومن اعتراه شك في حقيقة ما يراد بقرآننا وبلغته وبإسلامنا وكل تراثه فليقرأ قول طه حسين في كتابه ( مستقبل الثقافة في مصر ) : ( وفي الأرض أم متدينة كما يقولون ، وليست أقل منا إشاراً لدينها

ولا احتفاظاً به ولا حرصاً عليه ، ولكنها تقبل في غير مشقة ولا جهد أن تكون لها لغتها الطبيعية المألوفة التي تفكر بها وتصطنعها لتأدية أغراضها ، ولها في الوقت نفسه لغتها الدينية الخالصة التي تقرأ بها كتبها المقدسة وتؤدي فيها صلواتها .

فاللاتينية مثلاً هي اللغة الدينية لفريق من النصارى ، واليونانية هي اللغة الدينية لفريق آخر ، والقبطية هي اللغة الدينية لفريق ثالث ، والسريانية هي اللغة الدينية لفريق رابع . . وبين المسلمين أنفسهم أم لا تتكلم العربية ولا تفهمها ولا تتخذها أداة للفهم والتفاهم ، ولغتها الدينية هي اللغة العربية ، ومن المحقق أنها ليست أقل منا إيماناً بالإسلام وإكباراً له وذوداً عنه وحرصاً عليه) فإذا وعي القاريء هذا القول وما وراءه فليلق بكل ما سواه في وجه صاحبه ، لأنه ضرب من النفاق ، وأسلوب من الكيد<sup>(١)</sup> .

بعد كل ذلك يبدأ الدكتور محمد حسين رحمه الله مناقشة علمية جادة لكل تلك الآراء بعد أن تعرض بشكل سريع لتلك الأقوال مع ردود خاطفة تناسب ذلك الاستعراض .

يقول رحمه الله : (على أن تقديس لغة القرآن والتزام أصولها وقواعدها وأساليبها لم يكن في يوم من الأيام داعياً إلى تحجر اللغة وجمود مذاهب الفن فيها ، ووقوفها عند حدٍّ تعجز معه عن مسابقة الحياة ، كما يشنع به الهدامون ويخدعون به الأغرار وصغار العقول وقصار الهمم ، فليس التطور نفسه هو المحذور ، ولكن المحذور هو أن يخرج هذا التطور عن الأساليب المقررة المرسومة .

---

(١) حصوننا مهددة من داخلها ، د. محمد حسين ، ص ١٦٨ - ١٧١ .

وذلك يشبه تقييد الناس في حياتهم الاجتماعية بقوانين الدين والأخلاق،  
فليس يعني ذلك أنهم قد استعبدوا لهذه القوانين ، وأنه قد أصبحت تحول  
بينهم وبين مسامرة الحياة أو الاستمتاع بخيراتها ولذائدها ، ولكنه يعني أنهم  
يستطيعون أن يغدوا وأن يروحوا كيف شاؤوا ، وأن يستمتعوا بخيرات الدنيا  
وطيباتها ويتصرفوا في مسالكها ويمشوا في مناكبها ، كل ذلك في حدود ما  
أحل الله ، وكل ذلك مع التزام الوقوف عند حدود الله .

كذلك اللغة وضع اللغويون والنحاة والبلاغيون لها حدوداً طابقوا بها  
مذهب القرآن وكلام العرب وتركوا للناس من بعد أن يستحدثوا ما شاؤوا من  
أساليب ، وأن يتصرفوا فيما أرادوا من أغراض ، وأن يجددوا ما أحبوا مما  
يشتهون ومما تفتق عنه عبقرياتهم ، ولكن كل ذلك لا ينبغي أن يخرج بهم عن  
الحدود المرسومة ، فماذا في ذلك غير ضمان الاستقرار والحرص على جمع  
الشمل ؟ وهل عاق ذلك عرب بغداد وعرب الأندلس عن الافتنان في القول  
وفي مذهب الفن ؟ وهل ضاقت معه عربية البدو عن الاتساع لما نقل العرب  
وما استحدثوا من معارف وعلوم؟<sup>(١)</sup> .

وقبل أن يواصل رحمه الله رده الطويل والعميق في نفس الوقت يخرج بنا  
رحمه الله إلى لفظة مهمة توحى بمعنى واضح لالبس فيه ، بل وترمي بظلالها  
على دعاة التطوير اللغوي وتبين أن وراء حديثهم أهدافاً وتاريخاً مشبوها وأن  
القضية ليست خاصة باللغة فقط بل هي أكبر من ذلك ، يقول رحمه الله :  
(ومن شاء فليرجع إلى مجلة المجمع ليرى صورة أوضح وأكثر تفصيلاً لما يهدر  
من جهد في الكلام عن العامية وعن مسخ الخط العربي وقواعد النحو ، أليس

(١) المرجع السابق ، ص ١٧١ - ١٧٢ .



ذلك عجباً من العجب؟ وأعجب منه أن يصير إلى مركز القيادة في ذلك الحصن رجل<sup>(١)</sup> يشهد ماضيه الثابت المسجّل فيما نُشر على الناس من صحف أنه كان حرباً على الجامعة الإسلامية وعلى الجامعة العربية لا يراها إلا وهماً من الأوهام ، وأنه كان أول من رفع صوته بالدعوة إلى تمصير اللغة العربية .

أمثل هذه الغاية يعمل مجمع القاهرة وقد دارت الأيام واستقام عوج الزمان<sup>(٢)</sup>؟

ويعود رحمه الله إلى الحديث عن اللغة مع دعاة التطوير والتغيير مفنداً دعواهم أن الهدف من ذلك هو (توحيد العامية والفصحى وجعلهما لغة واحدة، فهو خطأ أساسي في تصور الموضوع فليس مطلوباً أن تصبح لغة الحديث والأسواق ، والتعامل بين الناس هي نفسها لغة الشعر والأدب والعلم إلى لغة دقيقة كحاجة العلم إليها ، ولا يحتاج إلى لغة جميلة مؤثرة كحاجة الشعر والأدب عموماً إليها .

إذ يكفي في لغة التعامل أن يفهم بعض الناس عن بعض من أقرب طريق وأقصره ، وقد يستيعن المتعاملون على إتمام ما في العامية من قصور بإشارات اليدين وبتلوين نغمة الكلام وتنويعها ، وبالتعبير بقسمات الوجه ، ومن الواضح أن لغة الأسواق لا تناسبها لغة راقية معقدة التركيب - ككل ما هو راق ، فالبساطة تلازم الحالات النظرية الساذجة - لأن قواعد اللغة الراقية تضيع وقت المتعاملين الذين لا يحتاجون للدقة أو الجمال حاجتهم إلى السرعة ، فاستعمالهم الفصحي في التعامل يشبه استعمال الموازين الدقيقة

---

(١) لطفي السيد : واحد من كبار الساسة المصريين ، لقب بأستاذ الجيل علي الرغم من أنه كان واضح العمالة للغرب ، دعا إلى تمصير اللغة العربية ، وقام فكرة التضامن الإسلامي ، ودعا إلى قصر التعليم على أبناء الطبقة الراقية ، كان يدعو إلى رسم الحياة الاجتماعية حسب النمط الغربي . جيل العمالقة والقمم الشوامخ على ضوء الإسلام ، أنور الجندي ، ص ٣٥ - ٥٦ (بتصرف) . بدون طبعة أو تاريخ ، دار الاعتصام ، القاهرة ، مصر .

(٢) حصوننا مهددة من داخلها ، د . محمد حسين ، ص ١٧٢ - ١٧٣ .

التي يوزن بها الذهب والأحجار الكريمة في وزن الخبز والملح ، أو استعمال المقاييس الهندسية الدقيقة في قياس الأقمشة ومسح الطرقات ، فهو إصراف في التأنق وبعثرة للجهد وتضييع للوقت ، لا يصبر عليه البائع ولا المشتري ، ثم إن اللغة الراقية التي تنظمها القواعد لا تصلح لحاجات الحياة اليومية من وجه آخر ، فقواعد اللغة الفصحى تجعل تطورها بطيئاً وصعباً ، بينما لغة التعامل والأسواق تسد حاجات متغيرة يطرأ عليها كل يوم جديد لم يكن بالأمس ، أما لغة الأدب فهي سجل لحالات عقلية ونفسية ثابتة متصلة ، من الخير أن نحرص فيها على صلة الخلف بالسلف إلى أبعد مدى ممكن ، لكي ينتفع بتجاربه فيزداد بذلك علماً ودراسة ومنتعة وذوقاً ، فنحن نقرأ ما كتب في الأدب منذ آلاف السنين فنجد فيه صورة من تفكيرنا الراهن ومن أحاسيسنا الحية ، ولذلك فالأدب محتاج إلى لغة مصفاة متقاة للكلمات ، فيها للعبارات تاريخ وظلال ، تعوض بعض ما في اللغة من قصور في التعبير عن مكنونات النفس وخطرات الفكر فاللغة محدودة بكلمات المعاجم ، أما الأحاسيس والأفكار التي يموج بها عالم النفس والعقل فهي خفية متعددة متجددة ، لا تكاد تدخل تحت حصر في تنوعها وفي دقة الفوارق بين بعضها وبين البعض الآخر .

لذلك كان لابد للأديب أن يستعين على إتمام قصور اللغة هذا باستغلال خصائص الكلمات الصوتية ، واستغلال ظلال الكلمات مفردة ومركبة ، وإنما تنشأ ظلال الكلمات مما ترتبط به في تاريخها الطويل من استعمالات ومما في طبيعة تركيبها الصوتي من أسرار .

وذلك كله لا يتوافر إلا في الكلمات التي صفاها طول الاستعمال فأثبت

بقاؤها على قلب الظروف والأحوال والأزمان صلاحيتها للبقاء ، والتي صقلتها ألسن القائلين وأذان السامعين وأذواق النقاد ، والتي شحنتها وأغناها ما تراكم حولها من المعاني والأطياف التي تقلبت بينها في تنقلها الطويل عبر التاريخ .

ومن ذلك كله يتضح أن لغة الأسواق شيء وأن لغة الأدب شيء آخر ، وكل منهما صحيحة في ميدانها ، فهما كلباس المصنع أو المهنة ولباس المسجد أو المحافل ، يتخذها العامل ويلبسها جميعاً ، ولكنه يستعمل كلاً منها في موضعه ، فلا يلبس للمصنع لباس المسجد والمحافل ، ولا يلبس للمساجد والمحافل لباس المصنع والمهنة ، كذلك الشأن في لغة التعامل اليومي وفي لغة الأدب ، تمتاز إحداهما من الأخرى حسب طبيعة كلٍّ منهما شرقيها وغربيها ، فقد كان للناس دائماً لغة للأدب تختلف عن لغة الحديث والمساومة والتعامل منذ كان لهم أدب رفيع ، لأن البدائيين وحدهم هم الذين يكتبون أدبهم بلغة الحديث ، فإذا تطور هذا الأدب وسما ، ارتفع عن لغة الحديث وخلف لغة الأسواق والتعامل وراءه ، ولو اتخذت لغة الأسواق لغة للأدب على ما يريده الخادعون والمخدوعون ، فتطورت وارتقت ، لنشأ إلى جانبها حتماً لغة أخرى للأسواق تتحرر من قواعد اللغة الأدبية وقيودها وتنزع عنها ما لا يحتاج إليه مما يفيد الدقة أو الجمال حتى تسعف البائع والمشتري والصانع والزارع ، والسائل والمسؤول من ناحية ، ولكي تسائر حاجات الحياة وشؤونها المتجددة من ناحية أخرى .

وإذن لا نكون قد قربنا بين اللغتين على ما يزعم أصحاب ذلك المذهب ، ولكن كل ما نبوء به عند ذلك هو قطع الصلات بيننا وبين الماضي كله بما فيه من دين ومن علم ومن أدب ومن تاريخ ومن تجارب إنسانية متعددة ، فهو بمثابة

إعدام هذه السجلات الحافلة ، مما يجعل مهمة الأحياء والأجيال المقبلة صعبة جداً إلى درجة التعذر في تفصيِّ حقائق الأشياء وتاريخها) (١) .

واستمر الدكتور محمد حسين رحمه الله في كتاباته القيمة يواجه تلك الادعاءات الباطلة عن اللغة العربية وأحقيتها في البقاء والتعايش مع كل المستجدات والمتغيرات مؤكداً على أن ( التطور على كل حال ينبغي أن يكون بالقدر الذي لا يقطع صلتنا بالماضي ، وبالقدر الذي لا يخشى معه أن يتطور إلى قطع صلة الأجيال المقبلة بالجيل الماضي أيضاً بحيث يتحول قرآنا وحديث نبينا وفقه فقهاءنا إلى طلسم لا يقرؤه إلا طبقة من الكهان يحتكرون تفسير الإسلام .

وهذا التطور واقع ، لأن حاجات الحياة تدفع إليه فالناس مضطرون إلي التعبير عن أنفسهم وعن الحياة في مختلف نواحيها . . . ) (٢) .

ويؤكد رحمه الله قوة العربية ومرونتها وقدرتها الفذة على إشباع الحاجات أن ( العربية قد عاشت جنباً إلى جنب مع هذه اللهجات المحلية أكثر من ألف عام حتى الآن .

فالخوف من إعراض أصحاب اللغة العربية عنها هو وهم اخترعه هؤلاء المغرضون ، أو اخترعه لهم سادتهم ثم قاموا هم بترويجه ، وينقض هذا الوهم أو هذا الزعم أن العربية قد استطاعت أن تحيا خلال بيئات متفاوتة وعصور متطاولة ودرجات من الحضارة والمدنية أدناها البداوة وأعلاها ما وصلت إليه في بغداد والأندلس ، استطاعت - وهي اللغة البدوية - أن تكفي حاجات ما جدَّ من علوم ودراسات ، وظلت مع ذلك كله هي هي ، تقرأ القرآن بعد

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٧٣ - ١٨٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٧٦ .

أربعة عشر قرناً من نزوله فكأنه أنزل اليوم ، وتقرأ الجاحظ<sup>(١)</sup> والمنتبي<sup>(٢)</sup> بعد ألف سنة أو أكثر فكأنما تقرأ لكتاب ولشعراء معاصرين ، وقد تجاوزت اللغة الأدب الرفيعة ولغة الحديث العادية طوال هذه القرون على اختلاف الهيئات ، فلم تطغ إحداهما على الأخرى ، ولم تنفر إحداهما من مجاورة صاحبتها . ومع ذلك فإن هذا الخطر الموهوم المزعوم يكفي في دفعه - إن كان - أن تُحسّ الدولة القيام على تعليم العربية في مدارسها وأن تُلزم باستعمالها في المجالس النيابية وفي دور القضاء وفي الإذاعة وفي المحافل والمجامع على اختلافها<sup>(٣)</sup> .

و حين يقترح طه حسين وضع معاجم مقترحة بحيث لا تتضمن إلا الألفاظ العربية الفصيحة التي بقيت مستعملة بمعناها الأصلي في لغة ذلك القطر ، يقول رحمه الله تعليقاً على ذلك : إن (معاجم اللغة العربية سوق تختلف باختلاف بلاد العرب واقطارهم ، وأن المعجم التونسي والمعجم المصري والمعجم العراقي ، والمعجم الشامي والمعجم الحجازي والمعجم اليمني سوف تصبح بتنفيذ هذا الاقتراح حقيقة واقعة .

وهذه المعاجم المقترحة نفسها سوف تصبح بدورها موضع تنقيح وتغيير وتعديل ، وسوف ينأى بها كل تنقيح جيد عن أصلها الأول ، حتى يتناكر المتعارفون ويتفرق المجتمعون ثم لا يُرجى لصدعهم رأب .

---

(١) الجاحظ : ( أبو عثمان عمرو بن بحر ، أشهر علماء القرنين الثاني والثالث وأوسعهم ثقافة ، لقب بالجاحظ لجحوظ عينيه ، جمع بين العلم والأدب ، توفي عام ٢٥٥هـ ) ، الموسوعة العربية العالمية ، ج ٨ ، ص ١٠٢ .

(٢) المنتبي : ( أحمد بن الحسين ، أشهر شعراء العربية على الإطلاق ، قيل سمي بالمنتبي لأنه ادعى النبوة ، كان من شعراء سيف الدولة ، قتل عام ٣٥٤هـ ) ، الموسوعة العربية العالمية ، ج ٢٢ ، ص ٢٢٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٧٨

ذلك هو المصير المظلم الذي يبدأ بدعوة خلافة براقية بريئة الظاهر إلى دراسة اللهجات والعناية بما يسمونه - تمويهاً على الشعوب - بالآداب الشعبية<sup>(١)</sup>.

ويصل الدكتور محمد حسين رحمه الله إلى الذروة وهو يقول : (والنحو العربي ولا أقول «النحو القديم» كما يسمونه - ما عيبه ؟ وهل هو حقاً كما يزعمون معقد صعب ، وهل ثبت فشله كما يزعمون في تنشئة جيل عربي يقيم عربيته ويحسن تذوقها : نحونا وبلاغتنا لا عيب فيهما .

ومن الممكن تبسيطهما واختصار المطولات المؤلفة فيهما في حدود القواعد والأقسام التي التزمها القدماء أنفسهم ، فالواقع أن اجتماع الناس في كل أمصار العرب - بل المسلمين - على قواعد موحدة ، دون أن تحملهم على ذلك قوة القاهرة أو تلزمهم به سلطة منفذة ، أو تقوم على نشره دعاية مُروّجه وعصابات تسوق الناس إليه ، هذا الاجتماع على قواعد موحدة في النحو والصرف والبلاغة بعد أن كانت مدارسها متعددة ، هو وحده الدليل الحي الذي لا يُنقض على صلاحية هذه القواعد ، وعلى أن هذه الدعوات إلى تغييرها بدعوى التيسير أو الإصلاح هي دعوات مفتعلة يروجها هدامون وينساق وراءها مغفلون . . .

إن انحطاط مستوى الجيل الحاضر في اللغة العربية أمر واقع ، ولكن سببه ليس هو صعوبة القواعد (القديمة) ، بل إن سببه هو زعم الزاعمين أنها معقدة ، لأنه قد صرف الناس عن إتقانها إلى التنقل بين تجارب فجة غير ناضجة ، وأعان على إقرار ما يتوهمه التلاميذ والمدرسون من صعوبتها ، بل اختلف هذا الوهم نفسه بعد أن لم يكن . . .

(١) المرجع السابق ، ص ١٧٨ .

ولكي ندرك خطر هذه الدعوات ونفهم حقيقة مغزاها لابد لنا أن نقرنها إلى أمثالها ، ننظر إليها في ظل مانسمعه من الدعوة إلى تطوير عاداتنا وتقاليدنا ، وتطوير أدبنا ، شعره ونثره ، شكلاً وموضوعاً وأسلوباً ، وتطوير ألحاننا وأغانينا ، وتطوير زينا نساءً وأرجالاً ، وتطوير قيمنا ومثلنا الأخلاقية والاجتماعية ، وتطوير تشريعنا بل تطوير إسلامنا نفسه ، من أجل النظر في هذا كله وقرن بعضه إلى بعض ، عرف أن أصل هذه الفروع واحد ، وأن روح الدعوة فيها جميعاً واحدة ، وأن أصحابها لا يقنعون إلا بقطع كل ما يربطنا بإسلامنا وعروبتنا وشرقيتنا من وشائج وصلات ، عند ذلك نفقد طابعنا الذي يميزنا بوصفنا جماعة أو قومياً أو أمة ، وإذا فقدنا طابعنا فقدنا كيانتنا ، وفقدنا القدرة على التكتل والتجمع ، وأصبح من اليسير على الشرق أو الغرب أو كائناً من كان من خلق الله أن يلحقنا به ويجعلنا تابعين له ، ندور في فلكه ونسبح بحمده من دون الله .

والقائمون على ترويج هذه الدعوات كالجراثيم ، تكمن حين تأنس من الجسم مقاومة حتى يظن المريض أن الداء قد ذهب عنه ، ولكنها تتحصن في واقع الأمر حتى تجد فرصة أخرى ملائمة للظهور فتثور ، وقد نشط أصحاب هذه الدعوات في السنوات الأخيرة<sup>(١)</sup> ، لأنهم يعرفون أن الثورات هي أكثر الظروف ملائمة لبث سمومهم ، ويلبسون ثياب الناصحين ويندسون في غمار الثائرين الذين يريدون أن يستبدلوا بأسباب الضعف والفساد أسباباً للحياة والقوة والبناء ، كما يندس المخربون والمأجورون من عملاء العدو وسط جموع المظاهرات فيحطمون المصابيح ويرمون المنشآت ، فيقلدهم غيرهم في

---

(١) هذا المقال نشر عام ١٣٧٨ هـ .

صنيعهم دون تمييز بين ما يصلح تحطيمه وما يضر تحطيمه<sup>(١)</sup>.

وبعد أن أشار رحمه الله إلى مصدر هذه الدعوات ، وأنها صنيعه لعدد من المبشرين برعاية من الغرب وأساطينه ، استلبوا بها عقول أولئك المأجورين المقلدين يقول رحمه الله ، (وبعد ، فقد وعد الله سبحانه أن يحفظ قرآنه إذ قال وقوله الحق : ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (الحجر : ٩).

وهل يكون حفظه إلا بحفظ لغته؟! وإني لأعرف أن الهدامين من الإنس والجن أضعف كيداً من أن ينقضوا ما قضاه الله سبحانه ، وإنما أقول ما أقول إبراءً للذمة واغتناماً للأجر وخضوعاً لسنة الله الذي يضرب الحق والباطل ، والذي ألزم أهل الإيمان محاربة أهل الكفر والضلال ومكافحتهم ليلبو بعض الناس ببعض ، وإنما هو قضاء سبق في علم الحكيم العليم وتقديره ، يشقى به المفسدون ومن تبعهم -وبعملهم يشقون - ويسعد به من هداهم الله للذود عن الحق والمنافحة عن الدين ، في يوم يتبرأ فيه أئمة الشر ممن تبعوهم ، ويقول الذين اتبعوهم ﴿لو أن لنا كرة فتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار﴾ (البقرة : ١٦٧).

و أود أن أتطرق إلى قضية تطوير اللغة أو الدراسات اللغوية الحديثة التي كان الدكتور محمد حسين رحمه الله يقف ضدها وبكل قوة ، حيث كان رحمه الله يرى أن خطورة الدراسات اللغوية الحديثة تكمن في الآتي :

(١- أن الدراسات اللغوية الحديثة ليست مستقرة عند أصحابها من

الأوروبيين ، وإنما لا تزال تخضع كل يوم للتغيير .

٢- أن هذه الدراسات تهتم بما يتكلم به الناس فعلاً ، لا بما يجب أن

---

حصوننا مهددة من داخلها ، د . محمد حسين ، ص ١٨٠ - ١٨٣ .



يتكلموه، ومن ثم لا تفرق بين المستوى الفصيح والمستوى العامي من اللغة .  
٣- أن هذه الدراسات أخذت في سبيل بناء منهجها الحديث، تنقد المناهج  
القديمة نقداً شديداً .

٤- أن هذه الدراسات لا تهدف إلى دراسة لغة بذاتها، وإنما تسعى إلى  
وضع منهج ينطبق على اللغات الإنسانية جميعها<sup>(١)</sup> .

ومما يؤكد وجهة رأيه وقوة حجته رحمه الله أن التطبيق الفعلي لتلك  
الدراسات حمل في طياته بعض الأخطاء مثل ( الهجوم العنيف الذي قاده  
أساتذة علم اللغة على التراث النحوي العربي ، ووصفه بأنه نحو معياري ،  
وأنه لا يمثل إلا عربية خاصة بمكان وزمان معينين بل لا يمثل إلا مستوى خاصاً  
من هذه العربية ، وأنه نحو فلسفي منطقي ، اعتمد على المنهج الأرسطي في  
التفكير ، ومن ثم فهو نمو صوري لا يمثل الواقع اللغوي الفعلي .

وفتح باب دراسة اللهجات العامية باعتبارها مصدراً طبيعياً للبحث ،  
وكذلك استعمال العامية في تدريب الطلاب على تحليل المستويات اللغوية من  
صوتية وتركيبية ودلالية .

وزاد الطين بلة كما يقولون خروج بعض الأبحاث التي تشكك في وثاقة  
النص القرآني الكريم .

ومن الواضح وضوحاً كاملاً أن هذا الموقف لم يكن من أجل الموقف ذاته  
ولم يكن تمسكاً جامداً، بل كان رد فعل طبيعياً لما سلف من سوء تطبيق تعلم  
اللغة الجديدة<sup>(٢)</sup> .

حقاً لقد ظلمت اللغة العربية ظلماً فادحاً حين ظن الظانون عجزها عن مجارة

---

(١) موقف الدكتور محمد محمد حسين من الدراسات اللغوية الحديثة ، ص ١١٦ - ١١٧ ، (ضمن كتاب  
موقف الدكتور محمد محمد حسين من الحركات الهدامة) .

(٢) حصوننا مهددة من داخلها ، د . محمد حسين ، ص ١١٨ (بتصرف) .

العصر، وهي التي لا توجد لغة في العالم تضاهيها روعة وجمالاً وغنى في الألفاظ والمعاني (ولو أخذنا على سبيل المثال ماجاء من أثر الأشياء على اليد لوجدنا العرب تفرق بين هذه الآثار تفريقاً عز أن تجد له نظيراً في أي لغة من اللغات . . . . . ، كما فصلت العرب في الكلام على الأموال وأنواعها فجعلت لكل نوع اسماً خاصاً به، فهي تقول : إذا كان المال موروثاً فهو تلاد ، وإذا كان مكتسباً فهو طارف ، وإذا كان مدفوناً في الأرض فهو ركاز ، وإذا كان ذهباً وفضة فهو صامت ، وإذا كان إبلاً وغنماً فهو ناطق ، وإذا كان ضيعة ومستغلاً فهو عقار .

وتقول العرب أيضاً عن الحمى إذا كانت لا تدور بل تكون نوبة واحدة : حمى يوم . . فإذا كانت نائمة في كل يوم فهي الورد . . فإذا كانت تنوب يوماً ويوماً لا فهي الغب . . فإذا كانت تنوب يوماً ويومين لا ، ثم تعود في الرابع فهي الربع ، . . فإذا دامت وأقلقت ، ولم تقلع فهي المطبقة . . فإذا قويت واشتدت حرارتها ولم تفارق البدن فهي المحرقة . . فإذا دامت مع الصداع أو الثقل في الرأس والحمرة في الوجه وكراهة الضوء فهي البرسام .

وغنى العربية هذا ليس وقفاً على شؤون الحياة المادية وحدها ، وإنما هو متوافر في الشؤون المعنوية أيضاً .

فالشجاعة لها عند العرب درجات ولكل درجة لفظ خاص بها . . والجود له مراتب ولكل مرتبة كلمة تؤديها . . والغضب له مراحل ولكل مرحلة حرف يعرب عنها وهكذا ، ومن يقف على كتب (فقه اللغة) يجد لكل معنى يجول في ذهنه لفظاً ، ولكل سؤال يدور في خلدته جواباً<sup>(١)</sup> .

---

(١) العدوان على العربية عدوان على الإسلام ، د. عبد الرحمن الباشا ، ص ٤٤ - ٦٦ ، (بتصرف) ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ ، دار الأدب الإسلامي ، القاهرة ، مصر .

وصدق الإمام الثعالبي (١) حين قال : ( من أحب الله تعالى أحب رسوله محمداً ﷺ ، ومن أحب الرسول العربي أحب العرب ، ومن أحب العرب أحب العربية التي نزل بها أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب ، ومن أحب العربية عني بها وثابر عليها وصرف همته إليها ، ومن هداه الله للإسلام وشرح صدره للإيمان . . . اعتقد أن محمداً ﷺ خير الرسل ، والإسلام خير الملل والعرب خير الأمم ، والعربية خير اللغات والألسنة والإقبال على تفهمها من الديانة ، إذ هي أداة العلم ومفتاح التفقه في الدين ) (٢) .

إن الهجوم على اللغة ولاشك هجوم على الدين والعقيدة ، ولن تهاجم اللغة في مكان أفضل من أن تهاجم في معاقل العلم والتربية ، وغرس ذلك في عقول أبناء المسلمين وتنشئتهم على كراهية اللغة واستصعابها والمطالبة بتيسيرها أو استبدالها .

والحاصل أن الهجوم على اللغة وعلى غيرها في مناهج التعليم كان سافراً وواضحاً لا هوادة فيه ، وقد تغلغل إلى التعليم المرضى وأصحاب الأهواء يريدون أن يعملوا عملهم ويخربوا فكر الأمة ووجهتها إلى حيث يحبون ويريدون .

ومن العجيب أن يصل الأمر في بلد إسلامي كبير كمصر إلى درجة أن يعهد إلى ( دنلوب النصراني الإنجليزي بوضع مناهج التعليم فيها ، وكان كل همه من وراء هذه المناهج هو نزع اعتقاد الشباب المسلم في القرآن وقد كان له

---

(١) الثعالبي : هو أبو منصور عبد الملك ابن محمد ، من أئمة اللغة والأدب من أهل نيسابور من أرض خراسان كان فراءً يخطط جلود الثعالب فنسب إلى صناعته ، واشتغل بالأدب والتاريخ . . . وله كثير من المؤلفات ، توفي عام ٤٢٩ هـ (العدوان على العربية ، د. عبد الرحمن الباشا ، ص ٦) .

(٢) العدوان على العربية ، د. عبد الرحمن الباشا ، ص ٦ .

عبارة اشتهر بها ، وهي : متى تواری القرآن ومدينة مكة من بلاد العرب يمكننا  
حيثئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة .

وكان هذا الرجل في الأصل قسيساً وخريجاً لكلية اللاهوت ولك أن  
تتصور مدى خطورة الأمر حين يخطط قسيس لبرامج التعليم في بلد  
إسلامي .

وضع هذا القسيس خطة التعليم في مصر ، وإليك خطوطها العامة :

١- جعل اللغة الإنجليزية لسائر العلوم كالرياضيات والتاريخ والجغرافيا  
والرسم ، وبذلك ضيق على اللغة العربية وحاول القضاء عليها .  
٢- جعل الدين مادة ثانوية ليس لها من الأهمية كمادة الرسم والأشغال أو  
حتى الرقص البلدي في معاهد الباليه .

٣- حاول أن يحرر كتب المطالعة واللغة العربية من كل ما له مساس  
بالدين حتى إنه ألغى كتاب علي مبارك وعبد الله فكري (طرق الهجاء)  
وكانت حجته في ذلك ، أن الكتاب تحدث عن الفضائل الإسلامية وأورد  
قواعد الإسلام وأحكامه مصحوبة بالحكم والآيات القرآنية ، والأحاديث التي  
تحس على حب الوطن والتعاون وإصلاح ذات البين !! وكان هذا الكتاب  
مقررأ على الطلاب منذ عام ١٨٩٤ م ولكن هذا الإنجليزي بمكره وخبثه يدعي  
أن هذا الكتاب ليس وافراً بحاجة التعليم ، ويوعز إلى بعض اتباعه بكتابة  
كتاب آخر يتفق مع الأهداف التي يرنو إليها أعداء الإسلام . . (١)

وهل يتوقع من مثل هذا النصراني إلا ذلك ، يقول الدكتور الميداني

---

(١) إحدروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، د. سعد الدين السيد صالح ، ص ١٨١ ، ط ٢ ،  
١٤١٣ هـ ، دار الأرقم ، الزقازيق ، مصر .

المفروض في المسلمين الصادقين المدركين لمسئولياتهم ، أن يسمحوا لكافر بالإسلام أو منافق بأن يتسلل لإدارة أو توجيه مؤسسة تعليمية من مؤسساتهم ، وأن يكونوا شديدي الحذر من أن يتولى فيها إدارة أو توجيهها عنصر لا يؤمن بالله رباً ، ولا بالإسلام ديناً ولا بمحمد رسولاً ﷺ ، ولا بالقرآن كتاباً هادياً إلى كل خير ، ودستوراً للناس أجمعين ، حتي لا يتولى أعداؤهم بناء أجيالهم على العداة لدينهم وأمتهم وهم عن ذلك غافلون<sup>(١)</sup> .

ختاماً لا بد من القول إن مناهج التعليم قاطبة في بلاد المسلمين عدا بلاد الحرمين قد أصابها الكثير والكثير من الخلل المقصود والمتعمد ، حيث كانت أهداف أعداء الأمة المسكينة تتمثل في تحقيق (الأغراض التالية :

- ١- إخراج القرآن والسنة وتاريخ الإسلام من البرامج التعليمية .
- ٢- تخريج أجيال مضطربة دينياً وعقدياً مرتبطة بالغرب أكثر من ارتباطها بالإسلام .

٣- تجهيل أبناء الإسلام بلغتهم العربية وبالتالي بتراثهم القديم .<sup>(٢)</sup> .

---

(١) غزو في الصميم ، د . عبد الرحمن الميداني ، ص ١١١ ، ط ٢ ، ١٤٠٥ هـ ، دار القلم دمشق ، سوريا .  
(٢) احذروا الأساليب الحديثة ، د . سعد الدين صالح ، ص ١٨١ ،

**الفصل الثاني**  
**موقفه من تغريب المرأة**

تعتبر قضية المرأة من القضايا الخطيرة التي شغلت الرأي العام في بلاد المسلمين وأحدثت ضجة ودويًا هائلين، كان من نتائجها أن قامت أحزاب تنادى وتناصر ما يسمى بحقوق المرأة وأحزاب أخرى تنادى بخطورة مثل هذه الدعوات وآثارها الاجتماعية الخطيرة على المجتمع وعلى حصانته وتماسكه وطهارته من المفاصد الأخلاقية والاجتماعية .

وكان الدكتور محمد حسين رحمه الله من أصحاب الاتجاه الثاني، ولذلك حمل على عاتقه مسؤولية بيان الحق والتحذير من مثل هذه الدعوات الباطلة في أكثر من كتاب من كتبه الثرية بالغيرة على الإسلام والدفاع عنه دفاعاً حاراً وصادقاً .

يقول رحمه الله وهو يستعرض بداية هذه الدعوة الباطلة في بلاد المسلمين : إن هذه الدعوة [شغلت الرأي العام في بلاد المسلمين، ولا تزال، وهي الدعوة إلى ما يسمى (حقوق المرأة) أو ما كان يسمى عند الدعاة الأولين لهذه الحركة (تحرير المرأة) .

ظهرت الحركة في أول أمرها هادئة تدعو إلى تعليم المرأة، وظهرت بوادر ذلك في كتاب رفاة الطهطاوي (المرشد الأمين للبنات والبنين) وفيما كتبه في (تلخيص الإبريز في تلخيص باريس) من تهوين اختلاط الرجال بالنساء في أوروبا مما يكاد أن يكون دفاعاً عنه، وهو واضح الدلالة على تأثر الطهطاوي بما شاهده في المجتمع الأوروبي أثناء إقامته في باريس، مشرفاً على البعثة العلمية التي أرسلها محمد علي باشا لتعلم الهندسة والطب والعلوم الحديثة، واختارها من طلبة الأزهر .

وهذا التأثر بالحضارة الغربية واضح أيضاً فيما كتبه الطهطاوي في المرشد

الأمين عن كراهية تعدد الزوجات.

وقد أثار محمد عبده هذين الجانبين بعد ذلك في مقالاته التي كان ينشرها في (الوقائع الرسمية)، ولكن الموضوع أثير في عنف لفت الأنظار عندما أصدر فيه قاسم أمين<sup>(١)</sup> كتابين، صدر أحدهما ١٨٩٩م وهو كتاب (تحرير المرأة)، وصدر الثاني في العام التالي سنة ١٩٠٠م وهو كتاب (المرأة الجديدة).

وقد حاول قاسم أمين أن يخفي في الكتاب الأول دوافعه الحقيقية وهي الافتتان بالحضارة الغربية ليبدو وكأنه يستنبط أحكامه من كتاب الله وسنة رسوله، ولكنه لم يلبث أن كشف عن حقيقة نواياه في كتابه الثاني حين أثاره الذين عارضوه بردودهم العنيفة، فدعا الناس في صدر هذا الكتاب إلى أن يتخلصوا مما وقر في نفوسهم من أن عاداتهم هي أحسن العادات، وأن ما سواها لا يستحق الالتفات، وقال إن طالب الحقيقة لا يجب أن يجرى في إصدار أحكامه على هذا الضرب من التساهل، بل يجب أن يعود نفسه على أن يجرى نقده للحوادث على أسلوب علمي، ثم قرر في آخر كتابه أن التمدن الإسلامي قد بدأ وانتهي قبل أن يكشف الغطاء عن أصول العلم (كذا) فكيف يمكن أن نعتقد أن هذا التمدن كان نموذج الكمال البشري؟ وفي هذا الكتاب الذي كشف عن حقيقة نوايا قاسم أمين ودوافعه، اختار المؤلف أسوأ ما في الحضارة الإسلامية من صور الفساد ليزعم أنها أقل من المستوى الذي بلغه

---

(١) قاسم أمين، (ولد في عام ١٨٦٣م وهو حقوقي مصري، ويعود نسبه إلى أسرة تركية، درس في الإسكندرية ثم بالقاهرة، سافر إلى فرنسا في بعثة دراسية، وأتم دراسة الحقوق عام ١٨٨٥م، وعاد إلى مصر وكان أول من نادى بحقوق المرأة وحريتها، توفي عام ١٩٠٨م)، الموسوعة العربية العالمية، ج ١٨، ص ١٩.



اليونان والرومان في كفالة الحريات ، وختم هذه المقارنة الظالمة المغرضة بقوله: (متى تقرر أن المدنية الإسلامية هي غير ما هو راسخ في مخيلة الكتاب الذين وصفوها بما يحبون أن تكون عليه لا بما كانت في الحقيقة عليه ، وثبت أنها كانت ناقصة من وجوه كثيرة ، فسيان عندنا بعد ذلك أن احتجاج المرأة كان من أصولها أو لم يكن ، وسواءً صح أن النساء في أزمان خلافة بغداد والأندلس كن يحضرن مجالس الرجال أو لم يصح ، فقد صح أن الحجاب هو عادة لا يليق استعمالها في عصرنا) [١].

واستمرت تلك الدعوات عبر قنوات شتى تدعو كلها إلى تحرير المرأة وإخراجها مما هي فيه من ظلم وجور وعدم مساواة ، وبينما كانت تلك الدعوات تسير بكل قوة ، كان كتابا قاسم أمين قد لقياً (مقاومة عنيفة وجوبه صاحبهما بما يكره من غليظ القول وفاحشه ، بين مقالات صحفية ورسائل يطلب إليه أصحابها أن يسمح لهم بالاستئناس بزوجه ومجالسة أهل بيته ، ولكن دعوته لقيت رواجاً بعد الحرب العالمية الأولى في مصر على وجه الخصوص ، فخلعت المرأة النقاب ، ثم استبدلت المعطف الأسود الساتر الفضفاض الذي كانت تلتحف به ، ثم لم تلبث أن نبذت المعطف وخرجت بالثياب الملونة ، ثم أخذ المقص يتحيف هذه الثياب في الذيول والأكمام وفي الجيوب ، ولم يزل يجور عليها ويضيقها على صاحبها حتى أصبحت كبعض جلدها ، ثم إنها تجاوزت ذلك كله إلى الظهور على شواطئ البحر في المصايف.

وقطعت المرأة مرحلة التعليم الابتدائي والثانوي واقتحمت الجامعة تشارك

(١) أزمة العصر ، د. محمد حسين ، ص ١٢٠ - ١٢١ .

الشباب في قاعات الدرس ، دخلت كلية الآداب أولاً ، ثم تسربت إلى كلية الحقوق ، ثم انتشرت في الكليات الأخرى على اختلاف التخصصات من طب وهندسة وعلوم وتجارة ، وكان آخر ما اقتحمته كلية الزراعة ، وخصصت لهن الصفوف الأولى في بدء الأمر ، ثم تركن للاختلاط الكامل ينحشرون بين الصفوف والمقاعد ، وامتألت المصانع والمتاجر بالعاملات والبائعات ، وحطم النساء الحواجز التي كانت تقوم بينهن وبين الرجال في المسارح وفي الترام وفي كل مكان ، فاخفت المقاعد التي جرت العادة على تخصيصها للسيدات بعد أن أصبحن يفضلن مشاركة الرجال.

بدأ ذلك كله بعد الحرب العالمية الأولى ، وازدادت حدته بعد الحرب العالمية الثانية ، وتتابع التطورات في سرعة مذهلة لم تدع فرصة للمعارضة ، وأعان على اندفاعها جو الثورة التي تلت الحرب ، والتي كانت تطالب بجلاء جيوش الاحتلال الإنجليزية ، وما يوحى به من جرأة وتمرد على كل قديم ، وظهرت طلائع ذلك في التجمع النسائي المشهور الذي طاف شوارع القاهرة سنة ١٩١٩ م ، في طريقة إلى دار المعتمد البريطاني ، وكان عدده يربو على الثلاثمائة وعلى رأسهن صفية زغلول<sup>(١)</sup> حرم سعد زغلول باشا زعيم الثورة ، وهدى شعراوي<sup>(٢)</sup> حرم على شعراوي باشا أحد أعضاء وفد مصر الثلاثة

---

(١) صفية زغلول : (ولدت عام ١٨٧٨ م ، وهي من رائدات الحركة النسائية في مصر ، قامت بدور كبير في نشر فكرة حرية المرأة ، وكانت من اللواتي خلعن الحجاب في ميدان التحرير ، سميت (أم المصريين) لمواقفها

الوطنية كما يقال ، توفيت عام ١٩٤٦ م) ، الموسوعة العربية الميسرة ، ج ٢ ، ص ١١٢٥ - ١١٢٦

(٢) هدى شعراوي : (ولدت عام ١٨٧٩ م ، كانت أول من رفع الحجاب في القاهرة وأول مؤسس للاتحاد النسائي المصري عام ١٩٢٣ م ، كما أسست الاتحاد النسائي العربي ١٩٤٤ م ، طالبت بمساواة الجنسين في التعليم وفي الحقوق السياسية ، كما طالبت بتعديل قوانين الطلاق وتعدد الزوجات وحضانة الأولاد ، توفيت عام ١٩٤٧ م) . الموسوعة العربية الميسرة ، ج ٢ ، ص ١٨٩٣ .

الذين نابوا عن المصريين في مطالبة إنجلترا بالجلء وكتاهما متسميتان باسم زوجيهما: زغلول وشعراوي - على طريقة الإفرنج - وهذا التجمع هو الذي وصفه حافظ إبراهيم<sup>(١)</sup> في قصيدته:

خرج الغواني يحتججن ورحت أرقب جمعهنه

وتجرات المرأة منذ ذلك الوقت على المشاركة في القضايا الوطنية وفي مختلف الميادين الاجتماعية، وشاركت مشاركة فعالة بارزة في حركة المقاطعة الاقتصادية سنة ١٩٢٢م وغفلت أعين المعارضين من المحافظين عن هذه الخطوات الجريئة التي أضفت عليها الثورة لونا من النبل حفظها من أن تهاجم أو تمس، ثم تنبه المحافظون فإذا المرأة ماضية في استئناف الطريق الذي وضعت قدمها على أوله، فأخذت تؤسس الجماعات وتقيم الحفلات وتعد الندوات والمحاضرات، وتزعمت هذه الحركة النسائية هدى شعراوي حرم على باشا شعراوي، وتجرات هذه المتزعمة على ما لم تتجرأ عليه امرأة مسلمة من قبل فسافرت إلى باريس وإلى أمريكا لدراسة شؤون المرأة، وأخذت تلقي بالتصريحات لمدوبي الصحف.

منذ ذلك الوقت أصبح للمرأة قضية حقيقية تناولها الشعر وتناولتها الصحف، بين مؤيد يشجع السفور والاختلاط بما ينشره من أخبار المرأة في تركيا بعد الانقلاب الكمالي ومعارض ينكر ما يرى من تغير حال المرأة ومن جرأتها على الدين والتقاليد وتمردتها على سلطة الأب والزوج، وتقليص

---

(١) حافظ إبراهيم: (ولد عام ١٨٧٠م، وهو شاعر مصري حديث من الرواد الأوائل في عصر النهضة، كان قريبا من عامة الشعب، قادرا على التعبير عن أحاسيس الجماهير ضد الإنجليز، سمي شاعر النيل، له قصائد جيدة، منها قصيدته المشهورة باللغة العربية تنعى حظها بين أهلها، توفي عام ١٩٣٢م)، الموسوعة العربية العالمية، ج ٩، ص ٤٨.

الثوب فوق جسدها في سرعة تجاوزت كل ما يتخيلون.

وكثر الاستفتاءات المغرضة الموجهة التي كانت تنشرها الصحف والمجلات ، ومجلة (الهلال) و (المقتطف) على وجه الخصوص ، في شؤون المرأة المختلفة مثل الزواج بالأجنبيات واختلاط الرجال بالنساء ، وما يحسن استبقاؤه من عاداتنا الشرقية في المرأة ، وما يحسن اقتباسه من الإفرنج ، كانت المجلات تعرض في كل واحد من هذه الاستفتاءات رأى بعض مشاهير الكتاب والمفكرين الذين تختارهم اختياراً خاصاً يحقق ما تقصد إليه من توجيه وكان عليهم أن يجيبوا على أسئلة محددة اختيرت موضوعاتها وكلماتها اختياراً خبيراً ماكرأ.

شغلت الصحف بمثل هذه الموضوعات ، ودار حولها جدلٌ كثير صور فيه المحافظون في معظم الأحيان بصورة الرجعي المتزمت الضيق الأفق ، الذي يريد أن يحرم الحياة من مباحها ليردها إلى كآبة الصحراء وجفاء البداوة ، استعانوا على هذا التصوير بالمسرحيات الهزلية والصور السخرية والنكات المستطرفة المضحكة ، وتتبع الشباب هذه المعارك وكان بطبيعة ظروفه وتكوينه وسنه وثقافته التي يشيع فيها الغزو الفكري أميل إلى قبول آراء دعاة الحضارة الغربية والنفور من آراء المحافظين ، وكان ذلك هو الهدف الحقيقي من كل هذه المعارك التي تريد أن تلفت إليها الأنظار<sup>(١)</sup>.

بعد هذا الكلام يعطى الدكتور محمد حسين رحمه الله رأيه البليغ والمنطقي من خلال ذلك الاستعراض الرائع لانطلاق دعوة تحرير المرأة أو حقوقها المزعومة ، فيقول إن سبب ظهور هذه الدعوة وأمثالها يعود إلى أنها

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٢٥ - ١٢٧ .

(كانت ثمرة لكثير من العوامل التي كانت تتفاعل في بعض المجتمعات الإسلامية، وفي تركيا ومصر على وجه الخصوص، وقد اشتركت هذه العوامل جميعاً في مولد هذه الحركة، فهي ثمرة من ثمار الدعوة إلى الحرية، لأنها تعتمد على أن الحرية الشخصية قد أصبحت في العصر الحديث حقاً لكل إنسان، ذكراً كان أو أنثى، ولأن هذه الحرية هي التي حمت قاسم أمين ومنحته الحق في أن يقول ما قاله مما يعارض الإسلام ويؤذي الرأي العام ويمتلىء بالكاذيب والمغالطات.

والدعوة في الوقت نفسه ثمرة من ثمار الحركة التي تدعو إلى تحرير النظم والقوانين الاجتماعية من سيطرة الدين، أو ما كان يسمى بفصل الدولة عن الدين، ثم إن الدعوة في أحد جوانبها ثمرة من ثمار الافتتان بالحضارة الغربية، لأنها تريد أن تحمل المرأة المسلمة في كل أحوالها على النمط الذي تمثله الحضارة الغربية.

وهي في جانب آخر ثمرة من ثمار (التغريب) لأنها أهم ما عني به الاستعمار، فيما كان يبذله من جهود لحمل المجتمعات الإسلامية على حضارة الغرب وتقريب ما بينهما من فوارق، بعد أن وضح أن وضع المرأة هو أبرز وجوه الخلاف وأبعدها في سعة الخلاف بين الطرفين، مما لا يرجي معه اتفاق إلا بفناء أحد المذهبين في الآخر<sup>(١)</sup>.

ويمكن أن نلخص محاولة إفساد المرأة من خلال هاتين القضيتين :

قضية المجتمع المختلط ، وقضية المرأة والأعمال العامة .

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٢١ - ١٢٢ .

بنظام صارم ولكن عادل.

فأحللنا محله نظاماً متحرراً غير منتظم، ووضعنا يدنا على التشريع، وعلى المناورات الانتخابية وتحكمنا في إدارة الصحافة وفي نمو الحرية الفردية، والأهم من ذلك كله إشرافنا على التعليم، وهو المعول الرئيسي للحياة الحرة).

ولست أرى داعياً لإيراد النصوص القرآنية التي تعارض دعوى الاختلاط وتنقض مزاعم أصحابه فهي مشهورة معروفة، لذلك أكتفي بالإشارة إليها في سورة النساء في الآيات ٢٥-٢٨، وفي سورة النور في الآيات ٣٠، ٣١، ٦١ وفي سورة الأحزاب في الآيات ٢١، ٣٢، ٣٣، ٥٣، ٥٩، والآيات في جملتها صريحة الدلالة فيما تأخذه المسلمين والمسلمات، فهي تأمرهم:

١- بستر جسم المرأة كله ومنه شعر الرأس، وتجنب إبداء المفاتن والتزين أمام الغرباء من غير المحارم.

٢- تجنب التسكع في الطرقات واستعراضها في غير حاجة، وبلا استقرار والاكتمان في البيوت.

٣- تجنب التحدث إلى الرجال، فإذا دعت إلى ذلك ضرورة فليكن بين الرجل والمرأة ستار، وليكن الحديث أميل إلى القصر، وعلى قدر ما تقتضي به الضرورة.

٤- بغض البصر عند التقائه بالرجال، والرجال مأمورون بمثل ذلك عند التقاء نظرهم بالنساء.

٥- بالزواج لمن استطاعه، وبالصبر وضبط النفس لمن أطاقه، وبالزواج من الإماء لمن لا يطيق الصبر ولا يجد مهر الحرائر، أما اتخاذ الخليلات

ومقارفة البغايا فهو محرم يحذر منه الإسلام .

٦- الخطاب الموجه إلى نساء النبي ﷺ في سورة الأحزاب ليس خاصاً بهن ، فهو معلل بأنه سبيل الطهارة والبعد عن مظان الريبة وأطماع مرضى القلوب ، ولا شك أن المسلمات من عامة الناس أبعد عن العصمة وأدنى إلى إطماع مرضى القلوب من نساء النبي ﷺ أمهات المؤمنين .

هذه القواعد الواضحة لا تدع مجالاً للتوفيق بين إسلام المسلمين وبين مذاهب دعاة المجتمعات المختلطة في شتى صورها وأشكالها ، وذلك هو حكم الدين لمن أراد أن يقيمه ، وتلك هي حدود الله لمن أراد أن يلتزمها .

أما الذين لا يلزمون أنفسهم حدود الله ولا يتقادون لما أمر به فلنا معهم حديث آخر ، يردد المتفرنجون من المسلمين ما تزعمه بعض الدراسات النفسية ، والفرويدية منها على وجه الخصوص ، من أن الاختلاط يهذب الغريزة الجنسية وينفس عن الكبت الذي يورثه الحجاب ، ولهؤلاء المتفرنجين نقول :

إن لله في خلقه سنناً لا يشذ عنها شيء مما خلق ، ومن سننه الكبرى في خلقه أن جعل في كل ما خلق ذكراً وأنثى ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾ (الذاريات : ٤٩) نجد ذلك في الحيوان وفي النبات وفي الظواهر الطبيعية كالكهرباء والمغناطيس ، ونجده في الكرة الأرضية نفسها فأحد قطبيها سالب والآخر موجب ، ونجده في أدق دقائق الخلق وألطف وحداته وهي الذرة و﴿سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون﴾ (يس : ٣٤) .

ومن طبيعة الأزواج في كل هذا الخلق أن تتجاذب ، فالذكر والأنثى من النوع الواحد يتجاذبان حتماً حسب ما بنى الله عليه طبيعة كل منهما ، وحسب

ما هدى إليه من فطرة وسبحان الذي ﴿أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾ (طه : ٥)، فميل المرأة للرجل وميل الرجل للمرأة إذن هو جزء من قانون عام اقتضته حكمة الله، لا سبيل إلى تجنبه أو إنكاره، وليس من المطلوب ولا هو مما يرغب فيه ويسعى إليه أن يخفف هذا الميل أو يعمل على إضعاف حدته. ثم إن إطلاق الأمر في تجاور الرجل والمرأة واختلاطهما لا يخلو من أحد أمرين، فهو إما أن يؤدي إلى إثارة الشهوة في الجنسين وزيادة حدتها، أو يؤدي إلى إضعافها وكسر حدتها، فإذا كان الاختلاط مؤدياً إلى تجاذب الذكر والأنثى على ما ركّب في طبيعة كل منهما، ولم تكن هناك حدود لهذا الاختلاط أو نظام مرسوم، تحول الأمر إلى فوضى لا ضابط لها، فيختلط النسب، وتقع الضغائن والأحقاد بين الآباء والأزواج وبين من اعتدى على أعراض بناتهم ونسائهم، وبين المتنازعين والمتنازعات والمتنافسين والمتنافسات على العشيق الواحد والعشيقة الواحدة، أما إذا كان الاختلاط مُضيقاً للشهوة يكسر حدتها - وهو فرض غير بعيد الاحتمال، لأن إلف النفس للشيء وطول اعتيادها إياه يضعف أثره فيها - فذلك هو البرود الجنسي عينه، وهو مرض يلتمس المصابون به العلاج عند طبيب، ثم إن البرود الجنسي متفاوت الدرجات، وهو في غير الحالات المرضية الشديدة التي تعرض النوع البشري للفناء يستتبع نتيجتين خطيرتين: ضعف النسل وتخلفه وانحطاط خصائصه، وانتشار الشذوذ واستفحال دائه، أما النتيجة الأولى فهي ترجع إلى أن حدة الشهوة وقوتها سبيل إلى تحسين النسل وداعية إلى إبراز أحسن خصائصه وأفضل صفاته، كما أن فتور الشهوة وبرودها سبيل إلى ضعف النسل وداعية إلى تدهور خصائصه وانحطاط صفاته، وذلك ما يؤيده علماء الوراثة فيما



ينبهون إليه من خطورة زواج الأقارب ومضاره، وإن كان تعليلهم لذلك مبنيًا على وجود ما يسمونه (الجينات) التي تورث الخصائص الخلقية والخلقية المختلفة، ويؤيد ذلك تأييداً تحريم الشريعة الإسلامية زواج أخوات الرضاعة، فمن الواضح أنه مبني على اعتبار الغرباء الذين لا تربطهم قرابة الدم ممن تجاوزوا وازداد إلف أحدهما للآخر في حكم أقرباء الدم، هذه حقيقة معروفة تقطع بها المشاهدة وتجارب الأجيال المتعاقبة، وتؤديها الشرائع الثابتة، وهي تشمل الإنسان والحيوان على السواء، ومن مظاهر تطبيقها في الحيوان إبعاد الذكور عن الإناث في حظائر تربية الطيور والحيوان وحظر السماح باختلاطهما إلا عند اللقاح، ومن علامات صحتها فيما أقدره انحطاط خصائص الجنس البشري في الهمج من العراة الذين لا يزالون يعيشون في المتاهات والأدغال على حال تقرب من البهيمية، فإنهم لا يأخذون طريقهم في مدارج الحضارة إلا بعد أن يكتسوا، ويستطيع المراقب لحالهم في تطورهم أن يلاحظ أنهم كلما تقدموا في الحضارة زادت مساحة الأعضاء الكاسية من أجسادهم، كما يستطيع أن يلاحظ أن الحضارة الغربية في انتكاسها تعود في هذا الطريق القهقري درجةً درجةً، حتى تنتهي إلى العرى الكامل في (مدن العراة)، التي أخذت في الانتشار بعد الحرب العالمية الأولى، ثم استفحل داؤها في السنوات الأخيرة.

أما النتيجة الثانية الخطيرة للبرود الجنسي وهي انتشار الشذوذ واستفحال دائه، فهي راجعة إلى أن الفتور الناشئ عن إلف المخالطة يحتاج في تنشيطه وإثارته إلى الخروج عن المألوف والشذوذ عن السنن، وذلك ما يؤذن بالخراب، لأنه من وجوه الترف التي قال فيها تعالى: ﴿وإذا أردنا أن نهلك

قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً ﴿  
(لإسراء: ١٦) لأن الدمار يحل لا محالة على من يخرق سنن الله، لأنها  
أقوى وأبقى ممن يريد تعطيلها أو تحويلها)<sup>(١)</sup>.

وأود بعد أن نقلت هذا الحديث الوجيه وهذا المنطق السليم السديد أن  
أقول إنه رحمه الله تحدث بإسهاب كبير عن نفس الموضوع في كتابه القيم  
(حصوننا مهددة من داخلها) واستوفى رحمه الله تلك النقاط ورد عليها رداً  
وافياً. ولكن أحب أن أعود إلى حديثه مرة أخرى عن ذات الموضوع ومن  
خلال رده على بعض دعاة الاختلاط في شبههم المختلفة حول أمثلة واقعية  
يسوقونها للتدليل على أن الاختلاط كان موجوداً في الكثير من المجتمعات  
المختلفة وحتى العربية منها، فمثلاً يزعم بعضهم (أن الريف العربي كله، ومنه  
قرى مصر يمارس الاختلاط، والواقع أنه ليس هناك اختلاط بين الرجال  
والنساء في أيهما، ولم يوجد اختلاط في أي عصر من العصور، فسفور  
القروية أو البدوية شيء والمجتمع المختلط شيء آخر، وكل الناس يعرفون أن  
الذي رسمه الإسلام للنساء من إطالة الثياب وتوسيعها إلى تغطية الرأس  
بالخمار والضرب بفضوله على الصدر، لا يتوافر في امرأة كما يتوافر في  
القروية و البدوية.

ومن المعروف كذلك أن السفور في هذه البيئات لا يتجاوز معاونة المرأة  
لزوجها في بعض الأعمال، وهي معاونة محدودة فيما تستطيعه، مثل نقل  
الحطب أو جني الثمار أو القيام على الدواب أو نقل بعض المتاع والغذاء، على  
أنها لا تفعل شيئاً من ذلك إلا بدافع الفقر والحاجة.

---

(١) المرجع السابق، ص ١٢٣-١٢٩.

أما السراة فنساؤهن مصونات في البيوت ، لذلك كان الشاعر العربي إذا وصف المرأة الكريمة قال : إنها (نؤوم الضحى) على أن التي يلجئها الفقر إلي الخروج لا تخاطب الغرباء إلا بقدر ما تدعو إليه الحاجة الماسة الضرورية ، وهي تضع طرف خمارها بين يديها وبين يد الرجل إذا سلمت عليه ، ومن المؤكد على كل حال أنها لا تجالس الرجال في أسمارهم أو عقودهم ، بل ولا تشارك أهل بيتها من الرجال على المائدة في بعض الأحيان ، فأين ذلك كله من المجتمع المختلط؟.

ومن هذه المزاعم كذلك ما يروجونه من أن الأخطاء التي نشاهدها الآن من آثار الاختلاط سوف تزول كما زالت في الغرب حسب زعمهم ، وواقع الأمر أن الأخطاء لم تزل في الغرب ، ولكن حياء الغربيين والغربيات هو الذي زال ، ونحن ناس خلق ديننا الحياء ، (والحياء خير كله)<sup>(١)</sup> كما قال سيدنا رسول الله ﷺ .

إن الذي يدمن الحياة بين نتن الجيف وعفن الأقدار يفقد الإحساس بالنتن والعفن ، ولكن هذا لا يعنى أن النتن قد زال.

ومن أعجب ما يلجأ إليه دعاة الاختلاط في بعض دعاياتهم أنهم يعارضون الإسلام بما جرى عليه العرف عند بعض البائدين كالفراغنة ، أو بمذاهب بعض الدراسات الاجتماعية والنفسية الحديثة ، ومعارضة الإسلام بهذه أو بتلك لا تصدر إلا من جاحد بالله ورسالاته وكتبه ، لأن الفرعونية ليست ديناً وليست مذهباً خلقياً ولكنها عصر تاريخي قد يكون فاسداً وقد يكون ضالاً وقد يكون كافراً بالله ، وقد قطع الإسلام ما بين إبراهيم عليه

---

(١) مختصر صحيح مسلم ، المنذري ، (٣١) ، ص ١٥ ، عن أبي قتادة رضي الله عنه .

الصلاة والسلام وما بين أبيه ، وقطع ما بين نوح عليه السلام وبين ابنه ، وبين لوط عليه السلام وبين زوجته ، فكيف لا يقطع الإسلام ما بيننا وبين الكفار من الفراعنة والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء أن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون﴾ (التوبة : ٢٣) .

أما الدراسات النفسية والاجتماعية فهي الآن دراسات موجهة تخضع لمذاهب الدارسين وأهوائهم ، ولذلك فهي متشعبة إلى مذاهب ومدارس متباينة ، تتعرض لتغيير دائم لا يكاد يستقر فترك نصوص الدين الثابتة إلى هذه الفروض المتغيرة التي ينقض بعضها بعضاً هو اتباع للظن المفرق للوحدة ، والباعث على التنازع المؤدي للفوضى والانحلال ، ومن غير الجائز بوجه عام ، وفي أي حال من الأحوال ، أن يحتكم في مثل هذه الشؤون لدارس فنون الشعوب وعاداتها المختلفة لكي يتصور منها صورة للمجتمع في بيئاته المختلفة وفي عصوره المتتالية ، فهي لا تصلح في كل الأحوال لأن تكون قدوة صالحة ، ولا يصح أن تكون مذهباً خلقياً أو اجتماعياً يعارض به مذهب الإسلام ، فما اختلفنا فيه من شيء فمرده إلى كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، لا إلى الفراعنة ، ولا إلى ما اعتاده الناس وما جرى عليه العرف هنا أو هناك ، ومن اعتراه أدنى شك في أن مصالح الناس ومصصلحة الوطن لا تتعارض مع الدين فقد أخرج نفسه من عداد المسلمين<sup>(١)</sup> .

(١) حصوننا مهددة من داخلها ، د. محمد حسين ، ص ٨٥ - ٨٧ ، (بتصرف) .

## المبحث الثاني

### المرأة والأعمال العامة

حول هذه القضية يقول الدكتور محمد حسين رحمه الله (زعم أعداء المرأة المتظاهرين بالدفاع عنها بعد أن أخرجوها من بيتها الذي زعموه سجنًا وسموا ذلك تحريراً، أن حريتها لا تكمل إلا بمنحها حق العمل مع الرجل سواءً بسواء، وتسربت المرأة إلى ميادين محدودة من العمل في مصر بعد الحرب العالمية الأولى وكان الذي يجري في تركيا بعد الانقلاب الكمالي يشجع على ذلك ويعين عليه، باعتباره وجهاً من وجوه النهضة كما يزعمون، ثم استفحل الأمر بعد الحرب العالمية الثانية فاقترحت المرأة على كل ميادين العمل بلا استثناء، وشاركت في الحكم وفي التشريع إلى أعلى درجاتها، بعد أن منحت حق المشاركة في الانتخاب، وفي تمثيل الشعب في المجالس النيابية، وتولت الوزارات، ولم يلبث هذا التقليد أن انتشر في كثير من البلاد العربية، واتخذ شكل الطفرة المفاجئة والانقلاب الأهوج في بعضها وراحت بقية البلاد التي لم تلحقها الموجة تعاني من صد تيارها الطاغى في مواجهة الزاحفين.

ويستطيع الدارس المتأمل أن يرى بوضوح في كل ما يجرى أن المرأة لا توضع حيث تدعو الحاجة - صحيحة كانت أو مزعومة - إلى أن توضع، ولكنها توضع لإثبات وجودها في كل مكان، ولإقحامها على كل ما كان العقل والعرف ينادى بعدم صلاحيتها له، فليس المقصود بتوظيفها سدّ حاجة موجودة، ولكن المقصود مخالفة عرف راسخ، وتحطيم قاعدة قائمة مقررة،

وإقامة عرف جديد في الدين وفي الأخلاق وفي الذوق، وخلق المبررات والمقدمات التي تجعل انسلاخنا من إسلامنا وعروبتنا أمراً واقعاً، كما نجعل دخولنا في دين الغرب ومذاهب الغرب وفسق الغرب أمراً واقعاً كذلك.

والحجة الأولى عند أنصار هذه الدعوة أن المرأة نصف المجتمع، وأنا حين نحرمها من العمل نعطل نصف القوى العاملة، والحجة باطلة من وجهين: أحدهما أنها قائمة على افتراض أنها لا عمل لها في البيت يشغل كل وقتها، وهو غير صحيح .

وثانيهما أن حجتهم لا تقوم إلا بعد أن نقضي على البطالة في الرجال قضاءً كاملاً، وإذا قلت البطالة فالمقصود بها البطالة في كل صورها الصريحة والمقنعة والبطالة المقنعة أكثر انتشاراً من البطالة الصريحة وأبرز صورها زيادة العمالة عن حاجة العمل الحقيقية، والاشتغال بالأعمال التافهة، واحتراف الحرف غير المفيدة، بل الضارة في كثير من الأحيان، والإهمال أو التراخي في القيام بواجبات الوظيفة، أو الانزواء وترك العمل جملة اعتماداً على وجوه للرزق ضيقة أو واسعة، تجيء بغير عمل من طريق الصدقات أو الأعطيات أو الإعانات.

ومن المغالطات المشهورة التي ابتدعها قاسم أمين وتابعه فيها كثير من الناس أنهم يقولون: إن من بين النساء نابغات، وبينهن عانسات، وبينهن من فقدت الزوج والعائل، فلماذا لا يشارك هؤلاء في الأعمال العامة في الحياة، والواقع أن الإسلام لم ينكر على المرأة حقها في السعي الشريف للرزق إن دعتها إلى ذلك ضرورة.

فالإسلام سمح، وقد أباح للضرورة أشياء كثيرة، حتى الميتة ولحم الخنزير

وما أهل به لغير الله، فرفع الإثم فيها عن المضطر في أكثر من موضع من القرآن الكريم (البقرة ١٧٣ - المائدة ٣ - الأنعام ١٤٥ - النحل ١١٥) بل رفع الإثم عمن أكره على الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان (النحل ١١٦)، واشتراك من اشترك من المسلمات في الجهاد، ممن يتصيدون أسماءهن في كتب التاريخ، هو من باب الاستثناء الذي تدعو له إليه الضرورة وهو في كل الأحوال لا يتجاوز حدود الأعمال التي تلائم المرأة كالتمريض والخدمة خلف صفوف القتال، ومصدر الخطأ والخلط في ذلك كله ناشئ من وضع الاستثناء والشذوذ موضع القاعدة والأصل من ناحية واتخاذ أعمال الأفراد حجة على الشرع نفسه من ناحية أخرى.

ومن أكبر ما يشغل المتزعمين لهذه القضية الخاسرة أنهم يجعلون أكبر همهم مصروفاً إلى إثبات أن المرأة تستطيع القيام بأعمال الرجال، وأنها إنسان مثله لا فرق بين عقلها وعقله، ويجهدون أنفسهم في حصر الأمثلة التي تؤيد زعمهم ممن نبغ من النساء في مختلف العصور، من المسلمات وغير المسلمات، وهو من الشذوذ الذي يراد وضعه موضع القاعدة، وليس هو في كل حال لب المشكل وصميمه، ولا هو بالمقياس الصحيح في تقدير الخطأ والصواب في هذا الأمر، ولكن لب المشكل وصميمه هو: هل يؤثر اشتغال المرأة بعمل الرجل على إتقانها لعملها النسوي الأصيل؟ من الواضح أن عمل الأنثى الأول الذي خلقت له هو النسل وحفظ النوع، لأن تركيب الذكوان العضوي لا يسمح لهم بحمل الجنين ولا بإرضاعه.

وليس عبثاً أن خلق الله الذكر والأنثى ومن الثابت أن إرهاب المرأة بالعمل يترك أثراً في مزاجها وفي أعصابها، ومن الثابت أن هذا الأثر ينتقل إلى جنينها

في حالة الحمل ، كما يتقل إلى طفلها في حالة الإرضاع ، بل إن بعض علماء الوراثة يتحدثون عن وراثة الصفات والأعراض الطارئة والغريبة على الأب والأم كليهما من آثار المخالطة في أثناء العلق والحمل ، ثم إن المرأة محتاجة بعد ذلك إلى أن توفر لها الفرص الكاملة لملازمة طفلها ملازمة تسمح بأن يصنع على عينها جسماً وعقلاً وخلقاً ، لكي تغرس فيه العادات الفاضلة وتجنبه ما قد يتعرض له أو يطرأ عليه من عادات قبيحة ، ومثل هذا لا يأتي بالأمر أو النهي مرة أو مرّات ، ولكن لا بد فيه من المراقبة الدائمة والإشراف القريب على تكرار الفعل حتى يرسخ في نفسه ، واليقظة على الزجر مرة بعد مرات عن بعض الأفعال الأخرى ، حتى يحال بينها وبين الرسوخ في نفسه ، وذلك كله لا يغني فيه الخدم ولا دور الحضانة غناء الأم لأن الإخلاص فيه والحرص على ابتغاء الكمال من كل وجه لا يتوافر في أحد توافره في الأم ، والقول بأن كل صلة الأم بولدها تنحصر في الحمل والوضع هو نزول بالإنسان إلى مرتبة الحيوان ، فالإنسان يمتاز بطول حضانته لأولاده ، وهي حضانة لا تنحصر في توفير الغذاء والحماية كما هي في سائر الحيوان ولكنها حضانة خلقية وعقلية أيضاً في الإنسان وذلك من أهم الأسباب في تقدم البشرية ، لأنه يورث الجيل التالي تجارب الأجيال السابقة ، بما يمكنه من متابعة الشوط ، وتوفير الوقت والجهد الذي يضيع في تكرار التجربة .

ولو شئنا لقلنا بعد ذلك كله لأعداء المرأة وأعداء أنفسهم ممن جرى عرف الصحف والكتاب في هذه الأيام على تسميتهم (أنصار المرأة) : إن المرأة لا تصلح لممارسة كل الأعمال العامة صلاحية الرجل ، لأنها بحكم تكوينها تحيض أسبوعاً في كل شهر وهي حالة تكاد تكون مرضاً عند بعض النساء ،



تخرجها عن مألوف عاداتها، وهي بعد ذلك إن حملت ظلت تعاني في الشهور الأولى من حالة (الوحم) وما يلازمه من أسقام، ثم إنها تعاني في الشهور الأخيرة من ثقل الحمل الذي يقيد حركتها حتى يكاد يشلها، فإذا لم تكن المرأة العاملة متزوجة كانت مشغولة بالبحث عن الزوج، معرضة للزلل والتفريط عن كل بارقة من الأمل في الظفر به، وهي لا تعدل عن ذلك ولا تنصرف عنه إلا لعله قد تكون شراً من البحث عن الزوج وأخطر.

ثم إن حياتنا الحديثة تقوم في كل شؤونها ومختلف نواحيها على التخصص الدقيق الذي يتيح دقة المعرفة وحذق المراتة لكل عاكف على فرع بعينه، والتربية الحديثة تحاول أن تكشف مواهب الأطفال والصبية لتوجيه كل منهم فيما يلائم استعداده وتكوينه، فلماذا نطبق هذين المبدأين (التخصص والعمل المناسب) في كل شيء ونأبى تطبيقها على الرجل والمرأة؟.

ويستطيع كل ذي لب وبصيرة أن يدرك آثار الفشل الذي حاق بتجارب المجتمع الأوروبي والأمريكي في هذه الناحية، مع أن هذه الآثار لم تبلغ بعد منتهى مداها ولا يزال سائر عقابيلها في الطريق، فهذا الجيل من التائهين والضائعين المحطمي الأعصاب والمبلبلي الأفكار والقلقي النفوس، وهذه النسبة الآخذة في الارتفاع - حسب إحصاء الغربيين أنفسهم - للانحراف والشذوذ بكل ضروبه وألوانه، هذه الظواهر كلها من آثار التجربة التي خاضها الغرب في المرأة لأن هؤلاء جميعاً هم أبناء العاملات والموظفات، الذين عانوا من إرهاب أمهاتهم وهم في بطونهن ثم تعرضوا لإهمالهن بعد أن وضعنهم، ثم .

لم يجدوا ما يردعهم عما تدعوهم إليه النفس من شطط، في ظل الأجواء

التي تقدر الحرية في كل صورها دون حدود، وقد كان هتلر<sup>(١)</sup> على حق حين هداه تفكيره إلى حل كثير من مشاكل مجتمعه الألماني عن طريق عودة المرأة إلى البيت.

والعجيب من أمر هذه القضية الموهومة أن المرأة لم تقم فيها بالخطوة الأولى، ولم تحمل أعباءها فيما تلا من خطوات ولكن الرجال هم الذين قاموا بهذا العبء من بدئه حتى نهايته ولا يزالون بل هم يعارضون الآن أشد المعارضة ما يبديه بعض العقلاء من الدعوة إلى مراجعة التجربة الفاشلة وعودة المرأة لميدانها الأصل وهو البيت، ويهاجمون الداعين إليه والداعيات أشد المهاجمة ويطلقون على الدعوة - استخفافاً بعقول الناس - (العودة إلى عصر الحریم).

والقائمون بذلك المتحمسون له أحد شخصين: مفتون بحضارة الغرب، أعمته الفتنة عن اكتشاف عيوبها، ثم لم يعصمه إيمانٌ يشرح الله معه صدره للإسلام وتشريعته، وطالب متعة من غير وجهها الحلال وطريقها المشروع لا يريد أن يحرم نفسه متعة الحديث والنظر، والأنس والسمر، ولا أجاوز ذلك إلى ما وراءه.

والظلم في القضية كلها حائق بالمرأة، كانت ريحانة تشم فأصبحت مشكلاً يتطلب الحل، وكانت عرضاً يصاب وأمانة تحفظ فأصبحت عبئاً يضيق به الأب والأخ ويتحتم معه على المرأة أن تعمل لتعيش، وماتت المروءة التي كانت تدفع إلى القيام بحقها والغيرة التي كانت سبباً في المحافظة عليها، وأصبح

---

(١) أدولف هتلر : ( ولد عام ١٨٨٩م، وهو زعيم ألمانيا النازية، هزمت قواته معظم أوروبا، وأشاع الرعب بشكل لم يفعله أحد في التاريخ الحديث، كان حاكماً مستبداً، توفي في إبريل عام ١٩٤٥م منتحراً)، الموسوعة العربية العالمية، ج ٢٦، ص ٦٩-٧٠.

القانون يلزمها بالعمل في النظام الشيوعي ، وأصبح الواقع يلزمها به في النظام الليبرالي ، وأصبحت التي لا تعمل لا تجد اللقمة ولا تجد الزوج ، ولئن كانت المرأة خاضت معركة قد ظفرت فيها بحق العمل ، فما أظن أن الوقت يطول قبل أن تخوض معركةً أخرى أشق وأصعب للظفر بحق العودة إلى البيت .

وقد لا تكون هناك نصوص صريحة في القرآن والسنة تمنع المرأة من العمل في خارج البيت لكسب عيشها حين تدعو إلى ذلك ضرورة ولكن من المؤكد أن اتخاذ هذه القاعدة أصلاً من أصول التنظيم الاجتماعي يخالف روح الشريعة ويناقض كثيراً من نصوصها ويتعارض مع كثير من شرائعها وحدودها تعارضاً صريحاً ، فهو يدعو إلى إعادة النظر في التشريعات الإسلامية التي تتعلق بقوامة الزوج وبالميراث وبالنفقة ، لأنها جميعاً مبنية على أن الرجل هو الذي يعمل ، وهو المكلف بالإنفاق ، ويجب أن يكون واضحاً أن قوامة الرجل على المرأة لا تقتضي تفضيله عليها في الدين أو الدنيا ، ولكن هذه القوامة قاعدة تنظيمية تستلزمها هندسة المجتمع ، واستقرار الأوضاع في الحياة الدنيا ، ولا تسلم الحياة في مجموعها إلا بالتزامها ، فهي تشبه قوامة الرؤساء وأولي الأمر ، التي لا تستلزم أن يكون الرؤساء أفضل من كل المحكومين ، ولكنها مع ذلك ضرورة يستلزمها المجتمع الإنساني ، ويأثم المسلم بالخروج عليها ، مهما يكن من فضله على ولي الأمر في العلم أو في الدين<sup>(١)</sup> .

ولا أريد في الحقيقة أن أعلق على هذا الكلام الرصين المسبوك ، ولكنني أود في آخر الموضوع أن أنقل بعض ما يؤكد صدق كلامه رحمه الله ، وصحة منهجه ورجاحة عقله ورأيه في أن خروج المرأة أرخصها وأذلها ، وزاد في نشر

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٣٤-١٣٩ .

الرديلة والفساد في الأرض ، يقول الدكتور محمد علي البار : ( رغم وفرة النساء وسهولة العثور عليهن . . ورغم شيوع الزنا لدرجة مخيفة في المجتمعات الغربية ، فإننا نجد كثيراً من الظواهر التي لا يمكن تفسيرها بسهولة . . مثل انتشار حالات الاغتصاب الجنسي . . وانتشار الشذوذ الجنسي وانتشار نكاح المحرمات وانتشار الاعتداء الجنسي على العاملات والموظفات ، فقد كان يقال قديماً إن الكبت الجنسي وعدم تفريغ هذه الطاقة الضخمة يؤدي إلي هذا الشذوذ . . ولكن الغربي لا يعاني من الكبت الجنسي والحرامان ، ومع ذلك فإننا نرى زيادة مرعبة في الشذوذ الجنسي ، واكتفاء الرجال بالرجال والنساء بالنساء ، ونرى زيادة مخيفة في حالات الاغتصاب وظهرت في الفترة الأخيرة إلى السطح موضحة نكاح المحرمات من الأخوات والبنات ونكاح الابن لأمه والأخ لأخته والوالد لابنته ، مما يثير التقزز في أكثر الناس ولوغاً في الجريمة )<sup>(١)</sup> .

وإذا كانت أوروبا والغرب عموماً قد وصلت إلى هذه المرحلة من الانحطاط فإنها لم تصل إليها إلا بعد مقدمات وإرهاصات تخصها هي وحدها ونشأت في بيئتها هي وليس لنا علاقة بها فلماذا نطالب بأن نسير كما ساروا ونصل إلى النتائج التي وصلوا إليها ، إن هذا هو التعسف بعينه والإجحاف الجائر وإلا فالكل يعرف أنه بعد ( الحرب العظمى الأولى ، وقتل عشرة ملايين من الشباب الأوروبيين والأمريكان ، واجهت المرأة قسوة المحنة بكل بشاعتها ، فقد وجدت ملايين من النساء بلا عائل ، إما لأن عائلهن قد

---

(١) عمل المرأة في الميزان ، د. محمد علي البار ، ص ١٤٠ - ١٤١ ، ط ٣ ، ١٤٠٧ هـ ، الدار السعودية ، جدة ، السعودية .

قتل في الحرب ، أو شوه ، أو فسدت أعصابه من الخوف والذعر والغازات السامة الخانقة ، وإما لأنه خارج من حبس السنوات الأربع ، يريد أن يستمتع ويرفه عن أعصابه ، ولا يريد أن يتزوج ويعول أسرة تكلفه جهداً من المال والأعصاب .

ومن جهة أخرى لم تكن هناك أيد عاملة من الرجال تكفي لإعادة تشغيل المصانع لتعمير ما خربته الحرب ، فكان حتماً على المرأة أن تعمل وإلا تعرضت للجوع هي ومن تعول من العجائز والأطفال ، وكان حتماً عليها كذلك أن تتنازل عن أخلاقها فقد كانت أخلاقها قيماً حقيقياً يمنع عنها الطعام ! إن صاحب المصنع وموظفيه لا يريدون مجرد الأيدي العاملة ، فهم يجدون فرصة سانحة ، والطيير يسقط من نفسه - جائعاً - ليلتقط الحب ، فما الذي يمنع من الصيد؟ أعله الضمير ! وما دامت قد وجدت - بدافع الضرورة - امرأة تبذل نفسها لتعمل ، فلن يتاح العمل إلا للتي تبذل نفسها للراغبين .

ولم تكن المسألة مسألة الجوع للطعام فحسب ، فالجنس حاجة بشرية طبيعية لا بد لها من الإشباع ، ولم يكن في وسع الفتيات أن يشبعن حاجتهن الطبيعية ، ولو تزوج كل من بقي حياً من الرجال ، بسبب النقص الهائل الذي حدث في عدد الرجال نتيجة الحرب ، ولم تكن عقائد أوروبا ودياناتها تسمح بالحل الذي وضعه الإسلام لمثل هذه الحالة الطارئة ، وهو تعدد الزوجات ، لذلك لم يكن بدّ للمرأة أن تسقط راضية أو كارهة لتحصل على حاجة الطعام وحاجة الجنس ، وترضي شهوتها إلى الملابس الفاخرة وأدوات الزينة وسائر ما تشتتبه المرأة من أشياء .

وسارت المرأة في طريقها المحتوم تبذل نفسها للراغبين وتعمل في المصنع

والمتجر ، وتشبع رغائبها عن هذا الطريق أو ذاك ، ولكن قضيتها زادت حدة ، فقد استغلت المصانع حاجة المرأة إلى العمل واستمرت في معاملتها الظالمة التي لا يبررها عقل ولا ضمير ، فظلت تمنحها أجراً أقل من أجر الرجل الذي يؤدي نفس العمل في نفس المكان .

ولم يكن بد من ثورة ، ثورة جامحة تحطم ظلم أجيال طويلة وقرون . ماذا بقي للمرأة؟ لقد بذلت نفسها وكبرياءها وأنوثتها ، وحرمت من حاجتها الطبيعية إلى أسرة وأولاد تحس بكيانها فيهم ، وتضم حيواتهم إلى حياتها فتشعر بالسعادة والامتلاء ، أفلا تنال مقابل ذلك - على الأقل - المساواة في الأجر من الرجل : حقها الطبيعي الذي تقرره أبسط البدهيات ؟ . ولم يتنازل الرجل الأوربي عن سلطانه بسهولة ، أو قل لم يتنازل عن أنانيته التي فطر عليها ، وكان لابد من احتدام المعركة ، واستخدام جميع الأسلحة الصالحة للعراك .

استخدمت المرأة الإضراب والتظاهر ، واستخدمت الخطابة في المجتمعات ، واستخدمت الصحافة ، ثم بدا لها أنها لابد أن تشارك في التشريع لتمنع الظلم من منبعه ، فطالبت أولاً : بحق الانتخاب ثم بالحق الذي يلي ذلك بحكم طبائع الأشياء وهو حق التمثيل في البرلمان ، وتعلمت على نفس الطريقة التي تعلم بها الرجل ، لأنها صارت تؤدي نفس العمل ، وطالبت كنتيجة منطقية لذلك أن تدخل وظائف الدولة كالرجل ، مادام قد أعدا بطريقة واحدة ونالا دراسة واحدة .

تلك قصة (كفاح المرأة لنيل حقوقها) في أوروبا ، قصة سلسلة ، كل خطوة فيها لابد أن تؤدي إلى الخطوة التالية ، رضي الرجل أو كره ، بل

رضيت المرأة أوكرمت ، فهي ذاتها لم تعد تملك أمرها في هذا المجتمع الهابط المنحل الذي أفلت فيه الزمام .

ومع ذلك كله فقد تعجب حين تعلم أن إنجلترا - أم الديموقراطية - ماتزال إلى هذه اللحظة تمنح المرأة أجراً أقل من أجر الرجل في وظائف الدولة ، رغم أن في مجلس العموم نائبات محترمات (!!)<sup>(١)</sup> .

وليس المقام هنا حديثاً مفصلاً عن المرأة وإلا لكنت أوردت نظرة الجاهليات القديمة والحديثة للمرأة ومكانتها في تلك المجتمعات المختلفة الجنس والدين واللغة ولكن يكفي أن أقول إن المرأة لم تكرم إلا في الإسلام ، ولم تحصل على حقوقها إلا من خلال الإسلام .

(فالمرأة حصلت على المساواة التامة في الأصل الإنساني وحصلت على المساواة التامة في التكريم ، وحصلت على المساواة التامة في أصول التكاليف الشرعية والمساواة التامة في المؤاخذة بعد التكليف وفي الاستعداد للحساب وفي الأجر الأخروي وفي الموالاة والتناصر ، واعتبر الإسلام الأنوثة خصيصة شريفة ، كما اعتبر المرأة الصالحة نعمة وأعطاهها حقاً في الإرث وحقاً في مال زوجها وخيرها في الزواج وكرم الأم وجعلها فوق الأب فأعطاهها حقوقاً سياسية ومدنية واجتماعية لم تكن تعرفها من قبل ، بل ولها على زوجها حقوق عدة تلزمه بها وتطالبه بها فإن أخل بها فهو محاسب أمام الله عز وجل عليها)<sup>(٢)</sup> .

---

(١) شبهاة حول الإسلام ، محمد قطب ، ص ١٠٩ - ١١١ ، ط ٣ ، ١٩٨٥ م ، الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية ، السالمية ، الكويت .

(٢) ماذا يريدون من المرأة ، عبد السلام بسيوني ، ص ١٣٩ - ١٥١ ، (بتصرف كبير) ، ط ١ ، ١٩٩٦ ، إدارة الشؤون الإسلامية ، الدوحة ، قطر . حقوق المرأة وواجباتها في الكتاب والسنة ، د . فاطمة نصيف ، ص ٦٧ ، ١٣٥ ، ١٦١ ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ ، نهامة ، جدة ، السعودية .

و حين تظهر هذه الصورة المشرقة للمرأة في التصور الإسلامي تبرز مكانتها الراقية ، نعلم حينئذ أن الإسلام تجاوز كل ترهات المبطلين وسفاسف المنحلين ووصل إلى درجة من السمو والكمال والرقى الذي لم تصل إليه حتى المدنية الحديثة التي ارتقت في كل شيء إلا عالم الروح والخلق ودليل ذلك ما استخدمته تلك الحضارة الزائفة من خصائص فطرية للمرأة لتجعل منها وسيلة رخيصة تغوي بها أجيالاً كان يفترض أن ترفع من شأن أمتها وبلادها في كل مكان .

والحق أن من ينظر إلى الطريق الذي سارت فيه المرأة لتنال حقوقها وحريتها يعلم أنها ذاقت المر والظلم والإجحاف قبل أن تصل إلى ماتريد<sup>(١)</sup> فضلاً عن أنها استخدمت كأداة رخيصة لتحقيق أغراض الماسونية العالمية في نشر أفكارها واستقطاب أعضائها عبر العلاقات المشبوهة والصدقات المنحرفة<sup>(٢)</sup> .

والذين يعلمون بداية دخول حركة تحرير المرأة إلى مصر يدركون أن ذلك لم يتم إلا عبر تخطيط وتآمر دقيق حتى هذه الأمة وفسادها ورجالها وشبابها وأن ذلك كله ينطلق وفق أهداف ووسائل مُحكمة التنفيذ للوصول بأسرع طريق وأقل مشقة<sup>(٣)</sup> .

---

(١) قضية تحرير المرأة محمد قطب ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ ، دار الوطن ، الرياض ، السعودية . المرأة بين دعاة الإسلام وأدعياء التقدم ، عمر سليمان الأشقر ، ط ٥ ، ١٤٠٨ هـ ، دار طيبة ، الرياض ، السعودية .

(٢) الماسونية والمرأة ، جمعان بن عايض الزهراني ، ص ١١١ ، العدد ١٤٩ ، ١٤١٥ هـ (سلسلة كتاب دعوة الحق الشهري يصدر عن رابطة العالم الإسلامي) ، مكة المكرمة ، السعودية .

(٣) حركة تحرير المرأة في مصر ، دراسة علمية بمفهوم إسلامي ، عبد الواحد إسماعيل ، بدون طبعة وتاريخ ، دار الاعتصام ، القاهرة ، مصر .



**الفصل الثالث**  
**موقفه من دعاة التغريب**

كان للدكتور محمد حسين رحمه الله موقف رائع وعظيم من التغريب الذي كثر دعواته ومروجوه ، وأصبح ظاهرة واضحة في سماء المسلمين وكان يهدف من ضمن ما يهدف إليه إلى تطوير الإسلام (وهو مشكلة المسلمين الأولى في هذا العصر ، وهو الخطر الأول الذي يجب أن تتضافر الجهود لصده تياره ، لأنه خطر خفي يعمل له بعض الناس ، وينقاد له بعضهم الآخر ، دون أن يدركوا وجه الخطر فيه ، وخطر التطوير علي الإسلام وعلى المجتمع الإسلامي ، يأتي من وجهين : فهو إفساد للإسلام يشوش قيمه ومفاهيمه الأصيلة بإدخال الزيغ على الصحيح ، ويثبت الغريب الدخيل ويؤكد ، فبعد أن كان الناس يشاركون في تصاريف الحياة وهم يعرفون أن هذا الذي غلبوا على أمرهم فيه ليس من الإسلام ، والأمل قائم في أن تجيء من بعد نهضة صحيحة ترد الأمور إلى نصابها عند الإمكان ، يصبح الناس وهم يعتقدون أن ما يفعلونه هو الإسلام ، فإذا جاءهم من بعد من يريد أن يردهم إلى الإسلام الصحيح أنكروا عليه ما يقول واتهموه بالجمود والتمسك بظاهر النصوص دون روحها .

وتقليد المغلوب للغالب مرحلة طبيعية طارئة تزول مع زوال الضعف ، واختلاط الحق بالباطل ، والنافع بالضار في هذه المرحلة أمر طبيعي كذلك ، وهو مرحلة من مراحل التطور الصحيح ، تجيء بعدها التصفية والتمحيص عندما تزول غواشي الضعف والخمول ، فإذا بررنا ذلك الدخيل - خيره وشره - تبريراً إسلامياً في حال الضعف والعجز ، فقد أصلناه من ناحية ، وقد أقحمنا علي الإسلام ما يفسد بنيته من ناحية أخرى ، لأنه يصبح أخلاطاً من عناصر شتى لا يجمعها رابطة ، ولا يضمها نظام ، ولا يشبه بعضها بعضاً ،

فهذا هو أحد الوجهين في ضرر التطوير ، وهو ضرر لا يعني إلا المسلمين .  
أما الوجه الآخر لضرر التطوير وهو الذي يعني أعداء الإسلام فهو أن هذا  
التطوير ينتهي بالمسلمين إلي الفرقة التي لا اجتماع بعدها ، لأن كل جماعة  
منهم سوف تذهب في التطوير مذهباً يخالف غيرها من الجماعات ، لأن هذا  
التطوير يقوم - حسب ما هو مخطط له - علي التفاعل بين الإسلام وبين البيئة  
المحلية ، التي تختلف باختلاف بلاد المسلمين . . (١) .

ويؤكد رحمه الله خطورة التغريب التي يتبناها بعض مدعي الاجتهاد من  
أبناء المسلمين بقوله : ( على أن الاجتهاد في حال افتناننا بالحضارة الغربية  
خطر غير مأمون العواقب ، يخشى معه أن يتحول من حيث يدري المجتهد -  
إن وُجد - ومن حيث لا يدري ، إلى تبرير للقيم الأجنبية التي هو معجب بها ،  
فإذا لم يكن معجباً بها فالمجتمع الذي هو معجب بها لا يقبل اجتهاده بل لا  
ترال تناوله ألسن السفهاء من جهاله ، الذين يتصدون لإبداء الرأي فيما  
يعرفون وفيما لا يعرفون ، حتى يفقد ثقته في نفسه ويعتبر به غيره ، فيفتي  
حين يستفتى وعينه على الذين يفتيهم يريد أن يرضيهم ، وأن يظفر بتقديرهم  
وتقريظهم ، فيجور على الحق إرضاءً للخلق ، ويذهل عما عند الله تعجلاً لما  
عند الناس ) (٢) .

وهذا للأسف هو ما حصل عند الكثير من دعاة التغريب والتطوير ، حيث  
كانوا يرون الأمور بمنظارهم هم ( والواقع أن إدراك حقيقة الشيء يستلزم  
النظرة الشاملة إليه ، التي تحيط به من كل نواحيه ، والذي ينظر إلى التطوير

(١) أزمة العصر . د . محمد حسين ، ص ١٠٦ - ١٠٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١١٣ .

هذه النظرة الشاملة ، يستطيع أن يدرك خطورته ومدى آثاره . . . . (٣) .  
وهذا ما غفل عنه دعاة التغريب في العصر الحديث ، وسوف أذكر موقفه  
رحمه الله منهم لبيان قوته في الحق وجرأته في ذات الله ، يقول رحمه الله :  
(ونحن حين ندعو إلى إعادة النظر في تقويم الرجال ، لا نريد أن ننقص من  
قدر أحد ، ولكننا لا نريد أن تقوم في مجتمعنا أصنام جديدة معبودة ، لأناس  
يزعم الزاعمون أنهم معصومون من كل خطأ ، وأن أعمالهم كلها حسنات لا  
تقبل القدح والنقد ، حتى إن المخدوع بهم والمتعصب لهم والمروج لآرائهم  
ليهيح ويموج إذا وصف أحد الناس إماماً من أئمتهم بالخطأ في رأي من آرائه  
في الوقت الذي لا يهيجون فيه ولا يمجون حين يوصف أصحاب رسول الله  
ﷺ بما لا يقبلون أن يوصف به زعماءهم المعصومون . . . ) (١) .

ومن منطلق هذه القوة وهذا الوضوح في التصور أخذ رحمه الله يبين المزالق  
التي وقع فيها رموز التغريب المشهورون وحيث إنه رحمه الله ركز على بعض تلك  
الرموز فسأكتفي بالحديث عن اثنين منهم ، كانا مثار جدل كبير ولغظ عريض  
وهذان الاثنان هما : جمال الدين الأفغاني (٢) ، ومحمد عبده (٣) .

(١) الإسلام والحضارة الغربية ، د. محمد حسين ، ص ٥٤ .

(٢) جمال الدين الأفغاني : هو ( جمال الدين بن صفدر الحسيني الأفغاني ، ولد سنة ١٢٥٤ هـ ، وتلقى علوماً  
عدة ، منها العربية وعلوم الشريعة وعلوم عقلية من منطق وفلسفة وعلوم رياضية ونظريات الطب  
والتشريح ، رحل إلى بلاد إسلامية وغير إسلامية عديدة ، له نشاط علمي وسياسي بارز ، ألف العديد من  
الكتب المختلفة ، توفي عام ١٣١٤ هـ ، ) منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير ، فهد بن عبد الرحمن  
الرومي . ص ٧٥ - ١١٠ ، (بتصرف كبير) ، ط ١ ، ١٤٠١ هـ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .

(٣) محمد عبده : هو ( محمد بن عبده بن حسن بن خير الله ، ولد في مصر عام ١٢٦٥ هـ ، تعلم على يد والده  
ودرس فترة بالأزهر ، ولما تخرج درس في مدرسة الألسن الخديوية ، مع مداومته على التدريس في الجامع  
الأزهر ، عين رئيساً لتحرير صحيفة الوقائع المصرية ، وشارك الأفغاني في تحرير صحيفة العروة الوثقى ،  
ألف العديد من الكتب ، كان له نشاط بارز في الدعوة إلى الإصلاح والتغيير ، توفي عام ١٣٢٣ هـ ، منهج  
المدرسة العقلية ، فهد عبد الرحمن الرومي ، ص ١٢٤ - ١٣٢ ، (بتصرف كبير) .

وأنا حين أتحدث عنهما ، إنما أتحدث عن اللذين حملا راية التغريب والتطوير في العصر الحديث ولذا كان الاهتمام بهما يستند إلى اعتبارين أولهما هو أن الصورة الشائعة المعروفة عنهما بين الناس تخالف حقيقتهما ، وهذه الصورة الشائعة تستمد وجودها وقوتها من الدعاية الكاذبة التي لا تفر ، والتي تسهر عليها قوى ومؤسسات قادرة وذات نفوذ ، ولذلك كان الكشف عن حقيقتهما محتاجاً إلى مجهود كبير ، وإلى مزيد من الدأب يقابل دأب الدعاية المبدولة في تدعيم مكانتهما ، وثاني هذين الاعتبارين هو أن جلاء حقيقة الرجلين يتبعه جلاء حقيقة كثير من الأوهام التي تأصلت في نفوس الناس تبعاً لاستقرار شهرتيهما فيها ، فكشف الستر عنهما هو في الوقت نفسه كشف للستر عن أباطيل كثيرة ترتبط بهما ، وتستمد قوتها ، وبريقها الخداع من شهرتيهما ومن ارتباطها بهما<sup>(١)</sup> .

ويمكن أن أخص رأي الدكتور محمد حسين رحمه الله في جمال الدين الأفغاني في الآتي :

١- (تعمية أصله ونسبه ، فقد زعم أنه أفغاني سني ، ثم أثبت البحث الحديث بأدلة لا تقبل الشك أنه كان إيرانياً شيعياً ، وزعم أنه شريف النسب حسيني الجد ، وهو زعم لم يقم عليه دليل . أما الأدلة على أنه إيراني شيعي ، فهي صريحة متعددة ، ومنها اسم والده واسم خادمه اللذان يدلان على أنه شيعي إيراني ، فاسم والده (صفدر) ، يعني (مفرق الأعداء) وهي عند الشيعة صفة لسيدنا علي رضي الله عنه ، والاسم وقف على الشيعة ، لا يتسمى به أحد من الأفغانيين ، واسم خادمه الذي كان يلازمه دائماً (أبوتراب)

(١) الإسلام والحضارة الغربية ، د. محمد حسين ، ص ٦٧ .

وهي كنية سيدنا علي رضي الله عنه ، ولا وجود لهذا الاسم في غير إيران ، ولهجة جمال الدين الفارسية تقطع بأنه إيراني ، وأصدقاؤه المقربون الذين كانوا يلازمونه من الإيرانيين وكان تفكيره دائماً متجهاً إلى إيران وإلى اتخاذ مركزاً للجامعة الإسلامية التي كان يدعو إليها إضافة إلى ذلك فإن ثقافته فلسفية بحثه تهتم بالمنطق وعلم الكلام إلى جانب دراسته الفقه وعلم الأصول وهي الدراسة الشيعية التقليدية ، التي تنمي ملكة الجدل وقوة الاستدلال .

وهدفه من إخفاء أصله الإيراني ، أنه كان يريد أن يخفي تشييعه عن الناس في البلاد العثمانية التي تنقل فيها ، وأهلها سنية حنفية كالأفغان ، لذا فقد استفاد من انتسابه للأفغان ، حيث أصبح بعيداً عن سلطة ممثلي إيران في الخارج ، ومن السهل أن تروج أفغانيته بين الناس ، لأن أفغانستان لم يكن لها تمثيل خارجي ، وكان للإنجليز نفوذ كبير فيها ، فكانوا يرعون أتباعها في الخارج .

٢- نشاطه السري المشبوه ، فقد كان أكثر نشاطه سرياً ، وهو أول من أدخل نظام الجمعيات السرية في العصر الحديث في مصر ، وكان حيثما حل يؤسس الجمعيات السرية وينشرها في كل البلاد التي يزورها وأسوأ ما في النشاط السري ، أنه أنشأ محفلاً ماسونياً تابعاً للشرق الفرنسي ، وضم إليه عدداً كبيراً من أصحاب النفوذ في مصر .

٣- تشجيعه للثورات وتهييج الناس ، واشتراكه في المؤامرات المختلفة واستعداده لأن يغمس يده في الدم الحرام بالاغتيالات ، وليس مهماً أن يكون الذين اشترك في اغتيالهم ، أو دبره وفكر فيه ، مفسدين أو مصلحين ولكن المهم هو أنه كان يتخذ الاغتيال وسيلة من وسائل السياسة ، ويخوض الدماء

في سبيل الوصول إلى أهدافه ، وهو ما لا يحله الإسلام .

٤- تنقلاته السريعة والمفاجئة بين البلاد الكثيرة ، وتخفيه في أزياء كل بلد

ولبسه للباسها ، فلم هذا التخفي ؟ ومن أين له ما ينفقه على رحلاته ؟

٥- صلاته المشبوهة مع المستشرقين والعملاء من المستعمرين ، وله

علاقات مع الكثير من اليهود والنصارى ، وطيبه الخاص يهودي وكان هذا

الطبيب مع رجل نصراني هما اللذان شهدا احتضاره وحدهما ، كما كان

يساعده في تحرير صحيفة العروة الوثقى ، رجل مريب من إيران كان قد تنصر

وصار داعية للنصرانية ، ثم عاد إلى الإسلام كما يقال ، بل قيل إنه كان ينزل

في حارة اليهود وألف جمعية سرية أعضاؤها من شباب اليهود .

٦- أفكاره وآراؤه المسمومة حيث مال إلى التصوف المذموم بعد أن انقطع

فترة في بيته ثم خرج وقد استقر رأيه على حكم العقل والفلسفة ، وحين سافر

إلى الهند أفضى به تبحره في علم الأديان إلى الإلحاد والقول بقدم العالم ،

كما أنه كان من دعاة الحرية ، وإطلاق الفكر من كل قيد ، ويرى بعض طلابه

أنه كان يميل إلى وحدة الوجود ، ويشهد لذلك ما جاء في رسائل طلابه إليه

والتي تفيض بكلام غريب وعظيم ومنكر أشد النكارة<sup>(١)</sup> .

تلك كانت المآخذ العامة التي أخذها الدكتور محمد حسين رحمه الله على

جمال الدين الأفغاني أما المآخذ التي أخذها على تلميذه محمد عبده فهي

تتمثل في الآتي :

١- اشتراكه مع أستاذه في المحافل الماسونية ونشاطه فيها وتعاونه مع

---

(١) المرجع السابق ، ص ٦٧ - ٨٠ ، (بتصرف كبير) ، ومنهج المدرسة العقلية ، فهد عبد الرحمن الرومي ،

ص ١٠٨ - ١٢٣ ، (بتصرف كبير) .

أستاذه في نشر مبادئه .

٢- علاقته الحميمة بالإنجليز ودفاعه عنهم في أكثر من مرة وفي أكثر من مكان ، بل إن العفو عنه بعد أن نفي من مصر ، كان بسبب وساطة الإنجليز ، وكان له عندهم مكانة كبيرة محفوظة .

٣- دعوته لفتح باب الاجتهاد ، وهي دعوة استغلت أوسع استغلال في تطوير الإسلام والاقتراب به من قيم الحضارة الغربية ، وأن هذا التقريب المقصود بين الإسلام وبين الفكر الغربي والحضارة الغربية ، قد بلغ قمة التطرف على يد محمد عبده .

٤- دعوته إلى الحرية وإلى الحياة النيابية ، وإلى وضع دستور يحدد حقوق الحاكم والمحكوم ، وواجبات كل منهم ، ودعوته إلى إعادة النظر في وضع المرأة في المجتمع وفي حجابها ، وفي تعدد الزوجات والحد من حرية الطلاق ، بل وربما إلى الوطنية والإقليمية والعناية بالتاريخ الفرعوني .

٥- تعطيله للفرائض والصلوات وعدم حرصه عليها ، وتركه للحج مع استطاعته الكاملة المالية والجسدية ، بدليل كثرة سفره إلى بلاد أوروبا .

٦- دعوته إلى الحوار بين الأديان ومحاولة التقريب بينها ، حتي ولو كان على حساب بعض مفاهيم الإسلام الواضحة .

٧- هجومه على الأزهر ومحاولة تطويره وتغيير مناهجه وأساليب التدريس فيه (١) .

ومهما يكن فهذه هي وجهة نظر الدكتور محمد حسين رحمه الله في

---

(١) الإسلام والحضارة الغربية ، ص ٨١ - ٩١ ، (بتصرف كبير) ، منهج المدرسة العقلية ، فهد الرومي ، ص



جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ، وهو حين يقف هذه الوقفة معهما لا يقفها لغرض شخصي ، ولا تجنياً على أحد وإنما يقفها لله عز وجل ودفاعاً عن دينه وإبراءً لذمته .

وكذلك لا بد من القول بأنه حين يقف هذا الموقف من عملية التطوير أو التغريب لا يعني أنه يرفض التطوير مطلقاً وإنما يؤمن بالتطوير المعقول الذي ينفع ولا يضر ، ولذلك يقول رحمه الله ( والواقع أن المعركة بين أنصار القديم الموروث وبين أنصار الجديد الطارئ ضرورية لسلامة المجتمع ، فالمحافظون يحدون من طيش المندفعين إلى طلب كل غريب طارئ ، ومن نزع الذين يجرون وراء كل طريف براق ، مما يفقد الحياة ما يلزمها من الاستقرار الذي يحقق الطمأنينة ويمكن من البناء ، ودعاة التطوير يحولون بين المحافظين وبين الركون إلى الكسل ، ويخرجون الجماعات عما تصاب به من التبلد والجمود والركود نتيجة للعكوف على الموروث ، وتكراره تكراراً آلياً ، يعطل التفكير والملكات الإنسانية ، وذلك لأن دعاة التطور يجبرون المحافظين على الدفاع عن أنفسهم ، فيحتاجون في الدفاع إلي التسلح بأسلحة خصومهم ، ودراسة ما يستطرفون من مذاهب ، في حين أن مهاجمة المحافظين لدعاة التطور تضطرهم إلى الحد من غلوائهم ، وتنبه المجتمع إلى مواطن الضعف والشر فيما يستجلبون )<sup>(١)</sup> .

بل يزيد الأمر وضوحاً فيقول : ( وتواصل الأمم يؤدي إلي تبادل الثقافات ، ولكن الأمم والأقوام ليسوا في ذلك على سواء ، فالأمم الحية تملك القدرة على النقد والتمييز ، فتستحسن وتستهجن وتعرف الصحيح من

---

(١) أزمة العصر ، د. محمد حسين ، ص ١١ .

الفاسد ، وهي بذلك تهضم ما تقتبسه مما تستحسنه عند غيرها وتمتصه وتفنيه في ذاتها ، والمهم في ذلك كله هو أن يكون الاقتباس والتطور على كل حال بالقدر الذي لا ينقلنا عن جبلتنا ، ولا يغير حقيقتنا ولا يقطع صلتنا بالماضي<sup>(١)</sup> .

وعلى كل حال فإن رأي الدكتور محمد حسين في دعاة التغريب وعلى وجه أخص جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ، يؤكد على أنهم بنوا مجداً لهم ، وذكرأ سائراً في الناس ( ليس من صنعهم ، ولا هو من صنع الشعوب التي عاشوا فيها ، ولكنه من صنيع القوى التي استخدمتهم أو التي تريد أن تستغلهم ، وسواءً كانت هذه القوى هي الاستعمار ، أو هي الصهيونية العالمية بمختلف وسائلها وأجهزتها فإن الغرض كان ولا يزال هو خدمة المذاهب والآراء التي نادوا بها ، ووافقت أهداف المستعمر ومصالحه)<sup>(٢)</sup> .

تلك إلماحة سريعة وموجزة مع موقف الدكتور محمد حسين رحمه الله مع دعاة التغريب ونظرته رحمه الله للتطوير وحدوده الفاصلة .

---

(١) موقف الدكتور محمد محمد حسين من قضية الصراع بين القديم والجديد . د. عثمان سليمان موافي ، ص ١٢٥ - ١٢٦ (ضمن كتاب موقف الدكتور محمد محمد حسين من الحركات الهدامة) .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٣ ، (بتصرف) .

## ملخص الباب الرابع

يشكل التغريب خطراً عظيماً علي مفاهيم الإسلام ونظرته للحياة، لذلك كان لابد من وقفة تجاه دعواته ومروجيه ، حتى لا يلبسوا على الناس دينهم ، ويمكن أن نلخص ما جاء في الباب على الوجه الآتي :

### الفصل الأول

- \* العمل الدؤوب على إفساد الحياة المحافظة في البلدان الإسلامية .
- \* استخدام الوسائل الملتوية ، والتي تهدف إلى التغلغل في أوساط الصغار وبسطاء الناس ، الذين لا يعلمون عن حقيقتهم شيئاً .
- \* استغلال حاجة المساكين والضعفاء ، وتحويلهم إلى الوجهة التي يريدون .
- \* التعمق إلى داخل الأماكن التي تمثل عمق كل بلد ، وتقديم الاحتياجات الضرورية لهم للسيطرة علي تلك البلاد .
- \* الاعتماد على نشر الرذائل والأخلاق المنحطة ، عن طريق تبريرها تبريراً علمياً ، وتسهيل أمرها على الناس .
- \* نظرة الإسلام الراقية للأدب والأخلاق الإسلامية ، ومجالات التربية العظيمة فيه .
- \* محاولات الهدم المستمرة لكل ما يتعلق بمناهج الدين واللغة ، ومحاربتها حرباً شعواء .

\* الحرص على قطع الصلة بالماضي ، ونشر فكرة التحديث والتطوير والارتباط بالغرب .

## الفصل الثاني

- \* محاولة إخراج المرأة من بيتها ، وهدم علاقتها مع زوجها وبيتها ، وتزيين العصيان لها ، والخروج إلى المجتمع .
- \* المطالبة بحرية المرأة وإعطائها حقوقها ، وتشويه حكم الإسلام في نظرتة للمرأة .
- \* الحديث عن حاجة المرأة للاستمتاع والخروج ، وبناء العلاقات مع الآخرين ، حتى ولو كان ذلك على حساب الزوج والبيت .

## الفصل الثالث

- \* الارتباط الوثيق بين المستغربين والمستعمرين ، مع التبعية الكاملة والطاعة المطلقة من قبل المستغربين .
- \* التشكيك في الإسلام كمنهج حضاري ، وأسلوب حياتي كامل ، وتزيين حياة الغرب وتمجيدها للسير في ركابها .
- \* الهزيمة النفسية وضعف التميز عند المستغربين ، والرضا بحالهم والتمني أن يكونوا ممن يسير بسيرهم .
- \* الدسائس والمؤامرات التي تحاك من الداخل والخارج لتطوير الإسلام ومجتمع أهله به دائرة النشاط .

## الخاتمة

سيظل الصراع قائماً بين الإسلام وأعدائه ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، وسيظل التحدي قائماً ما دام هناك إسلام ومسلمون .  
وحرى بالمسلمين اليوم أن يتبهاوا من غفلتهم ، وأن ينفر من كل طائفة منهم فرقة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم بما ينتظرهم من شرور ، وليكبحوا جماح الأخطار والمفاسد ، كما استطاع الشيخ الدكتور محمد محمد حسين رحمه الله أن يكبح جماحها ، وأن يتصر لدينه وأمته .  
فلت هناك من شباب المسلمين من يتمنى أن يكون ذلك الرجل ، ولكن من يطبق طريق الجهاد والدعوة .



٢٠١٧

## فهرس الآيات

الصفحة	الآية
(١٤١)	١ قال تعالى: (وإن كنتم في ريب مما نزلنا...)(البقرة: ٢٣)
(٠٢٧)	٢ قال تعالى: (وكذلك جعلناكم أمة...)(البقرة: ١٤٣)
(٢٤٨)	٣ قال تعالى: (وكذلك جعلناكم أمة...)(البقرة: ١٤٣)
(٣٥٧)	٤ قال تعالى: (...لو أن لنا كرة فتبأ منهم...)(البقرة: ١٦٧)
(٢٦٩)	٥ قال تعالى: (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة...)(البقرة: ١٩٣)
(١٢٠)	٦ قال تعالى: (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم...)(البقرة: ٢١٦)
(٢٤٨)	٧ قال تعالى: (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم...)(البقرة: ٢١٧)
(١٩٧)	٨ قال تعالى: (يسألونك عن الخمر والميسر...)(البقرة: ٢١٩)
(٢٠٠)	٩ قال تعالى: (ولولا دفع الله الناس...)(البقرة: ٢٥١)
(١١٤)	١٠ قال تعالى: (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي...)(البقرة: ٢٥٦)
(٢٢٤)	١١ قال تعالى: (شهد الله أنه لا إله إلا هو...)(آل عمران: ١٨)
(٣٢٠)	١٢ قال تعالى: (إن الدين عند الله الإسلام...)(آل عمران: ١٩)
(٢٦٧)	١٣ قال تعالى: (قل يا أهل الكتاب تعالوا...)(آل عمران: ٦٤)
(٠٤٥)	١٤ قال تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس...)(آل عمران: ١١٠)
(٢٧٨)	١٥ قال تعالى: (ولا تقنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون...)(آل عمران: ١٣٩)
(٢٦٧)	١٦ قال تعالى: (وأرسلناك للناس رسولاً...)(النساء: ٧٩)
(١٦٧)	١٧ قال تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم...)(المائدة: ٣)
(٠٩١)	١٨ قال تعالى: (...يجرفون الكلم عن مواضعه...)(المائدة: ١٣)
(١٨٩)	١٩ قال تعالى: (...ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)(المائدة: ٤٤)
(١٨٩)	٢٠ قال تعالى: (...ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون)(المائدة: ٤٥)
(١٨٩)	٢١ قال تعالى: (...ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون)(المائدة: ٤٧)
(١٨٨)	٢٢ قال تعالى: (... فاحكم بينهم بما أنزل الله...)(المائدة: ٤٨)
(٠٩٤)	٢٣ قال تعالى: (...لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً...)(المائدة: ٤٨)
(١٨٨)	٢٤ قال تعالى: (أفحكم الجاهلية يبغون...)(المائدة: ٥٠)
(١٨٨)	٢٥ قال تعالى: (ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون)(المائدة: ٥٠)
(١٩٨)	٢٦ قال تعالى: (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس...)(المائدة: ٩٠)
(١٥٨)	٢٧ قال تعالى: (وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً...)(الأنعام: ١١٥)
(١٠٧)	٢٨ قال تعالى: (...كلما دخلت أمة لعنت أختها...)(الأعراف: ٣٨)
(٠٩١)	٢٩ قال تعالى: (...ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال...)(الأنفال: ١٦)

- ٣٠ قال تعالى: (...قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا...)(الأنفال: ٣١) (٣٢٢)
- ٣١ قال تعالى: (وما كان صلاحكم عند البيت....)(الأنفال: ٣٥) (٠٣٢)
- ٣٢ قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم...)(التوبة: ٢٣) (٢٥٩)
- ٣٣ قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم...)(التوبة: ٢٣) (٣٧٨)
- ٣٤ قال تعالى: (الأعراب أشد كفراً ونفاقاً...)(التوبة: ٩٧) (١٤٥)
- ٣٥ قال تعالى: (...لا تبديل لكلمات الله...)(يونس: ٦٤) (١٧٣)
- ٣٦ قال تعالى: (ومن أظلم ممن الترى على الله كذباً...)(هود: ١٨) (٢٠٣)
- ٣٧ قال تعالى: (والله غالب على أمره...)(يوسف: ٢١) (٠٠٥)
- ٣٨ قال تعالى: (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم...)(الرعد: ١١) (٣٣١)
- ٣٩ قال تعالى: (أنزل من السماء ماء...)(الرعد: ١٧) (٢٥٦)
- ٤٠ قال تعالى: (إننا نحن نزلنا الذكر...)(الحجر: ٩) (١٤٣)
- ٤١ قال تعالى: (إننا نحن نزلنا الذكر...)(الحجر: ٩) (١٥٤)
- ٤٢ قال تعالى: (إننا نحن نزلنا الذكر...)(الحجر: ٩) (١٥٨)
- ٤٣ قال تعالى: (إننا نحن نزلنا الذكر...)(الحجر: ٩) (٢٠٢)
- ٤٤ قال تعالى: (إننا نحن نزلنا الذكر...)(الحجر: ٩) (٣٥٧)
- ٤٥ قال تعالى: (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان...)(الحجر: ٤٢) (٢٤٣)
- ٤٦ قال تعالى: (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة...)(النحل: ٢٥) (٣٢٣)
- ٤٧ قال تعالى: (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة...)(النحل: ١٢٥) (١٧٦)
- ٤٨ قال تعالى: (وإذا أردنا أن نملك قرية...)(الإسراء: ١٦) (٣٧٦)
- ٤٩ قال تعالى: (قل لئن اجتمعت الإنس والجن...)(الإسراء: ٨٨) (١٤١)
- ٥٠ قال تعالى: (فمن أظلم ممن الترى على الله كذباً)(الكهف: ١٥) (٢٠٣)
- ٥١ قال تعالى: (وقل الحق من ربكم...)(الكهف: ٢٩) (١١٣)
- ٥٢ قال تعالى: (وقل الحق من ربكم...)(الكهف: ٢٩) (١١٤)
- ٥٣ قال تعالى: (...أعطي كل شيء خلقه ثم هدى...)(طه: ٥٠) (٣٧٤)
- ٥٤ قال تعالى: (إن هذه أمتكم أمة واحدة...)(الأنبياء: ٩٢) (٠٢٧)
- ٥٥ قال تعالى: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين...)(الأنبياء: ١٠٧) (١٢٠)
- ٥٦ قال تعالى: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين...)(الأنبياء: ١٠٧) (٣٢٠)
- ٥٧ قال تعالى: (ولولا دفع الله الناس...)(الحج: ٤٠) (٢٦٩)
- ٥٨ قال تعالى: (الذين إن مكناهم في الأرض...)(الحج: ٤١) (٢٦٩)
- ٥٩ قال تعالى: (لكل أمة جعلنا منسكاً هم ناسكوه...)(الحج: ٦٧) (٢٥٧)
- ٦٠ قال تعالى: (وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون...)(الحج: ٦٨) (٢٥٧)

- ٦١ قال تعالى: (الله يحكم بينكم...)(الحج:٦٩) (٢٥٧)
- ٦٢ قال تعالى: (نزل به الروح الأمين...)(الشعراء:١٩٣) (١٥٦)
- ٦٣ قال تعالى: (على قلبك لتكون من المنذرين...)(الشعراء:١٩٤) (١٥٦)
- ٦٤ قال تعالى: (بلسان عربي مبین...)(الشعراء:١٩٥) (١٥٦)
- ٦٥ قال تعالى: (...ولكن رسول الله وخاتم النبيين...)(الأحزاب:٤٠) (٢٦٨)
- ٦٦ قال تعالى: (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً...)(سبأ:٢٨) (٢٦٧)
- ٦٧ قال تعالى: (إنما يخشى الله من عباده العلماء...)(فاطر:٢٨) (٢٢٤)
- ٦٨ قال تعالى: (...فلن تجد لسنة الله تبديلاً...)(فاطر:٤٣) (٢٦١)
- ٦٩ قال تعالى: (...يا قوم اتبعوا المرسلين...)(يس:٢٠) (٢٧٢)
- ٧٠ قال تعالى: (سبحان الذي خلق الأزواج كلها...)(يس:٣٦) (٣٧٣)
- ٧١ قال تعالى: (فلما أسلما وتله للجبين...)(الصافات:١٠٣) (٣٢١)
- ٧٢ قال تعالى: (ونادياه أن يا إبراهيم...)(الصافات:١٠٤) (٣٢١)
- ٧٣ قال تعالى: (قل الله أعبد مخلصاً له ديني...)(الزمر:١٤) (١١٤)
- ٧٤ قال تعالى: (فاعبدوا ما شئتم من دونه...)(الزمر:١٥) (١١٤)
- ٧٥ قال تعالى: (قرآنا عربياً غير ذي عوج...)(الزمر:٢٨) (١٥٦)
- ٧٦ قال تعالى: (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً...)(الشورى:١٣) (٠٩٤)
- ٧٧ قال تعالى: (وأمرهم شورى بينهم...)(الشورى:٣٨) (١٧٥)
- ٧٨ قال تعالى: (إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون...)(الزخرف:٣) (١٥٦)
- ٧٩ قال تعالى: (...ثم جعلناك على شريعة من الأمر...)(الجمالية:١٨) (٠٩٥)
- ٨٠ قال تعالى: (...محمد رسول الله...)(الفتح:٢٩) (٢٥٩)
- ٨١ قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم...)(الحجرات:٢) (١٩٣)
- ٨٢ قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم...)(الحجرات:١١) (١١١)
- ٨٣ قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم...)(الحجرات:١١) (٢٧٢)
- ٨٤ قال تعالى: (...و لا نساء من نساء ..)(الحجرات:١١) (٢٧٢)
- ٨٥ قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن...)(الحجرات:١٢) (١١١)
- ٨٦ قال تعالى: (قالت الأعراب آما قل لم تؤمنوا...)(الحجرات:١٤) (١٤٥)
- ٨٧ قال تعالى: (وفي الأرض آيات للموقنين)(الذاريات:٢٠) (٢٥٥)
- ٨٨ قال تعالى: (وفي أنفسكم أفلا تبصرون)(الذاريات:٢١) (٢٥٥)
- ٨٩ قال تعالى: (ومن كل شيء خلقنا زوجين...)(الذاريات:٤٩) (٣٧٣)
- ٩٠ قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي...)(الممتحنة:١) (٢٥٩)
- ٩١ قال تعالى: (ومن يعد حدود الله...)(الطلاق:١) (٢٦٨)



- ٩٢ قال تعالى: (ومن يتوكل على الله فهو حسبه...)(الطلاق:٣) (٢٤٣)
- ٩٣ قال تعالى: (فارجع البصر هل ترى من فطور...)(الملك:٣) (١٢٠)
- ٩٤ قال تعالى: (ثم ارجع البصر كرتين ينقلب...)(الملك:٤) (١٢٠)
- ٩٥ قال تعالى: (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)(الملك:١٤) (١٩٥)
- ٩٦ قال تعالى: (وأنة كان رجالا من الإنس...)(الجن:٦) (٢٤٣)
- ٩٧ قال تعالى: (وأنا منا الصالحون...)(الجن:١١) (٢٤٢)
- ٩٨ قال تعالى: (لا تحرك به لسانك...)(القيامة:١٦) (١٤٧)
- ٩٩ قال تعالى: (إن علينا جمعه وقرآنه...)(القيامة:١٧) (١٤٧)
- ١٠٠ قال تعالى: ( فإذا قرأناه فاتبع قرآنه...)(القيامة:١٨) (١٤٧)
- ١٠١ قال تعالى: (ثم إن علينا بيانه...)(القيامة:١٩) (١٤٧)
- ١٠٢ قال تعالى: (ويل للمطففين...)(المطففين:١) (٣٣١)
- ١٠٣ قال تعالى: (الذين إذا أكتالوا على الناس...)(المطففين:٢) (٣٣١)
- ١٠٤ قال تعالى: (وإذا كالوهم أو وزنوهم...)(المطففين:٣) (٣٣١)
- ١٠٥ قال تعالى: (ستقرئك فلا تنسى...)(الأعلى:٦) (١٤٧)
- ١٠٦ قال تعالى: (إلا ما شاء الله...)(الأعلى:٧) (١٤٧)
- ١٠٧ قال تعالى: (ونفس وما سواها...)(الشمس:٧) (١٩٩)
- ١٠٨ قال تعالى: (فأضمرها فجورها و تقواها...)(الشمس:٨) (١٩٩)

## فهرس الأحادسث

الصفحة	الحديث
(٢٦٠)	(١) (إن دماءكم وأموالكم ...)
(٢٥٨)	(٢) (إن اليهود والنصارى ...)
(٢٥٨)	(٣) (تسحروا فإن في السحور ...)
(٢٥٨)	(٤) (خالقوا المشركين ...)
(٠٥٨)	(٥) (خيارهم في الجاهلية ...)
(٠٣٦)	(٦) (دب إليكم داء ...)
(٢٥٨)	(٧) (غيروا هذا بشيء ...)
(١٥٧)	(٨) (كنت أكتب الوحي ...)
(١٥٧)	(٩) (لا تكتبوا عني ...)
(١٧٥)	(١٠) (لا ضرر ولا ضرار)
(٢٥٧)	(١١) (ليس منا من تشبه ...)
(٢٥٧)	(١٢) (من تشبه بقوم ...)
(٢٠٣)	(١٣) (من كذب عليّ متعمداً ...)
(٣٧٧)	(١٤) (والحياء خير كله)
(٣٣٢)	(١٥) (ومن يستغفب يعفه ...)

## فهرس الأبيات

الصفحة	البيت
(٠٣٧)	(١) إنما الأمم الأخلاق ما بقيت
(٣٦٨)	(٢) خرج الغواني محتججن ورحت أرقب جمعهنه
(٢٦٩)	(٣) دعموا على الحرب السلام وطالما
(٠٢٣)	(٤) شيعت في طلع بعيرة ضاحك
(٠٢٣)	(٥) ضجت عليك مآذن ومناير
(٢٦٩)	(٦) ضربوا الضلالة ضربة ذهبها
(٠٢٣)	(٧) عادت أغاني العرس رجع نواح
(٢٣٢)	(٨) غلبوا على أعصابهم فتوهوا
(٠٢٣)	(٩) فلتسمعن بكل أرض داعيا
(٣١٠)	(١٠) كأنك تعطيه الذي أنت سائله
(٢٦٩)	(١١) كانت جند الله فيها شدة
(٠٢٣)	(١٢) كفتت في ليل الزفاف بثوبه
(٢٦٩)	(١٣) كم من غزاة للرسول كريمة
(٠٢٣)	(١٤) اهند والهة ومصر حزينة
(٠٢٣)	(١٥) والشام تسأل والعراق وفارس
(٠٢٤)	(١٦) ولتشهدن بكل أرض فتة
(٠٢٤)	(١٧) يفتي على ذهب المعز وسيفه

## فهرس المراجع

- ١- الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، د. محمد محمد حسين، ط ٢، ١٤١٣هـ، دار الرسالة مكة المكرمة- السعودية.
- ٢- أجنحة المكر الثلاثة، د. عبدالرحمن الميداني، ط ٦، ١٤١٠هـ، دار القلم، دمشق، سوريا.
- ٣- احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، د. سعد الدين صالح، ط ٢، ١٤١٣هـ، دار الأرقم، الزقازيق، مصر.
- ٤- الأخلاق الفاضلة، د. عبد الله الرحيلي، ط ١، ١٤١٧هـ، مطبعة سفير، الرياض، السعودية.
- ٥- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، ط ١، ١٤٠٧هـ، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، دمشق، سوريا.
- ٦- أزمة العصر، د. محمد محمد حسين، دار عكاظ للطباعة والنشر، جدة، السعودية.
- ٧- أسباب الضعف في الأمة الإسلامية، د. محمد السيد الوكيل، ط ١، ١٤١٤هـ، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، السعودية.
- ٨- الإسلام والحضارة الغربية، د. محمد محمد حسين، ط ٩، ١٤١٣هـ، دار الرسالة، مكة المكرمة.
- ٩- الإسلام في وجه التغريب، أنور الجندي، بدون طبعة وتاريخ، دار الاعتصام، القاهرة، مصر.
- ١٠- أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبد الرحمن النحلاوي، بدون طبعة وتاريخ، دار الفكر بيروت - لبنان.
- ١١- أصول الشرعية الإسلامية، مضمونها وخصائصها، د. على جريشة، ط ١، ١٣٩٣هـ، مكتبة وهبة، مصر.

- ١٢- أصول الفقه، د. محمد أبو زهرة، بدون طبعه وتاريخ، دار الفكر العربي، بيروت .
- ١٣- الإعتصام، إبراهيم بن موسى الشاطبي، ط ١، ١٤٠٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .
- ١٤- الأعلام، خير الدين الزركلي، ط ٣، ١٣٩٨هـ، بدون دار طباعة .
- ١٥- إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، راجعه وقدم له وعلق عليه طه عبدالرؤوف سعد، بدون طبعة وتاريخ، دار الجليل، بيروت، لبنان .
- ١٦- الإنحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر والهجريين، وآثارهما في حياة الأمة، علي بخيت الزهراني، بدون طبعة وتاريخ، دار الرسالة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، السعودية .
- ١٧- تأديب الناشئين بأدب الدنيا، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، تحقيق وتعليق محمد إبراهيم خليل، طبعة وتاريخ بدون، مكتبة القرآن، القاهرة، مصر .
- ١٨- التعريفات، علي بن محمد الجرحاني، ط ٢، ١٤١٣هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان .
- ١٩- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، كتب هوامشه وضبطه -حسين بن إبراهيم زهران، ط ١، ١٤٠٦هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .
- ٢٠- التكفير- جذوره-أسبابه-مبرراته، د. نعمان السامرائي، ط ٢، ١٤٠٦هـ، دار المنارة للطباعة والنشر، بيروت .
- ٢١- تيسير مصطلح الحديث، د. محمود الطحان، ط ٦، بدون تاريخ، دار التراث، الكويت .
- ٢٢- الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية، د. عابد السفياي، ط ١، ١٤٠٨هـ، مكتبة المعارف، مكة المكرمة، السعودية .
- ٢٣- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، ط ١، ١٤٠٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .
- ٢٤- جذور الانحراف في الفكر الإسلامي، جمال سلطان، ط ١، ١٤١٢هـ، مركز الدراسات الإسلامية، برمنجهام، بريطانيا .

- ٢٥- جهادنا الثقافي، جمال سلطان، ط ١، ١٤١٤هـ، مركز الدراسات الإسلامية، برمنجهام بريطانيا.
- ٢٦- جيل العمالقة والقمم الشوامخ على ضوء الإسلام، أنور الجندي، بدون طبعة وتاريخ، دار الإعتصام، القاهرة، مصر.
- ٢٧- حاضر العالم الإسلامي، علي جريشة، ط ٤، ١٤١٠هـ، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة.
- ٢٨- حركة تحرير المرأة في مصر، دراسة علمية بمفهوم إسلامي، عبد الواحد إسماعيل، بدون طبعة وتاريخ، دار الاعتصام، القاهرة، مصر.
- ٢٩- حصوننا مهددة من داخلها، د. محمد حسين، ط ١٢، ١٤١٣هـ، دار الرسالة مكة المكرمة.
- ٣٠- حقوق المرأة وواجباتها في الكتاب والسنة، د. فاطمة نصيف، ط ١، ١٤١٢هـ، تهامة، جدة، السعودية.
- ٣١- خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، سيد قطب، ط ٣، ١٤٠٣هـ، الإتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية.
- ٣٢- الدرّة فيما يجب اعتقاده، أبو محمد بن حزم، ط ١، ١٤٠٨هـ، مطبعة المدني، مصر.
- ٣٣- دعم الفكر الإسلامي لمواجهة الغزو الفكري، محمد قطب، ط ٤، ١٤٠٩هـ، ندوة ضمن أبحاث ووقائع اللقاء الثاني للندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، ١٣٩٣هـ.
- ٣٤- الدين، د. محمد عبد الله دراز، بدون طبعة وتاريخ، دار القلم، الكويت.
- ٣٥- الدين في مواجهة العلم، د. وحيد الدين خان، ط ٤، ١٤٠٧هـ، دار النفائس بيروت، لبنان.
- ٣٦- الدين والوحي والإسلام، د. مصطفى عبد الرازق، ط ١، ١٤١٣هـ، دار القادري، بيروت، دمشق.
- ٣٧- الروحية الحديثة، د. محمد حسين، ط ٢، ١٣٨٨هـ، دار الإرشاد للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

- ٣٨- روضة الناظر وجنة المناظر، موفق الدين بن قدامه المقدسي، ط ٢، ١٤٠٤ هـ، مكتبة المعارف، الرياض، السعودية.
- ٣٩- سير أعلام النبلاء، الإمام الذهبي، ط ٦، ١٤٠٩ هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- ٤٠- شبهاث حول الإسلام، محمد قطب، ط ٣، ١٩٨٥ م، الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، السالمية، الكويت.
- ٤١- شرح العقيدة الواسطية، محمد خليل هراس، ط بدون، ١٤٠٣ هـ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.
- ٤٢- الشريعة الإلهية لا القوانين الوضعية، د. عمر الأشقر، ط ٣، ١٤١٢ هـ، دار النفائس، عمان، الأردن، ومكتبة الفلاح، الكويت.
- ٤٣- شعارا الحرية المساواة (بمنظار إسلامي) د. عبد الرحمن الميداني، ط ١، ١٤١١ هـ، إحياء التراث الإسلامي، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.
- ٤٤- صحيح مسلم بشرح النووي، بدون طبعة ١٤٠٧ هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- ٤٥- طه حسين، حياته وفكره في ميزان الإسلام، أنور الجندي بدون طبعة وتاريخ، دار الاعتصام، القاهرة، مصر.
- ٤٦- العدوان على العربية عدوان على الإسلام، د. عبد الرحمن الباشا، ط ١، ١٤١٧ هـ، دار الأدب الإسلامي، القاهرة، مصر.
- ٤٧- على طريق العودة إلى الإسلام، د. محمد البوطي، ط ٢، ١٤٠٢ هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- ٤٨- عمل المرأة في الميزان، د. محمد علي البار، ط ٣، ١٤٠٧ هـ، الدار السعودية، جدة، السعودية.
- ٤٩- عوامل انحطاط الحضارة الإسلامية، محمد الغزالي، ط ٢، ١٤٠٦ هـ (محاضرة ضمن مجموعة أبحاث ووقائع اللقاء الرابع للندوة العالمية للشباب الإسلامي بعنوان الإسلام والحضارة ودور الشباب المسلم).

- ٥٠- الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، د. علي عبدالحليم محمود، بدون طبعه، ١٤٠١هـ من البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي الذي نظمته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام ١٣٦٩هـ، نشر دار الثقافة والنشر بالجامعة.
- ٥١- غزو في الصميم، د. عبد الرحمن الميداني، ط ٢، ١٤٠٥هـ، دار القلم، دمشق، سوريا.
- ٥٢- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ط ١، ١٤١٠هـ، دارالكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ٥٣- الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، د. محمد البهي، ط ٦، ١٩٧٣م دارالفكر، بيروت، لبنان.
- ٥٤- فكرة القومية العربية في ضوء الإسلام، صالح العبود، ط ١، بدون تاريخ، دار طيبة، الرياض، السعودية.
- ٥٥- قضية تحرير المرأة محمد قطب، ط ١، ١٤١٠هـ، دار الوطن، الرياض، السعودية.
- ٥٦- كواشف وزیوف، د. عبدالرحمن الميداني، ط ١، ١٤٠٥هـ، دار القلم - دمشق، سوريا.
- ٥٧- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي، ط ٣، ١٤٠٢هـ، دار القلم - الكويت.
- ٥٨- ماذا يريدون من المرأة، عبد السلام بسيوني، ط ١، ١٩٩٦م، إدارة الشؤون الإسلامية، الدوحة، قطر.
- ٥٩- الماسونية والمرأة، جمعان بن عايض الزهراني، العدد ١٤٩، ١٤١٥هـ، (سلسلة كتاب دعوة الحق الشهري يصدر عن رابطة العالم الإسلامي)، مكة المكرمة، السعودية.
- ٦٠- مباحث في علوم القرآن، د. صبحي الصالح، ط ١٦، ١٩٨٥م، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.
- ٦١- مجلة الأدب الإسلامي، السنة الثانية، المجلد الثاني، العدد الثامن، ربيع الثاني ١٤١٦هـ.



- ٦٢- مجلة المعرفة ، العدد ٤٦ - ٤٧ ، محرم وصفر ١٤٢٠هـ، الملف الصحفي ، مجلة شهرية تصدر عن وزارة المعارف بالمملكة العربية السعودية .
- ٦٣- مجموع فتاوى ابن تيمية ، أحمد بن تيمية ، جمع عبد الرحمن بن قاسم ، ط ١٢ ، بدون تاريخ، عالم الكتب ، الرياض ، السعودية .
- ٦٤- مختار الصحاح ، محمد أبو بكر الرازي ، بدون طبعة ١٤٠٥هـ ، مؤسسة علوم القرآن ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، جدة ، السعودية .
- ٦٥- مختصر صحيح البخاري ، الزبيدي ، تحقيق إبراهيم بركة ، ط ٢ ، ١٤٠٦هـ ، دار النفائس ، بيروت ، لبنان .
- ٦٦- مختصر صحيح مسلم ، المنذري ، تحقيق الألباني ، ط ٥ ، ١٤٠٥هـ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان .
- ٦٧- مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية ، د. عبد الكريم زيدان ، ط ٧ ، بدون تاريخ ولا دار نشر .
- ٦٨- مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية ، د. يوسف القرضاوي ، بدون طبعة وتاريخ ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، مصر .
- ٦٩- المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية ، على مذهب أهل السنة والجماعة ، د. إبراهيم البريكان ، بدون طبعة ، ١٤١٣هـ ، دار السنة ، الخبر .
- ٧٠- مدخل للتشريع الإسلامي ، د. محمد فاروق النبهان ، ط ٢ ، ١٩٨٢م وكالة المطبوعات ، الكويت دار العلم ، بيروت .
- ٧١- مذاهب فكرية معاصرة ، محمد قطب ، ط ٧ ، ١٤١٣هـ ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر .
- ٧٢- المرأة بين دعاة الإسلام وأدعياء التقدم ، عمر سليمان الأشقر ، ط ٥ ، ١٤٠٨هـ ، دار طيبة ، الرياض ، السعودية .
- ٧٣- المصباح المنير ، أحمد بن محمد الفيومي المقري ، بدون طبعه وتاريخ ، مكتبة لبنان ، ١٩٨٧م .
- ٧٤- المعجم الوسيط ، د. إبراهيم أنيس ورفاقه ، ط ٢ ، بدون تاريخ ولا دار طباعة .

- ٧٥- مكاييد يهودية عبر التاريخ ، د. عبد الرحمن الميداني ، ط ٥ ، ١٤٠٥ هـ ، دارالقلم ، دمشق ، سوريا .
- ٧٦- من روائع حضارتنا ، د. مصطفى السباعي ، ط ٣ ، ١٤٠٢ هـ ، المكتب الإسلامي ، دمشق - بيروت .
- ٧٧- منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة ، عثمان بن علي بن حسن ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ، السعودية .
- ٧٨- منهج التربية الإسلامية ، محمد قطب ، ط ١٤ ، ١٤١٤ هـ ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر .
- ٧٩- منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير ، فهد عبد الرحمن الرومي ، ط ١ ، ١٤٠١ هـ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .
- ٨٠- منهج النقد في علوم الحديث ، د. نور الدين عتر ، ط ٣ ، ١٤٠١ هـ ، دارالفكر ، دمشق ، سوريا .
- ٨١- موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي ، د. محمد حرب ، بدون طبعة ، ١٩٩٦ م ، بدون دارنشر .
- ٨٢- الموسوعة العربية العالمية ، ط ١ ، ١٤١٦ هـ ، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع .
- ٨٣- الموسوعة العربية الميسرة ، إشراف محمد شفيق غربال ، بدون طبعة ، ١٤٠٦ هـ ، دارإحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
- ٨٤- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، إشراف وتحقيق ومراجعة ، د. مانع بن حماد الجهني ، ط ٣ ، ١٤٠٨ هـ ، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر .
- ٨٥- موقف الدكتور محمد محمد حسين من الحركات الهدامة ، د. إبراهيم إسماعيل عوضين ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .
- ٨٦- نظرة عالمية نحو الإسلام ، عبد الله سلامة الجهني ، ط ٢ ، ١٤٠٨ هـ ، دار العلم ، جدة ، المملكة العربية السعودية .

٨٧- هموم المسلم المعاصر، د. يوسف القرضاوي، بدون طبعة وتاريخ، مكتبة التراث الإسلامي، مصر.

٨٨- واقعنا المعاصر، محمد قطب، ط ٢، ١٤٠٨ هـ، مؤسسة المدينة للصحافة، جدة، السعودية.

## الفهرس العام

المقدمة

١٠ - ٢

الباب الأول

عصره وحياته

٨٥ - ١١

١٣	..... الفصل الأول : عصره
١٤	..... تمهيد
٢١	..... المبحث الأول : الناحية السياسية
٣٠	..... المبحث الثاني : الناحية الدينية والاجتماعية
٤١	..... المبحث الثالث : الناحية الثقافية والفكرية
٤٨	..... الفصل الثاني : حياته
٤٩	..... المبحث الأول : حياته الشخصية
٦٨	..... المبحث الثاني : حياته العلمية
٨٤	..... خاتمة الباب الأول

## الباب الثاني

### موقفه من الإنحرافات العقدية والتشريعية

٨٦ - ٢٠٧

- ٨٨ ..... الفصل الأول : موقفه من الإنحرافات العقدية
- ٨٩ ..... تمهيد
- ٩٧ ..... المبحث الأول : الحرية
- ١١٧ ..... المبحث الثاني : الدين
- ١٣١ ..... المبحث الثالث : القرآن الكريم
- ١٦٠ ..... الفصل الثاني : موقفه من الإنحرافات التشريعية
- ١٦١ ..... المبحث الأول : مقدمات الإنحراف
- ١٦٦ ..... المبحث الثاني : مسائل حول تطبيق الشريعة الإسلامية
- ١٨٨ ..... المبحث الثالث : تحكيم الشريعة الإسلامية
- ١٩٤ ..... المبحث الرابع : خصائص الشريعة الإسلامية
- ٢٠٥ ..... خاتمة الباب الثاني

## الباب الثالث

### موقفه من المذاهب الفكرية

٢٠٨ - ٢٩٥

- ٢٠٩ ..... الفصل الأول : الروحية
- ٢١١ ..... المبحث الأول : تعريفها
- ٢١٣ ..... المبحث الثاني : أهدافها

٢٢٦	.....	المبحث الثالث : وسائلها
٢٣٣	.....	المبحث الرابع : رده عليها ونقدها
٢٤٤	.....	الفصل الثاني : العالمية
٢٤٥	.....	المبحث الأول : تعريفها
٢٤٧	.....	المبحث الثاني : أهدافها
٢٥٢	.....	المبحث الثالث : وسائلها
٢٥٥	.....	المبحث الرابع : رده عليها ونقدها
٢٧١	.....	الفصل الثالث : القومية
٢٧٢	.....	المبحث الأول : تعريفها
٢٧٥	.....	المبحث الثاني : أهدافها
٢٧٩	.....	المبحث الثالث : وسائلها
٢٨٣	.....	المبحث الرابع : رده عليها ونقدها
٢٩٤	.....	خاتمة الباب الثالث

## الباب الرابع

### موقفه من قضايا التغريب

٢٩٦ - ٤٠٢

٢٩٨	.....	الفصل الأول : موقفه من تغريب التربية والتعليم
٢٩٩	.....	المبحث الأول : موقفه من تغريب التربية
٣٣٣	.....	المبحث الثاني : موقفه من تغريب التعليم
٣٦٣	.....	الفصل الثاني : موقفه من تغريب المرأة
٣٧١	.....	المبحث الأول : المجتمع المختلط

٣٧٩	.....	المبحث الثاني : المرأة والأعمال العامة
٣٩١	.....	الفصل الثالث : موقفه من دعاة التغريب
٤٠١	.....	خاتمة الباب الرابع

### الخاتمة

٤٠٣

فهرس الآيات

٤٠٤ - ٤٠٧

فهرس الأحاديث

٤٠٨

فهرس الأبيات

٤٠٩

فهرس المراجع

٤١٠ - ٤١٧

الفهرس العام

٤١٨ - ٤٢١